ز - فهرس الموضوعات

الباب الأول

الفصل الأول

المبحث الأول

المبحث الثاني

المبحث الثالث

الباب الثاني

المبحث الثاني

الفصل الثالث

الباب الأول

جهود علماء نجد في تقرير توحيد العبادة وكلمة التوحيد

وفيه فصلان :

الفصل الأول

جهودهم في تقرير توحيد العبادة

الفصل الثاني

جهودهم في تقرير كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) .

الفصل الأول

جهودهم في تقرير توحيد العبادة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة توحيد الإلهية ومنزلته .

المبحث الثاني : أنواع الأدلة التي استدل بها علماء الدعوة على توحيد العبادة .

المبحث الثالث : أركان العبادة وشروطها .

المبحث الرابع : أنواع العبادة .

المبحث الأول

حقيقة توحيد الإلهية ومنزلته

حقيقة توحيد الإلهية :

تنوعت عبارات علماء نجد في بيان حقيقة توحيد الإلهية لكنها متفقة المعنى ، يجمعها أن توحيد الإلهية هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة ، ومن تعريفاتهم ما يلي :

عرف الإمام محمد بن عبدالوهاب توحيد الإلهية فقال : " ... هو توحيد الله بأفعال العباد ، كالدعاء ، والرجاء ، والخوف ، والخشية ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والمحبة ، والإنابة ، والنذر ، والذبح ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والتذلل ، والتعظيم ، .. " [١] .

وعرفه في موضع آخر فقال : " وأما توحيد الألوهية فهو : إخلاص العبادة لله وحده عن جميع الخلق ... " [٢] .

وعرفه في إحدى رسائله فقال : " توحيد الألوهية ، وهو : أن لا يعبد إلا الله لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ... " [٣] .

وعرفه في رسالة أخرى فقال : " . . توحيد الإلهية وهو : أنه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا له ، ولا يدعى في الرخاء والشدائد إلا هو ، ولا يذبح إلا له ، ولا يعبد بجميع العبادات إلا الله وحده لا شريك له ... " [٤] .

وهذا التعريف الذي ذكره الإمام محمد ذكر معناه تلاميذه يقول الشيخ سليمان بن عبدالله معرفاً توحيد الإلهية " النوع الثالث : توحيد الإلهية المبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف ، والرجاء والتوكل ، والرغبة والرهبة ، والدعاء لله وحده . وينبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له ، لا يجعل فيها شيئاً لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما ... " [٥] ، وهذا الذي ذكره الشيخ سليمان نقله عنه الشيخ حمد بن عتيق [٦] .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين : " توحيد العبادة هو إفراد الله سبحانه بأنواع

---

[١] الرسالة المفيدة المهمة الجليلة ، ص ٣٥ .

[٢] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الثالث ، الفتاوى ، ص ٤٢ .

[٣] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ٦٥ .

[٤] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٤٧ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٦ .

[٦] إبطال التنديد ، ص ١٧ .

العبادة " [١] .

وعرف الشيخ عبدالرحمن بن حسن توحيد الإلهية بقوله " ... هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة .. " [٢] . وبعد الحديث عن حقيقة توحيد الإلهية يحسن أن أبين مفهوم العبادة :

مفهوم العبادة :

العبادة في اللغة :

العبادة في اللغة هي الذل والخضوع . وهذا ما حكاه علماء نجد .

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله : " معناها لغة : الذل والخضوع ... " [٣] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " قال القرطبي [٤] : أصل العبادة : التذلل والخضوع [٥] .

وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات ، لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى " [٦] .

وعرفها الشيخ عبدالله أبابطين فقال : " أما العبادة في اللغة فهي من الذل ، يقال : بعير معبد ، أي : مذلل ، وطريق معبد : إذا كان مذللاً قد وطأته الأقدام " [٧] .

---

[١] جواب للشيخ عبدالله أبابطين على سؤال أورده الشيخ عبدالرحمن بن حسن على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الأحساء ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٤ .

[٢] قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ١٥٥ .

[٣] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٥ .

[٤] محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري ، الأندلسي ، القرطبي ، أبوعبدالله ، من كبار المفسرين ، له مؤلفات كثيرة منها : الجامع لأحكام القرآن ، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، وغيرها ، توفي سنة ٦٧١هـ .
انظر في ترجمته : الديباج ، ص ٣١٧ ، الأعلام ، ج٥ ، ص ٣٢٢ .

[٥] الجامع لأحكام القرآن ، ج١ ، ص ٢٢٥ ، ج١٧ ، ص ٥٦ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٧ .

[٧] رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٢ .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله تعالى : " ومعنى العبادة ، في أصل اللغة : لمطلق الذل والخضوع ، ومنه طريق معبد ، إذا كان مذللاً قد وطأته الأقدام كما قال الشاعر :

تبارى عتاقاً ناجيات وأتبعت ‏ ‏ ‏ ‏ وظيفاً وظيفاً [١] فوق مور [٢] معبد " [٣] [٤]

وقال أيضاً في موضع آخر : " ... فإن العبادة تتضمن غاية الخضوع والذل ، ومنه طريق معبد : إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام ، هذا أصلها في اللغة ... " [٥] .

وذكر في موضع آخر بأن العبادة لغة : " أقصى غاية الذل والخضوع مطلقاً " [٦] .

مفهوم العبادة في الشرع :

اختلفت عبارات علماء الدعوة في مفهوم العبادة ، والمعنى واحد .

١ - فعرفها الإمام محمد بن عبدالوهاب بقوله : " العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه " [٧] .

وقال : " العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد " [٨] .

٢ - وعرفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقد ذكر هذا التعريف جمع من علماء الدعوة ، منهم الإمام محمد بن عبدالوهاب

---

(١) الوظيف : خف البعير ، وهو كالحافر للفرس .

(٢) المور : الطريق المعبد في الجبل ، سمي بذلك لأنه يضطرب فيه جيئه وذهاباً .

(٣) ديوان طرفة بن العبد ، ص ٣٥ .

(٤) رسالة نواة الإيمان للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ، ص ٣٥ ، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٨ .

(٥) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ، ص ١٠٨ .

(٦) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الشيخ عبدالله بن نصير ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٠٢ .

(٧) كتاب التوحيد ، ص ١٢ .

(٨) القواعد الأربع ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، ص ١٩٩.

والشيخ سعيد بن حجي [١] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٢] ، والشيخ عبدالله أبابطين [٣] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٤] ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن .

يقول الإمام محمد : " العبادة : كمال المحبة ، وكمال الخضوع ، والخوف والذل " [٥] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " واستعملها الشارع في العبادة الجامعة لكمال المحبة ، وكمال الذل والخضوع " [٦] .

قال الشيخ عبدالله أبابطين في شرح هذا التعريف : " ومن عرفها بالحب مع الخضوع ، فلأن الحب التام مع الذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له ، فالعبد هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبوبه ، فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته .

فمحبة العبد لربه ، وذله له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ... " [٧] .

---

[١] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٤٧ نقلاً عن ابن كثير .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٧ نقلاً عن ابن كثير .

[٣] انظر : رسالة في معنى العبادة والإخلاص للشيخ عبدالله أبابطين ، ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٣ .

[٤] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ١٥ ، نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية . ونقله أيضاً عن ابن القيم كما في فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وفي الرسالة التاسعة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٨٩ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٩ .

[٥] تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبدالوهاب ، ص ٤٩ .

[٦] نواة الإيمان للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ، ص ٣٥ - ٣٦ ، وهي رسالة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٣٢١ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .

[٧] رسالة في معنى العبادة والإخلاص للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، وانظر : ما نقله عن ابن القيم في هذا المعنى في المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٦٤ .

٣ - وعرفها طائفة بقولهم : هي فعل ما أمر الله به ورسوله ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة .

وقد ذكر هذا التعريف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [١] ، وذكره بمعناه جمع من علماء الدعوة .

يقول الإمام محمد في رسالة الأصل الجامع : " فإن قيل : فما الجامع لعبادة الله وحده ؟ قلت : طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه " [٢] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله : " العبادة هي : الإتيان بالأوامر ، والانتهاء عن المناهي " [٣] .

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين : " المأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة ، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحظور ، من واجب ومندوب ، وترك المنهي عنه من محرم ومكروه " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " والعبادة : أن تعمل بطاعة الله تعالى ، بما أمرك به ونهاك عنه ، مخلصاً له العبادة والعمل " [٥] .

٤ - وعرفها طائفة بقولهم ، هي ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي .

---

(١) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ، ص ١٠٨ ، وذكر معناه في رسالة له ، الرسالة الخامسة والثلاثون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٠٢ .

(٢) رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٩ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٧ ، وانظر ص ٤٧ نقلاً عن ابن كثير .

(٤) جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٢ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠١ .

(٥) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٤٢ . وانظر معناه في قرة عيون الموحدين ، ص ٣٩ .

ذكر هذا التعريف الإمام محمد بن عبدالوهاب [١] ، والإمام عبدالعزيز بن محمد ابن سعود [٢] ، والشيخ عبدالله أبابطين [٣]، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [٤] .

٥ - وعرفها طائفة بتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية وهو :

" العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة " [٥] .

وقد ذكر هذا التعريف جمع من علماء الدعوة ، منهم الشيخ حمد بن معمر [٦] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٧] ، والشيخ عبدالعزيز الحصين [٨] ، والشيخ علي بن حسين آل الشيخ [٩] ، والشيخ إبراهيم بن سيف [١٠] ، والشيخ عبدالله أبابطين [١١] ،

---

[١] انظر : مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ٩٠ .

[٢] انظر : رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٥ .

[٣] انظر : رسالة في معنى العبادة والإخلاص للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٣ .

[٤] انظر : تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ، ص ١٠٨ .

[٥] العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٣٨ .

[٦] انظر النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٨ .

[٧] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦ ، وجواب للشيخ سليمان ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ، ج١ ، ص ٤٩٩ .

[٨] انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٧٤ .

[٩] انظر : رسالة مشتركة للشيخ عبدالرحمن بن حسن وعلي بن حسين ، وإبراهيم بن سيف ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٦٩ .

[١٠] انظر : الرسالة السابقة .

[١١] انظر : جواب للشيخ عبدالله أبابطين في معنى العبادة ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٣ ، وجواب للشيخ عبدالله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠٣ ، وجواب آخر له ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٢٥ .

والشيخ عبدالرحمن بن حسن [١] ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [٢] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في شرحه لتعريف شيخ الإسلام ابن تيمية : " فيدخل في ذلك قول القلب ، وعمله ، وقول اللسان ، وعمل الجوارح ، وترك المحظورات ، والمنهيات ، داخل في مسمى العبادة ، ..

ومحل تفاصيلها الكتب المصنفة في بيان الأحكام الشرعية ، وواجباتها ، ومستحباتها ، سواء كانت في معرفة القلوب ، وعلمها ، أو عملها وسيرها ، فالأول : العقائد ، وهي التوحيد العلمي ، وقد صنف أهل السنة فيها مصنفات من أحسنها كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وأما الثاني ، وهو علم أعمال القلوب وسيرها ، المسمى : علم السلوك ؛ فقد بسط القول فيه ابن القيم رحمه الله تعالى ، في : شرح المنازل [٣] ، وفي سفر الهجرتين [٤] .

وأما أعمال الجوارح الظاهرة ، فالمصنفات فيها أكثر من أن تحصر ، وبالجملة فمعرفة جميع تفاصيل العبادة تتعذر ، إذ ما من عالم إلا وفوقه من هو أعلم منه ، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى " [٥] .

فدخل في هذه التعاريف والحدود المتقدمة جميع أنواع العبادة ، فلا يقصد بها غير الله ، ولا تصرف لسواه [٦] .

قال الشيخ عبدالله أبابطين : " توحيد العبادة هو نفس العبادة المطلوبة شرعاً ، ليس أحدهما دون الآخر ؛ ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد في القرآن من العبادة ، فمعناه

---

(١) انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٤ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ١٥ ، والمحجة في الرد على اللجة ، ص ٣٢ ، وجواب للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٢٦ ، والرسالة الثانية ضمن مجموعةالرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٦ ورسالة مشتركة مع الشيخ علي بن حسين ، والشيخ إبراهيم بن سيف ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٦٩ .

(٢) جواب للشيخ عبداللطيف ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٢٤ ، والرسالة الثانية والخمسون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٨٩ .

(٣) المقصود به " مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين " للإمام ابن القيم رحمه الله ، وهو مطبوع عدة طبعات ، منها : طبعة دار الكتاب العربي ببيروت عام ١٤١٤هـ .

(٤) المقصود به " طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام ابن القيم رحمه الله ، وهو مطبوع عدة طبعات ، منها : طبعت دار الوطن للنشر والإعلام ، بدون تاريخ .

(٥) جواب للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

التوحيد . وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون .

وأما العبادة من حيث هي ، فهي أعم من كونها توحيداً عموماً مطلقاً ، فكل موحِّد عابد لله ، وليس كل من عبدالله يكون موحداً .

ولهذا يقال عن المشرك : إنه يعبد الله مع كونه مشركاً .

كما قال الخليل ﷺ : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [١] ، وقال عليه السلام ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٢]، فاستثنى الخليل ربَّه من معبوديهم ، فدل على أنهم يعبدون الله سبحانه .

فإن قيل : ما معنى النفي في قوله سبحانه : ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [٣] .

قيل : إنما نفي عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد " [٤] .

مسميات توحيد العبادة :

توحيد العبادة يسمى بعدة أسماء منها :

١ - توحيد الإلهية .

٢ - توحيد العبادة .

٣ - توحيد الإرادة ، أو التوحيد الإرادي .

٤ - توحيد القصد ، أو التوحيد القصدي .

٥ - توحيد العمل ، أو التوحيد العملي .

والرسالة الثانية والخمسون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٨٩ .

(٦) انظر : تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ، ص ١٠٨ .

(١) سورة الشعراء الآيات : ٧٥ - ٧٧ .

(٢) سورة الزخرف الآيتين : ٢٦ - ٢٧ .

(٣) سورة الكافرون الآيات : ٣ ، ٥ .

٦ - توحيد الطلب ، أو التوحيد الطلبي .

وهذه الأسماء قد أشار إليها الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله ، وأشارا إلى سبب التسمية بها ، يقول الشيخ سليمان رحمه الله في بيان ذلك : " .. ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية ، لأنه مبني على إخلاص التأله ، وهو أشد المحبة لله وحده ، وذلك يستلزم إخلاص العبادة ، وتوحيد العبادة لذلك ، وتوحيد الإرادة ، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال ، وتوحيد القصد ، لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد العمل لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده ... " [١] .

---

[٤] مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨ ، وانظر : كلام الشيخ عبدالله أبابطين في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٤ .

منزلة توحيد العبادة :

أولاً : أن العبادة هي الحكمة التي من أجلها خُلِقَ الخلق

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب مبيناً أن الحكمة من خلق الخلق هي العبادة : " أما بعد : فاعلم رحمك الله ، أن الله تعالى خلق الخلق ليعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [١] . . . " [٢] .

وصدر رحمه الله كتابه المسمى (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) بهذه الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٣] مبيناً أن العبادة هي الحكمة في خلق الجن والإنس ، قال رحمه الله : " كتاب التوحيد وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٤] " [٥] .

وعدها أيضاً المسألة الأولى في مسائله على هذا الكتاب ، فقال رحمه الله : " فيه مسائل : الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس " [٦] .

وقال أيضاً الإمام محمد في بيان هذه المنزلة : " واعلم : أن التوحيد في العبادة هو الذي خلق الله الخلق لأجله ، وأنزل الكتاب لأجله ، وأرسل الرسل لأجله ، وهو أصل الدين الذي لا يستقيم لأحد إسلام إلا به ، ولا يغفر لمن تركه وأشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " [٧] .

وأوضح رحمه الله هذه الحكمة على طريقة السؤال والجواب فقال : " وإن قيل لك : أي

---

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٢) رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٦٦ ، وانظر هذا المعنى في رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٦ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٥) كتاب التوحيد ، ص ٩ .

(٦) كتاب التوحيد ، ص ١٢ .

(٧) مسألة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ١٣٧ ، وانظر هذا المعنى للإمام محمد ، في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٤٤ .

شيء أنت مخلوق له ؟ فقل : للعبادة ، والدليل قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : يوحدون ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [(١)] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [(٢)] " [(٣)] .

وقال في مكان آخر على الطريقة نفسها : " وإذا قيل لك : لأي شيء خلقك الله ؟ فقل : خلقني لعبادته وطاعته ، واتباع أمره ، واجتناب نهيه ، فدليل العبادة قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [(٤)] ، ودليل الطاعة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [(٥)] يعني : كتاب الله وسنة نبيه " [(٦)] .

وكذلك أبان هذه الحكمة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله فقال في رسالة منه إلى من يراه من العلماء ، والقضاة ، في الحرمين ، والشام ، ومصر ، والعراق ، وسائر علماء المشرق والمغرب : " سلام عليكم ورحمه الله وبركاته : أما بعد ، فإن الله عز وجل شأنه وتعالى سلطانه ، لم يخلق الخلق عبثاً ولا تركهم سدى وإنما خلقهم لعبادته ، فأمرهم بطاعته وحذرهم مخالفته ، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة ،إما في ناره بعدله ، أو في جنته بفضله ورحمته ، قد أخبر عز وجل بذلك في كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول أرسله ، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية ، وأخبرتنا به الأحاديث النبوية قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [(٧)] ، وقد قال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا

---

(١) سورة الذاريات ، الآيات : ٥٦ - ٥٨ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٣٨ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٥٦ .

(٥) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٦) رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٧) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

إلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [(١)] " [(٢)] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله مبيناً معنى قوله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

" ومعنى الآية : أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته ، فهذا هو الحكمة في خلقهم ... " [(٣)] .

وأيضاً ذكر الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين رحمه الله في رسالة له أن العبادة هي الغاية التي خلق الله لها جميع العباد ، يقول رحمه الله : " أما بعد : فإن العبادة التي هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، هي الغاية التي خلق الله لها جميع العباد ، من جهة أمر الله تعالى ، ومحبته ورضاه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [(٤)] وبها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ... " [(٥)] .

وقد أبان هذه الحكمة الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في قرة عيون الموحدين فقال رحمه الله مبيناً ما دلت عليه الآية السابقة : " دلت الآية على أن الله تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة ، وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه ، ففعل الأول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة " [(٦)] .

وذكر رحمه الله في كتابه فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد نوع الحكمة فقال : " قلتُ : وهي ، الحكمة الشرعية الدينية " [(٧)] .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

(٢) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٣ - ١٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٧ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٥ - ٨٦ ، وإبطال التنديد ، ص ١٨ .

(٤) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٥) رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٧٤ .

(٦) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ١٥ .

(٧) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٥ .

وقال رحمه الله في رسالة له ، نسجها على طريقة السؤال والجواب : " فإذا قيل لك : ما الذي خلقك الله لأجله ؟ فقل : خلقني لأعبده وحده لا شريك له ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [١] ... " [٢] .

ويوضح الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن هذه المنزلة فيقول في مستهل رسالة له : " اعلم أرشدك الله ، أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، والإنابة إليه ، والتوكل عليه ، وإسلام الوجه له ، وهذا هو الإيمان المطلق المأمور به في جميع الكتب السماوية وسائر الرسالات النبوية .. " [٣] .

ويزيد الشيخ عبداللطيف رحمه الله هذه المنزلة بياناً فيقول : " ... إن الله سبحانه إنما خلق (الخلق) [٤] لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، وخوفه ورجائه ، والتوكل عليه والإنابه إليه ، والتضرع بين يديه ، وهذه زبدة الرسالة الإلهية ، وحاصل الدعوة النبوية ، وهذا هو الحق الذي خُلقت له السماوات والأرض ، وأنزل به الكتاب ، وهو الغاية المطلوبة والحكمة المقصودة من إيجاد المخلوقات وخلق البريات ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥] ، ودعا سبحانه إلى هذا المقصود وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر ، والبراءة من الشرك والتنديد المنافي لهذا الأصل ، الذي هو المراد من خلق سائر العبيد ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [٦] ... " [٧] .

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٢) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٤٢ .

(٣) رسالة نواة الإيمان ، ص ٣٣ .

(٤) كلمة (الخلق) ساقطة فأضفتها .

(٥) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٦) سورة النساء الآية : ١١٦ .

(٧) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ . وانظر ص ٥٧ .

ثانياً : أن الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم دعوا إلى توحيد العبادة :

" والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٢] ، فهذا دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك ، وقال هود لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٣] ، وقال صالح لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٤] ، وقال شعيب لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٥] ، وقال إبراهيم عليه السلام لقومه : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٦] ، وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [٧] ، وقال تعالى ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [٨] .. " [٩] .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في بيان هذه الحقيقة : " .. وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [١٠] .. " [١١] .

---

[١] سورة النحل الآية : ٣٦ .

[٢] سورة المؤمنون الآية : ٢٣ .

[٣] سورة الأعراف الآية : ٦٥ .

[٤] سورة هود الآية : ٦١ .

[٥] سورة الأعراف الآية ٨٥ .

[٦] سورة الأنعام الآية : ٧٩ .

[٧] سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

[٨] سورة الزخرف الآية : ٤٥ .

[٩] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٦ - ٣٧ .

[١٠] سورة النحل الآية : ٣٦ .

[١١] الأصول الثلاثة ، ص ١٥ .

وقال رحمه الله تعالى في رسالة أرسلها لعالم من أهل المدينة : " .. ويكون عندك معلوماً أن أساس الأمر ورأسه ودعوة الرسل من أولهم إلى أخرهم الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والنهي عن عبادة من سواه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [3] الآيتين .. " [4] .

وقال رحمه الله في رسالة أخرى : " .. فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم إفراد الله بالعبادة كلها ، ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهم ... " [5] .

وقال في رسالة أرسلها إلى من يصل إليه من المسلمين : " واعلم أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، وآخرهم محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ... " [6] .

وبيّن رحمه الله تعالى أن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً ﷺ إلينا على حين فترة من الرسل ، فهدى الله به إلى الدين الكامل ، والشرع التام ، وأعظم ذلك وأكبره ، وزبدته هو : إخلاص الدين لله ، بعبادته وحده لا شريك له ، والنهي عن الشرك [7] .

وبيّن رحمه الله تعالى : " أن أعظم ما جاء به هذا الرسول من عند الله ، أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد غيره ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة المدثر ، الآية : ١ .

(٤) رسالة للإمام محمد إلى عالم من أهل المدينة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٥) رسالة للإمام محمد إلى عبدالرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثرمدا ضمن المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٦٦ .

(٦) رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤ .

(٧) انظر : رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٤٠ .

المَساجِدَ للَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [١] ... " [٢] .

وبيّن رحمه الله : أن دين النبي ﷺ التوحيد ، وهو معرفة : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، والعمل بمقتضاهما [٣] .

وقرر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن توحيد العبادة هو دين جميع الرسل فقال : " ... وهذا : هو دين جميع الرسل ، لم يختلفوا فيه كما اختلفت شرائعهم في غيره ، قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [٤] .. " [٥] .

وبيّن رحمه الله : أن أصل دين رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ، هو : توحيد الله بجميع أنواع العبادة ، لا يدعى إلا هو ، ولا ينذر إلا له ، ولا يذبح إلا له ، ولا يخاف خوف السر إلا منه ، ولا يتوكل إلا عليه كما دل على ذلك الكتاب العزيز [٦] .

وبيّن رحمه الله : أن هذا دين الإسلام ، الذي دعت إليه الرسل جميعاً ، من أولهم نوح إلى آخرهم محمد صلوات الله وسلامه عليه [٧] .

واستدل الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد [٨] في بيان هذه المنزله بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [٩] .

---

[١] سورة الجن الآية : ١٨ .

[٢] رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٨٠ ، وانظر : هذا المعنى في المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣١ .

[٣] مسألة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٥٥ .

[٤] سورة الشورى الآية : ١٣ .

[٥] رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ضمن المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦١ .

[٦] انظر : رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ضمن المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧٠ .

[٧] انظر : رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ضمن المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٨١ ، وانظر : رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٤ .

[٨] كتاب التوحيد ، ص ٩ .

[٩] سورة النحل الآية : ٣٦ .

قال الشيخ سليمان في بيان معنى هذه الآية : " وأما معنى الآية ، فأخبر تعالى أنه بعث في كل أمة ، أي : في كل طائفة وقرن من الناس رسولاً بهذه الكلمة ﴿ أن اعبُدُوا الله واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ أي : اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه ، فلهذا خلقت الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، كما قال تعالى : ﴿ومَا أرْسَلْنَا من قبْلك من رَسُول إلاَّ نُوحِي إِلَيْه أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّه ولا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [(٢)] ... " [(٣)] .

وقال رحمه الله مبيناً ما دلت عليه هذه الآية : " ودلت الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ، وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله ، وإن اختلفت شرائعهم ، كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [(٤)] ... " [(٥)] .

وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في بيان أهمية هذا التوحيد : " .. فإن الله تعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده ولا يجعل معه إله آخر ... " [(٦)] .

وقال أيضاً : " فإن التوحيد الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه هو أن يعبد الله لا يشرك به شيء ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [(٧)] ... " [(٨)] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الرعد الآية : ٣٦ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠ ، وانظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٨ ، ، وإبطال التنديد ، ص ١٩ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ١٦ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥١ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٩٠ .

(٦) جواب للشيخ عبدالله بن محمد ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٧ .

(٧) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

(٨) كتاب جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ١٣٣ .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله : " ... من المعلوم بالضرورة أن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ يدعو إلى التوحيد وهو توحيد الألوهية وينهى عن الشرك وهو عبادة غير الله .. فبعث الله رسوله محمداً ﷺ ينهاهم عن هذا الشرك ويدعوهم إلى توحيد العبادة ، وهذه دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [٢] ... " [٣] .

ويبيّن الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى هذه الحقيقة فيقول : " أما بعد فاعلموا معشر الإخوان أن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وعرفهم ما خلقوا له من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ، والرغبة عن عبادة غيره والبراءة منها والكفر بالطاغوت ، وهو الشيطان وما زينه من عبادة الأوثان ، فدعا قريشاً والعرب إلى أن يقولوا لا إله إلا الله لما دلت عليه من بطلان عبادة كل ما يعبد من دون الله ، وإخلاص العبادة لله وحده دون كل ما سواه ، وهذا هو التوحيد الذي خلق الله الخلق لأجله ، وأرسل الرسل لأجله ، وأنزل الكتب لأجله ، وهو أساس الإيمان والإسلام ورأسه وهو الدين الحق الذي لا يقبل الله من عبد ديناً سواه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٤] أي : يوحدون ، وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [٥] وهذه الآية تفسر الآية قبلها وتبيّن أن المراد بالعبادة التوحيد وأن يكون سبحانه وتعالى هو المعبود وحده دون كل ما سواه ، والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد وبيانه وبين ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [٦] ، والرسل عليهم الصلاة

---

[١] سورة النحل الآية : ٣٦ .

[٢] سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

[٣] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

[٤] سوة الذاريات الآية : ٥٦ .

[٥] سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

[٦] سورة يوسف الآية : ٤٠ .

والسلام افتتحوا دعوتهم لقومهم بهذا التوحيد ﴿أن اعْبُدُوا اللّه ما لكُم مّنْ إله غيْرُهُ ﴾ [١] ، وقال تعالى ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾ [٢] وقوله ﴿ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ [٣] يعني : قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات وهم قوم لوط ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ [٤] .

وكل رسول يدعو قومه إلى أن يخلعوا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا أعمالهم كلها عن الأصنام والأوثان التي اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعبادتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [٥] ... " [٦] .

ويقول الشيخ عبداللطيف رحمه الله تعالى : " ... فإن النزاع بين الرسل وقومهم إنما هو في توحيد العبادة ، فكل رسول أول ما يقرع أسماع قومه بقوله : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٧] ... " [٨] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية : ٣٢ .

(٢) سورة العنكبوت الآيات : ١٦ - ١٨ .

(٣) سورة العنكبوت الآية : ١٨ .

(٤) سورة النحل الآية : ٣٦ .

(٥) سور يس الآية : ٧٤ .

(٦) كتاب بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبدالمحمود ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، وانظر : أيضاً ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان هذه الحقيقة الرسالة الأولى ، ص ٣ ، والرسالة الثانية ، ص ٤٢ ، والرسالة التاسعة ، ص ٩١ ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، والقول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ص ، ١٦٠ نقلاً عن شيخ الإسلام رحمه الله ، والمحجة ، ص ٨ ، وإرشاد طالب الهدى لما يباعد عن الردى ، ص ١٠٤ ، ضمن كتاب المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد .

(٧) سورة المؤمنون الآية : ٢٣ .

(٨) منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس ، ص ٣٣٧ ، وانظر فيه نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، ص ٢٤٧ ، وانظر أيضاً في بيان هذه الحقيقة كلاماً لبعض علماء نجد ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٦٧٢ .

ثالثاً : أن توحيد العبادة : أفرض الفرائض على جميع الخلق وأوجب الواجبات ، وأصل الأصول :

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في بيان هذه المنزلة : " اعلم رحمك الله أن التوحيد الذي فرض الله على عباده قبل فرض الصلاة والصوم هو توحيد عبادتك أنت ، فلا تدع إلا الله وحده لا شريك له ... " [١] ، " وهو أفرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان " [٢] ، " وهذا الأصل هو أعظم أصول الدين وأفرضها " [٣] ، " وهذا هو أفرض الفرائض على جميع الخلق " [٤] ، " وعبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الأصول " [٥] ، " وأفرض الفرائض ، وأوجب الواجبات " [٦] .

والأدلة على هذا كثيرة ، ومما أورده الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد [٧] ، ما يلي :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [٨] ومعنى الآية : أمر ووصى أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً ، بل هو إما فقير محتاج إلى رحمة ربه يرجوها كما ترجونها ، وإما جماد لا يستجيب لمن دعاه [٩] .

---

[١] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، الرسالة الثالثة عشرة ، ص ٣٩٨ ، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٧٦ ، وانظر : الرسالة الأولى ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣ - ٤ .

[٢] من رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ١٥ .

[٣] من رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٢ .

[٤] من رسالة للشيخين حسين وعبدالله ابني محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٥٥ .

[٥] من رسالة للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٧٥ .

[٦] من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى زيد بن محمد ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٤٠٩ .

[٧] انظر : كتاب التوحيد ، ص ٩ ، ١٠ .

[٨] سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

[٩] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥١ - ٥٢ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٩٠ - ٩١ ، وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ١٧ ، وإبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد ، ص ٢٠ ، والرسالة الثانية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٦ .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " هذا أول أمر في القرآن ، وهو الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، والنهي عن الشرك ، كما في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٢] ، وتأمل كيف أمر تعالى بعبادته ، أي : فعلها خالصة له ، ولم يخص بذلك نوعاً من أنواع العبادة ، لا دعاء ولا صلاة ولا غيرهما ، ليعم جميع أنواع العبادة ، ونهى عن الشرك به ، ولم يخص أيضاً نوعاً من أنواع العبادة بجواز الشرك فيه " [٣] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " هذه الآية تبين العبادة التي خلقوا لها أيضاً ، فإنه تعالى قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه وهو الشرك في العبادة ، فدلت هذه الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة فلا تصح بدونه أصلاً ، كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٤] ... " [٥] .

رابعاً : أن العبادة حق الله على العباد فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً [٦] :

" فالعبادة بجميع أنواعها ما دق منها وما جل حق الله تعالى على عباده ، لا يصلح منها شيء لغيره كائناً من كان ، فمن صرف من العبادة شيئاً لغير الله فقد جعله شريكاً لله في حقه ، وذلك ينافي التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات ، والذي ما خلق الله

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٢ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ٨٨ .

(٥) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ١٨ .

(٦) انظر : رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بعثها إلى عبدالله بن محمد ، الرسالة الثالثة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٤٣ .

السموات والأرض والإنس والجن إلا له " [١] .

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى في رسالة أرسلها إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم : " ... أما الذي نحن عليه ، وهو الذي ندعوا إليه من خالفنا : أنا نعتقد أن العبادة حق لله على عبيده ، وليس لأحد من عبيده في ذلك شيء ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فلا يجوز لأحد أن يدعو غير الله ، لجلب نفع ، أو دفع ضر ، وإن كان نبياً أو رسولاً ، أو ملكاً ، أو ولياً ، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [٢] وقال على لسان نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) ﴾ [٣] ، وقال عز من قائل : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [٤] ، وقال عز من قائل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [٥] ، وقال جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [٦] ، وقال : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٧] ، ولا يجوز لأحد يتوكل على غير الله ، ولا يستعيذ بغير الله ، ولا ينذر لغير الله ، تقرباً إليه بذلك ، ولا يذبح لغير الله ، كما قال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [٨] وقال : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا

---

[١] القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ، ص ٣٠ .

[٢] سورة الجن الآية : ١٨ .

[٣] سورة الجن الآيتين : ٢١ - ٢٢ .

[٤] سورة الأحقاف الآيتين : ٥ - ٦ .

[٥] سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

[٦] سورة الرعد الآية : ١٤ .

[٧] سورة المؤمنون الآية : ١١٧ .

[٨] سورة الكوثر الآية : ٢ .

شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [١] وقال عز وجل : ﴿ وعلى الله فليتوكل الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] " [٣] .

وقرر الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين رحمه الله تعالى : " أن الدين كله بأنواعه لله وحده ، والأمر كله لله ، مختص بجلاله وعظمته ، ليس للخلق منه شيء البتة ، لا ملك ، ولا نبي ، ولا ولي ، بل حق لله تعالى ، غير جنس حق المخلوق .

فأما حقه تعالى : فتوحيده ، وإفراده بعبادته ، التي أوجبها تعالى على عباده وخلقهم ليعملوا بها ، وإخلاصها له تعالى وتقدس ، بعد نفيها عن غيره ، وحصرها له وعليه ، والدعاء بما لا يقدر على جلبه ، ودفعه إلا الله ، مختصاً به ولا يجوز أن يدعى في ذلك غيره ، تبارك وتعالى ، ورجاؤه فيه ، والتوكل عليه ، وذبح النسك ، والنذر ، لجلب الخير ، أو دفع الشر ، والإنابة والخضوع كله لله ، مختص بجلاله ، كالسجود ، والتسبيح ، والتكبير والتهليل . قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [٤] ... " [٥] .

ومما استدل به الإمام محمد بن عبدالوهاب على أن العبادة حق الله على العباد [٦] الحديث التالي : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله : أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً . قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس ؟

---

(١) سورة الأنعام الآيتين : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٥١ .

(٣) رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .

(٤) سورة الرعد الآية : ١٤ .

(٥) رسالة في توحيد العباد للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٧٤ .

(٦) انظر : كتاب التوحيد ، ص ١١ .

قال : لا تبشرهم فيتكلوا » [١] .

ومما ذكره الشيخ الإمام محمد رحمه الله من مسائل هذا الحديث :

" الثالثة عشرة : معرفة حق الله علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه " [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى معلقاً على الحديث السابق : " وفيه معرفة حق الله على العباد ، وهو عبادته وحده لا شريك له . فيا من حق سيده الإقبال عليه ، والتوجه بقلبه إليه ، لقد صانك وشرفك عن إذلال قلبك ووجهك لغيره ، فما هذه الإساءة القبيحة في معاملته مع هذا التشريف والصيانة ! فهو يعظمك ويدعوك إلى الاقبال وأنت تأبى إلا مبارزته بقبائح الأفعال . في بعض الآثار الإلهية : إني والجن والإنس في نبأ عظيم ، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إليهم بالنعم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي [٣] ، وكيف يعبده حق عبادته من صرف سؤاله ودعاءه وتذلله واضطراره وخوفه ورجاءه وتوكله وإنابته وذبحه ونذره لمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، من ميت رميم في التراب ، أو بناء مشيد من القباب ، فضلاً مما هو شر من ذلك " [٤] .

" فمن صرف شيئاً من العبادة التي هي حقه سبحانه لا يستحقها أحد سواه لغيره كالدعاء والإستعانة فقد آمن بالطاغوت وأشرك بالله وكفر " [٥] .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٥٤٥ ، رقم ٧٣٧٣ ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وص ٥٧٩ ، رقم ٢٨٥٦ ، كتاب الجهاد ، باب اسم الفرس والحمار ، وص ١٢٧١ ، رقم ٥٩٦٧ ، كتاب اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل ، وص ١٣٢٨ ، رقم ٦٢٦٧ ، كتاب الاستئذان ، باب من أجاب بلبيك وسعديك ، وص ١٣٧٢ ، رقم ٦٥٠٠ ، كتاب الرقائق ، باب من جاهد نفسه ، ومسلم ، ج١ ، ص ٥٨ ، رقم ٣٠ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ١٣ .

[٣] أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ، والحاكم في التأريخ ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والديلمي في مسند الفردوس كما في الدر المنثور ، ج٧ ، ص ٦٢٥ مرفوعاً من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٦ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ١٠٩ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٢ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن نقلاً عن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

"حق الإله عبادة بالأمر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما سببا النجاة فحبذا السببان
لم ينج من غضب الإله وناره إلا الذي قامت به الأصلان
والناس بعد فمشرك بإلهه أو ذو ابتداع أو له الوصفان " [١]

خامساً : أن توحيد العبادة أصل دين الإسلام ، وأساسه ورأسه :

قال إمام الدعوة النجدية الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى : " أصل دين الإسلام وقاعدته : أمران ، الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه . الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله .. " [٢] ، وهذا الذي قرره الإمام محمد قرره تلاميذه .

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى : " وأساس الإسلام ورأسه : توحيد الله بالعبادة " [٣] .

ويقول الشيخ عبدالله بن الإمام محمد رحمه الله تعالى : " وعبادة الله وحده هي أصل الدين .. " [٤] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " .. أصل دين الإسلام وأساسه ، وعماد الإيمان ورأسه ، هو توحيد الله تعالى الذي بعث به المرسلين ، وأنزل به كتابه المحكم

---

[١] قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ٢٢ ، ونظم ابن القيم في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، ص ٢٨٩ .

[٢] مسألة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٢ ، ج٩ ، ص ٢٥٨ .

[٣] من رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى ياقوت ضمن المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧٦ .

[٤] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية ، ج١٠ ، ص ٢٥٧ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٧ .

المبين ، قال تعالى : ﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير (٢) ﴾ [١] ، وهذا هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن أصل دين الإسلام أن لا يعبد إلا الله وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، لا بالأهواء والبدع ... " [٢] " فتبين أن أصل الإسلام : هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة .. " [٣] .

سادساً : أن الحنيفية ملة إبراهيم ، أن تعبد الله مخلصاً له الدين ، فأصل الحنيفية : عبادة الله وحده لا شريك له ، وتجنب الشرك :

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى : " اعلم أرشدك الله لطاعته : أن الحنيفية ملة إبراهيم ، أن تعبد الله مخلصاً له الدين ... " [٤] .

وقال رحمه الله : " أصل الحنيفية : عبادة الله وحده لا شريك له ، وتجنب الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [٥] ... " [٦] .

سابعاً : أن غالب القرآن في توحيد العبادة :

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في ستة الأصول : " الأصل الأول : إخلاص الدين لله وحده لا شريك له ، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله ، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى ، بكلام يفهمه أبلد العامة ، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار ، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين ، والتقصير في حقهم ،

---

(١) سورة هود الآيتين : ١ - ٢ .

(٢) المورد العذب الزلال في نقض شبهة أهل الضلال ، ص ٤ - ٥ ، وانظر هذا المعنى في رسالة الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبداللطيف بن حامد ، الرسالة الثانية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٧ ، وما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية في فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٠٣ ، وما نقله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عن شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الرسالة الخامسة والسبعين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

(٣) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ، ج١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٣ ، وص ٣٦ .

(٥) سورة النساء الآية : ٣٦ .

(٦) مسألة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٧٣ .

وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم "[1] .

فبين رحمه الله تعالى أن أكثر القرآن في بيان هذا الأصل : " ... وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح وأبدا فيه وأعاد ، وضرب لذلك الأمثال ، بحيث إن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد ... فكل .. السور في الدعاء إلى هذا التوحيد ، والأمر به ، والجواب عن الشبهات والمعارضات ، وذكر ما أعد الله لأهله من النعيم المقيم ، وما أعد لمن خالفه من العذاب الأليم ، وكل سورة في القرآن بل كل آية في القرآن ، فهي داعية إلى هذا التوحيد ، شاهدة به ، متضمنة له ، لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو توحيد الربوبية ، وتوحيد الصفات فذاك مستلزم لهذا ، متضمن له .

وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، أو أمر بأنواع العبادات ونهي عن المخالفات ، فهذا هو توحيد الإلهية والعبادة ، وهو مستلزم للنوعين الأولين ، متضمن لهما أيضاً ، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا ، وما يكرمهم به في الآخرة ، فهو جزاء توحيده .

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من الوبال ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ... "[2] .

فالقرآن كله من أوله إلى آخره يدل على هذا التوحيد ، ونفي الشرك مطابقة وتضمناً ، والتزاماً[3] .

---

[1] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، الرسالة الثانية عشرة ستة أصول عظيمة مفيدة ، ص ٣٩٣ .

[2] تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ص ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ ، وإبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد ، ص ١٧ .

[3] انظر : الدر المنثور في الرد على عثمان بن منصور ، ص ٩ ، ٢٦ ، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٣٠ ، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٨ ، الرسالة الثانية ، وج٢ ، ص ٧٧ ، الرسالة الخامسة ، وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ومنهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس ، ص ١٠٧ - ١١٧ ، و ص ٢٤٠ .

ثامناً : أن توحيد العبادة أول واجب على المكلف :

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " .. وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف ، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله ، كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسول الله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة ، فهو أول واجب وآخر واجب ... " [(١)] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " ... وفيه دليل على أن توحيد العبادة هو أول واجب ، لأنه أساس الملة وأصل دين الإسلام ، وأما قول المتكلمين ومن تبعهم : أن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال ، فذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلى توحيد العبادة ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [(٢)] ، ﴿ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [(٣)] ، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [(٤)] ، وقال تعالى : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [(٥)] ... " [(٦)] .

تاسعاً : أن الأعمال كلها لا يصلح منها شيء إلا بتوحيد العبادة ، فهو الأساس الذي تبتنى عليه الأعمال وتصح به الأقوال والأفعال :

يقول الإمام فيصل بن تركي بن سعود رحمه الله : " فأصل دين الإسلام ، وأساسه الذي تنبني عليه الأعمال ، وتصح به الأقوال والأفعال هو : إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى ، وهي منقسمة على القلب ، واللسان ، والجوارح ، ولا يكون مخلصاً إلا بترك الشرك في العبادة والبراءة منه ... " [(٧)] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٧ ، وانظر في هذا المعنى في المصدر نفسه ، ص ٦٢ ، ١٢٦ ، وإبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد ، ص ١٧ .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ٣٢ .

(٣) سورة هود الآية : ٢ ، ٢٦ .

(٤) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

(٥) سورة إبراهيم الآية : ١٠ .

(٦) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ٤٩ ، وانظر في هذا المعنى ما نقله الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، كما في فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٩١ .

(٧) رسالة للإمام فيصل بن تركي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " ... وهذا هو : حقيقة دين الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1] ، بين تعالى : أن توحيد الإلهية هو الإسلام ، والأعمال كلها لا يصلح منها شيء إلا بهذا التوحيد ، وهو أساس الملة ودعوة المرسلين ، والدين كله من لوازم هذا الأصل وحقوقه ... "[2] .

ولا يقبل الله عملاً إلا بهذا التوحيد ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه ، وإذا دخل الشرك في العبادة بطلت ولم تقبل .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في رسالة المسائل الأربع : " الثالثة : أنه إذا دخل الشرك في عبادتك بطلت ولم تقبل ، وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[5] ... "[6] .

وقال الشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى : " .. كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به ، ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[7] ... "[8] .

---

[1] سورة الأنبياء الآية : ١٠٨ .

[2] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

[3] سورة الزمر الآية : ٦٥ .

[4] سورة النساء الآية : ١١٦ .

[5] سورة المائدة الآية : ٧٢ .

[6] رسالة المسائل الأربع ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٦ .

[7] سورة النساء الآية : ١١٦ .

[8] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٨ .

عاشراً : أن رأس أعمال أهل الجنة : توحيد الله تعالى فمن أتى به يوم القيامة ، فهو من أهل الجنة ، ورأس أعمال أهل النار الشرك بالله ، فمن مات على ذلك فهو من أهل النار :

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى : " فرحم الله امرءاً نصح نفسه ، وعرف أن وراءه جنة وناراً ، وأن الله عز وجل جعل لكل منهما أعمالاً ، فإن سأل عن ذلك ، وجد رأس أعمال أهل الجنة : توحيد الله تعالى ، فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعاً ، ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال .

ورأس أعمال أهل النار : الشرك بالله ، فمن مات على ذلك فلو أتى يوم القيامة بعبادة الليل والنهار والصدقة والإحسان فهو من أهل النار قطعاً ، كالنصارى الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ، ويزهد في الدنيا ، ويتعبد الليل والنهار ، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله ، تعالى الله عن ذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [2] ... " [3] .

---

[1] سورة الفرقان الآية : ٢٣ .

[2] سورة إبراهيم الآية : ١٨ .

[3] رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠١ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ١٥ .

المبحث الثاني

أنواع الأدلة التي استدل بها علماء الدعوة على توحيد العبادة

استدل علماء الدعوة على توحيد العبادة بأنواع من الأدلة وهذه الأنواع هي :

النوع الأول : الاستدلال بتوحيد الربوبية :

استدل علماء الدعوة رحمهم الله على توحيد الألوهية ، بانفراد الله بالربوبية والخلق والتدبير ، وبينوا أن توحيد الربوبية دليل لوجوب توحيد الألوهية .

وهذه هي طريقة القرآن يحتج الله سبحانه على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب مبيناً هذا الدليل : " فاعلم أن أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ومدبره بإرادته ، فإذا عرفت هذا فانظر ما حق من هذه صفاته عليك بالعبودية بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه ، وذلك قبل فرض الصلاة والزكاة ، ولذلك يعرف عباده بتقرير ربوبيته ليرتقوا بها إلى معرفة إلهيته التي هي مجموع عبادته على مراده نفياً وإثباتاً علماً وعملاً جملة وتفصيلاً " [١] .

وأوضح رحمه الله هذا الدليل في موضع آخر فقال : " فأماتوحيد الربوبية ، فهو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه ، كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [٢] .

ومما يوضح لك الأمر : أن التوكل من نتائجه ، والتوكل من أعلى مقامات الدين ، ودرجات المؤمنين ، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ [٣] الآية ، وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائماً في الشدة والرخاء ، فلا يعرفونها ، وهي من نتيجة الإلهية ، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر ، والإيمان بالكتب ، والرسل وغير ذلك ، وأما الصبر والرضا ، والتسليم

---

[١] رسالة جوابية للإمام محمد ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٧٤ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٥ - ٦ .

[٢] سورة الزخرف الآية : ٨٧ .

[٣] سورة الزمر الآية : ٨ .

والتوكل ، والإنابة ، والتفويض ، والمحبة ، والخوف ، والرجاء ، فمن نتائج توحيد الربوبية ، وكذلك توحيد الإلهية ، هو أشهر نتائج توحيد الربوبية ، وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر ، لا بالمطالعة ، وفهم العبارة " [١] .

وقال في موضع آخر : " توحيد الربوبية هو الذي أقر به الكفار كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [٢] الآية .

وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده عن جميع الخلق ، لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة ، وكانوا يقولون : إن الله سبحانه هو إله الآلهة ، لكن يجعلون معه آلهة أخرى ، مثل : الصالحين والملائكة وغيرهم ، يقولون : إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده ، فإذا عرفت هذا معرفة جيدة تبين لك غربة الدين ، وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم ، لأنه إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا ؟ " [٣] .

وقرر هذا الدليل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن فقال : " إن الله دعا عباده بربوبيته العامة الشاملة لكليات الممكنات ، وجزئياتها في الدنيا والأخرة ، وانفراده بالإيجاد والتدبير ؟ والتأثير والتقدير والعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة ، والسعادة ، والشقاوة ، والهداية والمغفرة والتوبة على عباده إلى غير ذلك من أفعال الربوبية ، وآثارها المشاهدة المصنوعة إلى معرفته وعبادته ، الجامعة لمحبته والخضوع له ، وتعظيمه ، ودعائه وترك التعلق على غيره ، محبة وتعظيماً واستغاثة ، قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا به ﴾ - إلى قوله - ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ

---

[١] جواب للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

[٢] سورة يونس الآية : ٣١ .

[٣] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الثالث ، الفتاوى ، ص ٤٢ .

[٤] سورة النمل الآيات : ٦٠ - ٦٤ .

[٥] سورة المؤمنون الآيات : ٨٤ - ٨٩ .

وَالأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[١] ... "[٢] .

وقال في موضع آخر : " إن هذا الأصل - أعني اختصاصه سبحانه بالخلق والإبداع والتدبير والتصريف - هو أكثر أصول الإسلام وأجلّها وقاعدته العظمى التي تدور عليها جميع الأحكام ، وجميع القرآن من أوله إلى آخره يدل على هذا الأصل ويقرره وقد احتج به تعالى على وجوب عبادته وطاعته وأنه الإله الحق دون ما سواه ، قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣] فأثنى على نفسه بعموم ربوبيته المتضمنة لخلقه وتدبيره وإلهيته "[٤] .

وقد أورد علماء الدعوة الآيات المشتملة على توحيد الربوبية ، وبينوا ما فيها من إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه ، ومما ساقه علماء الدعوة ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٥] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب على هذه الآية : " قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة "[٦] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عن هذه الآية : " فأمرهم بتوحيد الإلهية ، واستدل عليه بالربوبية ، ونهاهم عن الشرك به ، وأمرهم بخلع الأنداد التي يعبدها المشركون من دون الله "[٧] .

---

(١) سورة يونس الآية : ٣١ .

(٢) منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

(٣) سورة الفاتحة الآية : ١ .

(٤) البراهين الإسلامية ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٥) سورة البقرة الآيتين : ٢١ - ٢٢ .

(٦) الأصول الثلاثة ، ص ٦ ، وكلام ابن كثير في تفسيره ، ج١ ، ص ٥٧ .

(٧) جواب للشيخ عبداللطيف عن أسئلة صدرت من جهة الساحل الشرقي وصلت على يد الأخ : سعد البواردي ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٤٤٣ وهي الرسالة الرابعة والسبعون ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٣٧٠ .

وقال : " وتأمل هاتين الآيتين كيف استدل فيهما بفعله وتدبيره وخلقه وتصريفه على وجوب عبادته وتحريم اتخاذ الأنداد له ، وخصّ ما ذكر في الآية لأنه أصل يندرج تحته ما سواه من الجزئيات ، ولأنه مشاهد محسوس يدركه كل أحد حتى البليد الذي لا يدرك سوى الحسيّات ، ولما في ذلك من بديع الصنع والاتقان وظهور القدرة والشأن ، فجعل الأرض فراشاً والسماء بناء مع عظمهما وسعتهما وما أودع فيهما من الآيات وعجائب المخلوقات وأنواع التدبيرات الكليات والجزئيات ، ما يدلك على انفراده تعالى واختصاصه بهذا الأصل العظيم .

وفي ذكر إنزال المطر من السماء على التصريف المخصوص والتدبير المتقن المحكم ، وجعله أصلاً لمادة أرزاق المخلوقات على اختلاف أجناسها وأنواعها وتباين أصنافها وأشكالها ، ما يدل على أن الله هو المنفرد بالتصريف والتدبير وحده لا شريك له .

أما السماء والأرض وما فيهما من المخلوقات والأرزاق فبطريق التنصيص والعموم ، وما عداهما فبطريق الفحوى والأولى " [١] .

٢ - قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] .

علق الإمام محمد بن عبدالوهاب على هذه الآية فقال : " والرب هو المعبود " [٣] .

٣ - قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [٤] .

---

[١] البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية ، ج٢ ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ، مخطوط ، والمطبوع ، ص ٩١ - ٩٢ .

[٢] سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

[٣] الأصول الثلاثة ، ص ٦ .

[٤] سورة يونس الآية : ٣١ .

قال الشيخ عبدالله أبابطين : " أي : أفلا تتقون الشرك في الألوهية إذا أقررتم بالربوبية " [١] .

" وهذا التوحيد الثاني قد أقربه مشركو العرب وغيرهم ، لكنهم جحدوا التوحيد العملي توحيد العبادة فصار إقرارهم بهذا النوع حجة عليهم فيما جحدوا " [٢] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن معلقاً على هذه الآيات : " فتأمل هذه الآيات الكريمة وما تضمنته من تقرير أفعال الربوبية التي لا يخرج عنها فرد من أفراد الكائنات .

واعرف ما سيقت له ودلت عليه من وجوب محبته تعالى وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما عبد من دونه من الأنداد والآلهة ، والبراءة من ذلك ، وانظر هل القوم المخاطبون بهذا زعموا الاستقلال لغير الكبير المتعال ، أم أقروا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير ، وإنما أتوا من جهة الواسطة والشفاعة والتوسل بدعاء غير الله وقصد سواه ، فيما يحتاجه العبد وما يهواه ، وهذا صريح من تلك الحجج البينات ، ونص هذه الآيات المحكمات ، احتج سبحانه بما أقروا له به من الربوبية والاستقلال على إبطال قصد غيره بالعبادة والدعاء والاستغاثة ، كما يفعله أهل الجهل والضلال ... " [٣] .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [٤] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله على هذه الآية الكريمة : " لأنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع ، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الإلهية لأنهما متلازمان ، وإفراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير ، لأنه لا يكشف الضر إلا هو ، ولا يجلب الخير إلا هو

---

[١] تأسيس التقديس ، ص ٢٥ .

[٢] الرد على المدعو عبدالمحمود البخاري ، فيما موه به من أقوال الاتحادية والمشركين ، مؤلفها غير معروف ، وهو من علماء نجد في القرن الثالث عشر الهجري ، والرد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٦٧٢ .

[٣] منهاج التأسيس ، ص ٣٢٦ .

[٤] سورة يونس الآية : ١٠٧ .

﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ﴾ [١] فتعين أن لا يدعى لذلك إلا هو ، وبطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيره ، وهذا ضد ما عليه عباد القبور ، فإنهم يعتقدون أن الأولياء والطواغيت الذين يسمونهم المجاذيب ينفعون ويضرون ويحسون بالضر ويكشفونه ، وأن لهم التصرف المطلق في الملك ، أي : على سبيل الكرامة ، وهذا فوق شرك كفار العرب ، وإما على سبيل الوساطة بينهم وبين الله بالشفاعة وهذا شرك الذين قالوا : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [٢] .. " [٣] .

٥ - وقال الله تعالى : ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في شرحه لهذه الآية : " قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى : هذا يحتمل شيئين : " أحدهما : أفي وجوده شك ؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، والمعنى الثاني : أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى - قال الشيخ عبدالرحمن - قلت : وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول " [٥] .

٦ - قال الله تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿١﴾ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴿٢﴾ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ﴿٣﴾ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٤﴾ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴿٥﴾ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴿٦﴾ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا

---

(١) سورة فاطر الآية : ٢ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وانظر هذا المعنى في فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣١٢ - ٣١٤ .

(٤) سورة إبراهيم الآية : ١٠ .

(٥) قرة عيون الموحدين ، ص ٤٩ ، وكلام ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٥٢٥ .

بشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [١] .

أشار الإمام محمد إلى كثرة الأدلة على توحيد الإلهية في هذه الآيات ، ومن الأدلة التي أشار إليها :

- الاستدلال بخلق السماوات والأرض .
- الاستدلال بخلق الإنسان ، ذكر أولاً الخلق العام ثم الخاص .
- الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها .
- ذكر الخيل والبغال والحمير في الاستدلال .
- الاستدلال بإنزال المطر .
- الاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات .
- الاستدلال بخلق ما في الأرض لنا على اختلافه وكثرته .

---

[١] سورة النحل الآيات : ١ - ٢٢ .

- الاستدلال بخلق الجبال [١] .
- ثم قال في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُ ﴾ .
- " ذكر الدليل القاطع البديهي الفطري الضروري " [٢] .
- ثم قال : " أنه مع تكاثر هذه الأدلة ووضوحها أنكرته قلوب هؤلاء ، وسببه عدم الإيمان بالآخرة لاخفاء الأدلة " [٣] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في تعليقه على هذه الآيات : " فإن في هذه الآيات من تقرير الاختصاص بالتدبير والتصريف في الكليات والجزئيات مع اختلاف أنواعها والاستدلال بذلك على إلهيته وحده لا شريك له ما لا يتسع لتقريره هذا الموضع ، واللبيب يدرك ذلك بمجرد تلاوة هذه الآيات " [٤] .

٧ - وقال الله تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [٥] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بعد هذه الآيات : " وتأمل كيف استدل الله سبحانه وتعالى على توحيد إلهيته ، ووجوب عبادته وحده لا شريك له ، بما أقر به الخصم واعترف به من توحيد ربوبيته ، واستقلاله بالملك ، والخلق ، والتأثير ، والتدبير .

وهذه عادة القرآن دائماً يعرج على هذه الحجة ، لأنها من أكبر الحجج ، وأوضحها ، وأدلها على المقصود .

---

[١] انظر : تفسير آيات من القرآن الكريم ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ١٩٩ - ٢٠٣ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

[٣] المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

[٤] البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية ، ج٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٣ مخطوط ، والمطبوع ، ص ٩٤ .

[٥] سورة المؤمنون الآيات : ٨٤ - ٨٩ .

فسبحان من جعل كلامه في أعلى طبقات البلاغة ، والفصاحة ، والجلالة والفخامة ، والدلالة ، والظهور " [١] .

٨ - قال تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال لقومه : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٢] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " انظر إلى ما تضمنته هذه الآيات الكريمات من تقرير بعض أفراد ربوبيته تعالى لخليله إبراهيم أفضل الرسل بعد نبينا عليهما الصلاة والسلام ، من خلقه وهدايته واختصاصه تعالى بإطعامه وإسقائه ، وما معنى إقحام ضمير الفصل في هذه الجملة دون غيرها من الجمل ، وكذلك شفاؤه إذا مرض واختصاصه بإماتته وإحيائه بعد الموت ، وتعليق الطمع به تعالى وحده في مغفرة خطيئته يوم الدين ، هذا الكلام صدر عن خليله أعلم العالمين به مستدلاً به على إلهيته تعالى وحده والبراءة مما عبد من دونه من الأنداد والآلهة على اختلافها وتنوعها ، وحكاه تعالى عنه مثنياً عليه به مقرراً له ، راضياً به عنه ، فهكذا حال أنبياء الله وأوليائه عليهم الصلاة والسلام ، فليت شعري ، ماذا يقول الملحدون في مثل هذه الآيات الكريمات ... " [٣] .

٩ - وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ

---

[١] تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ، ص ٤٤ .

[٢] سورة الشعراء الآيات : ٧٥ - ٨٢ .

[٣] البراهين الإسلامية ، في رد الشبه الفارسية ، ج٢ ، ص ٥١١ - ٥١٢ ، مخطوط ، والمطبوع ، ص ٩٣ - ٩٤ .

الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " فتأمل هذه الآيات ، يتبين لك : أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه ، من قصر العبادة جميعها عليه ، كما في فاتحة الكتاب ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٢] " [٣] .

١٠ - وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " فأمر عباده جل ذكره أن يذكروا هذه النعمة العظيمة ، وهي اختصاصه وتفرده بخلقهم ورزقهم من السماوات والأرض ، والرزق والخلق يدخل تحتهما كل تدبير وتصريف من الأمور الباطنة والظاهرة ، ولذلك قال بعد هذا : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ .

فاستدل بربوبيته وعمومها على إلهيته ووجوب عبادته وطاعته ، ثم قال : ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ إنكاراً عليهم فيما صنعوه من الإعراض عن عبادته ، والاعتراف بإلهيته مع قيام برهانها الأكبر ، ودليلها الأعظم ، وهو ما ذكر في صدر الآية ، وهو سبحانه كثيراً ما يستدل بربوبيته وخالقيته ورازقيته على آلهيته وعبادته ... " [٥] .

١١ - وقال الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [٦] .

---

[١] سورة النمل الآيات : ٦٠ - ٦٤

[٢] سورة الفاتحة الآية : ٥ .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٢١ .

[٤] سورة فاطر الآية : ٣ .

[٥] البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية ، ج٢ ، ص ٥١٠ - ٥١١ مخطوط ، والمطبوع ، ص ٩٣ .

[٦] سورة الزمر الآية : ٣٨ .

ومما استنبطه الإمام محمد بن عبدالوهاب من هذه الآية ما يلي :

" الأولى : بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة .

الثانية : أن المجمع عليه يدل على المختلف فيه .

الثالثة : مجادلة المبطل بالحق الذي يسلمه .

الرابعة : أنه تسليم لا يجحدونه بل يقرون به للخصم .

الخامسة : التعجب من الإنكار مع هذا الإقرار .

السادسة : الإلزام الذي لا محيد عنه .

السابعة : أنه كاشف لشبهتهم " [١] .

١٢ -قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٢] .

ومما استنبطه الإمام محمد من هذه الاية : " الاستدلال بالقاعدة الكلية وهي خلق كل شيء على المسائل الجزئية " [٣] .

١٣ - قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ [٤] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب على هذه الآيات : " فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد ، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكاً في إلهيته ، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه .

وهذه هي طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة .

---

[١] تفسير آيات من القرآن الكريم ، سورة الزمر ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج٤ ، ص ٣٣١ .

[٢] سورة الزمر الآية : ٦٢ .

[٣] تفسير آيات من القرآن الكريم ، سورة الزمر ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج٤ ، ص ٣٣٩ .

[٤] سورة الناس الآيات : ١ - ٣ .

فإذا كان هو ربنا ومليكنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه إلا إليه ، ولا معبود لنا غيره ، فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف ، ولا يرجى ولا يحب سواه ، ولا يذل لغيره ، ولا يخضع لسواه ، ولا يتوكل إلا عليه ، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه إما أن يكون مربيك والقيم بأمورك فهو ربك فلا رب لك سواه أو تكون مملوكه وعبده الحق ، فهو ملك الناس حقاً كلهم عبيده ومماليكه ، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين ، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى روحك وحياتك وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه ، فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره ولا يستنصروا بسواه ... " [١] .

النوع الثاني :

الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات ، وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب وكبريائه ، ومجده وجلاله ، وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ، لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده ، المحمود وحده ، الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم ، وغاية الحب والتأله ، وأنه الحق وما سواه باطل .

وقد استدل علماء الدعوة بهذا النوع على توحيد العبادة ، كما هي طريقة القرآن ، يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب : " العلم بالأسماء والصفات أصل العلوم " [٢] . ثم بين رحمه الله أنه من أدلة التوحيد [٣] .

وقد أشار الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى طريقة القرآن في هذا ، وبين أن الرسل عليهم السلام دعوا أممهم بتوحيد المعرفة والإثبات إلى توحيد الإرادة والقصد الذي هو توحيد الإلهية ، فقال رحمه الله عندما سئل عن قول الخطيب : " الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنوائه ، وتاهت الألباب في صمدتيه وكنه ذاته ؟ : " هذه الألفاظ ، ابتدعها من تمسك بقول أهل الكلام الحادث المذموم ، فإنهم الذين تاهوا وتحيروا في الإيمان ، الذي دعت إليه

---

[١] تفسير سورة الناس ، ص ٢٢ - ٢٣ ، وانظر هذا المعنى في تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٠ .

[٢] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٧٢ .

[٣] انظر : المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .

الرسل ، ونزلت به الكتب ، وإلا فطريقة القرآن حمد الله لنفسه بأسمائه وصفاته ، وما يعرف به ، ويوجب الإيمان به ، ومعرفته وإثبات ربوبيته ؛ وصفات كماله ، فهذا هو توحيد المعرفة والإثبات ، الذي هو توحيد المرسلين ؛ ودعوا به الأمم إلى توحيد الإرادة والقصد ، الذي هو توحيد الإلهية ، فإن الرب الذي أبدع لخلقه ما يشاهدونه من عظيم مخلوقاته ، وتعرف إليهم بذلك ، وبما دلهم عليه من كمال صفاته ، وتصرفه في مخلوقاته ، هو الرب الذي لا يستحق العبادة غيره .

فالرسل وأتباع الرسل كمل الله إيمانهم بذلك العلم والعمل ، فقد قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ فحمد نفسه بما يوجب الإيمان به ومعرفته من عظيم مخلوقاته ، واستدل بأدلة ربوبيته على ما يستلزمه من إلهيته فقال : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [١] .

فأنكر الشرك في حق من هذا وصفه ، وإنكار الشرك يقتضي توحيد العبادة ، بأن لا يراد غيره ، ولا يقصد سواه ، فانتظم ذلك نوعي التوحيد .

وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝ قَيِّمًا ﴾ [٢] ، فحمد نفسه على إنزال الكتاب ، الذي هو أعظم نعمة أنعمها على أهل الأرض ، وهو يقتضي الإيمان بالكتب والرسل ، وهو صراط الله المستقيم ، الذي لا تزيغ به الأهواء ، فهذا وأمثاله هو طريقة القرآن ؛ يحمد نفسه على ما يعرف به إلى خلقه ، ليعرفوه بذلك الذي أبدعه وأوجده وأنعم به ، كقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [٣] الآية ، وأمثال هذا في القرآن ... " [٤] .

وبين الشيخ عبدالرحمن بن حسن أن هذه الطريقة وهي الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على توحيد العبادة هي طريقة أهل السنة والجماعة فقال : " فأهل السنة

---

[١] سورة الأنعام الآية : ١ .

[٢] سورة الكهف الآيتين : ١ - ٢ .

[٣] سورة فاطر الآية : ١ .

[٤] جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٣ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

والجماعة : عرفوا ربهم ، بما تعرف به إليهم ، من صفات كماله ، اللائقة بجلال الله ، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ؛ وعرفوه بأفعاله ، وعجائب مخلوقاته ، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه ، فعبدوا رباً أحداً صمداً ، إلهاً واحداً ، وهو الله الذي الإلهية وصفه ، فالخلق خلقه ، والملك ملكه ، لا شريك له في إلهيته ، ولا في ربوبيته ، ولا في ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ [1] ، ونزهوه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيه عيب ونقص ، وعن كل ما وصفته الجهمية [2] ، وأهل البدع ، مما لا يليق بجلاله وعظمته " [3] .

وأوضح الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن أن معرفة توحيد الأسماء والصفات أوجب واجب في القرآن وأهمه وآكده وزبدته ، وأن معرفة ذلك طريق إلى توحيد العبادة ، قال رحمه الله : " إن أوجب واجب فيه ، وأهمه وآكده وزبدته : معرفة الله تعالى بما تعرف به إلى عباده ، من صفات كماله ونعوت جلاله ، وبديع أفعاله ، وإحاطة علمه وشمول قدرته ، وكمال عزته وعميم رحمته .

وبمعرفة ذلك : يهتدي العبد إلى محبته وتعظيمه ، وإسلام الوجه له ، وإنابة القلب إليه ، وإفراده بالقصد والطلب ، وسائر العبادات ، كالخشية والرجاء ، والاستعانة والاستغاثة ، والتوكل والتقوى ... " [4] .

وقد ترجم الإمام محمد لهذا النوع من الأدلة بترجمتين في كتاب التوحيد ساق فيها شيئاً من النصوص التي تدل على عظمة الله ، وعظيم قدرته ، وعظم مخلوقاته ، وهذه النصوص هي :

---

(١) سورة الناس الآيات : ١ - ٣ .

(٢) الجهمية : هم أتباع جهم بن صفوان السمرقندي الراسبي ، أبو محرز ، ضال مبتدع ، قتل سنة ١٢٨هـ ، ومن أشهر بدعه : نفي الصفات ، وقوله : أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وقوله بالجبر ، وبفناء الجنة والنار . انظر عنه وعن آرائه : مقالات الاسلاميين ، ج١ ، ص ٣٣٨ ، الفرق بين الفرق ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج٤ ، ص ١٥٥ ، الملل والنحل ، ج١ ، ص ٩٧ ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص ٤٢٦ ، الأعلام ج ٢ ، ص ١٤١ .

(٣) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٣ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) نصيحة من الشيخ عبداللطيف إلى الإخوان : عثمان بن مرشد ، ومحمد بن علي ، وإبراهيم بن راشد ، وإبراهيم بن مرشد ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٨ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [(١)] .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى يقول تعالى : ما قَدَر المشركون الله حق قدره ، حتى عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته " [(٢)] .

٢ - عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : « جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ، تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [(٣)] .

وفي رواية لمسلم : « والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك ، أنا الله » .

وفي رواية للبخاري : « يجعل السموات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع » [(٤)] .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : « يطوي الله السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي

---

(١) سورة الزمر الآية : ٦٧ .

(٢) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٨٤٢ ، وانظر كلام ابن كثير في تفسيره ، ج٤ ، ص ٦٢ ، وانظر ما كتبه الإمام محمد بن عبدالوهاب حول هذه الآية في مؤلفاته ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٤٦ - ٣٤٨ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٦٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٠٢٧ ، رقم ٤٨١١ ، كتاب التفسير ، في تفسير سورة الزمر ، باب قوله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ، وص ١٥٧٦ ، رقم ٧٥١٣ ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ومسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢١٤٧ ، رقم ٢٧٨٦ ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ »[١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " هذه الأحاديث وما في معناها ، تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته . وقد تعرف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته .

وكلها تُعرِّف وتدل على كماله وأنه هو المعبود وحده ، لا شريك له في ربوبيته وإلهيته ، وتدل على إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان ، واقتفى آثارهم على الإسلام والإيمان .

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة ، من تعظيم النبي ﷺ ربَّه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله ، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته »[٢] .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾[٣] .

٤ - عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، ينفذهم ذلك ، حتى إذا فزع عن قلوبهم . قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، وضعه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه - ، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢١٤٨ ، رقم ٢٧٨٨ ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

[٢] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٨٤٧ ، وانظر هذا المعنى في المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٥٥ .

[٣] سورة الزمر الآية : ٢٣ .

وكذا : كذا وكذا ؟ فُيصدَّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » [١] .

٥ - وعن النوس بن سمعان [٢] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي ، أخذت السماوات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخرُّوا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال الحق ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل » [٣] .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن مبيناً وجه الدلالة من هذه الأدلة : " فإذا كان هذا عظم هذه المخلوقات ، فخالقها أعظم وأجل وأكبر . فكيف يسوّى به غيره في العبادة : دعاء وخوفاً ورجاءً وتوكلاً ، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره ؟ فانظر إلى حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالى ، وقد قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [٤] " [٥] .

إلى أن قال : " والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد ، الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله .

فإن الملك العظيم ، الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفاً منه ومهابة ، وترجف منه

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ص ، ٩٨٣ - ٩٨٤ ، رقم ٤٧٠١ ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ إلا من استرق السمع ... ﴾ ، وص ١٠٢٣ ، رقم ٤٠٨٠٠ ، باب ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ .

[٢] النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب العامري الكلابي ، صحابي مشهور ، سكن الشام .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ٩٤ ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٣٤٥ ، تقريب التهذيب ، ص ١٠٠٩ .

[٣] أخرجه ابن أبي عاصم في " السنة " ، ج١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، رقم ٥١٥ .

[٤] سورة الأنبياء الآيات : ٢٦ - ٢٩ .

[٥] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٥١ .

المخلوقات ، الكامل في ذاته وصفاته ، وعلمه وقدرته ، وملكه وعزه وغناه عن جميع خلقه ، وافتقارهم جميعهم إليه ، ونفوذ قدره وتصرفه فيهم لعلمه وحكمته لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يُجعل له شريك من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم .

فكيف يجعل المربوب رباً ، والعبد معبوداً ؟ أين ذهبت عقول المشركين ؟! سبحان الله عما يشركون " [١] .

النوع الثالث : بيان حال الآلهة التي تعبد من دون الله :

من أنواع الأدلة التي استدل بها علماء الدعوة على توحيد العبادة ذكر النصوص التي تبين حال الآلهة التي تعبد من دون الله ، وعجزها ، سواء كانت من الملائكة ، أو الأنبياء ، أو الصالحين ، أو الأصنام أو غيرها .

وقد عقد الإمام محمد في تقرير هذا الدليل ترجمتين :

الترجمة الأولى : قوله رحمه الله : " باب قول الله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ [٢] " [٣] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله مبيناً مراد الإمام من هذه الترجمة : " المراد من هذه الترجمة بيان حال المدعوين من دون الله أنهم لا ينفعون ولا يضرون ، وسواء في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون والأصنام ، فكل من دعي من دون الله فهذه حاله " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في تفسير هذه الآية : " قوله : ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ أي : في العبادة .

قال المفسرون في هذه الآية : هذا توبيخ وتعنيف للمشركين ، في عبادتهم مع الله تعالى مالا يخلق شيئاً وهو مخلوق ، والمخلوق لا يكون شريكاً للخالق في العبادة التي

---

(١) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٥٢ .

(٢) سورة الأعراف الآيتين : ١٩١ ، ١٩٢ .

(٣) كتاب التوحيد ، ص ٥٩ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٥٠ .

خلقهم لها ، وبيَّن أنهم لا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه .

وهذا برهان ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله ، وهذا وصف كل مخلوق ، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين "[١] .

وقال في موضع آخر على هذه الآية : " فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين ، وهو كونهم عبيداً لمن خلقهم لعبادته والعبد لا يكون معبوداً .

الدليل الثاني : أنه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم ، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم "[٢] .

ومما ساقه في هذه الترجمة ما يلي :

قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾[٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن مفسراً هذه الآية : " يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه - من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها - بما يدل على عجزهم وضعفهم ، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو ، وهي الملك ، وسماع الدعاء ، والقدرة على استجابته ، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته ، فكيف إذا عُدمت بالكلية ؟ ... "[٤] .

وعن أنس قال : شج النبي ﷺ يوم أحد ، فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ » فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٥] .

---

(١) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٢٥ .

(٢) قرة عيون الموحدين ، ص ٩٥ ، وانظر تفسير هذه الاية في تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٥١ ، وإبطال التنديد ، ص ٧٩ .

(٣) سورة فاطر الآيتين : ١٣ - ١٤ ، وسيأتي مزيد من التعليق على هذه الآية الكريمة في مبحث دعاء غير الله .

(٤) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٢٧ ، وانظر تفسير هذه الآية في تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٥١ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ٩٥ ، وإبطال التنديد ، ص ٧٩ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ١٢٨ ، والحديث علقه البخاري في صحيحه ، ص ٨٣٧ في كتاب المغازي ، باب ليس لك من الأمر شيء ووصله مسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٤١٧ ، رقم ١٧٩١ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد .

وعن ابن عمر ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : (اللهم العن فلاناً وفلاناً) بعد ما يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ » [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن عند كلامه على هذا الحديث : " وفي هذا كله : معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، الذي له الأمر كله ، يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعدله وحكمته ، فهو المستحق أن يعبد وحده .

وفي هذا من الحجج والبراهين ، ما يبين بطلان ما يعتقد عباد القبور في الأولياء والصالحين - بل في الطواغيت - من أنهم ينفعون من دعاهم ، ويمنعون من لاذ بحماهم ... " [٢] .

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ . قال : « يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبدالمطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئاً » [٣] .

قال الإمام محمد في مسائله على هذا الحديث : " قوله للأبعد والأقرب (لا أغني عنك من الله شيئاً) . حتى قال : (يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً) . فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم ، تبين له التوحيد وغربة الدين " [٤] .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٨٣٧ ، رقم ٤٠٦٩ ، كتاب المغازي ، باب ليس لك من الأمر شيء .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٣٥ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٥٥٨ ، رقم ٢٧٥٣ ، كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ، وص ١٠١٣ ، رقم ٤٧٧١ ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك ﴾ ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٩٢ ، رقم ٢٠٦ ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ .

[٤] كتاب التوحيد ، ص ٦٣ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " وفيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين ، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه ، أو يدفعوا عنه .
فإن ذلك هو الشرك الذي حرمه الله تعالى ، وأقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه " [١] .
الترجمة الثانية : قوله رحمه الله : " باب قول الله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ [٢] " [٣] .

قال الشيخ سليمان مبيناً مراد الإمام محمد بهذه الترجمة : " أراد المصنف رحمه الله الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون ، فيسألونهم مغفرة الذنوب ، وتفريج الكروب ، وهداية القلوب ، وغير ذلك من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية ، ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة . . .

فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية ومن نزلت فيه ؛ تبين له بطلان قولهم وفساد شركهم ، لأن الرسول ﷺ أفضل الخلق وأقربهم من الله ، وأعظمهم جاهاً عنده ، ومع ذلك حرص واجتهد على هداية عمه أبي طالب في حياة أبي طالب وعند موته ، فلم يتيسر ذلك ولم يقدر عليه ، ثم استغفر له بعد موته ، فلم يغفر له حتى نهاه الله عن ذلك .

ففي هذا أعظم البيان ، وأوضح البرهان على أنه ﷺ لا يملك ضراً ولا نفعاً ، ولا عطاءً ولا منعاً ، وأن الأمر كله بيد الله ، فهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ويعذب من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويكشف الضر عمن يشاء ، ويصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم " [٤] .

وقد أورد الإمام محمد تحت هذه الترجمة حديث ابن المسيَّب عن أبيه [٥] ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية ، وأبو جهل ، فقال

---

(١) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٣٧ .

(٢) سورة القصص الآية : ٥٦ .

(٣) كتاب التوحيد ، ص ٧١ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٩٨ .

(٥) المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو القرشي المخزومي يكنى أبا سعيد ، والد سعيد بن المسيب الفقيه ، هاجر مع أبيه حزن بن أبي وهب ، وكان المسيب ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد اليرموك بالشام ، روى عنه ابنه سعيد بن المسيب .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٤٥٧ ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص ١٧٢ .

له : (ياعم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله) . فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبي ﷺ (لأستغفرن لك ، مالم أنْه عنك) ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ ، وأنزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن على هذا الحديث : " ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ، ليبين لعباده أن ذلك إليه ، وهو القادر عليه دون من سواه .

فلو كان عند النبي ﷺ - الذي هو أفضل خلقه - من هداية القلوب وتفريج الكروب ، ومغفرة الذنوب ، والنجاة من العذاب ، ونحو ذلك شيء ، لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه ، الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه . فسبحان من بهرت حكمته العقول ، وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده ، وإخلاص العمل له وتجريده " [٢] .

النوع الرابع : الاستدلال بالإجماع :

ومما استدل به علماء الدعوة الإجماع ، ومن أشهر ما نقلوه من الإجماع ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله : " من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ، ويتوكل عليهم كفر إجماعاً " [٣] .

نقل هذا الكلام جمع من علماء الدعوة منهم الإمام محمد بن عبدالوهاب [٤] ، والشيخ

---

[١] سورة القصص الآية : ٥٦ ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٢٦٧ ، رقم ١٣٦٠ ، كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وص ٧٩٤ ، رقم ٣٨٨٤ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ، وص ٩٧٣ ، رقم ٤٦٧٥ ، كتاب التفسير ، سورة براءة ، باب قوله : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ ، وص ١٠١٤ ، رقم ٤٧٧٢ ، كتاب التفسير ، سورة القصص ، باب قوله : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٤ ، رقم ٢٤ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع ، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٦٧ .

[٣] انظر : الواسطة بين الحق والخلق لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ١٣ .

[٤] انظر : رسالة نواقض الإسلام ، الرسالة التاسعة ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨٥ .

حمد بن معمر [١] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٢] ، والشيخ عبدالله بن محمد [٣] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٤] ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [٥] .

النوع الخامس : الاستدلال بالعقل :

استدل علماء الدعوة - رحمهم الله - على التوحيد بالعقل ، وكثيراً ما يجمع علماء الدعوة بين الأدلة النقلية والعقلية ؛ لأن النقل الصحيح لا يعارضه العقل الصريح .

ومن الأدلة العقلية التي استدل بها علماء الدعوة على توحيد العبادة ما يلي :

١ - قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : " فأما العقل : فكون الإنسان الذي في عقله : أنك تلجأ إلى الحي ، ولا تلجأ إلى الميت ، وتطلب الحاضر ، ولا تطلب الغائب ، وتطلب الغني ولا تطلب الفقير " [٦] .

٢ - وقال رحمه الله في إحدى رسائله : " وأنا أبيّن لكم هذه بمسألة القبلة أن النبي ﷺ وأمته يصلون والنصارى يصلون ولكن قبلته ﷺ وأمته بيت الله ، وقبلة النصارى مطلع الشمس ، فالكل منا ومنهم يصلي ولكن اختلفنا في القبلة ، ولو أن رجلاً من أمة محمد ﷺ يقرُّ بهذا ، ولكن يكره من يستقبل القبلة ، ويحب من يستقبل الشمس ، أتظنون أن هذا مسلم ؟ وهذا ما نحن فيه ، فالنبي ﷺ بعثه الله بالتوحيد ، وأن لا يُدعى مع الله أحدٌ لا نبي ولا غيره ، والنصارى يدعون عيسى رسول الله ، ويدعون الصالحين ، يقولون : ليشفعوا لنا عند الله . فإذا كان كل مطوّع مقراً بالتوحيد فاجعلوا التوحيد مثل القبلة - واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق مع

---

[١] انظر : النبذة الشريفة ، ص ٤١ ، والفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، ص ٤٢ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٢٩ .

[٣] انظر : الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٤٩ .

[٤] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

[٥] انظر : البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية ، ص ٥٤ .

[٦] مسألة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٧٨ .

أن هذا أعظم من القبلة ، وأنا أنصحكم لله وأنخاكم [١] لا تضيعوا حظكم من الله ، وتحبون دين النصارى على دين نبيكم ، فما ظنكم بمن واجه الله ، وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله ، وهو يبغضه ويبغض من اتبعه ، ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك ، ويحبه ويحب من اتبعه ، أتظنون أن الله يغفر لهذا ؟ والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة ، وأما القلب الخالي من ذلك فلا " [٢] .

٣ - وقال رحمه الله على قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [٣] : " ذكر بعض ما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَعْمَلُون ﴾ من بيان الحق وإبطال الباطل . الأولى : إذا كانت المحاجة في الله سبحانه من أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد ، وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه ، ومعرفة حالنا وحالكم في المسألة ، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم في العبودية ، بخلاف ملوك الدنيا ، فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها ، ونحن مجمعون أيضاً أنه لا يظلم أحداً من عبيده ، بل كل نفس ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [٤] بخلاف ملوك الدنيا فإنهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف تدّعون أنكم أولى بالله منا ، ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون ؟

وكيف يُظن به أنه يساوي بين من قصده وحده لا شريك له ، ومن قصد غيره وأعرض عنه ؟ وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بني آدم خصوصاً إذا كان كريماً ، أن

---

[١] كلمة عامية دارجة المقصود منها شحذ همة المخاطب .

[٢] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

[٣] سورة البقرة الآيات : ١٣٩ - ١٤١ .

[٤] سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

من قصده وضاف عنده يكرهه ولا يضيفه ، ويخص بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره ، مع استواء الجميع في القرب منه والبعد ؟ هذا لا يظن في الآدمي فكيف يظن برب العالمين ؟ فتبين بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل ، وما فعل المشركون هوالعجاب المخالف للعقل ، فيا لها من حجة ما أعظمها وأبينها ، لكن لمن فهمها كما ينبغي "[١] .

٤ - وقال رحمه الله موضحاً المعاني المنتقاة من قوله تعالى : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢] : " الثانية عشرة : دعوته إياهما عليه السلام إلى التوحيد في تلك الحال ، فلم تشغله عن النصيحة والدعوة إلى الله ، فدعاهما أولاً بالعقل ، ثم النقل : وهي الثالثة عشرة .

الرابعة عشرة : قوله : ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ فهذه حجة عقلية شرحها في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾[٣] .

الخامسة عشرة : أن الذي في الجانب الآخر هو الذي جبلت القلوب وأقرت الفطر أنه ليس له كفو .

السادسة عشرة : أنه هو القهار مع كونه واحدا ، وما سواه لا يحصيهم إلا هو فهذه قوله ، وهذا عجزهم ، فكيف يعدل به واحد منهم ، أو عشرة أو مائة ؟!

السابعة عشرة : بيان بطلان ما عبدوا من دونه بأنها أسماء لا حقيقة لها .

الثامنة عشرة : التنبيه على بطلانها بكونها بدعة ابتدعها من قبلكم فتبعتموهم .

التاسعة عشرة : بيان الواجب على العبد في الأديان السؤال عما أمر الله به ونهى

---

[١] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٢٨ .

[٢] سورة يوسف الآيتين : ٣٩ - ٤٠ .

[٣] سورة الزمر الآية : ٢٩ .

عنه ، وهو السلطان المنزل من السماء ، لا يعبد بالظن وما تهوى الأنفس .

العشرون : القاعدة الكلية التي تفرع عنها تلك الجزئية ، وهي أن أحكام الدنيا إلى الله لا إلى آراء الرجال كما قال تعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ [١] .

الحادية والعشرون : إذا ثبت أن الحكم له وحده دون الظن وما تهوى الأنفس فإنه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء .

الثانية والعشرون : أن هذه المسألة هي الدين القيم ، وكل ما خالفها أو ليس منها فليس بقيم بل أعوج ، فعلامة الحق أن العقول السليمة تعرف اعوجاجه بالفطرة ، ومع هذا أنزل الله السلطان من السماء بتحقيق هذا والإلزام به ، وتبطيل ذلك وتغليظ الوعيد عليه .

الثالثة والعشرون : المسأله الكبيرة العظيمة التي لو تجعلها نصب عينيك ليلاً ونهاراً لم يكن كثيراً ، وأيضاً تبين لك كثيراً من المسائل التي أشكلت على الناس وهي أن الله بين لنا بياناً واضحاً أن الأكثر والجمهور الذين يضيقون الديار ويغلون الأسعار من أهل الكتاب والأميين لا يعلمون هذه المسألة : مع إيضاحها بالعقل والنقل والفطرة ، والآيات النفسية والأفقية " [٢] .

٥ - وقال في قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [٣] .

" إذا عرفت أن سبب نزولها قول أهل الكتاب : نحن مسلمون نعبد الله إلا إن كنت

---

[١] سورة الشورى الآية : ١٠ .

[٢] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

[٣] سورة آل عمران الآيتين : ٧٩ - ٨٠ .

تريد أن نعبدك ، عرفت أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص ، والبراءة من الشرك ، ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين ، وذلك أنه وصف أئمة الهدى بالنفي والإثبات ، فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم ، أو بالشرك بالملائكة والأنبياء وهم أصلح المخلوقات ، وأثبت أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين ، فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ولا بغيره من الأنبياء والملائكة ، فغيرهم أظهر وأظهر .

وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم ، ومعرفة الإخلاص والشرك ، ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال أفضل ما حصّل المؤمن ، لكن فيه من البيان قول اليهود : إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ، وقول النصارى : تريد ذلك أي إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت اليهود عزيراً ! إن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل ، ولكن الهوى يعمي ويصم " [1] .

٦ - وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [2] .

" الثالثة : أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم .

الرابعة : أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول ، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه ولا يبغى [3] به بدلاً لحسنه وسهولته .

الخامسة : أن الذي استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذاباً ، وينبغي للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته .

السادسة : أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه ، وقبح الذي انتقلوا إليه ومشقته أشربوه

---

[1] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٤٥ .

[2] سورة البيّنه الآيتين : ٤ - ٥ .

[3] في الأصل (ينبغي) والتصحيح من تاريخ ابن غنام ، ص ٥٩٢ .

في قلوبهم فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا .

السابعة : أنه سبحانه توعد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب ومن العامة ، وقدم أهل الكتاب في الذكر .

الثامنة : أن العامة أُشربوا حب دينهم وصبروا على المشقه فيه مع أنهم لا يعرفون جنة ولا نار وهذا من العجائب " [١] .

٧ - ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبدالله أبابطين في ردِّه على من ادعى أنه لا فرق بين الحي والميت في القدرة والتصرف وغير ذلك ..

يقول رحمه الله : " يقال أيضاً لهذا المساوي بين الحي والميت : لو أعطي إنسان آخر مالاً وقال : أودعه عند ثقه، فذهب به الوكيل وأودعه عند قبر رجل صالح كالشيخ عبدالقادر [٢] وقال : هذا وديعة عندك لفلان ، واستحفظه إياه فضاع لعدَّه الناس مجنوناً جنوناً لا يرفع التكليف ، وألزموه بالضمان ، ويلزم هذا الذي ساوى بين الحي والميت أن يقول هو مصيب فيما فعله ولا ضمان عليه ، وربما أنه لا يلتزم هذا خوفاً من الفضيحة عند الناس ، وحينئذ يقول الوكيل في الإيداع : أنا ما فرطت على مذهبك في التسوية بين الحي والميت لأنك تقول : ما جاز طلبه من الحي جاز طلبه من الميت ، وأنا طلبت من الشيخ عبدالقادر حفظ هذه الوديعة وهي حاجتي عنده وأنت تجوز طلب الحاجات من الأموات فكيف تخطئني ؟!

ومما يوضح بطلان شبهته ما لو خرج شخصان من بيتهما ، وقصد أحدهما رجلاً حيا غنياً وقال : أشكو إليك الجوع . وقصد الآخر هبلاً وقال : يا هبل أشكو إليك الجوع ، هل يستوي الشخصان عند جاهل ، فضلا عن عالم ؟ فهذا شيء واحد يختلف حكمه باختلاف النسبة ، فبالنسبة إلى هبل شرك وبالنسبة إلى الرجل الحي الحاضر الغني جائز ، لا يتوقف في هذا عاقل ، وعلى مذهب هذا الضال في قوله : إن الطلب من

---

[١] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٧٦ .

[٢] عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي ، أبومحمد ، الزاهد ، المشهور ، من متأخري الحنابلة ، له كتاب الغنية ، توفي سنة ٥٦١هـ ،
انظر في ترجمته : فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ٣٧٣ ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ١٩٨ .

المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء ، فلا يضر عنده نداء الطالب من هبل ونحوه ؛ لأنه يقول : إن الدعاء الذي هو عبادة فهو [١] اتخاذ غير الله رباً وإلهاً ، فصريح كلامه أنه لو استغاث بالعزى أو مناة أو اللات ونحوها أن ذلك لا يضر ، لأنه ليس بعبادة عنده ما لم يسم من دعاه أو استغاث به رباً وإلهاً " [٢] .

٨ - ومن ذلك ما قاله الشيخ عبدالرحمن بن حسن في ردِّه على أحد الضلال : " وقد اشتهر عنه بأخبار الثقات أنه يقول : عبدالقادر في قبره يسمع ومع سمعه ينفع ، وما يشعره أنه في قبره الآن رفاة كحال الأموات ، وهذا قول شنيع ، وشرك فظيع ، ألا ترى أن الحي الذي قد كملت قوته ، وصحت حاسه سمعه وبصره لو ينادى من مسافة فرسخ أو فرسخين لم يمكنه سماع نداء من ناداه ، فكيف يسمع ميت من مسافه شهر أو شهرين أو دون ذلك أو أكثر وقد ذهبت قوته ، وفارقته روحه ، وبطلت حواسه ، هذا من أعظم ما تحيله العقول وتنكره الفطر " [٣] .

هذه بعض الأدلة العقلية التي سطرها علماء الدعوة ، وسيأتي غيرها إن شاء الله [٤] .

النوع السادس : الاستدلال بأقوال أهل العلم :

أكَّد علماء الدعوة ما قرروه من التوحيد ، ودعوا إليه الناس بأقوال أهل العلم المشهود لهم بالصلاح والتقى وحسن المعتقد ، وكثيراً ما ينقلون عن أهل المذاهب الأربعة ؛ لأن بعض الناس لا يقبل إلا من كلام أهل مذهبه .

وسأورد في هذا النوع بعض ما نقله علماء الدعوة عن أهل المذاهب الأربعة ، في مباحث مختلفة من توحيد العبادة ، فمما نقلوه ما يلي :

---

[١] كذا في الأصل ولعل الصواب " هو " .

[٢] تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس ، ص ٥٦ - ٥٧ .

[٣] رسالة بعثها الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى الأخ عبداللطيف بن حامد ، الرسالة الثانية ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

[٤] انظر : مبحث دعوى الشفاعة ، ص ٦٤٥ .

أ - كلام الحنفية :

قال الشيخ قاسم [(١)] في شرح (درر البحار) : النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلاً : يا سيدي إن ردَّ غائبي ، أو عوفي مريضي ، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا وكذا باطل إجماعاً ، بوجوه منها : أن النذر للمخلوق لا يجوز ومنها : أنه ظن الميت يتصرف في الأمر ، واعتقاد هذا كفر . إلى أن قال : وقد ابتلي الناس بذلك ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي [(٢)] [(٣)] .

وقد أورد هذا النص جمع من علماء الدعوة منهم الإمام محمد بن عبدالوهاب [(٤)] ، والشيخ عبدالله بن محمد [(٥)] .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الإمام محمد بن عبدالوهاب بقوله : " قال الإمام البزازي [(٦)] في (فتاويه) : إذا رأى رقص صوفية زماننا هذا في المساجد مختلطاً بهم جهال العوام ، الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام ، بل لا يعرفون الإسلام والإيمان ، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير ، يقول : هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم " [(٧)] .

---

(١) قاسم بن قطلوبغا بن عبدالله المصري ويعرف بقاسم الحنفي ، محدث ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ ، له مصنفات كثيرة متنوعة منها شرح درر البحار ، توفي بالقاهرة سنة ٨٧٩هـ .
انظر في ترجمته : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ٣٢٦ ، الأعلام ، ج٥ ، ص ١٨٠ ، معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص ٦٤٨ .

(٢) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني البدوي ، أبوالعباس ، المتصوف ، صاحب الشهرة في الديار المصرية ، توفي سنة ٦٧٥هـ .
انظر في ترجمته : شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٣٤٥ ، الأعلام ، ج١ ، ص ١٧٥ .

(٣) انظر : شرح الدر المختار للحصكفي ، ج١ ، ص ٢٠٧ ، ورد المحتار لابن عابدين ، ج٢ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ، والبحر الرائق لابن نجيم ، ج٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٤) انظر : كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ، ص ٣٨ ، ومؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٧٧ .

(٥) انظر الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٩ .

(٦) محمد بن محمد الكردي الحنفي المشهور بابن البزازي ، له كتاب مشهور في الفتاوى على المذهب الحنفي اشتهر بالفتاوى البزازية ، توفي سنة ٨٢٧هـ .
انظر في ترجمته : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ١٨٣ ، كشف الظنون ، ج١ ، ص ٢٤٢ ، معجم المؤلفين ، ج٣ ، ص ٦٤٠ .

(٧) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٧٨ .

٢ - كلام المالكية :

قال أبوبكر الطرطوشي [(١)] في كتاب (الحوادث والبدع) لما ذكر حديث الشجرة ذات أنواط فانظروا رحمكم الله أين ما وجدتم سدرة أو شجرة ، يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ، ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قبلها ، فهي ذات أنواط فاقطعوها ، وذكر حديث العرباض بن سارية [(٢)] الصحيح ، وفيه قوله ﷺ : « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » [(٣)] .

قال في البخاري : عن أبي الدرداء أنه قال : والله ما أعرف من أمر محمد شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً [(٤)] ، وروى مالك ، في الموطأ عن بعض الصحابة أنه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة [(٥)] ، قال الزهري [(٦)] : دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي ... فقال : ما أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت [(٧)] ، قال الطرطوشي رحمه الله : فانظروا رحمكم الله إذا كان في ذلك الزمن طمس الحق ، وظهر الباطل ، حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة ، فما ظنك بزمانك هذا والله المستعان » [(٨)] .

---

(١) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري الطرطوشي الفقيه المالكي ، أبوبكر ، كان إماماً عالماً زاهداً ورعاً ، توفي سنة ٥٢٠هـ .
انظر في ترجمته : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٣٤ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٤٩٠ .

(٢) العرباض بن سارية السلمي ، يكنى أبا نجيح ، صحابي ، كان من أهل الصفّة ، سكن حمص ، مات بعد السبعين من الهجرة .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج٤ ، ص ١٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٤١٩ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٨٢ .

(٣) أخرجه أبوداود ، ج٥ ، ص ١٣ - ١٤ ، رقم ٤٦٠٧ ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، والترمذي ، ج٥ ، ص ٤٣ - ٤٤ ، رقم ٢٦٧٦ ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، وابن ماجه ، ج١ ، ص ١٥ - ١٦ ، رقم ٤٢ ، في المقدمة ، باب اتباع السنة .

(٤) أخرجه البخاري ، ص ١٣١ ، رقم ٦٥٠ ، كتاب الأذان ، باب فضل صلاة الفجر في جماعة .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ، ج١ ، ص ٨٤ ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في النداء للصلاة .

(٦) محمد بن مسلم بن عبيدالله القرشي الزهري ، أبوبكر ، إمام علم حافظ زمانه ، مات سنة ١٢٤هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ١٧٧ ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص ٣٢٦ .

(٧) أخرجه البخاري ، ص ١١١ رقم ٥٣٠ ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب في تضييع الصلاة عن وقتها .

(٨) كتاب الحوادث والبدع ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، مختصراً .

وقد ذكر هذا النص جمع من علماء الدعوة ، منهم الإمام محمد بن عبدالوهاب [١] ، والشيخ حسين بن غنام [٢] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٣] ، والشيخ عبدالله بن محمد [٤] .

٣ - كلام الشافعية :

قال الإمام محدث الشام أبوشامة [٥] في كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث) : " ولكن نبين من هذا ما وقع فيه جماعة من جهال العوام ، النابذين لشريعة الإسلام ، وهو ما يفعله الطوائف من المنتسبين إلى الفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان من مؤاخاة النساء الأجانب ، واعتقادهم في مشائخ لهم ، وأطال رحمه الله الكلام - إلى أن قال : - وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا ما قد عَمّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح ، ثم يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها وهي ما بين عيون وشجر وحائط ، وفي مدينة دمشق - صانها الله - من ذلك مواضع متعددة . ثم ذكر رحمه الله الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قال له بعض من معه : اجعل لنا ذات أنواط قال : « الله أكبر قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى

---

(١) انظر مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٧٩ .

(٢) انظر : تاريخ نجد لحسين بن غنام ، ص ٥٠ .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٨٣ ، مختصراً .

(٤) انظر : الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٠ .

(٥) عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي ، أبوشامة مؤرخ ، محدث ، جمع القرآت كلها ، له مصنفات متنوعة منها : نظم المفصل للزمخشري في النحو ، والباعث على إنكار البدع والحوادث ، توفي سنة ٦٦٥هـ .
انظر في ترجمته : فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ٢٦٩ ، كشف الظنون ، ج١ ، ص ٢١٨ ، الأعلام ، ج٣ ، ص ٢٩٩ ، معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص ٨٠ .

﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [١] » [٢] .

وقد ذكر هذا النص الإمام محمد بن عبدالوهاب [٣] ، والشيخ حسين بن غنام [٤] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٥] ، والشيخ عبدالله بن محمد [٦] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٧] .

ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبدالله بن محمد بقوله : " وقال ابن حجر [٨] رحمه الله تعالى في (كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر) : (الكبيرة الأولى) الكفر أو الشرك أعاذنا الله تعالى منه . ولما كان الكفر أعظم الذنوب كان أحق أن يبسط الكلام عليه وعلى أحكامه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [٩] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٠] وقال تعالى ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [١١] وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس فقال : « ألا

---

[١] سورة الأعراف الآية : ١٣٨ .

[٢] الباعث على إنكار البدع والحوادث ، ص ٣٤ - ٣٦ ، والحديث أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٢١٨ ، والترمذي ، ج٤ ، ص ٤١٢ - ٤١٣ ، رقم ٢١٨٠ ، كتاب الفتن ، باب ما جاء ، لتركبن سنن من كان قبلكم ، والنسائي في الكبرى ، ج٦ ، ص ٣٤٦ ، رقم ١١١٨٥ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ﴿ فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً ﴾ ، وابن أبي عاصم في السنة ، ص ٣٧ ، رقم ٧٦ ، وابن حبان في صحيحه ، ج٢ ، ص ٨٢٢ ، رقم ١٨٣٥ ، الموارد ، والطبراني في الكبير ، ج٣ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، رقم ٣٢٩٠ ، ٣٢٩٤ من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

[٣] انظر : مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٧٨ .

[٤] انظر : تاريخ نجد لحسين بن غنام ، ص ٥٠ - ٥٢ .

[٥] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

[٦] انظر : الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٠ .

[٧] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

[٨] أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي ، فقيه شافعي ، له مصنفات كثيرة منها : " شرح مشكاة المصابيح للتبريزي " و " الزواجر عن اقتراف الكبائر " ، توفي عام ٩٧٤هـ .
انظر في ترجمته : الأعلام ، ج١ ، ص ٢٣٤ .

[٩] سورة النساء الآية : ٤٨ .

[١٠] سورة لقمان الآية : ١٣ .

[١١] سورة المائدة الآية : ٧٢ .

وقول الزور ، ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت [١] . ثم ذكر أحاديث كثيرة ثم قال : " (تنبيهات) : منها بيان الشرك وذكر جملة من أنواعه لكثرة وقوعها في الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموا أنها كذلك ، فإذا بانت لهم فلعلهم أن يجتنبوها لئلا تحبط أعمال مرتكبي ذلك ، ويخلدوا في أعظم العذاب وأشد العقاب . ومعرفة ذلك أمر مهم جداً ، فإن من ارتكب مكفراً تحبط جميع أعماله ... " [٢] .

٤ - كلام الحنابلة :

قال الشيخ عبدالله بن محمد : " قال في الإقناع وشرحه : (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً ولو مميز ، فتصح ردته كإسلامه لا مكرهاً لقوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ [٣] ولو هازلاً لعموم قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ [٤] الآية . وأجمعوا على وجوب قتل المرتد ، فمن أشرك بالله تعالى كفر بعد إسلامه كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [٥] أو جحد ربوبيته أو وحدانيته كفر ؛ لأن جاحد ذلك مشرك بالله تعالى ، أو جحد صفة من صفاته، أو اتخذ صاحبة أو ولداً كفر ، أو ادّعى النبوة أو صدق من ادعاها بعد النبي ﷺ كفر ، لأنه مكذب لقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [٦] أو جحد نبياً أو كتاباً من كتب الله أو شيئاً منه ، أو جحد الملائكة أو واحداً ممن ثبت أنه ملك كفر لتكذيبه القرآن ، أو جحد البعث كفر ، أو سب الله ، ورسوله

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٧٣ ، رقم ٥٩٧٦ ، كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ، وص ٥٢٨ ، رقم ٢٦٥٤ ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، وص ١٣٢٩ - ١٣٣٠ ، رقم ٦٢٧٣ ، كتاب الاستئذان ، باب من اتكأ بين يدي أصحابه ، وص ١٤٥١ ، رقم ٦٩١٩ ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٩١ ، رقم ٨٧ ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

[٢] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٦ ، وكلام ابن حجر في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ج١ ، ص ٢٧ - ٢٩ ، باختصار .

[٣] سورة النحل الآية : ١٠٦ .

[٤] سورة البقرة الآية : ٢١٧ .

[٥] سورة النساء الآية : ٤٨ .

[٦] سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .

كفر ، أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر ، لقوله ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [(١)] الآية ... " [(٢)] .

قال الإمام محمد بعد أن أورد بعض هذه النقول : " وليعلم الواقف على هذا الكلام من أهل العلم أعزهم الله أن الكلام في مسألتين :

الأولى : أن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ لإخلاص الدين لله لا يجعل معه أحداً في العبادة والتأله ، لا ملك ولا نبي ولا قبر ولا حجر ولا شجر ولا غير ذلك ، وأن من عظّم الصالحين بالشرك بالله فهو يشبه النصارى وعيسى عليه السلام بريء منهم .

والثانية : وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع ، وإن اشتهرت بين أكثر العوام ، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ، ونقل كلام العلماء ، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه ولم تأخذه في الله لومة لائم ، والله أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم " [(٣)] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله ، بعد أن أورد شيئاً من هذه النقول : " ومثل هذا يوجد في كلام غيرهم من العلماء ، والمقصود أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور ويبينون أنها شرك ، وإن كان بعض المتأخرين ممن ينتسب إلى العلم والدين ممن أصيب في عقله ودينه قد يرخص في بعض هذه الأمور ، وهو مخطيء في ذلك . ضال مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين ، فكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك إلا قول ربنا وقول رسوله ﷺ ، فإن ذلك لا يتطرق إليه الخطأ بحال ، بل واجب على الخلق اتباعه في كل زمان ، على أنه لو أجمع المتأخرون على جواز هذا لم يعتد بإجماعهم المخالف لكلام الله وكلام رسوله في محل النزاع ، لانه إجماع غير معصوم ، بل هو من زلة العالم التي حذرنا من اتباعها ، وأما الإجماع المعصوم ، فهو إجماع الصحابة والتابعين وما وافقه ، وهو السواد الأعظم الذي ورد الحث على اتباعه وإن لم يكن عليه إلا الغرباء الذين أخبر بهم ﷺ في قوله : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » [(٤)] لا ما كان عليه

---

(١) سورة التوبة الآية : ٦٥ .

(٢) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٤٩ ، وهذا الكلام للشيخ موسى الحجاوي في كتابه كشاف القناع ، ج ٦ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٨٠ .

(٤) أخرجه مسلم ، ج١ ، ص ١٣٠ ، رقم ١٤٥ ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً من حديث أبي هريرة .

العوام والطغام ، والخلف المتأخرون الذين يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون "[١] .

وهذه النقول المتنوعة غيض من فيض مما استدل به علماء الدعوة من أقوال أهل العلم ، وسنورد فيما بعد أمثلة أخرى من أقوالهم .

النوع السابع : الاستدلال بسيرة النبي ﷺ ، والأئمة ، ووقائع التاريخ :

من أنواع الأدلة التي طرقها علماء الدعوة في تأييد ما دعوا إليه من التوحيد الأدلة التاريخية .

وقد أفرد علماء الدعوة السيرة النبوية بالتأليف ، فصنف الإمام محمد مصنفاً في السيرة يعرف بمختصر سيرة الرسول ﷺ ، واختصر رحمه الله زاد المعاد للإمام ابن القيم ، وفي ضمنه قسم السيرة ، وألف رحمه الله في هذا الموضوع رسالة بعنوان : " شرح ستة مواضع من السيرة النبوية " وألف ابنه الشيخ عبدالله كتاباً في السيرة عرف أيضاً بمختصر سيرة الرسول ﷺ . وقد احتوت هذه الكتب الجليلة على سيرة الرسول ﷺ ، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وتحتوي هذه الكتب كذلك على كثير من الشواهد التاريخية الدالة على صحة ما دعا إليه علماء الدعوة من توحيد العبادة ، وألف الشيخ عبدالرحمن بن حسن رسالة تاريخية تحليلية تعرف بالمقامات ، ذكر فيها بعض ما جرى على الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ممن عاداهم ، وتأييد الله لهم ونصره على قلة منهم وضعف ، وقوة من عدوهم وكثرة ، مستلهماً من ذلك العبرة والشهادة لهم أنهم على الحق وأن عدوهم على الباطل[٢] .

يقول الإمام محمد في مقدمة كتابه مختصر سيرة الرسول ﷺ ، مبيناً أن القصص من أوضح ما يعرف به المسلم دينه : " اعلم رحمك الله : أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك ، الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة ، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣٥ ، وعنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتابه البراهين الإسلامية ، ص ٦١ .

[٢] انظر : المقامات للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، ص ١١ .

العوام والطغام ، والخلف المتأخرون الذين يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون " [١] .

وهذه النقول المتنوعة غيض من فيض مما استدل به علماء الدعوة من أقوال أهل العلم ، وسنورد فيما بعد أمثلة أخرى من أقوالهم .

النوع السابع : الاستدلال بسيرة النبي ﷺ ، والأئمة ، ووقائع التاريخ :

من أنواع الأدلة التي طرقها علماء الدعوة في تأييد ما دعوا إليه من التوحيد الأدلة التاريخية .

وقد أفرد علماء الدعوة السيرة النبوية بالتأليف ، فصنف الإمام محمد مصنفاً في السيرة يعرف بمختصر سيرة الرسول ﷺ ، واختصر رحمه الله زاد المعاد للإمام ابن القيم ، وفي ضمنه قسم السيرة ، وألف رحمه الله في هذا الموضوع رسالة بعنوان : " شرح ستة مواضع من السيرة النبوية " وألف ابنه الشيخ عبدالله كتاباً في السيرة عرف أيضاً بمختصر سيرة الرسول ﷺ . وقد احتوت هذه الكتب الجليلة على سيرة الرسول ﷺ ، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وتحتوي هذه الكتب كذلك على كثير من الشواهد التاريخية الدالة على صحة ما دعا إليه علماء الدعوة من توحيد العبادة ، وألف الشيخ عبدالرحمن بن حسن رسالة تاريخية تحليلية تعرف بالمقامات ، ذكر فيها بعض ما جرى على الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ممن عاداهم ، وتأييد الله لهم ونصره على قلة منهم وضعف ، وقوة من عدوهم وكثرة ، مستلهماً من ذلك العبرة والشهادة لهم أنهم على الحق وأن عدوهم على الباطل [٢] .

يقول الإمام محمد في مقدمة كتابه مختصر سيرة الرسول ﷺ ، مبيناً أن القصص من أوضح ما يعرف به المسلم دينه : " اعلم رحمك الله : أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك ، الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة ، والجهل به وإضاعته سبب لدخول النار .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣٥ ، وعنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتابه البراهين الإسلامية ، ص ٦١ .

[٢] انظر : المقامات للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، ص ١١ .

ومن أوضح ما يكون لذوي الفهم ، قصص الأولين والآخرين ، قصص من أطاع الله وما فعل بهم ، وقصص من عصاه ، وما فعل بهم . فمن لم يفهم ذلك ، ولم ينتفع به فلا حيلة فيه . كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾[1] .

وقال بعض السلف : " القصص جنود الله " يعني أن المعاند لا يقدر أن يردها .

فأول ذلك : ما قص الله سبحانه عن آدم ، وإبليس ، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض ، ففيها من إيضاح المشكلات ما هو واضح لمن تأمله . وآخر القصة قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2] وفي الآية الأخرى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ ﴾[3] .

وهذا الذي وعدنا به هو إرساله الرسل ، وقد وفّى بما وعد سبحانه ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . فأولهم : نوح . وآخرهم : نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم .

فاحرص يا عبدالله على معرفة هذا الحبل ، الذي بين الله وبين عباده ، الذي من استمسك به سلم ، ومن ضيعه عطب .

فاحرص على معرفة ما جرى لأبيك آدم ، وعدوك إبليس ، وما جرى لنوح وقومه ، وهود وقومه ، وصالح وقومه ، وإبراهيم وقومه ، ولوط وقومه ، وموسى وقومه ، وعيسى وقومه ، ومحمد صلى الله عليهم وعليه وسلم وقومه .

واعرف ما قصَّ أهل العلم من أخبار النبي ﷺ وقومه ، وما جرى له معهم في مكة ، وما جرى له في المدينة .

واعرف ما قصَّ العلماء عن أصحابه ، وأحوالهم ، وأعمالهم . لعلك أن تعرف الإسلام

---

(١) سورة ق الآية : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة الآيتين : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) سورة طه الآيات : ١٢٣ - ١٢٧ .

والكفر . فإن الإسلام اليوم غريب ، وأكثر الناس لا يميز بينه وبين الكفر ، وذلك هو الهلاك الذي لا يرجى معه فلاح "[١] .

ومن الأدلة التاريخية في بيان التوحيد ما ذكره الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب في رسالته " شرح ستة مواضع من السيرة النبوية " يقول رحمه الله : " تأمل - رحمك الله تعالى - ستة مواضع من السيرة كما ينبغي ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ، ودين المشركين لتتركه ، فإن كثيراً ممن يدَّعي الدين ، ويُعدّ من الموحدين ، لا يفهم هذه الستة كما ينبغي :

الموضع الأول :

قصَّة نزول الوحي على رسول الله ﷺ ، وفيها أن أول آية أرسله الله بها ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾[٢] .

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنَّها من الظلم والعدوان ، مثل الزنا وغيره ، وعرفت - أيضاً - أنهم يفعلون أشياء كثيرة من العبادات ، يتقربون بها إلى الله ، مثل : الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم ، وغير ذلك ، وأعظمها عندهم : الشرك ، فهو أعظم ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم يقولون : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[٣] ، ويقولون : ﴿ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٥] .

فأول ما أمر الله بالإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغير ذلك ، هو هذه العبادات .

---

[١] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الثالث ، السيرة ، ص ٧ - ٨ .

[٢] سورة المدثر الآيات : ١ - ٧ .

[٣] سرة الزمر الآية : ٣ .

[٤] سورة يونس الآية : ١٨ .

[٥] سورة الأعراف الآية : ٣٠ .

وعرفت أن منهم من تعلّق على الصالحين والملائكة والأولياء والأصنام ، ويقولون : ما نريد إلا شفاعتهم . ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها .

فإذا أحكمت هذه المسألة الأولى ، فيا بُشراك - خصوصاً - إن عرفت أن ما في الإسلام بعدها أعظم من الصلوات الخمس ، ولم تفرض إلا ليلة المعراج ، سنة عشر بعد حصار الشعب وبعد موت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين .

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة الكبيرة ، والعداوة البالغة ، كل ذلك عند هذه المسألة ، قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة بحول الله " [١] .

ومن ذلك ما قاله رحمه الله في الموضع الرابع من الرسالة نفسها بقوله :

" **الموضع الرابع :**

قصة أبي طالب ، فمن فهمها فهماً حسناً ، وتأمل إقراره بالتوحيد ، وحث الناس عليه ، وتسفيهه عقول المشركين ، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله ، وعشيرته في نصرة رسول الله ﷺ ، إلى أن مات ، ثم صبره على المشاق العظيمة ، والعداوة البالغة ، لكن لأنه لم يدخل فيه ، ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً ، مع أنه يعتذر عن ذلك أن فيه مسبة أبيه عبدالمطلب ، وآل هاشم ، وغيرهما من مشايخه .

ثم مع قرابته ونصرته استغفر له رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عليه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ [٢] . والذي يبين هذا : أنه إذ عرف رجل من أهل البصرة أو الإحساء بحب الدين وبحب المسلمين ، ظن أكثر الناس أنه من المسلمين ، مع أنه لم ينصر الإسلام بيده ولا ماله ، ولا له من الأعذار ما لأبي طالب .

فمن فهم قصة أبي طالب ، وفهم الواقع من أكثر من يدعي الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الأفهام ، والله المستعان " [٣] .

ومن ذلك ما قاله الإمام فيصل بن تركي بقوله : " ومن تدبر سيرة النبي ﷺ قبل

---

[١] شرح ستة مواضع من السيرة النبوية ، ص ٥٣ - ٥٥ .

[٢] سورة التوبة الآية : ١١٣ .

[٣] شرح ستة مواضع من السيرة النبوية ، ص ٦٢ - ٦٤ .

هجرته ، وبعدها ، وما كان عليه الصحابة ، والتابعون ، وأتباعهم ، والأئمة عرف حقيقة دين الإسلام ، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، وتبين له كثرة المنحرفين عنه في هذه الأزمنة ، وقبلها ، فإن الأمة بعد القرون الثلاثة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة ، وذلك بعد ظهور دول الأعاجم ، والقرامطة [١] في المشرق ، وبني عبيدالقداح في مصر والمغرب ، وظهرت الفلسفة [٢] وغيرها من أصول البدع ، وظهر الشرك .

وكل قرن ينحل فيه عقد الإسلام ، حتى اشتدت الغربة ، وعظم الافتراق ، وعاد المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، ونشأ عليه الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وجهل الناس التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وبعث به إمامهم ، وسيدهم محمد ﷺ ، ووقعوا في الشرك الذي نهى الله عنه ورسوله ، حتى ظنوه من أفضل القربات : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾ [٣] .

فيجب على من نصح نفسه ، وطلب لها الخلاص من عذاب الله ، أن يسعى في خلاصها بالإخلاص لله وحده بجميع أنواع العبادة التي موردها القلب ، واللسان ، والجوارح ، ويطلب العلم الذي ينجو به من النار ، ويدخل به جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويصح به إيمانه وتنفعه معه أعماله " [٤] .

---

[١] القرامطة : فرقة من الباطنية ينسبون إلى حمدان بن الأشعث يلقب بقرمط ، قيل إنه من الصابئة الحرانية من تلاميذ حسين الأهوازي ، مقره الكوفة ، كثر اتباعه فأغاروا على المسلمين ، وحاربوا أهل الإسلام عدهم البغدادي من الفرق الخارجة عن الإسلام ، وكفرهم شيخ الإسلام ابن تيمية .
انظر عن القرامطة : الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٢ ، الملل والنحل ، ج١ ، ص ٢٢٩ ، التدمرية ، ص ١٤ ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٦١ .

[٢] الفلسفة : كلمة فلسفة تتكون من مقطعين هما فيلو ، وسوفيا ، ومعنى فيلو : في اليونانية محب ، وسوفيا : الحكمة ، فالفيلسوف هو محب الحكمة ، ومذهب الفلاسفة ، أن العالم قديم وعلته مؤثرة بالإيجاب ، وليست فاعلة بالاختيار ، وأكثرهم ينكرون علو الله تعالي وينكرون حشر الأجساد ، وهم أتباع أرسطو .
انظر عن الفلسفة والفلاسفة : الملل والنحل ، ج٢ ، ص ٣٦٩ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج١ ، ص ٧٩ .

[٣] سورة النجم الآية : ٢٣ .

[٤] رسالة للإمام فيصل بن تركي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .

المبحث الثالث

أركان العبادة وشروطها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أركان العبادة

المطلب الثاني : شروط العبادة

المطلب الأول

أركان العبادة

أركان العبادة ثلاثة :

الأول : المحبة .

الثاني : الرجاء .

الثالث : الخوف .

والدليل على هذه الأركان أول سورة الفاتحة ، فدليل المحبة قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١] ، ودليل الرجاء قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [٢] ، ودليل الخوف قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [٣] .

وقد نص الإمام محمد بن عبدالوهاب على هذه الأركان في كلامه على سورة الفاتحة في موضعين :

الموضع الأول :

قال رحمه الله على قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ هذه الآيات الثلاثة تضمنت ثلاث مسائل :

الآية الأولى : فيها المحبة ، لأن الله منعم والمنعم يحب على قدر إنعامه ...

والآية الثانية : فيها الرجاء .

الآية الثالثة : فيها الخوف .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [٤] أي : أعبدك يارب بما مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ، ورجائك ، وخوفك . فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير الله شرك " [٥] .

الموضع الثاني :

ونص رحمه الله على هذه الأركان الثلاثة في المسائل التي استنبطها من سورة الفاتحة

---

[١] سورة الفاتحة الآية : ١ .

[٢] سورة الفاتحة الآية : ٢ .

[٣] سورة الفاتحة الآية : ٣ .

[٤] سورة الفاتحة الآية : ٥ .

[٥] الرسالة الثامنة بعض فوائد سورة الفاتحة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .

فكان مما قال : " الثالثة : أركان الدين الحب والرجاء والخوف فالحب في الأولى ، والرجاء في الثانية ، والخوف في الثالثة " [١] .

وقد أشار إلى هذه الأركان جمع من علماء الدعوة [٢] .

ولا بد من اجتماع هذه الأركان الثلاثة المحبة والخوف والرجاء . فمن تعلق بواحدة منها فقط ، لم يكن عابداً لله تمام العبادة ، فعبادة الله بالحب فقط هي طريقة الصوفية [٣] ، وعبادته بالرجاء وحده هي طريقة المرجئة [٤] ، وعبادته بالخوف فقط ، هي طريقة الخوارج ، أما أهل السنة والجماعة فعبدوه بالحب والخوف والرجاء .

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى : " وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن ، كمن تعلق بالمحبة وحدها أو تعلق بالرجاء وحده أو تعلق بالخوف وحده ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك ، وفيها من الفوائد الرد على الثلاث الطوائف التي كل طائفة تتعلق بواحدة منها . كمن عبد الله تعالى بالمحبة وحدها ، وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده كالمرجئة وكذلك من عبد الله بالخوف وحده كالخوارج " [٥] .

وقد وردت أدلة من الكتاب والسنة تدل على أنه لا بد من الجمع بين الرجاء والخوف ، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس .

---

[١] بعض فوائد سورة الفاتحة ضمن المصدر السابق ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ١٨ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠٥ ، فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٩٧ ، قرة عيون الموحدين ، ص ١٧٧ ، إبطال التنديد ، ص ١٦٥ .

[٣] الصوفية : فرقة ظهرت في القرن الثالث الهجري ، وقد تنازع العلماء في سبب تسميتها بالصوفية ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية انها نسبة إلى الصوف ، وهي فرقة دخيلة على الإسلام ، كانت في البداية نزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة ثم تطورت تلك النزعات حتى صارت طرق طرق مميزة معروفة باسم الصوفية.
انظر عن الصوفية : مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج١٠ ، ص ١٨ - ٢٠ ، والتصوف المنشأ والمصادر لإحسان إلهي ظهير .

[٤] سميت بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان وهم ثلاثة أصناف :
الأول : الذين يقولون : الإيمان مجرد ما في القلب .
الثاني : من يقول هو مجرد قول اللسان ، وهذا قول الكرامية .
الثالث : من يقول هو تصديق القلب وقول اللسان .
انظر عن المرجئة : الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٦١ ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٠٢ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج٤ ، ص ١٥٤ ، مجموع الفتاوى ، ج٧ ، ص ١٩٥ ، ٥٤٣ ، التدمرية ، ص ١٨٩ .

[٥] الرسالة الثامنة بعض فوائد سورة الفاتحة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨٣ .

ومن هذه الأدلة ما ذكرها الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، وهذه الأدلة هي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [(١)] .

وقد ترجم الإمام محمد بن عبدالوهاب بهذه الآية في كتاب التوحيد ومراده بهذه الترجمة التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف ولذلك ذكر بعد هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [(٢)] [(٣)] .

ومعنى هذه الآية كما يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : " أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل ، بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من عذاب الله ، وعدم الخوف منه ، كما قال : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [(٤)] ثم بين أن ذلك بسبب الجهل والغرة بالله ، فأمنوا مكره فيما ابتلاهم به من السراء والضراء ، بأن يكون استدراجاً ، فقال : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [(٥)] أي : الهالكون . فدل على وجوب الخوف من مكر الله ... " [(٦)] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [(٧)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " نبه المصنف رحمه الله بهذه الآية على الجمع بين الرجاء والخوف ، فإذا خاف فلا يقنط من رحمة الله ، بل يرجوها مع العمل الصالح ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٨)] فذكر سبحانه أنهم يرجون رحمة الله مع الاجتهاد في

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٩٩ .

(٢) سورة الحجر الآية : ٥٦ .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠٥ ، إبطال التنديد ، ص ١٦٣ .

(٤) سورة الأعراف ، الآيتين : ٩٧ - ٩٨ .

(٥) سورة الأعراف الآية : ٩٩ .

(٦) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠٧ ، وانظر : قرة عيون الموحدين ، ص ١٧٥ .

(٧) سورة الحجر، الآية : ٥٦ .

(٨) سورة البقرة الآية : ٢١٨ .

الأعمال الصالحة فأما الرجاء مع الاصرار على المعاصي فذاك من غرور الشيطان ، إذا تبين ذلك فقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ ﴾ حكاية قول إبراهيم عليه السلام لما بشرته الملائكة بولده إسحاق عليه السلام فقال : ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [١] استبعاداً لوقوع هذا في العادة مع كبر السن منه ومن زوجته قالوا : ﴿ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ [٢] أي : الذي لا ريب فيه ولا مثنوية ، بل هو أمر الذي ﴿ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٣] وإن بعد مثله في العادة التي أجراها فإن ذلك عليه يسير إذا أراده ، فلا تكن من القانطين ، أي لا تيأس من رحمة الله ، قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّون ﴾ [٤] فأجابهم بأنه ليس بقانط ، ولكن يرجو من الله الولد ، وإن كان قد كبر ، وأسنت أمرأته ، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك " [٥] .

وقال السدي [٦] : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ ﴾ قال : ومن ييأس من رحمة ربه[٧] .. ﴿ إِلاَّ الضَّالُّون ﴾ قال بعضهم [٨] " إلا المخطئون طريق الصواب ، أو إلا الكافرون ، كقوله : ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون ﴾ [٩] " [١٠] .

---

[١] سورة الحجر الآية : ٥٤ .

[٢] سورة الحجر الآية : ٥٥ .

[٣] سورة يس الآية : ٨٢ .

[٤] سورة الحجر الآية : ٥٦ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

[٦] إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي ، القرشي مولاهم الكوفي ، أبو محمد ، يعرف بالسدي الكبير ، له أقوال في تفسير القرآن ، روى عن ابن عباس وأنس وغيرهما وروى عنه شعبة والثوري وغيرهما ، اختلف في توثيقه ، فوثقه الإمام أحمد وابن حبان وضعفه آخرون ، مات سنة ١٢٧هـ ، انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص ٢٦٤ ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص ٢٣٦ ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ٣١٣ .

[٧] رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ، ج٥ ، ص ٨٨ .

[٨] انظر: الكشاف للزمخشري ، ج٢ ، ص ٥٨١ .

[٩] سورة يوسف الآية : ٨٧ .

[١٠] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠٨ - ٥٠٩ ، وانظر : هذا المعنى في فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٩٩ .

٣ - وعن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر ؟ فقال : " « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله » [١] .

٤ - وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر : « الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » [٢] .

ففي هذين الحديثين : " التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف ، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس بل يرجو رحمة الله " [٣] " وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، وأرشد إليه السلف والأئمة " [٤] .

وكان السلف يستحبون أن يقوي في الصحة الخوف ، وفي المرض الرجاء ، وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف ، فإذا غلب الرجاء في حالة الصحة الخوف فسد القلب . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [٥] . وقال : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [٦] . وقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [٧] . وقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [٨] وقدم الحذر على الرجاء في هذه الآية [٩] .

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير كما في الدر المنثور ، ج٢ ، ص ١٤٧ ، وأخرجه الطبراني في الأوسط ، كما في مجمع الزوائد ، ج١ ، ص ١٠٤ ، قال الهيثمي : " رواه البزار والطبراني ، ورجاله موثقون " .

[٢] أخرجه عبدالرزاق في المصنف ، ج١٠ ، ص ٤٥٩ ، والطبراني في الكبير ، ج٩ ، ص ١٥٦ ، رقم ٨٧٨٣ ، عن ابن مسعود قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج١ ، ص ١٠٤ : " إسناده صحيح " .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥١٠ ، ٥١١ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٠١ ، ٦٠٢ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٩٧ .

[٥] سورة الملك الآية : ١٢ .

[٦] سورة النور الآية : ٣٧ .

[٧] سورة المؤمنون ، الآيتين : ٦٠ - ٦١ .

[٨] سورة الزمر الآية : ٩ .

[٩] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥١٠ - ٥١١ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٠١ - ٦٠٢ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ١٧٧ .

المطلب الثاني

شروط العبادة

العبادة لها شرطان الأول : الإخلاص ، الثاني : المتابعة .

ولا خلاف أن الإخلاص والمتابعة شرطان لصحة العمل وقبوله ، كما قال الفضيل ابن عياض [(١)] - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [(٢)] قال : أخلصه وأصوبه ، قيل : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، فالخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة [(٣)] .

وقد قرر علماء نجد هذين الشرطين ودعوا الناس إليهما .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في تقرير هذين الشرطين : " وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده ، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ ... " [(٤)] .

وبين رحمه الله تعالى : " أن العبادة التي شرعها الله تعالى كلها ، تتضمن إخلاص الدين كله لله ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [(٥)] ، فإن دين الإسلام هو دين الله الذي أمر به الأولين والآخرين ،كما قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [(٦)]، وفسر إسلام الوجه بما يقتضي الإخلاص ، والإحسان : العمل الصالح المأمور به ، وهذان الأصلان : جماع الدين ، لا نعبد إلا الله ، ولا نعبده بالبدع ، بل بما شرع ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، أبو علي ، الزاهد المشهور ، شيخ الحرم ، وأحد الأثبات ، مجمع على ثقته وجلالته ، قال ابن المبارك : ما على ظهر الأرض أفضل منه ، مناقبه كثيرة ، مات سنة ١٨٧هـ .

(٢) سورة الملك الآية : ٢ .

(٣) نقله ابن تيمية في الاستقامة ، ج٢ ، ص ٣٠٩ ، وابن رجب في جامع العلوم والحكم ، ص ١٠ ، وقد نقله علماء الدعوة . انظر : فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ، ج٢ ، ص ٦٢٢ - ٦٢٣ ، ورسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، والرسالة التاسعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٩٠ .

(٤) الرسالة المفيدة المهمة الجليلة ، ص ٣٦ .

(٥) سورة البينة الآية : ٥ .

(٦) سورة البقرة الآية : ١١٢ .

وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [١] .. " [٢] .

وقرر رحمه الله تعالى : " .. أن هذين الأصلين ، هما تحقيق الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله ، فالأولى : تتضمن إخلاص الألوهية ، فلا يتأله القلب غيره ، لا بحب ، ولا خوف ، ولا رجاء ، ولا إجلال ، ولا إكرام ، والثانية : تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر به ، وطاعته فيما أمر ، فلا حرام إلا ما حرم ، ولا دين إلا ما شرع ... " [٣] .

وبين أن تحقيق هذين الشرطين هو مقصوده من دعوته :

فقال رحمه الله : " والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين ، وأنه عبادة الله وحده لا شريك له فيها ، بخلع جميع الشرك ، ومتابعة الرسول فيها نخلع جميع البدع إلا بدعة لها أصل في الشرع ، كجمع المصحف في كتاب واحد ، وجمع عمر رضي الله عنه الصحابة على التراويح جماعة ، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل خميس ونحو ذلك ، فهذا حسن والله أعلم " [٤] .

وبين رحمه الله تعالى أهمية هذين الشرطين فقال : " ... إذا كان عملك صواباً ، ولم يكن خالصاً لم يقبل ، وإذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً لم يقبل ، فلا بد أن يكون خالصاً صواباً ، على شريعة محمد ﷺ ، ولذلك قال سبحانه في علماء أهل الكتاب ، وعبادهم وقرائهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [٥] ، وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ [٦] ، وهذه الآيات : ليست في أهل الكتاب خاصة ، بل كل من اجتهد في علم ، أو عمل ، أو قراءة ، وليس موافقاً لشريعة محمد ﷺ فهو : من

---

[١] سورة الكهف الآية : ١١٠ .

[٢] جواب للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٨٢ باختصار .

[٣] جواب للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٨٢ .

[٤] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٠٧ .

[٥] سورة الكهف الآيتين : ١٠٣ - ١٠٤ .

[٦] سورة الغاشية الآيات : ٢ - ٤ .

الأخسرين أعمالاً ، الذين ذكرهم الله تعالى ، في محكم كتابه العزيز ، وإن كان له ذكاء ، وفطنة ، وفيه زهد ، وأخلاق ، فهذا العذر لا يوجب السعادة ، والنجاة من العذاب ، إلا باتباع الكتاب والسنة ، وإنما قوة الذكاء ، بمنزلة قوة البدن وقوة الإرادة ، فالذي يؤتى فضائل علمية ، وإرادة قوية ، وليس موافقاً للشريعة بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه ، وبدنه ... " [١] .

ومن أدلة هذين الشرطين قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٢]، " والإسلام ، هو : الإخلاص لأنه شرط لكل عمل وكل عمل مفتقر إليه ، وقد فسره علماء السلف بالإخلاص ، كما في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [٣] ، وقوله : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [٤]، قالوا : إسلام الوجه الإخلاص ، والإحسان المتابعة " [٥] .

" فإن قوله ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ [٦] يخرج كل مشرك يعدل بربه ، ويسوي بينه وبين غيره في خالص حقه . وقوله ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [٧] يخرج كل مبتدع لم يأت بما وجب من المتابعة والسير على المنهاج المحمدي في أصول الدين وفروعه " [٨] .

" والقرآن من أوله إلى آخره وكذلك السنة ، في تقرير هذين الأصلين " [٩] .

هذه شروط العبادة إجمالاً كما ذكرها علماء الدعوة ، وما ذكروه إجمالاً ، بينوه في مواضع متعددة تفصيلاً على النحو التالي :

---

(١) مسائل أربع وقواعد أربع يتميز بهن المسلم من المشرك للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة الزمر الآيتين : ١١ - ١٢ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١١٢ .

(٤) سورة لقمان الآية : ٢٢ .

(٥) من رسالة للإمام فيصل بن تركي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .

(٦) سورة البقرة الآية : ١١٢ .

(٧) سورة البقرة الآية : ١١٢ .

(٨) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ، ص ٢٨٥ .

(٩) من رسالة للإمام فيصل بن تركي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .

الشرط الأول : الإخلاص :

حقيقته :

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً حقيقة الإخلاص نقلاً عن " الشرح الكبير " لعبدالرحمن بن أبي عمر [١] رحمه الله تعالى : " والإخلاص عمل القلب وهو أن يقصد بعمله الله دون غيره " [٢] .

وقال نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " الإخلاص محبة الله ، وإرادة وجهه " [٣] ، وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الإخلاص بمثل ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله فقال :

وحقيقة الإخلاص توحيد المرا　　　د فلا يزاحمه مراد ثان [٤]

وقال الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى : " وإخلاص الدين هو : صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ، وذلك : بأن لا يدعى إلا الله ، ولا يستغاث إلا بالله ، ولا يذبح إلا لله ، ولا يخشى ، ولا يرجى سواه ، ولا يرهب ، ولا يرغب إلا فيما لديه ، ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه ، وأن كل ما هنالك لله تعالى ، لا يصلح منه شيء لملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا غيرهما ، وهذا هو بعينه توحيد الألوهية ، الذي أسس الإسلام عليه وانفرد به المسلم عن الكافر ، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله " [٥] .

---

[١] عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ، الفقيه الإمام الزاهد الخطيب ، شيخ الحنابلة ، ولد سنة ٥٩٧هـ ، درس وأفتى وأقرأ العلم زماناً طويلاً وانتفع به الناس ، من تلاميذه شيخ الإسلام ابن تيمية ، من تصانيفه الشرح الكبير على متن المقنع ، مات سنة ٦٨٢هـ انظر في ترجمته : ذيل طبقات الحنابلة ج٢ ، ص ٣٠٤ ، التاج المكلل ، ص ٢٥٤ .

[٢] القول الفصل النفيس في الرد على المفترى داود بن جرجيس ، ص ١٦٦ ،

[٣] القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ، ص ١٦٧ ، ورسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٢ .

[٤] انظر : رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥١ ، ونظم ابن القيم في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، ص ٢٥٦ .

[٥] رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٦٦ .

ويبين الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين حقيقة الإخلاص فيقول : " وأما الإخلاص فحقيقته أن يخلص العبدلله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته ، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم ﷺ التي أمر الله بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها ، وهي حقيقة الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [١] ، وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾[٢] .. " [٣] .

أهميته :

يبين الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى أهمية الإخلاص فيقول : " ... إن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ لإخلاص الدين لله ،لا يجعل معه أحد في العبادة والتأله ، لا ملك ولا نبي ولا قبر ولا حجر ولا شجر ولا غير ذلك ، وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله فهو يشبه النصارى ، وعيسى عليه السلام بريء منهم " [٤] .

ويبين الشيخ عبدالرحمن بن حسن أن إخلاص العبادة لله هو التوحيد الذي جحده المشركون قديماً وحديثاً ...

ويقرر رحمه الله تعالى أن إخلاص العبادة هو أصل دين الإسلام ، الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو سر الخلق [٥] ...

أدلة الإخلاص :

تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٣٠ .

(٣) جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٦ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٤) رسالة للإمام محمد إلى علماء الإسلام ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٨٠ ، بتصرف يسير .

(٥) انظر : جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، وانظر : القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ، ص ١٦٧ .

الدينية ، وأن لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه الله تعالى [١] .

فمن القرآن :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [٢] .

٢ - وقول الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [٣] .

٣ - وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٤] .

يقول الإمام فيصل بن تركي معلقاً على هذه الآية : " الإسلام ، هو : الإخلاص ، لأنه شرط لكل عمل ، وكل عمل مفتقر إليه ، وقد فسره علماء السلف بالإخلاص " [٥] .

٤ - وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [٦] قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد هذه الآية : " إسلام الوجه ، هو إخلاص الأعمال الباطنة والظاهرة ، كلها لله تعالى " [٧] .

٥ - وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ [٨] .

---

[١] انظر : مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٦ .

[٢] سورة البينة الآية : ٥ .

[٣] سورة الكهف الآية : ١١٠ .

[٤] سورة الزمر الآيتين : ١١ - ١٢ .

[٥] رسالة للإمام فيصل بن تركي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٨٣ .

[٦] سورة لقمان الآية : ٢٢ .

[٧] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٢٨ .

[٨] سورة الرعد الآية : ٣٦ .

٦ - وقال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[1] ، ثم ذكر تعالى ما ينافي الإخلاص من شرك المشركين فقال : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[2] .

٧ - وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ﴾[3] .

٨ - وقال : ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ﴾[4] .

٩ - وقال تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[5] .

١٠ - وقال تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6] .

١١ - وقال : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[7] الآية .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في تفسيره لهذه الآية : " وإقامة الوجه هو إخلاص الدين له وإفراده بجميع أنواع العبادة كما ذكره المفسرون ، والحنيف : المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه "[8] ، والآيات في إخلاص العبادة ، وإفراد الرب تعالى بها في القرآن كثيرة .

ومن السنة أحاديث كثيرة تدل على إخلاص العبادة لله والتحذير من الشرك والرياء والسمعة فمنها :

---

(١) سورة الزمر الآيتين : ٢ - ٣ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٣) سورة الزمر الآية : ١١ .

(٤) سورة الزمر الآية : ١٤.

(٥) سورة غافر الآية : ١٤ .

(٦) سورة الأنعام الآية : ٧٩ .

(٧) سورة الروم الآية : ٣٠ .

(٨) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٨٤ .

١ - عن جندب بن عبدالله [١] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به » [٢] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في تعليقه على هذا الحديث : " قيل : معنى (من سمع سمع الله به) أي :فضحه يوم القيامة ، ومعنى (من يرائي) أي :من أظهر العمل الصالح للناس ليعظم عندهم ، (يرائي الله به) قيل معناه : إظهار سريرته للناس " [٣] .

٢ - وعن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى » [٤] .

٣ - وفي الحديث أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة « لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " [٥] .

والأحاديث في هذا كثيرة [٦] .

ومن أقوال السلف ما ذكره الشيخ عبدالله أبابطين ، يقول رحمه الله : " كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم ، ويرون الإخلاص أعز الأشياء وأشقها

---

(١) جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي ، العلقي ، أبوعبدالله ، وربما نسب إلى جده ، له صحبة ، وله عدة أحاديث ، بقي إلى حدود سنة سبعين .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج١ ، ص ٣٢٤ ، أسد الغابة ، ج١ ، ص ٥٦٦ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ١١٧ ، تقريب التهذيب ، ص ٢٠٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٣٧٢ ، رقم ٦٤٩٩ ، كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة ، و ص ١٤٩٩ ، رقم ٧١٥٢ ، كتاب الأحكام ، باب من شاق شق الله عليه .

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة والآداب الإسلامية ، كتاب الكبائر ، ص ٦ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١ ، رقم ١ ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٤١٥ ، رقم ٥٩٤ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته ، من حديث ابن الزبير .

(٦) سيأتي بعضها في ذكر ذم الرياء ص ٥٥٧ - ٥٥٩ .

على النفس ، وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له ، وبعلل الأعمال وآفاتها ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه ، أو المنقصة له .

قال الإمام أحمد رحمه الله : أمر النية شديد .

وقال سفيان الثوري [(١)] : ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تتقلب عليّ [(٢)] .

وقال يوسف بن أسباط [(٣)] : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد [(٤)] .

وقال سهل بن عبدالله [(٥)] : ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب [(٦)] .

وقال يوسف بن الحسين [(٧)] : أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر [(٨)] .

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبوعبدالله الكوفي ، أحد أئمة الإسلام وعبادهم ، أمير المؤمنين في الحديث ، ولد سنة ٩٧هـ ، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٢، ص ٣٨٦ ، سير أعلام النبلاء ، ج٧ ، ص ٢٢٩ ، تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص ١١١ - ١١٥ ، الأعلام ، ج٣ ، ص ١٠٤ .

(٢) نقله الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ، ص ٩ .

(٣) يوسف بن أسباط الشيباني ، الزاهد ، الواعظ ، من سادات المشايخ ، له مواعظ وحكم .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص ١٦٩ ، ميزان الاعتدال ، ج٤ ، ص ٤٦٢ .

(٤) نقله الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ، ص ٩ .

(٥) سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله التستري ، أبومحمد ، الزاهد شيخ الصوفية ، صحب ذا النون المصري ، وكانت له كرامات ، قال الذهبي : " .. له كلمات نافعة ، ومواعظ حسنة ، وقدم راسخ في الطريق " ، سكن البصرة ومات سنة ٢٨٣هـ .

(٦) نقله العلامة ابن القيم في مدارج السالكين ، ج٢ ، ص ٩٢ .

(٧) يوسف بن الحسين بن علي ، أبويعقوب الرازي ، من مشايخ الصوفية ، كان كثير الأسفار ، مات سنة ٣٠٤هـ .
انظر في ترجمته : طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص ٤١٨ - ٤٢٠ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٤ ، ص ٢٤٨ ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٢٦ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٤٥ .

(٨) نقله العلامة ابن القيم في مدارج السالكين ، ج٢ ، ص ٩٢ .

فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء ، لأن الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى »[١] .

الشرط الثاني : المتابعة :

كان جل اهتمام علماء الدعوة بعد تقرير الإخلاص ، في تقرير متابعة الرسول ﷺ ، فقد بينوا حقيقتها ، وحكمها ، وأدلتها ، وآثارها .

حقيقة المتابعة وحكمها :

بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى حقيقة المتابعة وحكمها فقال : " وأما متابعة الرسول ﷺ ، فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال ، ... فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله فما وافق منها قبل ، وما خالف رد على فاعله كائناً من كان ، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به وطاعته ومتابعته في كل ما أمر به ... " [٢] .

وبين رحمه الله تعالى : وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع وإن اشتهرت بين أكثر العوام [٣] .

وبين الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر رحمه الله تعالى : أن العبادات مبناها على الأمر والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، وكل عمل ليس عليه أمر الرسول ﷺ فهو رد [٤] .

أدلتها :

أورد أئمة الدعوة أدلة كثيرة في الدلالة على هذا الشرط :

---

[١] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٧ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

[٢] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٠٦ .

[٣] انظر : مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٨٠ .

[٤] انظر : النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين ، ص ١٤٩ .

فمن القرآن :

١ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)] .

٢ - وقال تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [(٢)] .

٣ - وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [(٣)] .

ومن السنة :

١ - قوله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخاري ومسلم [(٤)] .

٢ - وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [(٥)] .

٣ - وروى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قيل ومن يأبى قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » [(٦)] .

آثارها :

من آثار المتابعة حصول السعادة والنعيم وعلو الدرجة ، يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى مبيناً هذا الأثر : " وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين ، هي

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٣١ .

(٢) سورة النساء الآية : ٨٠ .

(٣) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٥٤٠ ، رقم ٢٦٩٧ ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، ومسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٣٤٣ ، رقم ١٧١٨ ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٥) أخرجها مسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٣٤٤ ، رقم ١٧١٨ ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام ورد محدثات الأمور ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٥٢٥ ، رقم ٧٢٨٠ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

باتباع المرسلين ، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين ، وأتبعهم لذلك ، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها ، هم أهل السعادة في كل زمان ومكان ، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة ، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة .

والرسل عليهم البلاغ المبين ، وقد بلغوا البلاغ المبين ، وخاتم الرسل : محمد ﷺ أنزل الله عليه كتابه ، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فهو : المهيمن على جميع الكتب ، وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكمله ، وكان أنصح الخلق لعباد الله ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبدالله حتى أتاه اليقين ، فأسعد الخلق ، وأعظمهم نعيماً ، وأعلاهم درجة : أعظمهم اتباعاً له وموافقة ، علماً وعملاً [١] .

ومن آثار المتابعة لرسول الله ﷺ حصول الملك وميراث الأرض .

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في هذا : " وقد حصل باتباع محمد ﷺ لمن آمن به من العرب الأميين وغيرهم من أجناس الآدميين من الملك وميراث الأرض فوق ما حصل لبني إسرائيل ، فإنهم ملكوا الدنيا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ، وحملت إليهم كنوز كسرى ملك الفرس ، وقيصر ملك الروم ، وصارت بلادهم وبلاد المغرب والمشرق ولاية لهم ورعية تنفذ فيهم أحكامهم ، ويجبى إليهم خراجهم ، ومكثوا على ذلك ظاهرين قاهرين لمن سواهم من الأمم حتى وقع فيهم ما وقع في بني إسرائيل من الخروج عن اتباع الأنبياء وترك سياستهم ، والانهماك في أهوائهم وشهواتهم ، فجاء الخلل وسلط العدو ، وتشتت الناس وتفرقت الكلمة ، وصارت الدول الإسلامية يسوسها في كثير من البلاد وفي أوقات كثيرة من الملوك أهل النفاق والزندقة والكفر والالحاد ، الذين لا يبالون بسياسات الأنبياء وما جاءوا به من عند الله ، وربما قصدوا معاكستهم فذهب الملك بذلك وضاعت الأمانة ، وفشا الظلم والخيانة ، وصار بأسهم بينهم ، وسلط عليهم العدو ، وأخذ كثير من البلاد ، ولم يقنع منهم أبليس عدو الله بهذا حتى أوقع كثيراً منهم في البدع والشرك ، وسعى في محو الإسلام بالكلية . وكلما بعد عهد الناس بالعلم وآثار الرسالة ، ونقص

---

[١] رسالة المسائل الأربع للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢١ - ٢٢ .

تمسكهم بعهود أنبيائهم تمكن الشيطان من مراده في أديانهم ونحلهم واعتقاداتهم ، ولكن من رحمة الله ومنته أن جعل في هذه الأمة بقية وطائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، وكلما حصل لهذه الطائفة قوة وسلطان في جهة أو بلد حصل من الملك والعز والظهور لهم بقدر تمسكهم بما جاء به محمد ﷺ ، ولذلك صار لشيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ولطائفته وأنصاره من الملك والظهور والنصر بحسب نصيبهم وحظهم من متابعة نبيهم ﷺ والتمسك بدينه ، فقهروا جمهور العرب من الشام إلى عمان ومن الحيرة إلى اليمن ، وكلما كان أتباعهم وأنصارهم أقوى تمسكاً كانوا أعز وأظهر، وربما نال منهم العدو وحصل عليهم من المصائب ما تقتضيه الذنوب والمخالفة والخروج عن متابعة نبيهم ، وما يعفو الله من ذلك أكثر وأعظم ، والمقصود : أن كل خير ونصر حصل ، وعز وسرور اتصل ، فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ وتقديم أمره في الفروع والأصول ... " [١] .

---

[١] رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٤٦٣ - ٤٦٥ .

المبحث الرابع

أنواع العبادة

أنواع العبادة :

تقدم أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالدين كله داخل في العبادة .

وأنواع العبادة كثيرة جداً ويصعب حصرها ويتعسر الإحاطة بها ولهذا سأقتصر على ذكر جملة من أعظم أنواع العبادة التي أكد علماء الدعوة عليها نظراً لأهميتها من جهة ولوجود المخالفة فيها من جهة أخرى ، وهذه الأنواع هي :

١ - المحبة :

من أنواع العبادة المحبة ، وقد تناول علماء الدعوة هذا النوع من العبادة وبينوا أهميته وشدة الحاجة إليه ، وقرروا أدلته ، وأوضحوا علامته .

وسأبين ذلك على النحو التالي :

أ - أهمية المحبة :

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله مبيناً أهمية المحبة وشدة الحاجة إليها : " محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام ، الذي يدور عليه قطب رحاها ، فبكمالها يكمل الإيمان ، وبنقصانها ينقص توحيد الإنسان " [١] ، وقال : " بل الخلق والأمر والثواب والعقاب ، إنما نشأ عن المحبة ، ولأجلها ، فهي الحق الذي خلقت به السموات والأرض ، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي ، وهي سر التأله ، وتوحيدها هو شهادة أن لا إله إلا الله ... - إلى أن قال - فإن الإله الذي تألهه القلوب حباً وذلاً وخوفاً ورجاءً ، وتعظيماً وطاعة ، إله بمعنى مألوه ، أي : محبوب معبود ، ،أصله من التأله ، وهو التعبد الذي هو آخر مراتب الحب ، فالمحبة حقيقة العبودية " [٢] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦٦ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦٩ .

٢ - أدلة المحبة :

دلت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة على وجوب محبة الله عز وجل وتقديم محبته على سائر المحاب ، ومما أورده علماء الدعوة في هذا الشأن ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [١] .

ففي هذه الآية وعيد شديد على من كانت الثانية أحب إليه من دينه [٢] .

٢ - عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » [٣] .

وفي رواية : « لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى » إلى آخره [٤] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لهذا الحديث : " قال شيخ الإسلام : أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له ، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى . قال : فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل المحبة وتفريغها ودفع ضدها ، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل

---

(١) سورة التوبة الآية : ٢٤ .

(٢) انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٢٤ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص٧ ، رقم١٦ ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، و ص ٨ ، رقم ٢١ ، كتاب الإيمان ، باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان ، وص ١٤٥٧ ، رقم ٦٩٤١ ، كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٦٦ ، رقم٤٣ ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٨٤ ، رقم ٦٠٤١ ، كتاب الأدب ، باب الحب في الله .

لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وتفريغها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار " [١]

٣ - **علامات المحبة :**

ذكر علماء نجد رحمهم الله تعالى بعض علامات المحبة وهي :

١ - اتباع الرسول ﷺ ، فمن علامات محبة الله تعالى اتباع الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ قُلْ إن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٢]وهذه تُسمَّى آية المحنة . قال بعض السلف : ادَّعى قومٌ محبة الله ، فأنزل الله عز وجل آية المحنة ﴿ قُلْ إن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ إشارة إلى دليل المحبة ، وثمرتها وفائدتها . فدليلها وعلامتها : اتباع الرسول ﷺ ، وفائدتها وثمرتها : محبة المُرسل لكم ، فما لم تحصل المتابعة فلا محبة له حاصلة ، ومحبتُه لكم منتفية .

٢ - ومن علامات المحبة ما ذكره الله في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [٣] وذكر لهم أربع علامات :

أحدها : أنهم أذلة على المؤمنين ، قيل معناه : أرقاء رحماء مشفقين عليهم ، عاطفين عليهم ، فلما ضمَّن أذلة هذا المعنى عدَّاه بأداة على ، قال عطاء رحمه الله : للمؤمنين كالولد لوالده ، والعبد لسيده .

وعلى الكافرين كالأسد على فريسته : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٤] .

العلامة الثالثة : الجهاد في سبيل الله تعالى ، بالنفس واليد واللسان والمال وذلك يحقق دعوى المحبة .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٧٧ ، وانظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٦٤ - ٥٦٥ ، وإبطال التنديد ، ص ١٥٤ ، وكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ، ج١٠ ، ص ٢٠٥ .

[٢] سورة آل عمران الآية : ٣١ .

[٣] سورة المائدة الآية : ٥٤ .

[٤] سورة الفتح الآية : ٢٩ .

العلامة الرابعة : أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم . وهذا علامة صحة المحبة [١]

٢ - الخوف :

الخوف نوع من أنواع العبادة ، وقد قرر هذا جمع من علماء الدعوة [٢] ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله وهو يقرر أنواع العبادة :" ومنها : الخوف ، فلا يخاف خوف السر إلا من الله ، ومعنى خوف السر : هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره ، فهذا شرك أكبر ، لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله " [٣] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها ، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى " [٤] .

وقد استدل علماء الدعوة على هذا النوع بأدلة منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٥] .

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [٦] .

٣ - وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [٧] .

٤ - وقال تعالى : ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [٨] .

---

[١] انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦ ، وأصله نقل عن ابن القيم من مدارج السالكين ، ج٣ ، ص ٢٠ - ٢٣ .

[٢] انظر : الأصول الثلاثة ، ص ٦ ، والأصل الجامع لعبادة الله وحده ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٩ ، والانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ، ص ٥٠ ، ورسالة للشيخ حمد بن عتيق ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٤٣ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٧٣ .

[٥] سورة آل عمران الآية : ١٧٥ .

[٦] سورة النحل الآية : ٥١ .

[٧] سورة الرحمن الآية : ٤٦ .

[٨] سورة المائدة الآية : ٤٤ .

٥ - وقـال تعـالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [١] .

٣ - الرجاء :

من أنواع العبادة الرجاء ، وهذا ما قرره علماء الدعوة [٢] ، يقول الشيخ حمد بن عتيق وهو يعدد أنواع العبادة : " ومنها : الخوف ، والرجاء ... " [٣] ، فعد الرجاء من أنواع العبادة .

واستدل علماء الدعوة على هذا النوع بأدلة منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [٤] .

٢ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [٥] .

٤ - الإنابة :

ومن أنواع العبادة الإنابة كما ذكر ذلك الإمام محمد بن عبدالوهاب ، والشيخ حمد بن

---

[١] سورة يونس الآية : ١٠٧ .

[٢] انظر : الأصول الثلاثة ، ص ٦ ، والأصل الجامع لعبادة الله وحده ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨٠ ، ورسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٦٦ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠ ، والانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ، ص ٥٠ ، وجواب للشيخ عبدالله أبابطين ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠٣ ، والرسالة الثانية للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٥ ، ١٦ .

[٣] رسالة للشيخ حمد بن عتيق ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٤٣ .

[٤] سورة الكهف الآية : ١١٠ .

[٥] سورة يونس الآيتين : ٧ - ٨ .

عتيق [١] ، قال الإمام محمد مستدلاً لهذا النوع : " ودليل الإنابة قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [٢] " [٣] .

٥ - التأله :

من أنواع العبادة التأله كما ذكر ذلك الإمام محمد ، واستدل لذلك فقال : " ودليل التأله قوله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٤] " [٥] .

٦ - ٧ - ٨ - الرغبة والرهبة والخشوع :

ذكر هذه الأنواع الإمام محمد بن عبدالوهاب ، واستدل لها فقال : " ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [٦] " [٧] .

وقال أيضاً : " ودليل الخشوع قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [٨] الآية ونحوها ... " [٩] .

ومن أدلة الرغبة أيضاً ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن بقوله : " قال الله

---

[١] المصدر السابق ، ج١ ، ص ٧٤٣ .

[٢] سورة الزمر الآية : ٥٤ .

[٣] الأصول الثلاثة ، ص ٧ .

[٤] سورة البقرة الآية : ١٦٣ .

[٥] رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨١ .

[٦] سورة الأنبياء الآية : ٩٠ .

[٧] الأصول الثلاثة ، ص ٧ .

[٨] سورة آل عمران الآية : ١٩٩ .

[٩] رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨١ .

تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ ﴾ [(١)] ، أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى " [(٢)] .

٩ - الخشية :

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب في بيان شأن الخشية " خشية الله جامعة للدين كله " [(٣)] ، وقد عد الإمام محمد الخشية ضمن أنواع العبادة واستدل على ذلك بدليلين ، فقال : " ودليل الخشية قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ [(٤)] " [(٥)] .

وذكر الدليل الثاني في موضع آخر فقال : " ودليل الخشية قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [(٦)] " [(٧)] .

وكذلك ذكرها ابنه الشيخ عبدالله في أنواع العبادة ، واستدل لها فقال : " ومن أنواع العبادات أيضاً الخشية ، فلا تجوز الخشية إلا لله وحده قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(٨)] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [(٩)] ، فجعل الطاعة لله ولرسوله ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده " [(١٠)] .

---

(١) سورة الشرح الآيتين : ٧ - ٨ .

(٢) المحجة في الرد على اللجة ، ص ٨ - ٩ .

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٧٧ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٥٠ .

(٥) الأصول الثلاثة ، ص ٧ .

(٦) سورة المائدة الآية :٤٤ .

(٧) رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ٣٨٠ .

(٨) سورة آل عمران الآية : ١٧٥ .

(٩) سورة النور الآية : ٥٢ .

(١٠) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٨ .

١٠ - ١١ - ١٢ - الصلاة والركوع والسجود :

وقد بين هذه الأنواع الإمام محمد ، واستدل لها .

قال رحمه الله في مسائل سورة الكوثر عند قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [١] " السادسة والعشرون : إخلاص الصلاة " [٢] .

وفي بيان السجود يقول : " والعبادة أنواع كثيرة ؛ لكني أمثلها بأنواع ظاهرة لا تنكر ، من ذلك السجود ، فلا يجوز لعبد أن يضع وجهه على الأرض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، ولا لولي " [٣] .

وفي بيان دليل الركوع والسجود يقول رحمه الله : " ودليل الركوع والسجود قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٤] " [٥] .

وقال في شأن السجود عند قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [٦] " ختمها بالسجود الذي هو أشرف أفعال الصلاة " [٧] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في بيان هذه الأنواع : " ومنها : الصلاة والركوع والسجود " [٨] واستدل لذلك بالدليلين السابقين .

وفي بيان هذه الأنواع يقول الشيخ عبدالله بن محمد : " ومن أنواع العبادة الصلاة فلا يصلي إلا لله ، ولا يسجد ولا يركع إلا لله وحده ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

---

[١] سورة الكوثر الآية : ٢ .

[٢] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٨٩ .

[٣] رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٣ .

[٤] سورة الحج الآية : ٧٧ .

[٥] رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨١ .

[٦] سورة العلق الآية : ١٩ .

[٧] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٧٣ .

[٨] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١ .

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١] الآية " [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان شأن الصلاة وأنها كلها عبادة : " الصلوات الخمس هي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين ، .. والصلوات كلها عبادة ، وقد اشتملت على نوعي الدعاء - دعاء المسألة ودعاء العبادة - فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة ، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة ، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة لأنها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعاً " [٣] .

وفي بيان السجود يقول رحمه الله : " ولا ريب أن السجود نوع من أنواع العبادة كالدعاء ونحوه ، وقد ذكرها تعالى في كتابه وتعبد بها عباده ، وهي أنواع كثيرة " [٤] .

وقد تحدث عن هذه الأنواع غيرهم من علماء الدعوة [٥] .

١٣ - الذبح :

الذبح نوع من أنواع العبادة كما ذكر ذلك علماء الدعوة ، يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب : " والعبادة أنواع كثيرة ، لكني أمثلها بأنواع ظاهرة لا تنكر ، من ذلك السجود ... ومن ذلك الذبح ، فلا يجوز لأحد أن يذبح إلا لله وحده ، كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [٦] والنسك هو الذبح ، وقال : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [٧] فتفطن لهذا ، واعلم

---

[١] سورة الأنعام الآية : ١٦٢ .

[٢] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٨ .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ٧٧ .
وانظر : هذا المعنى فيما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في رسالة له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٤٤ .

[٤] القول الفصل النفيس ، ص ٢٦ .

[٥] انظر : رسالة للشيخ حمد بن عتيق ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٤٣ .

[٦] سورة الأنعام الآيتين : ١٦٢ - ١٦٣ .

[٧] سورة الكوثر الآية : ٢ .

أن من ذبح لغير الله ، من جني ، أو قبر ، فكما لو سجد له ، وقد لعنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح قال : « لعن الله من ذبح لغير الله »[١] "[٢] .

وقد ذكر هذا النوع من العبادة الإمام محمد في مواطن متعددة[٣] ، وذكره أيضاً جمع من علماء الدعوة .

يقول الشيخ عبدالله أبابطين : " وقد قرن الله سبحانه بين الصلاة والذبح في قوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[٤] ، أي : أخلص له صلاتك وذبيحتك ، فكما أن الصلاة لغير الله شرك ، فكذا قرين الصلاة ، وهو الذبح لغيره شرك "[٥] .

ويقول الشيخ حمد بن عتيق عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي ﴾ الآية .

" فالصلاة أجل العبادات البدنية ، والنسك أجل العبادات المالية ، فمن صلى لغير الله فقد أشرك ، ومن ذبح لغيره فقد أشرك "[٦] .

١٤ - النذر :

من أنواع العبادة النذر ، وقد نص على هذا جمع من علماء الدعوة[٧] ، يقول الشيخ سليمان : " ومنها : النذر ، قال الله تعالى : ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾[٨] ، وقال تعالى :

---

(١) أخرجه مسلم ، ج٣ ، ص ١٥٦٧ ، رقم ١٩٧٨ ، كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ، ولعن فاعله ، والنسائي في صحيحه ، ج٧ ، ص ٢٣٢ ، رقم ٤٤٢٢ ، في الضحايا ، باب من ذبح لغير الله عز وجل ، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) انظر : ثلاثة الأصول ، ص ٦ ، والأصل الجامع لعبادة الله ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠.

(٤) سورة الكوثر الآية : ٢ .

(٥) الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ، ص ٥١ .

(٦) إبطال التنديد ، ص ٦٤ .

(٧) انظر : ثلاثة الأصول ، ص ٦ ، ورسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد ن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٩ ، والانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ، ص ٥٠ ، ٧٢ .

(٨) سورة الحج الآية : ٢٩ .

﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [١] " [٢] .

ويقول الشيخ عبدالله : " ومن أنواع العبادة النذر ، فلا ينذر إلا لله وحده ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [٤] ، وقال النبي ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » [٥] " [٦] .

١٥ - الطواف :

قال الشيخ سليمان : " ومنها : الطواف ، فلا يطاف إلا ببيت الله . قال الله تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [٧] " [٨] .

١٦ - التوبة :

قال الشيخ سليمان : " ومنها : التوبة ، فلا يتاب إلا لله ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [١٠] " [١١] .

---

[١] سورة الإنسان الآية : ٧ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١ .

[٣] سورة البقرة الآية : ٢٧٠ .

[٤] سورة الإنسان الآية : ٧ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٤٠٧ ، رقم ٦٦٩٦ ، في كتاب الإيمان والنذور ، باب النذر في الطاعة ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر ﴾ ، ص ١٤٠٨ ، رقم ٦٧٠٠ ، باب النذر فيما لا يملك ، وفي معصية ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

[٦] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٩ .

[٧] سورة الحج الآية : ٢٩ .

[٨] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١ .

[٩] سورة آل عمران الآية : ١٣٥ .

[١٠] سورة النور الآية : ٣١ .

[١١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١ .

١٧ - الدعاء :

الدعاء نوع من أنواع العبادة ، بل هو العبادة ، وقد قرر ذلك علماء الدعوة .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب وهو يعدد أنواع العبادة : " فإن قيل : ما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى ؟ قلت : من أنواعها الدعاء ... " [١] .

وقال في موضع آخر : " ومن أنواع العبادة الدعاء ،كما كان المؤمنون يدعون الله ليلاً ونهاراً في الشدة والرخاء وحده ، لا يشك أحد أن هذا من أنواع العبادة " [٢] .

وقال الشيخ حمد بن معمر بعد أن عرف العبادة : " من ذلك الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله ، فمن طلبه من غيره أو استعانه فيه فقد عبده به ، والدعاء من أفضل العبادات ، وأجل الطاعات " [٣] .

وقال الشيخ عبدالله بن محمد : " والعبادة التي لا تصلح إلا لله ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره أنواع : منها الدعاء لجلب خير أو دفع ضر " [٤]، فعد رحمه الله الدعاء أول أنواع العبادة .

وعده الشيخ عبدالرحمن بن حسن من أعظم أنواع العبادة فقال : " وهي أنواع كثيرة ، ومن أعظمها الدعاء سماه الله عبادة في مواضع من كتابه " [٥] .

وقد استدل علماء الدعوة على أن الدعاء عبادة بأدلة منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [٦] .

---

[١] رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٩ ، وانظر ثلاثة الأصول ،ص ٦ .

[٢] رسالة للإمام محمد في بيان كلمة لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ١٧ .

[٣] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٩ .

[٤] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٨ .
وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالله حول هذا النوع في رسالة له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

[٥] القول الفصل النفيس ، ص ١٩ .

[٦] سورة غافر الآية : ٦٠ .

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [١] .

٣ - وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٢] .

٤ - وقال عن الخليل عليه السلام : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [٣] .

فسمى دعاءهم لغير الله عبادة ، كما ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن بن حسن عند هذه الآية [٤] .

٥ - وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [٥] .

وقال الشيخ حمد بن معمر عند هذه الآيه : " فأخبر : أنه لا أضل من هذا الداعي ، وأن المدعو لا يتسجيب له ، وأن ذلك عبادة سيكفر بها المعبود يوم القيامة ، كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [٦] " [٧] .

٦ - وقال تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [٨] .

---

[١] سورة الجن الآية : ١٨ .

[٢] سورة المؤمنون الآية : ١١٧ .

[٣] سورة مريم الآيتين : ٤٨ - ٤٩ .

[٤] انظر : القول الفصل النفيس ، ص ٢٧ .

[٥] سورة الأحقاف الآيتين : ٥ - ٦ ، وانظر هذه الأدلة في : ثلاثة الأصول ، ص ٦ ، والأصل الجامع لعبادة الله وحده ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص٣٧٩، والنبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٩ ، ٢٧ ، والكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٨ .

[٦] سورة مريم الآيتين : ٨١ - ٨٢ .

[٧] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٢٧ .

[٨] سورة الرعد الآية : ١٤ .

١٨ - الاستعانة :

من أنواع العبادة الاستعانة ، وهي طلب العون .

قال الشيخ حمد بن ناصر آل معمر مبينا معنى الاستعانة : " الإستعانة : طلب العون " [١] .

وقد نص علماء الدعوة على أن الاستعانة نوع من أنواع العبادة ، وفي بيان ذلك يقول الشيخ عبدالله بن محمد : " ومن أنواع العبادة الاستعانة " [٢] .

واستدل علماء الدعوة على هذا النوع بأدلة منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٣] .

قال الإمام محمد عند قوله تعالى : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ " وقوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ هذا فيه أمران ؛ أحدهما : سؤال الله الإعانة وهو التوكل والتبري من الحول والقوة ، وأيضاً : طلب الإعانة من الله كما مر أنها من نصف العبد " [٤] .

٢ - قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [٥] .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [٦] الآيات .

قال الإمام محمد في المقارنة التي عقدها بين سورة المدثر وسورة إقرأ : " أول ﴿ إقرأ ﴾ فيه الاستعانة ، وأول ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾ فيه الصبر .

- أول ﴿ إقرأ ﴾ فيه إخلاص الاستعانة ، وأول ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾ فيه العبادة .

---

(١) النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٨٨ .

(٢) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٩ .

(٣) سورة الفاتحة الآية : ٥ .

(٤) تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبدالوهاب ، ص ١٦ .
وانظر : الأصول الثلاثة ، ص ٧ ، ورسالة الأصل الجامع ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ص ٣٧٩.

(٥) سورة هود الآية : ١٢٣ .

(٦) سورة المدثر الآية : ١ .

- أول ﴿ إقرأ ﴾ فيه الاستعانة وأول ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾ فيه العبادة "[١] .

٤ - قال النبي ﷺ لابن عباس : « إذا استعنت فاستعن بالله »[٢] .

قال الشيخ عبدالله بن محمد بعد أن أورد شيئاً من هذه النصوص : " فمن استعان بغيرالله فقد أشرك في عبادة الله غيره "[٣] .

١٩ - الاستعاذة :

من أنواع العبادة الاستعاذة .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في بيان ذلك : " ومنها : الاستعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله "[٤] .

واستدل علماء الدعوة على ذلك بأدلة منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٥] .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾[٦] .

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٧] .

---

[١] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٦٦ بتصرف يسير .

[٢] أخرجه أحمد في المسند ،ج١ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، والترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٥٧٥ . رقم ٢٥١٦ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٥٩ ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، وابن أبي عاصم في السنة ، ج١ ص ١٣٨ . رقم ١٣٦ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة ، ج١ ، ص ١٣٨ .

[٣] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٩ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١ .

[٥] سورة فصلت الآية : ٣٦ .

[٦] سورة المؤمنون الآيتين : ٩٧ - ٩٨ .

[٧] سورة غافر الآية : ٥٦ .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [١] .

٥ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ ﴾ [٢] .

فتبين بهذه الأدلة أن الاستعاذة بالله عبادة لله من أجل العبادات [٣] .

٣٠ - الاستغاثة :

من أنواع العبادة الاستغاثة ، كما ذكر ذلك علماء الدعوة .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله في بيان ذلك : " ومنها : الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله " [٤] .

والاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ، كما بين ذلك الشيخ حمد بن ناصر آل معمر [٥] .

واستدل علماء الدعوة على هذا النوع بأدلة منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [٦] .

٢ - وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ [٧] .

٣ - وقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [٨] .

والاستغاثة بالله لا تنافي فعل الأسباب ، ودليل ذلك ما حكاه الله عن موسى

---

[١] سورة الفلق الآية : ١ .

[٢] سورة الناس الآيات : ١ - ٣ .

[٣] انظر : ما كتبه الإمام محمد بن عبدالوهاب حول هذه العبادة في تفسير سورة الفلق ، ص ١٦ ، وتفسير سورة الناس ، ص ١٩ ، ومؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢ .

[٥] انظر : النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٨٨ .

[٦] سورة الأنفال الآية : ٩ .

[٧] سورة الأنعام الآية : ١٧ .

[٨] سورة النمل الآية : ٦٢ .

عليـه السـلام كـمـا قـال تعـالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [١] ، قـال الإمـام محـمـد في استنبـاطه من هذه الآيه : " الثـانيـة : استـغـاثتـه بالله مع فعله السبب " [٢] .

هذه أهم أنواع العبادة التي تناولها علماء الدعوة ، وإنما ذكروها خاصة لأن عباد القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى ، أو أشركوا بين الله تعـالى وبينهم فيـهـا ، وإلا فكل نوع من أنواع العبـادة من صرفـه لغيـر الله أو أشـرك بين الله تعـالى وبين غـيـره فـيـه فـهـو مشرك [٣] .

---

[١] سورة القصص الآية : ٢١ .

[٢] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٢٨٧ .

[٣] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢ .

الفصل الثاني

جهودهم في تقرير كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى لا إلا إلا الله وفضلها .

المبحث الثاني : أركان لا إله إلا الله وشروطها .

المبحث الثالث : مقتضيات لا إله إلا الله وآثارها .

المبحث الأول

معنى لا إله إلا الله وفضلها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : معنى لا إله إلا الله .

المطلب الثاني : فضل لا إله إلا الله .

المطلب الأول

معنى لا إله إلا الله وفيه العناصر التالية :

أ - إعراب لا إله إلا الله .

ب - معنى لا إله إلا الله .

ج - أدلة معنى لا إله إلا الله .

د - الرد على من غلط في معنى لا إله إلا الله .

إعراب لا إله إلا الله :

لما كان فهم المعنى يتوقف على معرفة الإعراب ، اهتم العلماء ببيان إعراب لا إله إلا الله فقالوا :

لا : نافية للجنس .

إله : اسم لا مبني على الفتح .

وخبر (لا) محذوف تقديره (حق) .

إلا : أداة استثناء .

الله : مستثنى بإلا .

وهذا ما قرره علماء نجد رحمهم الله تعالى يقول الإمام محمد رحمه الله - بعد أن بين أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات - : " .. وهذا من معنى لا إله إلا الله فإن (لا) هذه النافية للجنس ، فنفى جميع الآلهة ، و (إلا) حرف استثناء ، يفيد حصر جميع العبادة على الله عز وجل ، و (الإله) اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بحق وهو الله تعالى ، وهو الذي يخلق ويرزق ويدبر الأمور ، و (التأله) التعبد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [1] .

ويوضح الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى إعرابها عند أهل العربية فيقول : " وهذا إعراب كلمة الإخلاص الذي يعرفه أهل العربية وغيرهم من العلماء في إعرابها فيقولون : (لا) نافية للجنس ، واسمها (إله) ، مبني معها على الفتح منفي بلا ، و (الإله) جنس يتناول كل معبود من بشر أو حجر أو شجر أو مدر أو غير ذلك ، فهذا الجنس على تعدد أفراده منفي بلا ، وخبر (لا) محذوف على الصحيح كما في الآيات وتقدم ذكره ، والاستثناء من الخبر ، و (إلا) أداة الاستثناء ، و(الله) هو المستثنى بإلا ، وهو الإله الحق وعبادته حق وقوله الحق ، والصحيح أنه مخرج من اسم لا وحكمه ، كما قرره العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - والأدلة على هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، وقد صرحت بذلك الآيات المحكمات ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٣ .

فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ [١] ، وهذا هو المنفي بلا في كلمة الإخلاص ، وقوله : ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ هو معنى إلا الله ، وهذا هو الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو أمته إليه ، وما خالف هذا فهو تلبيس وتشبيه وبهرج وباطل ، نعوذ بالله من كل قول يؤخذ عن غير القرآن ، وعن غير ما دان به أهل الإسلام والإيمان " [٢] .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في بيان إعراب لا إله إلا الله : " .. إذا عرفت ذلك فقولك : لا إله إلا الله ، فلا نافية للجنس ، والإله هو المألوه بالعبادة ، وهو الذي تألهه القلوب ، وتقصده رغبة إليه في حصول نفع أو دفع ضر ، كحال من عبد الأموات ، والغائبين ، والأصنام ، فكل معبود مألوه بالعبادة ، وخبر : لا المرفوع محذوف ، تقديره : حق ، وقوله : إلا الله استثناء من الخبر المرفوع ، فالله سبحانه هو الحق ، وعبادته وحده هي الحق ، وعبادة غيره منتفية بلا في هذه الكلمة ، قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [٣] ، فإلهية ما سواه باطلة ، فدلت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل " [٤] .

وقال رحمه الله تعالى في إعراب خبر (لا) : وخبر (لا) التي لنفي الجنس محذوف ، تقديره (حق) كما دل عليه القرآن ، قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [٥] ، وهذا قول أهل السنة والجماعة اتباعاً لما دل عليه القرآن ، ومن قدر الخبر المحذوف غير ذلك كقول بعضهم أن المحذوف (أحد) فلا حجة له ولا برهان " [٦] .

---

[١] سورة يونس الآية : ١٠٤ .

[٢] كتاب بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبدالمحمود ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

[٣] سورة الحج الآية : ٦٢ .

[٤] رسالة للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، الرسالة التاسعة ، ج٢ ، ص ٨٨ .

[٥] سورة الحج الآية : ٦٢ .

[٦] كتاب بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبدالمحمود ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٣٢ .

وبين رحمه الله أن تقدير الخبر في لا إله إلا الله هو (حق) فقال في رسالة بعثها إلى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن رحمه الله : " ... ويا أخي مر علينا في شرح الزاد في معنى قوله في الاستفتاح (ولا إله غيرك) أي : لا يستحق أن يعبد غيرك ، وهو يؤيد ما قد قلته لك من أن المقدر في كلمة الإخلاص إذا قال الموحد لا إله إلا الله ، أي : لا إله حق إلا الله ، والعامل في هذا المقدر (لا) على أنه خبرها في قول الأخفش [١] ، وعلى قول سيبويه [٢] لم تعمل فيه (لا) وإنما عمل فيه المبتدأ وهو (لا) مع اسمها ، فإن (لا) مع اسمها في محل رفع على الإبتداء .

والمقصود أن المقدر (حق) ليطابق ما في الآيتين في سورة الحج ولقمان " [٣] .

وقرر رحمه الله هذا في موضع آخر فقال : " فلا نافية للجنس نفياً عاماً إلا ما استثني ، وخبرها محذوف تقديره لا إله حق إلا الله . قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [٤] ، فإلهيته تعالى هي الحق وكل ما سواه من الآلهة فإلهيته باطلة كما في هذه الآية ونظائرها " [٥] .

وأبان الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله تعالى غلط من قدر الخبر بـ (موجود) أو (ممكن) فقال : "وقد غلط هنا بعض الأغبياء ، وقدر الخبر : (موجود) وبعضهم قدره : (ممكن) ومعناه : أنه لا يوجد ، ولا يمكن وجود إله آخر ، وهذا جهل بمعنى الإله ، ولو أريد بهذا الاسم : الإله الحق وحده ، لما صح النفي من أول وهلة ، والصواب : أن يقدر الخبر (حق) ، لأن النزاع بين الرسل وقومهم في كون آلهتهم حقاً أو باطلاً ، قال

---

(١) سعيد بن مسعدة المجاشعي ، قرأ النحو على سيبويه وكان أسن منه ، وكان معتزلياً ، وله رواية ، وله مصنفات منها : الأوسط ، توفي سنة ٢١٥هـ .
انظر في ترجمته : إشارة التعيين ، ص ١٣١ ، بغية الوعاة ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(٢) عمر بن عثمان بن قنبر الفارسي ، ثم البصري ، المعروف بسيبويه ، أبو بشر ، إمام النحاة ، حجة العرب ، طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل العصر ، وقد صنف في النحو كتاباً لا يحلق شأوه ، المعروف بكتاب سيبويه ، اهتم به علماء العربية من المشرق والمغرب ، مات سنة ١٨٠هـ .
انظر في ترجمته : إشارة التعيين ، ص ٢٤٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، ص ٣٥١ ، الأعلام ، ج٥ ، ص ٨١ ، معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص ٥٨٤ .

(٣) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بعثها إلى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٧٦ .

(٤) سورة الحج الآية : ٦٢ .

(٥) قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ٣١ - ٣٢ .

تعـالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [١] ، وأمـا إلهـيـة الله : فـلا نزاع فيها ، ولم ينفها أحد ممن يعترف بالربوبية .

ولكن زعـمـوا : أن إلهـيـة أندادهم وأصنامـهم حق أيضـاً ، ولذلك قـالت لهم رسلهم : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٢] ، ويادر منهم من جـحـد ذلك بقـولـه : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [٣] لما دعي إلى هذه الكلمـة ، فـأنكروا إبطال عـبـادتهـا المسـتلزم لإبطال تسميتها ، وهذا مستفيض عندهم ، قد ارتاضت به ألسنتهم ، لا يحتاجون فيه إلى موقف ومعلم ، بل عـرفـوه بمجرد الوضع ، قـال أبوجهل لأبي طالب لما دعاه النبي ﷺ إلى كلمة الإخلاص : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فعرف بعربيته : أنها تبطل عبادة وإلهية من عبده عـبـدالمطلب وقـومـه وهذا قـصـر إفـراد ، لا قـصـر قلب ، لأن المقـصـود إفـراده بالإلهـيـة واستحقاقها ، فيكون النفي على هذا منصباً على الخبر ، وهو : (حق) المقدر ، وتقديره : موجود أو ممكن لا يفيـد مـا تقدم ، إلا إذا وصف الاسم بحق ، وقـيـل : لا إله حق موجود ، فحينئذ يستقيم الكلام ، ويرجع إلى ما قلنا ، و (لا) هذه هي النافـيـة للجنس ، واسمـهـا يُبنى معها على الفتح على المشهور ، والخبر ما مر تقديره ، و (إلا) أداء استثناء ، وما بعدها هو المستثنى ، وهو مرفوع ، والعامل فيه هو العامل في الخبر ، لأنه بدل منه عند البصـريين ، وعند الكوفـيين : هو عطف نسق ، قـال ثعلب [٤] : كـيف يكون بدلاً ، وهو موجب ، ومتبوعه منفي ، يريد : أن التابع والمتبوع لا بد أن يتوافقا نفياً وإثباتاً ، وأجيب عنه : بأنه بدل منه في عـمـل العـامـل ، وتخالفـهـمـا في النفي والإيجاب لا يمنع البدليـة ، وأجاب : خالد الأزهري [٥] : بأن محل اشتراط ذلك في غير بدل البعض .

---

[١] سورة سبأ الآية : ٢٤ .

[٢] سورة الأعراف الآيات : ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ .

[٣] سورة ص الآية : ٥ .

[٤] أحمد ب يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي ، (العلامة المحدث ، إمام النحو) قال الخطيب : ثقة ، دين صالح ، مشهور بالحفظ ، له مصنفات منها " القراءات " و " اختلاف النحويين " مات سنة ٢٩١هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٤ ، ص ٥ ، البداية النهاية ، ج١١ ، ص ٩٨ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

[٥] خالد بن عبدالله بن أبي بكر المصري الأزهري ، يعرف بالوقاد ، نحوي لغوي ، له عدة تصانيف منها : المقدمة الأزهرية في علم العربية ، والتصريح بمضمون التوضيح ، توفي سنة ٩٠٥هـ .
انظر في ترجمـتـه : شذرات الذهب ، ج٨ ، ص ٢٦ ، كشف الظنون ، ج١ ، ص ١٢٤ ، ١٥٤ ، مـعـجـم المؤلفين ، ج١ ، ص ٦٦٨ .

قلت : وبما قالوه يُعلم : أن المستثنى مغاير للمستثنى منه معنى ولفظاً ، فمن أجهل خلق الله وأضلهم من فهم دخول المثبت في المنفي ، والمستثنى في المستثنى منه ، فكيف يتوهم من يعقل ما يقول دخول الإله الحق في اسم (لا) المنفي ؟! وهل بعد هذا التوهم من الضلال أمد ينتهي إليه ؟ " [١] .

معنى لا إله إلا الله :

لقد عني أئمة الدعوة رحمهم الله ببيان معنى هذه الكلمة العظيمة ودلالتها ، وأفردوها بالتأليف ، فأفردها الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى برسالة في جواب سؤال ، وتكلم عليها في كتاب التوحيد وكشف الشبهات وغيرها من كتبه ، وكانت هي المحور الأساس الذي دارت عليه رسائله الشخصية وغيرها ، وتبعه تلاميذه ومن بعدهم في العناية بها وتقريرها .

يقرر الشيخ محمد معنى لا إله إلا الله فيقول : " ومعناها : لا معبود بحق إلا الله (لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله ، (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه " [٢] :

وسئل عن معنى لا إله إلا الله فأجاب بقوله : " فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات : نفي الإلهية عما سوى الله سبحانه تعالى من المرسلين حتى محمد ﷺ ومن الملائكة حتى جبريل فضلاً عن غيرهما من الأنبياء والصالحين ، وإثباتها لله عز وجل " [٣] .

وفي رسالة كتبها للعامة قال رحمه الله : " ومعنى (لا إله) نفي و (إلا الله) إثبات ، فإذا قيل لك : أيش أنت نافي وأيش أنت مثبت ؟ فقل : نافي جميع ما يعبد من

---

(١) رسالة للشيخ عبداللطيف ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٢٩ - ٣٣١ .

(٢) الأصول الثلاثة ، ص ٨ .

(٣) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، الرسالة الثالثة ، تفسير كلمة التوحيد ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

دون الله ، مثبت العبادة لله وحده لا شريك له " [١] .

وقال في رسالة أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم في بلدة العيينة : " .. إذا عرفتم ذلك فاعلموا أن قول الرجل : لا إله إلا الله نفي وإثبات ، إثبات الألوهية كلها لله وحده ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم ... " [٢] .

وكتب الشيخ رحمه الله كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقال : " ... فلا إله إلا الله ، نفي وإثبات الإلهية كلها لله ، فمن قصد شيئاً من قبر ، أو شجر ، أو نجم ، أو ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، لجلب نفع ، وكشف ضر ، فقد أتخذه إلهاً من دون الله مكذب بلا إله إلا الله يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل " [٣] .

وكتب أيضاً كلمات في بيان : شهادة أن لا إله إلا الله فقال : " ... فاعلم : أن معنى هذه الكلمة : نفي الإلهية عما سوى الله تبارك وتعالى ، وإثباتها كلها لله وحده ، لا شريك له ، ليس فيه حق لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ... " [٤] .

وبين رحمه الله أن لا إله إلا الله تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع ، فقال : " اعلم رحمك الله : أن معنى لا إله إلا الله ، نفي ، وإثبات ، لا إله نفي ، إلا الله إثبات ، تنفي أربعة أنواع ، وتثبت أربعة أنواع ، المنفي الآلهة ، والطواغيت ، والأنداد ، والأرباب .

فالإله : ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر ، فأنت متخذه إلهاً ، والطواغيت : من عبد ، وهو راض ، أو ترشح للعبادة ، مثل : شمسان أو تاج ، أو أبوحديدة .

---

(١) تلقين أصول العقيدة للعامة ، الرسالة الرابعة ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧١ .

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ١٨٧ .

(٣) رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٨٧ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٢٦ .

(٤) رسالة للإمام محمد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ١٦ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٢ ، وانظر: المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٢٦ ، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٨ ، وانظر : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٣ ، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢١ .

والأنداد : ما جذبك عن دين الإسلام ، من أهل ، أو مسكن ، أو عشيرة ، أو مال فهو ند لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (١) .

والأرباب : من أفتاك بمخالفة الحق ، وأطعته مصدقاً ، لقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

وتثبت أربعة أنواع : القصد : كونك ما تقصد إلا الله ، والتعظيم ، والمحبة لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (٣) ، والخوف والرجاء لقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤) ... " (٥) .

وقرر الشيخ معنى لا إله إلا الله في إحدى خطبه فقال : " .. حقيقة لا إله إلا الله الذي هو إفراده بجميع العبادات وتخصيصه بالقصد والإرادات ، ونفيها عما سواه من جميع المعبودات التي نفتها لا إله إلا الله ، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله الذي لا يبقى في القلب شيئاً لغير الله ، ولا إرادة لما حرم الله ، ولا كراهة لما به أمر الله ، هذا والله هو حقيقة لا إلا إلا الله ، وأما من قالها بلسانه ونقضها بفعاله فلا ينفعه قول لا إله إلا الله . فمن صرف لغير الله شيئاً من العبادات وأشرك به أحداً من المخلوقات فهو كافر ولو نطق ألف مرة بلا إله إلا الله ، قيل للحسن (٦) رحمه الله تعالى : إن ناساً يقولون : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قالها وأدى حقها وفرضها أدخلته الجنة لا إله إلا الله ،

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٣١ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

(٤) سورة يونس الآية : ١٠٧ .

(٥) رسالة للشيخ الإمام محمد في معنى لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٦) الحسن بن الحسن يسار البصري ، أبوسعيد ، إمام أهل البصرة ، وخير أهل زمانه ، كان من سادات التابعين وكبرائهم ، جمع العلم والزهد والورع والعبادة مات سنة ١١٠هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٦٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٥٦٣ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٣٦ ، الأعلام ، ج٢ ، ص ٢٢٦ .

وقال ابن منبه [(١)] لمن قال له : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك ، لأنك في الحقيقة لم تقل لا إله إلا الله ، فيا ذوي الأسماع العتيدة ، لا تظنوا أمور الشرك منكم بعيدة ، فإن ههنا مهاوٍ شديدة ، تقدح في لا إله إلا الله ، أين من وحد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة ؟ أين من خصه بالذل والخضوع والتعظيم والقصد وأفرده بالتوكل فجعل عليه اعتماده ؟ . كل هذا من معاني لا إله إلا الله ... " [(٢)] .

وقرر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى : " أن لا إله إلا الله معناها ترك كل معبود سوى الله وإخلاص الإلهية له تعالى وحده " [(٣)] .

وهذا ما قرره ابنه الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى بقوله : " فإن أصل الإسلام : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ومضمون شهادة ألا إله إلا الله : ألا يعبد إلا الله وحده ، فلا يدعى إلا هو ، ولا يستغاث إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يخاف إلا منه ، ولا يرجى إلا هو ... " [(٤)] .

وقال الشيخ سعيد بن حجي رحمه الله تعالى في رسالة بعنوان " الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله : " معنى لا إله إلا الله : أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً و (شيئاً) ، أنكر النكرات وأن لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله " [(٥)] .

وبين الشيخ سليمان بن عبدالله معنى لا إله إلا الله في كتابه - " تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد " - في كثير من المواضع كلما مرت المناسبة ، واعتنى رحمه الله

---

(١) وهب بن منبه ابن كامل بن سيج الأنباوي ، اليماني ، أبوعبدالله ، العلامة ، الإخباي ، القصصي ، مات سنة بضع عشرة ومائة .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص ٣٥ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٥٤٤ ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٢٧٦ ، تهذيب التهذيب ، ج١١ ، ص ١٦٦ ، تقريب التهذيب ، ص ١٠٤٥ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٥٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٥ .

(٤) رسالة للإمام سعود بن عبدالعزيز ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٩١ .

(٥) رسالة الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٤٤ ، والطبعة المستقلة ، طبعة دار ابن حزم ، ص ٢١ .

تعالى بإبراز معناها وما دلت عليه وما تضمنته ، وأورد الأدلة على ذلك ، وحكى عن العلماء ما قالوه في معنى لا إله إلا الله .

قال رحمه الله تعالى في " باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب " تحت حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه المتقدم : " ومعنى (لا إله إلا الله) أي : لا معبود بحق إلا إله واحد ، وهو الله وحده لا شريك له .. فهذا هو معنى لا إله إلا الله ، وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه ، وهو الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله . فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله ، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل ، وإثباتها أظلم الظلم ، فلا يستحق العبادة سواه ، كما لا تصلح إلهية لغيره ، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه ، وإثباتها له وحده لا شريك له ، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهاً وحده ، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً ، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات ، كما إذا رأيت رجلاً يستفتي أو يستشهد من ليس أهلاً لذلك ، ويدع من هو أهل له ، فتقول : هذا ليس بمفت ولا شاهد المفتي فلان ، والشاهد فلان ، فإن هذا أمر منه ونهي ... "[(١)] .

وقال رحمه الله تعالى في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله على قول الإمام محمد : وفي رواية : « إلى أن يوحدوا الله »[(٢)] ما نصه : " وأشار المصنف رحمه الله بإيراد هذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، إذ معناها توحيد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه . فلذلك جاء الحديث مرة بلفظ « شهادة أن لا إله إلا الله »[(٣)] ، ومرة « إلى أن يوحدوا الله » ، ومرة « فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات »[(٤)] ، وذلك هو الكفر

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٣ .

(٢) أخرجها البخاري في صحيحه ، ص ١٥٤٥ ، رقم ٧٣٧٢ ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج ١ ، ص ٥٠ ، رقم ١٩ ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٢٨٩ ، رقم ١٤٥٨ ، كتاب الزكاة ، بابٌ : لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، ومسلم في صحيحه ، ج ١ ، ص ٥١ ، رقم ١٩ ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

بالطاغـوت ، والإيمان بالله الذي قـال الله فـيـه : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾ [1] ، ومـعنى الكفـر بالطاغـوت : هو خلع الأنداد والآلهة التي تدعى من دون الله من القلب ، وترك الشرك بها رأساً ، وبغضه وعداوته .

ومعنى الإيمان بالله : هو إفراده بالعبادة التي تتضمن غاية الحب بغاية الذل والانقياد لأمره ، وهذا هو الإيمان بالله المستلزم للإيمان بالرسل عليهم السلام ، والمستلزم لإخلاص العبادة لله تعالى ، وذلك هو توحيد الله تعالى ودينه الحق المستلزم للعلم النافع والعمل الصالح ، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله ، وحقيقة المعرفة بالله ، وحقيقة عبادته وحده لا شريك له ، فلله ما أفقه من روى هذا الحديث بهذه الألفاظ المختلفة لفظاً المتفقة معنى ، فعرفوا أن المراد من شهادة أن لا إله إلا الله هو الإقرار بها علماً ونطقاً وعملاً ، خلافاً لما يظنه بعض الجهال أن المراد من هذه الكلمة هو مجرد النطق بها ، أو الإقرار بوجود الله أو ملكه لكل شيء من غير شريك ، فإن هذا القدر قد عرفه عباد الأوثان وأقروا به ، فضلاً عن أهل الكتاب ، ولو كان كذلك لم يحتاجوا إلى الدعوة إليه " [2] .

وبين في باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله " .. أن معنى (لا إله إلا الله) هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد ، وإفراد الله بالعبادة ... " [3] ، وذكر رحمه الله في هذا الباب الأدلة التي تفسر معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وبين وجه الدلالة من كل دليل ، ووضح أنه يحمل معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، وسأذكر هذه الأدلة وتعليق الشيخ سليمان عليها في مبحث أدلة معنى لا إله إلا الله .

ومن تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله ما قاله الشيخ عبدالعزيز الحصين والشيخ عبدالله أبابطين [4] رحمهما الله ، يقول الشيخ عبدالعزيز : " فليس الموحد إلا من اجتمع قلبه ولسانه على الله ، مخلصاً له تعالى ألوهيته المقتضية لعبادته ، بمحبته ، وخوفه ،

---

[1] سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

[2] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

[3] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٠ .

[4] انظر : جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

ورجائه ، ودعائه ، والاستعانة به والتوكل عليه ، وحصر الدعاء بما لا يقدر على جلبه ، أو دفعه عنه إلا الله وحده والموالاة في ذلك ، والمعاداة فيه ، وأمثال هذا ، عالماً بالفرق بين حق الخالق والمخلوق من الأنبياء والأولياء مميزاً بين الحقين ، وذلك : واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ، وفي حال القلب أيضاً وعبادته وقصده ، وإرادته ومحبته وموالاته وطاعته .

فهذا من تحقيق معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن معنى الإله عند الأولين : ما تألهه القلوب بالمحبة التي كحب الله ، والتعظيم والإجلال والخضوع والرجاء والالتجاء والتوكل والدعاء بما هو مختص بالله وذبح النسك له " [١] .

وقرر الشيخ عبدالعزيز الحصين [٢] والشيخ عبدالله أبابطين رحمهما الله تعالى معنى شهادة : ألا إله إلا الله ، يقول الشيخ عبدالله : " معنى شهادة : ألا إله إلا الله ، أن يقولها نافياً قلبه ولسانه الإلهية عن كل ما سواه ، ومثبتها لمستحقها ، وهو الله المعبود بالحق ، فيكون معرضاً بقلبه ، عن جميع المخلوقات ، لا يتألههم فيما لا يقدر عليه إلا الله ، مقبلاً على عبادة رب الأرض والسماوات ، وذلك يتضمن إرادة [٣] القلب في عبادته ومعاملته ، ومفارقته في ذلك كل ما سواه ، فيكون مفرقاً في علمه وقصده ، وشهادته وإرادته ، ومعرفته ومحبته ، بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون عالماً بالله ، ذاكراً له ، عارفاً به ، وأنه تعالى مباين لخلقه ، منفرد عنهم ، بعبادته ، وأفعاله ، وصفاته ، ويكون محباً له ، مستعيناً به ، لا بغيره ، متوكلاً عليه ، لا على غيره ... " [٤] .

وسئل الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله تعالى عن معنى لا إله إلا الله ؟ وما تنفي ، وما تثبت ؟ فأجاب رحمه الله : " ... فالإله ، هو المعبود ، والتأله التعبد ، ومعناها : لا

---

(١) رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٧٩ .

(٢) انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٨٠ .

(٣) في رسالة الشيخ عبدالعزيز الحصين " وذلك يتضمن اجتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله تعالى " .

(٤) جواب للشيخ عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٥ .

معبود إلا الله ، نفت الإلهية عمن سوى الله ، وأثبتتها لله وحده ... " [١] .

وفي جواب آخر عن معنى لا إله إلا الله قال رحمه الله : " معنى (لا إله إلا الله) عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الإله بالمعبود ، والتأله : التعبد ... ولا إله إلا لله : متضمنه للكفر بما يعبدون من دونه ، لأن معنى لا إله إلا الله : إثبات العبادة لله وحده ، والبراءة من كل معبود سواه ؛ وهذا معنى الكفر بما يعبد من دونه ، لأن معنى الكفر بما يعبد من دونه البراءة منه واعتقاد بطلانه ، وهذا معنى الكفر بالطاغوت في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [٢] ، والطاغوت : اسم لكل معبود سوى الله كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [٣] وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله » [٤] ، فقوله : " وكفر بما يعبد من دون الله " الظاهر : أن هذا زيادة إيضاح ، لأن لا إله إلا الله ، متضمنة الكفر بما يعبد من دون الله ... " [٥] .

وهذا المعنى قرره الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في مؤلفاته .

قال رحمه الله في (قرة عيون الموحدين) : " ومعنى هذه الكلمة نفي الإلهية عن كل شيء سوى ما استثني بها وهو الله تعالى " [٦] .

ولما ذكر قوله ﷺ : " من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " [٧] قال رحمه

---

[١] جواب للشيخ عبدالله ضمن الدرر السنية في الإجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠٣ .

[٢] سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

[٣] سورة النحل الآية : ٣٦ .

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٣ ، رقم ٢٣ ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله - من حديث طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه .

[٥] جواب للشيخ عبدالله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠١ - ٥٠٢ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

[٦] قرة عيون الموحدين ، ص ٣٣ .

[٧] سبق تخريجه ، ص ١١٢.

الله : " وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك ، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر ، فإن من لم يكن مخلصاً فهو مشرك ، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق ، والمخلص أن يقولها مخلصاً الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى ... " [1] .

ولما ذكر قول النبي ﷺ لعمه أبي طالب « يا عم ، قل لا إله إلا الله » [2] قال : " أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دلت على نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده ، فإن من قالها عن علم ويقين وقبول فقد أنكر الشرك وتبرأ منه ، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه ، ولهذا عارضوا قول النبي ﷺ بقولهم : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ لأن ملة عبدالمطلب الشرك بعبادة الأوثان ، كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك " [3] .

وكتب الشيخ عبدالرحمن رحمه الله رسالة إلى أهل الأحساء بين فيها ما دلت عليه شهادة ألا إله إلا الله وما تضمنته فكان مما قال : " وأوصيكم : بما دلت عليه شهادة ألا إله إلا الله ، وما تضمنته من نفي الإلهية عما سوى الله ، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، والبراءة من كل دين يخالف ما بعث الله به رسله من التوحيد " [4] .

وفي جواب له قال : " .. ومعنى لا إله إلا الله أي : لا معبود حق إلا الله " [5] .

وقال في جواب آخر : " .. ومعناها نفي الشرك في الإلهية عما سوى الله ، وإفراد الله تعالى بالألهية .. " [6] .

---

[1] المصدر السابق ، ص ٢٦ .

[2] سبق تخريجه ، ص ١٧٠.

[3] المصدر السابق ، ص ١١٠ - ١١١ .

[4] رسالة للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٣ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٢٩ .

[5] جواب للشيخ عبدالرحمن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٢٠ ، وانظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٤٣ .

[6] جواب للشيخ عبدالرحمن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، الرسالة الثانية ، ج٢ ، ص ١٥ ، وانظر : القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

وهذا المعنى قرره ابنه الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى ، يقول رحمه الله : " ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله هو عبادة الله ، وترك عبادة ما سواه ، فمن استكبر عن عبادته ولم يعبده فليس ممن يشهد أن لا إله إلا الله ، ومن عبده وعبد معه غيره فليس هو ممن يشهد أن لا إله إلا الله " [1] .

وقال في مصباح الظلام " ... والمقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من البراءة من كل معبود سوى الله ، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له ، والإيمان بالرسل ، والتزام متابعتهم ، هذا هو مدلول الشهادتين ... " [2] .

وفي رسالة تنزيه الذات والصفات من درن الإلحاد والشبهات لبعض علماء نجد الأعلام : " ومعنى لا إله إلا الله توحيده في عبادته مع التبرئ من كل معبود سواه ، كما أخبر الله عن نبيه إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [3] ، وهذا هو الذي تضمنه قول لا إله إلا الله ، فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها والعمل به لا بمجرد قولها باللسان ، ومعناها : هو إفراد الله بالإلهية والعبادة ، والنفي لما يعبد من دونه " [4] .

أدلة معنى لا إله إلا الله :

ومن وجوه عنايتهم ببيان معنى هذه الكلمة العظيمة إيراد الأدلة على ما قرروه من معناها من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم :

أ - من الكتاب :

أورد الإمام محمد في كتاب التوحيد ، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله أربع آيات تبين معنى لا إله إلا الله [5] ، وهي :

---

[1] الاتحاف في الرد على الصحاف ، ص ٣٣

[2] مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

[3] سورة الزخرف الآيتين : ٢٦ - ٢٧ .

[4] ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٦٧٠.

[5] انظر : كتاب التوحيد ، ص ٣٣ .

١ - يقول الله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [١]

وأورد الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في شرحها أقوال المفسرين [٢] ثم قال : " ... فتبين أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله : هو ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين ، والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر وتحويله ، فكيف ممن أخلص لهم الدعوة ، وأنه لا يكفي في التوحيد دعواه ، والنطق بكلمة الشهادة من غير مفارقة لدين المشركين ، وأن دعاء الصالحين لكشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر ، نبه عليه المصنف [٣] " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد أن ذكر تفسير هذه الآية : " وتبين بهذه الآية أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم ، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الإخلاص ، فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد ... " [٥] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٦] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله بعد أن ذكر تفسير هذه الآية : " فتبين بهذا أن معنى لا إله إلا الله هو البراءة مما يعبدون من دون الله ، وإفراد الله بالعبادة ، وذلك هو التوحيد لا مجرد الإقرار بوجود الله وملكه وقدرته وخلقه لكل شيء ، فإن

---

[١] سورة الأسراء الآية : ٥٧ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤١ - ١٤٢ ، فتح المجيد ، ص ٢٠٥ - ٢٠٨ ، قرة عيون الموحدين ، ص ٥٥ - ٥٧ ، إبطال التنديد ، ص ٤٨ .

[٣] الإمام محمد في كتاب التوحيد ، ص ٣٤ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ٥٥ - ٥٦ .

[٦] سورة الزخرف الآيتين : ٢٦ - ٢٨ .

هذا يقرُّ به الكفار وذلك هو معنى قوله : ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [1] فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله . قاله المصنف [2] " [3] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : " الكلمة هي لا إله إلا الله بإجماع أهل العلم ، وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي أريد بها ووضعت له ، فعبر عن المنفي بها بقوله : ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [4] ، وعبر عما أثبتته بقوله ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَ ﴾ [5] ، فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك ، فما أحسن هذا التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه ... " [6] .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [7] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في الكلام على هذه الآية : " ومراد المصنف رحمه الله بإيراد الآية هنا أن الطاعة في تحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، من العبادة المنفية من غير الله تعالى ، ولهذا فسرت العبادة بالطاعة ، وفسر الإله بالمعبود المطاع ، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك فقد عبده ، إذ معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة ، وإفراد الرسول بالمتابعة ، فإن من أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله ، وهذا أعظم ما يبين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، لأنها تقتضي نفي الشرك في الطاعة ، فما ظنك بشرك العبادة ، كالدعاء والاستغاثة

---

(1) سورة الزخرف الآيتين : ٢٦ - ٢٧ .

(2) الإمام محمد في كتاب التوحيد ، ص ٣٤٥ .

(3) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٤ .

(4) سورة الزخرف الآية : ٢٦ .

(5) سورة الزخرف الآية : ٢٧ .

(6) قرة عيون الموحدين ، ص ٥٧ ، وانظر معنى هذه الآية في مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة والآداب الإسلامية ، تلقين أصول العقيدة للعامة ، ص ٣٧١ ، ورسائل للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية ، ج٢ ، ص ٢١٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧١ ، ورسالة في معنى العبادة للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٧٠ .

(7) سورة التوبة الآية : ٣١ .

والتوبة وسؤال الشفاعة وغير ذلك من أنواع الشرك في العبادة ... " [١] .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في شرحه لهذه الآية : " قال المنصف رحمه الله في مسائله : ومنها ، أي : من الأمور المبينة لتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [٣] ، وذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ، ولم يدخلهم في الإسلام ، فكيف بمن أحب الند حباً أكبر من حب الله ؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ، ولم يحب الله ؟! قلت : مراده أن معنى التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، هو إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ... " [٤] .

ومن الآيات التي ذكرها علماء الدعوة في معنى هذه الكلمة غير ما تقدم .

٥ - قال الله تعالى : ﴿ الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [٥] " فقوله ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا ﴾ فيه معنى : لا إله ، وقوله : ﴿ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة ، وفي هذه الآيات : نفي الإلهية عما سوى الله نفياً عاماً بلا النافية للجنس ، وأثبت الإلهية له وحده دون كل ما سواه " [٦] .

٦ - وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ

---

(١) تيسر العزيز الحميد ، ص ، ١٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

(٣) سورة البقرة الاية : ١٦٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، وانظر : المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢١٤ - ٢١٩ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ ، وإبطال التنديد، ص ٥٠ .

(٥) سورة هود الآيتين : ١ - ٢ .

(٦) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في تقرير الإلهية ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢١٣ .

اللَّهَ ﴾ [(١)] ، والكلمة هي : لا إله إلا الله بالإجماع ، فسرها بقوله : ﴿ سواءٍ بيننا وبينكم ﴾ أي : نكون فيها سواء ، علماً ، وعملاً ، وقبولاً ، وانقياداً ، فقال : ﴿ ألاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ فنفى ما نفته لا إله إلا الله ، بقوله : ﴿ ألاَّ نعْبد ﴾ ، وأثبت ما أثبتته : لا إله إلا الله بقوله : ﴿ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ " [(٢)] .

٧ - وقال تعالى : ﴿ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [(٣)] " فهذا أعظم أمر ، أمر الله به عباده ، وخلقهم له ، ففي قوله : ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا ﴾ نفي الشرك الذي نفته لا إله إلا الله ، وقوله : ﴿ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ هو الإخلاص الذي أثبتته لا إله إلا الله " [(٤)] .

٨ - وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [(٥)] " قضى أي أمر ﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا ﴾ فيه من النفي ما في معنى لا إله وقوله ﴿ إِلاَّ إِيَّاه ﴾ هذا هو الإثبات ، الذي أثبتته : لا إله إلا الله " [(٦)] .

٩ - وقال تعالى ، في معنى هذه الكلمة عن أصحاب الكهف : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [(٧)] ، " ففي قوله : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ معنى : لا إله ، وقوله : ﴿ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص ، وقال تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

(٢) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧١ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٤٧ - ٥٤٨ ، وانظر ثلاث رسائل للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٤٣ ، ج٢ ، ص ٢١٤ ، ٢٥٢ ، وجواب له ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٣٢ .

(٣) سورة يوسف الآية : ٤٠ .

(٤) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٤٨ ، وانظر رسالتين للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٤٣ ، ج٢ ، ص ٢١٣ ، وجواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٢٧.

(٥) سورة الاسراء الآية : ٢٣ .

(٦) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٤٨ ، وانظر رسالتين للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٤٣ ، ج٢ ، ص ٢١٣ ، وجواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٢٧.

(٧) سورة الكهف الآية : ١٦ .

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ [١] ... " [٢] .

١٠ - وقـــال الله تعـــالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [٣] .

قال الإمام محمد عند هذه الآية : " العروة الوثقى : شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي متضمنة للنفي والإثبات ، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في تعليقه على هذه الآية : " وهذا معنى لا إله إلا الله ، فإنها هي العروة الوثقى " [٥] .

١١ - وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [٦] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد هذه الآية : " فقوله : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا ﴾ هو معنى : (لا إله) وقوله : ﴿ إِلَّا اللَّهَ ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص ، فهذا هو تحقيق معناها " [٧] .

١٢ -قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٨] .

---

(١) سورة الكهف الآية : ١٤ .

(٢) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٣٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٤) رسالة معنى الطاغوت ورؤس أنواعه ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٨ .

(٥) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٨ .

(٦) سورة الأحقاف الآية : ٢١

(٧) رسالة للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ص ٢٤٨ .

(٨) سورة الأنبياء الآية : ١٠٨ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " بين تعالى أن توحيد الإلهية هو الإسلام ، والأعمال كلها لا يصلح منها شيء إلا بهذا التوحيد ، وهو أساس الملة ، ودعوة الرسل والدين كله من لوازم هذا الأصل وحقوقه " [١] .

١٣ - وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " أي : الذي لا تصلح الإلهية إلا له وحده ، فانتفت الإلهية وبطلت في حق كل ما سوى الله " [٣] .

١٤ - وقال تعالى : قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " فهذا هو الذي أمر به ﷺ ، ودعا الناس إليه ، وهو إخلاص العبادة وتخليصها من الشرك ، قولاً ، وفعلاً ، واعتقاداً .

وقد فعل ﷺ ذلك ، ودعا الناس إليه ، وجاهدهم عليه حق الجهاد ، وهذا هو حقيقة دين الإسلام " [٥] .

١٥ - وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٦] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن عند هاتين الآيتين : " وهذا هو مضمون شهادة ألا إله إلا الله ، ومضمون شهادة أن محمداً رسول الله ، وجوب اتباعه ، والرضى به نبياً ورسولاً ، ونفي البدع ، والأهواء المخالفة لما جاء به ﷺ ، فلا غناء لأحد عن

---

[١] رسالة للشيخ عبدالرحمن بعثها إلى الإخوان من أهل القصيم ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

[٢] سورة الكهف الآية : ١١٠ .

[٣] رسالة للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ ، وانظر هذا الاستدلال في رسالة للشيخ عبدالرحمن بعثها إلى الإخوان الأمير محمد بن أحمد والشيخ عبداللطيف بن مبارك ... ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٣ .

[٤] سورة الرعد الآية : ٣٦ .

[٥] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بعثها إلى الإخوان من أهل القصيم ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

[٦] سورة الزمز الآيتين : ١١ - ١٢ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " بين تعالى أن توحيد الإلهية هو الإسلام ، والأعمال كلها لا يصلح منها شيء إلا بهذا التوحيد ، وهو أساس الملة ، ودعوة الرسل والدين كله من لوازم هذا الأصل وحقوقه " [١] .

١٣ - وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " أي : الذي لا تصلح الإلهية إلا له وحده ، فانتفت الإلهية وبطلت في حق كل ما سوى الله " [٣] .

١٤ - وقال تعالى : قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " فهذا هو الذي أمر به ﷺ ، ودعا الناس إليه ، وهو إخلاص العبادة وتخليصها من الشرك ، قولاً ، وفعلاً ، واعتقاداً .

وقد فعل ﷺ ذلك ، ودعا الناس إليه ، وجاهدهم عليه حق الجهاد ، وهذا هو حقيقة دين الإسلام " [٥] .

١٥ - وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [٦] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن عند هاتين الآيتين : " وهذا هو مضمون شهادة ألا إله إلا الله ، ومضمون شهادة أن محمداً رسول الله ، وجوب اتباعه ، والرضى به نبياً ورسولاً ، ونفي البدع ، والأهواء المخالفة لما جاء به ﷺ ، فلا غناء لأحد عن

---

[١] رسالة للشيخ عبدالرحمن بعثها إلى الإخوان من أهل القصيم ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

[٢] سورة الكهف الآية : ١١٠ .

[٣] رسالة للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ ، وانظر هذا الاستدلال في رسالة للشيخ عبدالرحمن بعثها إلى الإخوان الأمير محمد بن أحمد والشيخ عبداللطيف بن مبارك ... ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٣ .

[٤] سورة الرعد الآية : ٣٦ .

[٥] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بعثها إلى الإخوان من أهل القصيم ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

[٦] سورة الزمز الآيتين : ١١ - ١٢ .

معرفة ذلك وقبوله ، ومحبته والانقياد له ، قولاً وعملاً ، باطناً وظاهراً " [١] .

١٦ - وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " فقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي ﴾ هو معنى : إلا الله في كلمة الإخلاص ، وقوله : ﴿ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾هو : المنفي في كلمة الإخلاص بلا إله ، فتبين أن لا إله إلا الله دلت على البراءة من الشرك في العبادة في حق كل ما سوى الله " [٣] .

١٧ - وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " الحنيف : هو الراغب عن الشرك المنكر له ، وقد فسره ابن القيم رحمه الله ، بتفسير شامل لمدلول لا إله إلا الله ، فقال : الحنيف المقبل على الله ، المعرض عن كل ما سواه ، وهذا التوحيد هو الذي أنكره أعداء الرسل ، من أولهم إلى آخرهم " [٥] .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين : " وما تضمنته هذه الآيات ونحوها من آي القرآن - من الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة غيره - هو معنى لا إله إلا الله " [٦] .

ب - السنة :

ومن أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال :

---

[١] رسالة للشيخ عبدالرحمن بعثها إلى الإخوان الأمير محمد بن أحمد والشيخ عبداللطيف بن مبارك ، وأعيان الأحساء ، وعامتهم ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٧٤ ، وانظر : رسالة أخرى له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٧ .

[٢] سورة الجن الآية : ٢٠ .

[٣] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٧ .

[٤] سورة البينة الآية : ٥ .

[٥] رسالة للشيخ عبدالرحمن في تقرير الإلهية ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

[٦] الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ، ص ٢٥ .

« من قـال لا إله إلا الله وكـفـر بما يعـبـد من دون الله حـرم مـالـه ودمـه ، وحـسـابه على الله » [١] .

قال الشيخ محمد في مسائله : " .. وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله . فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه .

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلّها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع " [٢] .

ج - كلام أهل العلم في معنى لا إله إلا الله :

" قد ذكر العلماء - رحمهم الله - من أهل السنة والجماعة ، في معنى لا إله إلا الله ، وبيان ما نفته وما أثبتته ما يفيد العلم اليقيني بمعناها ، الذي أوجب الله تعالى معرفته ، وما تضمنته من النفي والإثبات " [٣] .

وقد أورد علماء الدعوة شيئاً من كلام أهل العلم في هذا ، ومن ذلك ما يلي :

١ - قال ابن عباس رضي الله عنه : « الله ذو الألوهية والعبودية [٤] على خلقه أجمعين » [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم ، ج١ ، ص ٥٣ ، رقم ٢٣ ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(٢) كتاب التوحيد ، ص ٣٣ ، وقد نقل شراح كتاب التوحيد هذا النص للإمام ، انظر في ذلك : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٧ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٢١ ، وقرة عيون الموحدين لتحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ٦١ ، وإبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد ، ص ٥٠ ، وانظر الكلام حول هذا الحديث : تيسير العزيز الحميد، ص ١٤٦ - ١٥٢، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ ، وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، ص ٦٠ - ٦٢ .

(٣) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في تقرير الإلهية ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢١٦ .

(٤) في تفسير " الطبري " و " السيوطي " المعبودية .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ، ج١ ، ص ٨٢ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ، ج١ ، ص ٢٣ .

وقد أورد هذا النص الشيخ سليمان بن عبدالله [١] ، والشيخ عبدالله أبابطين [٢] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٣] .

٢ - قال الجوهري في الصحاح : " أله - بالفتح - إلهة ، أي : عبد عبادة ، قال : ومنه قولنا : الله ، وأصله إلاه على وزن فِعَال ، بمعنى مفعول ؛ لأنه مألوه بمعنى معبود ، قال : والتأليه التعبيد ، والتأله التنسك والتعبد .

وقال رؤبة [٤] : سبحن واسترجعن من تألهي [٥] " .

٣ - قال الفيروز أبادي في القاموس : " أله إلاهة وألوهة وألوهيه : عبد عبادة ، ومنه لفظ الجلالة ، قال : وأصله إلاه بمعنى مألوه ، وكل ما اتخذ معبوداً إلهٌ عند متخذه ، قال : والتأله التنسك والتعبد " [٦] .

٤ - وفي المصباح : " أَلِه - من باب تعب - إلهة بمعنى عبد عبادة ، وتأله تعبد ، والإله المعبود وهو الله سبحانه . استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله " [٧] وقد أورد هذه النصوص الثلاثة الشيخ عبدالله أبابطين [٨] .

---

[١] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٤ .

[٢] انظر : الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادلين عن المشركين ، ص ٢٥ .

[٣] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٧٢ .

[٤] رؤبة بن العجاج التميمي السعدي ، الراجز المشهور ، له ديوان رجز ، وكان رأساً في اللغة ، وعارفاً باللغة وحشيها وغريبها ، مات سنة ١٤٥هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٠٣ ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص ١٦٢ ، تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص ٢٩٠ ، تقريب التهذيب ، ص ٣٢٩ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٢٢٣ .

[٥] ديوان رؤبة ، ص ١٦٥ ، و الصحاح ، ج٦ ، ص ٢٢٢٤ ، وصدر البيت هو : لله در الغانيات المدَّه .

[٦] القاموس المحيط ، ج٤ ، ص ٢٨٢ .

[٧] المصباح المنير ، للفيومي ، ص ٨ .

[٨] انظر : الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ، ص ٢٥ - ٢٦ .

٥ - وقال الوزير [١] ، أبوالمظفر في (الإفصاح) : " قوله : (شهادة أن لا إله إلا الله) يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ فاعلمْ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ ﴾ [٢] .

قال : واسم الله مرتفع بعد إلا ، من حيث إنه الواجب له الإلهية ، فلا يستحقها غيره سبحانه .

قال : وجملة الفائدة في ذلك : أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيمان لله تعالى كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله " .

٦ - وقال أبوعبدالله القرطبي في التفسير : لا إله إلا هو ، أي : لا معبود إلا هو [٣] .

٧ - وقال الزمخشري [٤] : الإله من أسماء الأجناس - كالرجل والفرس - اسم يقع على كل معبود بحق أو بباطل ، ثم غلب على المعبود بحق [٥] .

٨ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية الإله هوالمعبود المطاع .

٩ - وقال أيضاً : في لا إله إلا الله " إثبات انفراده بالإلهية ، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد . فإن الإله هو المألوه والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد ، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به

---

[١] يحي بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الشيباني أبو المظفر الوزير ، عون الدين ، صاحب التصانيف ومنها : الإفصاح وكان على مذهب السلف في الاعتقاد ، كان من خيار الوزراء ، وأحسنهم سيرة ، كانت داره مجلساً للعلماء ، مات سنة ٥٦٠هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص ٢٣٠ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ٤٢٦ ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٢٥٠ ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ١٩١ .

[٢] سورة محمد الآية : ١٩ .

[٣] انظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج٢ ، ص ١٨٧ .

[٤] جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، أبوالقاسم ، لغوي ، مفسر ، من كبار المعتزلة ، توفي سنة ٥٣٨هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ١٥١ ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٢١٩ ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ١١٨ - ١٢١ ، معجم المؤلفين ، ج٣ ، ص ٨٢٢ .

[٥] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج١ ، ص ٣٦ .

من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب ، المخضوع له غاية الخضوع " [١] .

١٠ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً : " فإن الإله هو المحبوب المعبود ، الذي تألهه القلوب بحبها ، وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه ، وتنيب إليه في شدائدها ، وتدعوه في مهماتها ، وتتوكل عليه في مصالحها ، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره ، وتسكن إلى حبه ، وليس ذلك إلا لله وحده ، ولهذا كانت : لا إله إلا الله أصدق الكلام ، وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته ، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق ، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله" [٢] .

١١ - وقال ابن القيم رحمه الله : " الإله هوالذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً " [٣] .

١٢ - وقال ابن رجب [٤] رحمه الله : " الإله هوالذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول : لا إله إلا الله ، ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك " [٥] .

وهذه النصوص أوردها الشيخ سليمان بن عبدالله [٦] والشيخ عبدالله

---

[١] انظر : مجموع الفتاوى ، ج١٠ ، ص ٢٤٩ .

[٢] مجموع الفتاوى ، ج١٣ ، ص ٢٠٢ .

[٣] انظر : مدارج السالكين ، ج١ ، ص ٥٦ .

[٤] عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ، الدمشقي ، أبو الفرج ، زين الدين ، عالم في الحديث ، والفقه ، والتاريخ ، متفنن في سائر العلوم ، له مصنفات مفيدة منها : فتح الباري شرح البخاري ، ذيل طبقات الحنابلة ، جامع العلوم والحكم ، لطائف المعارف ، شرح علل الترمذي ، القواعد الفقهية ، وغيرها ، مات سنة ٧٩٥هـ .
انظر في ترجمته : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ١٩٥ ، شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٣٣٩ ، التاج المكلل ، ص ٣٣٣ ، الأعلام ، ج٣ ، ص ٢٩٥ .

[٥] كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، ص ٢٣ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٤ - ٧٦ .

أبابطين [١] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٢] .

وهذه النصوص التي أوردها علماء الدعوة تبين معنى لا إله إلا الله ، وأن معنى الإله هو المعبود بإجماع أهل العلم .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : " اعلم : أن معنى الإله هو المعبود ، هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم ، فمن عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً من دون الله ، وجميع ذلك باطل ، إلا إله واحد ، وهو الله وحده ، تبارك وتعالى علواً كبيراً " [٣] .

وقال الشيخ سليمان بعد إيراده شيئاً من النصوص المتقدمة " وهذا كثير جداً في كلام العلماء ، وهو إجماع منهم أن الإله هوالمعبود " [٤] .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين حينما ساق بعض هذه النصوص : " وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود " [٥] .

د - الرد على من غلط في معنى لا إله إلا الله :

أخطأ أهل الكلام ومن تبعهم من القبوريين في معرفة معنى لا إله إلا الله ، فظنوا أن معناها : لا قادر على الاختراع إلا الله ففسروا الإله بالقادر على الاختراع ، أو أن معناها : لا غني إلا الله ، أو لا موجود إلا الله ، وما أشبه ذلك من معاني الربوبية ، فظنوا أن هذه الكلمة دلت على توحيد الربوبية وأنه هو معناها ، وغفلوا عن معناها المراد ، وهو إخلاص العبادة لله وحده ونفيها عما سواه ، وقد نبه علماء الدعوة رحمهم الله على هذا الغلط وأجابوا عنه ، ويتبين ذلك في الوجوه التالية :

---

[١] الانتصار لحزب الله الموحدين ، ص ٢٦ - ٢٨ .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٢٤ - ١٢٦ .

[٣] رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٣ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٦ .

[٥] رسالة في معنى العبادة والإخلاص للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٩ ، وانظر : الانتصار لحزب الله الموحدين ، ص ٢٨ .

الوجه الأول :

أن هذا القول مخالف لإجماع أهل العلم ، فقد أجمع أهل العلم على أن معنى الإله هو المعبود ، يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب : " اعلم أن معنى الإله هو المعبود ، هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم ، فمن عبد شيئاً ، فقد اتخذه إلهاً من دون الله ، وجميع ذلك باطل ، إلا إله واحد ، وهو الله وحده ، تبارك وتعالى علواً كبيراً [١] " .

الوجه الثاني :

أن هذا قول مبتدع ، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله في بيان هذا : " هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة " [٢] .

الوجه الثالث :

على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم ، يقول الشيخ سليمان في بيان هذا الوجه : " على تقدير تسليمه ، فهو تفسير باللازم للإله الحق ، فإن اللازم له أن يكون خالقاً قادراً على الاختراع ، ومتى لم يكن كذلك ، فليس بإله حق وإن سمي إلهاً ، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع ، فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام ، فإن هذا لا يقوله أحد ، لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين ، ولو قدر أن بعض المتأخرين أرادوا ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية [٣] " .

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن في بيانه : " وهذه المعاني ليست هي المقصودة بالوضع والأصالة من هذه الكلمة الشريفة التي هي الفارقة بين المسلم والكافر ، وأكثر الكفار لا ينازعون في قدرة الرب وغناه وإنما المقصود بالوضع نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن غيره واثباتها له تعالى على أكمل الوجوه وأتمها كما يعلم من كتب اللغة والتفسير وكلام أئمة العلم الذين إليهم المرجع في هذا الشأن ، والمعنى الأول لازم للمعنى المراد لا ينفك عنه لأنه المقصود بالوضع والأصالة فإن المستحق لأن يعبد ويعظم ويقصد دون

---

[١] جواب للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٣ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٨١ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٨١ .

غيره لابد أن يكون قادراً غنياً ومن عداه فقيراً محتاجاً لا قدرة له ... " [١] .

الوجه الرابع :

أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بهذا المعنى ، وهم مع ذلك مشركون ، فلم يدخلهم هذا الإقرار في الإسلام .

قال الشيخ عبدالله أبابطين في بيان هذا الوجه : " وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين ، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع ، وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش ، إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه ، وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون .

ومن أبعد الأشياء أن عاقلاً يمتنع عن التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، هذا ما لايفعله من له أدنى مسكة من عقل " [٢] .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : " وقد اشتبه معنى هذه الكلمة العظيمة التي هي الفارقة بين الكفر والإيمان فظن الأكثر أنها دلت على توحيد الربوبية وأنه هو معناها كالأشعري [٣] وغيره من المتكلمين قالوا إن الإله هو القادر على الاختراع ، وهذا التوحيد قد أقرّ به المشركون من العرب وغيرهم كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [٤] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ

---

[١] رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن بعثها إلى عبدالله بن عمير ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

[٢] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٦٩ .

[٣] علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، يكنى بأبي الحسن ، ولد سنة ٢٦٠هـ ، إليه ينتسب الأشاعرة ،كان على مذهب المعتزلة ثم تحول إلى مذهب الكلابية ثم تحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة وألف في ذلك كتابه المشهور الإبانة عن أصول الديانة ، ومن كتبه أيضاً مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، توفي سنة ٣٢٤هـ .
انظر في ترجمته : الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٠٦ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٥ ، ص ٨٥ ، تبيين كذب المفتري ، ص ٣٤ ، طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص ٢٤٥ .

[٤] سورة الزخرف الآية : ٨٧ .

الْعَلِيمُ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [٢] .. وقوله : ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ الآيات [٣] فلم يدخلهم هذا التوحيد في الإسلام لأنهم جحدوا توحيد العبادة وهو توحيد القصد والطلب كما قال تعالى في دعوة الرسل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٤] ... [٥] " .

ومما يزيد هذا الوجه وضوحاً أن قولهم هذا معلوم بالفطرة ، ولم ينازع فيه أحد ، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان هذا : " وطائفة ظنوا أن معناها : قدرته على الاختراع .

وهذا معلوم بالفطرة ، وما يشاهد من عظيم مخلوقات الله تعالى كخلق السماوات والأرض ، وما فيهما من عجائب المخلوقات ؛ وبه استدل الكليم موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون ، لما قال : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٦] ، وفي سورة بني اسرائيل : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [٧] ففرعون يعرف الله ، ولكن جحده مكابرة وعناداً .

وأما غير فرعون : من أعداء الرسل ، من قومهم ، ومشركي العرب ونحوهم ، فأقروا بوجود الله تعالى ، وربوبيته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [٨] وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [٩]

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٩ .

(٢) سورة يونس الآية : ٣١ .

(٣) سورة المؤمنون الآيتين : ٨٤ - ٨٥ .

(٤) سورة المؤمنون الآية : ٢٣ .

(٥) قرة عيون الموحدين ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٦) سورة الشعراء الآيات : ٢٣ - ٢٦ .

(٧) سورة الإسراء الآية : ١٠٢ .

(٨) سورة الزخرف الآية : ٩ .

(٩) سورة الزخرف الآية : ٨٧ .

فلم يدخلهم ذلك في الإسلام ، لما جحدوا ما دلت عليه : لا إله إلا الله ، من إخلاص العبادة ، بجميع أفرادها لله وحده .

وفي الحديث الصحيح :« من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار »[١] وتقدم قول قوم هود : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾[٢] دليل على أنهم أقروا بوجوده وربوبيته ، وأنهم يعبدونه ، لكنهم أبوا أن يجردوا العبادة لله وحده ، دون آلهتهم التي كانوا يعبدونها معه .

فالخصومة بين الرسل وأممهم ليست في وجود الرب وقدرته على الاختراع ، فإن الفطر والعقول دلتهم على وجود الرب ، وأنه رب كل شيء ومليكه ، وخالق كل شيء ، والمتصرف في كل شيء ، وإنما كانت الخصومة في ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣] ... "[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٩٢٧ ، رقم ٤٤٩٧ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ ، وص ١٤٠٥ ، رقم ٦٦٨٣ ، كتاب الإيمان والنذور ، باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم ، فص أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٧٠ .

(٣) سورة هود الآيتين : ٢٥ - ٢٦ .

(٤) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

المطلب الثاني

فضائل لا إله إلا الله

اهتم علماء الدعوة ببيان مكانة لا إله إلا الله وفضائلها في كثير من مؤلفاتهم وتقريراتهم ، ومما ذكروه ما يلي :

١ - أنها العروة الوثقى ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [١] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : " العروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله " [٢] . وقد ذكر هذه الفضيلة الإمام محمد بن عبدالوهاب [٣] ، والشيخ محمد بن سلطان [٤] ، والشيخ سعيد بن حجي [٥] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٦] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٧] .

٢ - وهي كلمة التقوى ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ ﴾ [٨] .

قال الشيخ سعيد بن حجي نقلاً عن البغوي [٩] : " قال ابن عباس وأكثر المفسرين : كلمة التقوى لا إله إلا الله " [١٠] . قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن مبيناً معنى هذه

---

[١] سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

[٢] الرسالة السادسة معنى الطاغوت ورؤس أنواعه ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٧٨ .

[٣] انظر : الرسالة الثالثة ، تفسير كلمة التوحيد ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٦٣ .

[٤] انظر : جواب للشيخ محمد بن سلطان في معنى لا إله إلا الله ، ص ١ ، مخطوط .

[٥] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٨ .

[٦] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠ .

[٧] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٨ .، وقرة عيون الموحدين ، ص ٣٢ ، ، والمورد العذب الزلال ، ص ١٣ .

[٨] سورة الفتح الآية : ٢٦ .

[٩] الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي ، أبو محمد ، ظهير الدين ، محي السنة ، الفقيه ، الشافعي ، المحدث ، المفسر ، كان بحراً في العلوم ، صنف كتباً كثيرة منها : كتاب " شرح السنة " في الحديث ، و " معالم التنزيل " في تفسير القرآن الكريم ، وغير ذلك ، توفي سنة ٥١٠هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ١٣٦ ، الأعلام ، ج٢ ، ص ٢٥٩ .

[١٠] الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٤٠ وكلام البغوي في تفسيره معالم التنزيل ج٧ ، ص ٣٢١ .

الفضيلة : " وكلمة التقوى : التي تقي قائلها من الشرك بالله " [١] .

وقد ذكر هذه الفضيلة الإمام محمد بن عبدالوهاب [٢] ، والشيخ محمد بن سلطان [٣] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٤] .

٣ - وهي كلمة الإخلاص .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن وهو يعدد فضائل هذه الكلمة : " وهي كلمة الإخلاص المنافي للشرك " [٥] .

وقد ذكر هذه الفضيلة جمع من علماء الدعوة منهم : الشيخ سعيد بن حجي [٦] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٧] .

٤ - وهي كلمة الإسلام .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن مبيناً هذه الفضيلة : " وهي كلمة الإسلام ، لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وضعت له ، ودلت عليه ، وقبوله ، والانقياد للعمل به " [٨] .

٥ - وهي مفتاح دار السلام .

ذكر هاتين الفضيلتين الإمام محمد بن عبدالوهاب [٩] ، والشيخ

---

[١] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

[٢] انظر : الرسالة الثالثة تفسير كلمة التوحيد ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٦٣ .

[٣] انظر : جواب للشيخ محمد بن سلطان في معنى لا إله إلا الله ، ص١ ، مخطوط .

[٤] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٣٢ ، والمورد العذب الزلال ، ص ١٣ .

[٥] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ .

[٦] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٤٠ ، ٨٦٨ .

[٧] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٣٢ ، والمورد العذب الزلال ، ص ١٣ .

[٨] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ .

[٩] انظر : خطبة للإمام محمد ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ، ص ٥٥ .

محمد بن سلطان [(١)] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [(٢)] والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [(٣)] .

٦ - وشهادة الحق .

٧ - ودعوة الحق .

٨ - وبراءة من الشرك .

ذكر هذه الفضائل الشيخ سعيد بن حجي [(٤)] .

٩ - وهي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ، وهي التي جعلها إبراهيم كلمة باقية في عقبه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [(٥)] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " الكلمة هي لا إله إلا الله بإجماع أهل العلم " [(٦)] .

وقد ذكر هذه الفضيلة الإمام محمد بن عبدالوهاب [(٧)] ، والشيخ محمد بن سلطان [(٨)] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [(٩)] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [(١٠)] .

---

(١) انظر : جواب للشيخ محمد بن سلطان ، في معنى لا إله إلا الله ، ص ١ مخطوط .

(٢) انظر : المورد العذب الزلال ، ص ١٣ .

(٣) انظر : رسالة للشيخ عبداللطيف ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٣٩ .

(٤) انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٨ .

(٥) سورة الزخرف الآيات : ٢٦ - ٢٨ .

(٦) قرة عيون الموحدين ، ص ٥٧ .

(٧) انظر : كتاب التوحيد ، ص ٣٣ ، والرسالة الثالثة تفسير كلمة التوحيد ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٦٣ ، ورسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب في معنى لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

(٨) انظر : جواب للشيخ محمد بن سلطان في معنى لا إله إلا الله ، ص ٢ مخطوط .

(٩) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٣ .

(١٠) انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٠٨ ، والمورد العذب الزلال ، ص ١٣ .

١٠ - وهذه الكلمة العظيمة هي أصل دين الإسلام ، وعليها تبنى الشريعة والأحكام ، ويتميز الحلال من الحرام .

يقول الشيخ حسين ، والشيخ عبدالله ، ابنا الشيخ محمد بن عبدالوهاب : " وحقيقة أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله : أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له .

وتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله هو : أن يطاع فيما أمر ، وينتهى عما عنه نهى وزجر ، ويكون هو الإمام المتبع ، ومن سواه فيؤخذ من كلامه ويترك ، فعلى أقواله وأفعاله تعرض الأقوال والأفعال ، فما وافق قوله فهو المقبول ، وما خالفه فهو المردود " [١] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " هذه الكلمة العظيمة هي أصل دين الإسلام ، وعليها تنبني الشريعة والأحكام ، ويتميز الحلال من الحرام ، وهي دعوة الرسل ، وملة إبراهيم دين محمد ﷺ الذي دعا إليه أمته وجاهدهم عليه " [٢] .

١١ - وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٣] .

وقد ذكر هذه الفضيلة جمع من علماء الدعوة ، منهم الإمام محمد بن عبدالوهاب [٤] ، والشيخ سعيد بن حجي [٥] .

١٢ - ولأجلها أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) رسالة للشيخين حسين وعبدالله إلى محمد بن أحمد الحفظي ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٥٧ .

(٢) جواب للشيخ عبدالرحمن ضمن سلسلة التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة ، ج٢ ، ص ٣١٧ .

(٣) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٤) انظر : رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ، في معنى لا إله إلا الله ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

(٥) انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٨ .

رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [١] .

وقـال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [٢] .

ذكر هذه الفضيلة جمع من علماء الدعوة منهم الإمام محمد بن عبدالوهاب [٣] ، والشيخ سعيد بن حجي [٤] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٥] ، والشيخ عبدالرحمن ابن حسن [٦] .

١٣ - ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب ، وتميزت دار النعيم من دار الشقى والهوان .

ذكر هذه الفضيلة الشيخ محمد بن سلطان [٧] ، والشيخ سعيد بن حجي [٨] .

١٤ - وهي التي قامت بها السماوات والأرض ، وشرعت لتكميلها السنة والفرض .

ذكر هذه الفضيلة الإمام محمد بن عبدالوهاب [٩] ، والشيخ محمد بن سلطان [١٠] والشيخ عبدالرحمن بن حسن [١١] .

---

[١] سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

[٢] سورة النحل الآية : ٣٦ .

[٣] انظر : رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب في معنى لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

[٤] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٩ .

[٥] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩ ، ٥١ .

[٦] انظر : جواب للشيخ عبدالرحمن ضمن سلسلة التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة ، ج٢ ، ص ٣١٧ .

[٧] انظر : جواب للشيخ محمد بن سلطان في معنى لا إله إلا الله ، ص ٢ مخطوط .

[٨] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٩ .

[٩] انظر : خطبه للإمام محمد ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ، ص ٥٥ .

[١٠] انظر : رسالة للشيخ محمد بن سلطان في معنى لا إله إلا الله ، ص ١ ، ٢ مخطوط .

[١١] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٣٢ .

١٥ - والفارق بين الكافر والمؤمن من الأنام ، والمطيع من العاصي من العباد .

١٦ -ولها جردت السيوف وشرع الجهاد وامتاز الخبيث من طيب العباد .

١٧ -وبها حقنت الدماء ، وعصمت الأموال ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه حلال .

ذكر هذه الفضائل الإمام محمد بن عبدالوهاب [١] ، والشيخ محمد بن سلطان [٢] ، والشيخ سعيد بن حجي [٣] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٤] ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [٥] .

١٨ - وهي أعظم مراتب الإيمان بالله .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في بيان هذه الفضيلة : " أعظم مراتب الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله " [٦] .

١٩ - وهي مفتاح دعوة الرسل .

٢٠ - وبها كلم الله موسى كفاحاً .

وقد نص على هاتين الفضيلتين الشيخ سعيد بن حجي [٧] .

٢١ - وهي التي شهد الله بها لنفسه وشهد بها له ملائكته وألو العلم من خلقه .

---

[١] انظر : خطبة للإمام محمد بن عبدالوهاب في فضل لا إله إلا الله ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ، ص ٥٥ .

[٢] انظر : جواب للشيخ محمد بن سلطان في معنى لا إله إلا الله ، ص ١ - ٢ مخطوط .

[٣] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٩ .

[٤] انظر : قرة عيون الموحدين ص ٣٢ ، ٦٠ ، ٦٢ .

[٥] انظر : رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٣٥ .

[٦] رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢١ .

[٧] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٩ .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً هذه الفضيلة : "اعلم : أن أعظم شهادة ، وأفرضها على الخلق ، قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً ، ما شهد الله به لنفسه ، من اختصاصه بالإلهية ، دون جميع خلقه ، أزلاً ، وأبداً ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [1] فكرر الشهادة به في هذه الآية ، وأخبر أن ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جل وعلا ، وأخبر عباده بهذه الشهادة ، ودعاهم إلى أن يشهدوا له بها ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [3] وقال : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ ﴾ [4] .

وأخبر : أنه بعث بهذه الشهادة الرسل جميعهم ، فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [5] فبين في هذه الآية وأمثالها كقوله : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [6] أن الإلهية هي العبادة ، فإن : الإله هو المألوه ، الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً وتذللاً ، وخضوعاً ، وتوكلاً ، ورغبة إليه ، ورهبة ، وخوفاً ، ورجاءً ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [7] " [8] .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

(٢) سورة النساء الآية : ٨٧ .

(٣) سورة طه الآية : ٨ .

(٤) سورة القصص الآية : ٧٠ .

(٥) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

(٦) سورة المؤمنون الآية : ٣٢ .

(٧) سورة الإنعام الآية : ١٠٢ .

(٨) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في تقرير الإلهية ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ وانظر : هذه الفضيلة : في الرسالة الرابعة تلقين أصول العقيدة للعامة ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٧٢ ، والرسالة التاسعة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٨٧ .

٢٢ - ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة ، قال ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » [١] .

ذكر هذه الفضيلة الشيخ محمد بن سلطان [٢] الشيخ سعيد بن حجي [٣] ، والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [٤] .

٢٣ - وهي نجاة من النار ، وقد وردت أحاديث تدل على هذا ، منها : حديث عتبان رضي الله عنه ، وقد تقدم [٥] .

ومنها : حديث أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل ، فقال : « يا معاذ »، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إلا حرمه الله تعالى على النار » قال : يا رسول الله ، ألا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : « إذاً يتكلوا » ، فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً [٦] .

ومنها : حديث عبادة مرفوعاً : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، حرم الله عليه النار » [٧] .

---

[١] أخرجه أبوداود في سننه ، ج٣ ، ص ٤٨٦ ، رقم ٣١١٦ ، كتاب الجنائز ، باب في التلقين ، والحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص ٣٥١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وابن حبان في صحيحه ، ج١ ، ص ٣١٥ رقم ٧١٩ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٢] انظر : جواب للشيخ محمد بن سلطان في معنى لا إله إلا الله ، ص ٢ ، مخطوط .

[٣] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٩ .

[٤] انظر : جواب للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٥٨ .

[٥] انظر ، ص ١١٢ .

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٣٣ ، رقم ١٢٨ ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٦١ ، رقم ٣٢ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

[٧] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٧ ، رقم ٢٩ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

٢٤ - أنها توجب دخول الجنة ، وقد وردت أحاديث تدل على هذا منها : حديث عبادة وقد تقدم قبل هذا [١] .

ومنها : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » [٢] .

ومنها : حديث أبي ذر مرفوعاً : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » [٣] .

وقد ذكر هاتين الفضيلتين جل علماء الدعوة [٤] .

٢٥ - وهي أحسن الحسنات .

ذكر هذه الفضيلة الشيخ سعيد بن حجي [٥] .

٢٦ - وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن ، فلو وزنت بالسماوات والأرض لرجحت بهن ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وقد تقدم [٦] .

ذكر هذه الفضيلة الإمام محمد بن عبدالوهاب [٧] ، والشيخ سعيد بن حجي [٨] ،

---

[١] ص ١١٠ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٧ ، رقم ٢٧ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٤٩ ، رقم ٥٨٢٧ ، كتاب اللباس ، باب الثياب البيض ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٩٥ ، رقم ٩٤ ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات مشركاً دخل النار .

[٤] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٥ ، والكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٩ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٨٦ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ١٣٦ ، وإبطال التنديد ، ص ٣٠ .

[٥] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦٩ .

[٦] انظر : ص ١١٣.

[٧] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٨ .

[٨] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٧٠ .

والشيخ سليمان بن عبدالله [١] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٢] .

٢٧ - وهي كذلك ترجح بصحائف الذنوب ، كما في حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً : « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقال : أتنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يارب ، فيقال : ألك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل ، فيقول : لا ، فيقال : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك ، فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟! فيقال : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة » [٣] .

٢٨ - وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل إلى الله عز وجل ، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً : « ما قال عبد : لا إله إلا الله مخلصاً قط إلا فتحت له أبواب السماء ، حتى تفضي إلى العرش ، ما اجتنب الكبائر » [٤] .

ذكر هذه الفضيلة الشيخ سعيد بن حجي [٥] ، والشخ سليمان بن عبدالله [٦] .

٢٩ - وهي أفضل ما قاله النبيون ، كما في حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً : « خير الدعاء ، دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي ، لا إله إلا الله وحده لا

---

[١] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٩٤ .

[٢] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٤٦ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٢١٣ ، ٢٢١ ، والترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٢٥ ، رقم ٢٦٣٩ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٤٣٧ ، رقم ٤٣٠٠ ، كتاب الزهد ، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ، وابن حبان في صحيحه ، ج٢ ، ص ١١٣٥ ، رقم ٢٥٢٤ ، والحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص ، ٥٢٩ ، وصححه ، وأقره الذهبي .

[٤] أخرجه الترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٥٣٦ ، رقم ٣٥٩١ ، كتاب الدعوات ، باب دعاء أم سلمة ، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

[٥] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ، ج٤ ، ص ٨٧٠ .

[٦] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٩٥ .

شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »[١] .

ذكر هذه الفضيلة الشيخ سعيد بن حجي[٢] ، والشيخ سليمان بن عبدالله[٣] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن[٤] .

٣٠ - وهي أفضل الذكر كما في الحديث : « أفضل الذكر لا إله إلا الله »[٥] .

ذكر هذه الفضيلة الإمام محمد بن عبدالوهاب[٦] ، والشيخ سعيد بن حجي[٧] ، والشيخ سليمان بن عبدالله[٨] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن[٩] .

٣١ - وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائه مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحي عنه مائة سيئة ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا أحد عمل أكثر من ذلك »[١٠] .

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٥٣٤ ، رقم ٣٥٨٥ ، كتاب الدعوات ، باب في دعاء يوم عرفة ، وحسنه الألباني كما في " الصحيحة " ج٤ ، ص ٦ ، رقم ١٥٠٣ .

[٢] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٧١ .

[٣] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٩٤ .

[٤] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٤٦ .

[٥] أخرجه الترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٤٣١ ، رقم ٣٣٨٣ ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وحسنه الترمذي والألباني ، كما في تخريج مشكاة المصابيح للألباني ، ج٢ ، ص ٧١٤ .

[٦] انظر : رسالة للإمام محمد إلى ثنيان بن سعود ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الرسائل الشخصية ، ج٥ ، ص ١٦٣ .

[٧] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ، ج٤ ، ص ٨٧١ .

[٨] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٩٤ .

[٩] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٤٦ .

[١٠] أخرجه البخاري في صحيحه ص ٦٧١ ، رقم ٣٢٩٣ كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده ، ومسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢٠٧١ ، رقم ٢٦٩١ ، كتاب الذكر والدعاء ، والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

ذكر هذه الفضيلة الشيخ سعيد بن حجي [١] .

٣٢ - أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء ، كما في حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء » [٢] .

ذكر هذه الفضيلة الشيخ سعيد بن حجي [٣] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٤] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٥] .

٣٣ - أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها ، كما في حديث أنس ، عن النبي ﷺ : « يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله » [٦] .

ذكر هذه الفضيلة الإمام محمد بن عبدالوهاب [٧] ، والشيخ سعيد بن حجي [٨] ، هذه أبرز الفضائل التي تناولها علماء الدعوة في مؤلفاتهم .

---

[١] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٧١ - ٨٧٢ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٧ ، رقم٢٨ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .

[٣] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٧٣ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٨٥ .

[٥] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٣٥ .

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٥٧٤ - ١٥٧٥ ، رقم ٧٥١٠ ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٨٢ - ١٨٤ ، رقم١٩٣ ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . واللفظ للبخاري .

[٧] انظر : جواب للإمام محمد بن عبدالوهاب عن سؤال ورد من الأخ حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٦٤ .

[٨] انظر : الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٧٣ .

المبحث الثاني

أركان لا إله إلا الله وشروطها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أركان لا إله إلا الله .

المطلب الثاني : شروط لا إله إلا الله .

المطلب الأول

أركان لا إله إلا الله

أركان لا إله إلا الله :

لا إله إلا الله لها ركنان : الركن الأول النفي ، والركن الثاني الإثبات .

والمراد بالنفي : نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات ، كائناً من كان ، والمراد بالإثبات : إثبات الإلهية لله سبحانه وحده دون ما سواه .

وقد نص على هذين الركنين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله حيث قال : " وأما الأركان فركناها النفي والإثبات ، نفي استحقاق الإلهية عما سوى الله ، وإثباتها لله وحده على وجه الكمال " [١] .

وقد أفاض سائر علماء الدعوة رحمهم الله تعالى الحديث في بيان هذه الأركان . يقول الإمام محمد رحمه الله تعالى في بيان هذه الأركان : " فقولك لا إله إلا الله نفي وإثبات : فتنفي الألوهية كلها عن غير الله وتثبتها لله وحده ... " [٢] .

وقال أيضاً في ثلاثة الأصول بعد أن بين أن معناها لا معبود بحق إلا الله : " (لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله (إلا الله) مثبتاً العبادة له وحده لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه .. " [٣] .

وبين رحمه الله تعالى في رسالة : " معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه " أن لا إله إلا الله متضمنة للنفي والإثبات فقال : " ... والعروة الوثقى شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له " [٤] .

وقرر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله أن لا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات ، فقال : " فـ لا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات ، فنفت الإلهية عن كل ما

---

[١] رسالة جوابية للشيخ عبداللطيف بعثها إلى الأخ محمد بن عون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٤٣ .

[٢] رساله للإمام محمد في كلمة التوحيد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٨ .

[٣] ثلاثة الأصول ، ص ٨ .

[٤] رسالة عن الطاغوت ورؤوس أنواعه ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٨ .

سوى الله تعالى ، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم فليس بإله ، ولا له من العبادة شيء ، وأثبتت الإلهية لله وحده ، بمعنى أن العبد لا يأله غيره ، أي : لا يقصده بشيء من التأله وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة ، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك " [١] .

وقرر الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله أن هذه الكلمة العظيمة تضمنت نفياً وإثباتاً فقال : " وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً وإثباتاً، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله بقولك (لا إله) ، وأثبتت الإلهية لله وحده بقولك (إلا الله) ... " [٢] ، وأوضح رحمه الله ما دلت عليه من النفي والإثبات ، فقال : " فدلت لا إله إلا الله : على نفي العبادة عن كل ما سوى الله ، كائناً من كان ، وإثبات الإلهية لله وحده دون ما سواه .. " [٣] .

وبين رحمه الله ما تنفي وما تثبت ، فقال : " فكلمة الإخلاص : لا إله إلا الله تنفي كل شرك في أي نوع كان من أنواع العبادة ، وتثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالى ، وقد تقدم بيان أن الإله هو المألوه ، الذي تألهه القلوب بالمحبة أو غيرها من أنواع العبادة ، فلا إله إلا الله : نفت ذلك كله عن غير الله ، وأثبتته لله وحده ، فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة ، فلا بد من معرفة معناها واعتقاده ، وقبوله والعمل به باطناً وظاهراً ، والله أعلم " [٤] .

وقرر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله أركان لا إله إلا الله فقال - كما تقدم - : " .. وأما الأركان فركناها النفي والإثبات نفي استحقاق الإلهية عما سوى الله ، وإثباتها لله وحده على وجه الكمال ... " [٥] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٧ .

[٢] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٤ .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص١٢٧ .

[٤] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢١٧ .

[٥] رسالة جوابية بعثها الشيخ عبداللطيف إلى الأخ محمد بن عون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٤٣ .

وأوضح رحمه الله هذه الأركان في إحدى أجوبته فقال : " .. قد دلت بمنطوقها وموضوعها ، على نفي استحقاق الإلهية عن غيره تعالى ، والبراءة من كل معبود سواه ، قولاً وفعلاً ، وإثبات استحقاق الإلهية على وجه الكمال لله تعالى .

فالأول - وهو النفي - يستفاد من (لا) واسمها وخبرها المقدر ، والإثبات يستفاد من الاستثناء ، لأن الإثبات بعد النفي المتقدم أبلغ من الإثبات بدونه ، وهذه طريقة القرآن ، يقرن بين النفي والإثبات غالباً ، كما في هذا الموضع ، لأن المقصود لا يحصل إلا بها ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [2] ، وقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [3] ، وقال : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [4] ، وقال عن نبيه يوسف : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [5] ، وهذا هو معنى : لا إله إلا الله .

قال ابن القيم رحمه الله : وطريقة القرآن في مثل هذا ، أن يقرن النفي بالإثبات ، فينفي عبادة ما سوى الله ، ويثبت عبادته ، وهذا هو حقيقة التوحيد ، والنفي المحض ليس بتوحيد ، وكذلك الإثبات بدون النفي ، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات ، وهذا حقيقة لا إله إلا الله ، إنتهى .

ولذلك أفادت هذه الكلمة ، الحصر والاختصاص ، وقرر بعض المحققين لهذه الكلمة الطيبة وما شابهها من الآيات التي ابتدأت بنفي الإلهية والعبادة عن غير الله ، أن ذلك أبلغ وآكد في الإثبات والاختصاص ، ومنه : لا رجل إلا زيد ، أو : لا كريم إلا زيد ، فإنه مع إفادته نفي الصفة عن غير المستثنى ، أفاد إثباتها له على وجه الكمال ، الذي لا يتأتى بمجرد الإثبات من غير نفي ، فلا تفيده زيد رجل ، أو زيد كريم ، ولأن بين النفي والإثبات

---

[1] سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

[2] سورة النحل الآية : ٣٦ .

[3] سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

[4] سورة هود الآيتين : ١ - ٢ .

[5] سورة يوسف الآية : ٤٠ .

هنا تلازم من كل وجه ، فلا براءة من الشرك وعبادة غير الله إلا بتوحيده ، ولا توحيد إلا بالبراءة من كل معبود سوى الله ، وكما تضمنت العلم ، فهي تتضمن العمل ، ولا يتصور وجود شهادة وإذعان وإتيان بمدلولها إلا مع العلم والعمل ، وهذا الذي قررناه ، تدل عليه عبارات أهل العلم من اللغويين والمفسرين وغيرهم ... " [1] .

هذه هي أركان لا إله إلا الله كما بينها علماء الدعوة .

---

[1] جواب للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

المطلب الثاني

شروط لا إله إلا الله

اهتم علماء الدعوة رحمهم الله ببيان شروط لا إله إلا الله ، وبيان ما يضادها ، والاستدلال عليها من الكتاب والسنة .

وأوضحوا أن (لا إله إلا الله) قيدت في الكتاب والسنة بقيود وشروط لا بد من الإتيان بجميعها قولاً واعتقاداً وعملاً ، فإذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة وإن لم تجتمع هذه لم تنفعه .

وقد تحدث علماء الدعوة عن هذه الشروط في كثير من مؤلفاتهم وأكثر من تحدث عنها وأبرزها الشيخ عبدالرحمن بن حسن ، فقد تكلم عليها في فتح المجيد ، وقرة عيون الموحدين ، وبسطها في قرابة عشرة مواضع من رسائله وإجاباته .

ووجدت الشيخ عبدالرحمن بن حسن أول من استوعب هذه الشروط على النحو الآتي ، وقد أوصلها إلى سبعة شروط وزاد في موضع شرطاً ثامناً .

وقبل أن أبين هذه الشروط أذكر تعريف الشرط .

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله معرفاً الشرط : " أنه ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود لذاته " [١] .

وهذه الشروط هي :

الشرط الأول : العلم المنافي للجهل :

لا بد من العلم بمعنى لا إله إلا الله ومضمونها ومدلولها نفياً وإثباتاً ، فلا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب : " لا إله إلا الله ليست باللسان فقط ، لا بد للمسلم إذا لفظ بها أن يعرف معناها بقلبه " [٢] .

وقال أيضاً : " وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون .

---

[١] من رسالة جوابية بعثها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الأخ محمد بن عون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٤١ .

[٢] مذاكرة الشيخ أهل حرمة ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢٩ .

ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض من خالفها ومعاداته .. " [١] .

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله : " من قال : هذه الكلمة عارفاً لمعناها ، عاملاً بمقتضاها ، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به فهو المسلم " [٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " اعلم رحمك الله أن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها ، وهو نفي الإلهية عما سوى الله ، والبراءة من الشرك في العبادة ، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة " [٣] .

ومما قاله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في شرط العلم قوله : " كل من عقل عن الله يعلم علماً ضرورياً أن المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من العلم والعمل ، وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناها ولا اعتقاد لحقيقتها فهذا لا يفيد العبد شيئاً ، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه ...

فالإيمان بمعناها والانقياد له لا يتصور ولا يتحقق إلا بعد العلم ، والحكم على الشيء فرع عن تصوره ، فإذا لم يعلم ولم يتصور فهو كالهاذي وكالنائم وأمثالهما ممن لا يعقل ما يقول ... " [٤] .

وضد العلم الجهل ، فلا بد من العلم بحقيقة معنى هذه الكلمة ، علماً ينافي الجهل ، بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها فإنها لا تنفعه [٥] .

---

(١) رسالة تفسير كلمة التوحيد ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٦٣ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٨ ، وانظر : المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(٣) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في شروط لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٢ .
وانظر : هذا الشرط في : فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٩٠ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ٥٠ ، ورسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ ، وجواب له ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٦ .

(٤) مصباح الظلام ، ص ٩٣ - ٩٤ باختصار ، وانظر : المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .

(٥) انظر : جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٤ .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " والجاهل بمعناها وإن قالها فإنها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك " [١] .

وقد استوفى الشيخ عبدالله أبابطين أدلة هذا الشرط فكان مما قال : " والله سبحانه فرض على عباده معرفة معنى : لا إله إلا الله ، أن يعلموا أن لا إله إلا هو . قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [٢] .

وترجم البخاري على الآية فقال : باب العلم قبل القول والعمل [٣] أشار إلى أن العلم بمعنى : لا إله إلا الله أول واجب ، ثم بعد ذلك القول والعمل .

وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [٤] ، لم يقل : ليقولوا : إنما هو إله واحد .

وقال : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [٥] أي : واعملوا أن لا إله إلا هو .

وقال تعالى : ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [٦] قال المفسرون : إلا من شهد بلا إله إلا الله ، وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم [٧] ، وقد قال النبي ﷺ : « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » [٨] .

واستدل العلماء بهذه الآيات ونحوها : على أن أول واجب على الإنسان معرفة الله .

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ٣٠ .

[٢] سورة محمد الآية : ١٩ .

[٣] صحيح البخاري ، ص ٢٠ .

[٤] سورة إبراهيم الآية : ٥٢ .

[٥] سورة هود الآية : ١٤ .

[٦] سوة الزخرف الآية : ٨٦ .

[٧] انظر : تفسير الطبري ، ج١١ ، ص ٢١٩ .

[٨] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٥ ، رقم ٢٦ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ودلت هذه الآيات : على أن آكد الفرائض العلم بمعنى لا إله إلا الله ، وأن أعظم الجهل نقص العلم بمعناها ، إذ كان معرفة معناها آكد الواجبات ، فالجهل بذلك أعظم الجهل وأقبحه .

ومن العجب أن بعض الناس إذا سمع من يتكلم في معنى هذه الكلمة نفياً وإثباتاً ، عاب ذلك ، وقال : لسنا مكلفين بالناس والقول فيهم ! فيقال له : بل أنت مكلفٌ بمعرفة التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله ، وأرسل جميع الرسل يدعون إليه ، ومعرفة ضده وهو الشرك الذي لا يُغفر ، ولا عذر لمكلف في الجهل بذلك . ولا يجوز فيه التقليد ، لأنه أصل الأصول ، فمن لم يعرف المعروف وينكر المنكر فهو هالك ، لا سيما أعظم المعروف وهو التوحيد ، وأكبر المنكرات وهوالشرك " [١] .

الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك :

وقد نص على هذا الشرط جمع من علماء الدعوة منهم الشيخ عبدالله أبابطين [٢] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن ، وابنه الشيخ عبداللطيف [٣] .

يقول الشيخ عبدالرحمن : " ولا بد أيضاً لقائل هذه الكلمة ، من اليقين بمعناها ، المنافي للشك ، والريب " [٤] .

والمراد باليقين - كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : هو : " كمال العلم بها المنافي للشك والريب " [٥] .

وضد اليقين الشك والريب ، فإذا انتفى اليقين وقع الشك [٦]، فقد يقولها القائل لها

---

[١] الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين ، ص ٢٨ - ٣٠ .

[٢] انظر : جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١١ .

[٣] انظر : مصباح الظلام ، ص ١٦٥ .

[٤] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في شروط لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٥ .

[٥] رسالة للشيخ عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ .

[٦] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٣٠ ، ورسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في شروط لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٥ والرسالة السادسة ضمن مجموع الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٨١ .

وهو شاك في مدلولها ومقتضاها ، فمن قالها وهو شاك فإنها لا تنفعه .

واستدل علماء الدعوة على هذا الشرط بأدلة منها :

١ - قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه « من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة » [١] .

الشاهد : (مستيقناً بها قلبه) .

٢ - وقال ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » .

وفي رواية : « لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » [٢] .

الشاهد : (غير شاك) .

الشرط الثالث : القبول المنافي للرد :

نص الشيخ عبدالرحمن بن حسن على شرط القبول في مواضع متعددة من تقريراته ، يقول في أحدها وهو يعدد شروط لا إله إلا الله :

" الثالث : القبول المنافي للرد " [٣] .

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر شرط العلم : " فإذا عرف ذلك ، فلا بد له من القبول لما دلت عليه ، وذلك ينافي الرد ، لأن كثيراً ممن يقولها ويعرف معناها لا يقبلها ، كحال مشركي قريش والعرب وأمثالهم ، فإنهم عرفوا ما دلت عليه لكن لم يقبلوا ، فصارت دماؤهم وأموالهم حلالاً لأهل التوحيد ، فإنهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٩ - ٦٠ ، رقم ٣١ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٥ - ٥٧ ، رقم ٢٧ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
انظر : هذه الأدلة في قرة عيون الموحدين ، ص ٣٠ ، ورسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٥ .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٩٠ .

﴿إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾[1] ، عرفوا : أن لا إله إلا الله توجب ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله "[2] .

وأوضح هذا الشرط في موضع آخر فقال : " وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الإخلاص كان قوله لهذه الكلمة كذباً منه ، بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ، ونفى ما أثبتته من الإخلاص ، فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة ، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوى ، فيصدفه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم "[3] .

وقد أشار إلى هذا الشرط الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن[4] .

الشرط الرابع : الانقياد المنافي للترك :

وقد نص على هذا الشرط الشيخ عبدالرحمن بن حسن وأشار إليه الشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن[5] يقول الشيخ عبدالرحمن : " الرابع : الانقياد ، المنافي للترك "[6] .

والمقصود بالانقياد : الانقياد لحقوق لا إله إلا الله ، وهي الأعمال الواجبة ، بالعمل بما فرضه الله ، إخلاصاً لله ، وطلباً لمرضاته ، وترك ما حرمه الله ، والتزام ذلك .

فلا بد من العمل بها وبما دلت عليه ، مطابقة ، وتضمناً ، والتزاماً ، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه .

---

(١) سورة الصافات الآيتين : ٣٥ - ٣٦ .

(٢) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٣ .

(٣) قرة عيون الموحدين ، ص ٣٠ - ٣١ .
وانظر : هذا الشرط في المصدر نفسه ، ص ٣٣ ، وجوابين للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ورسالة ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٤٦ .

(٤) انظر : رسالة جوابية للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بعثها إلى الأخ محمد بن عون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٤٢ .

(٥) انظر : رسالة جوابية بعثها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الأخ محمد بن عون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٤٢

(٦) فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٩٠ .

وهو ينافي الترك لمقتضياتها ، ولوازمها ، وحقوقها المصححة للإسلام والإيمان .

فإن كثيراً ممن يدعي الدين ، يستخف بالأمر والنهي ولا يبالي بذلك .

والإسلام حقيقته : أن يسلم العبد بقلبه ، وجوارحه لله تعالى ، وينقاد له بالتوحيد والطاعة ، كما قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [٢] وإحسان العمل لا بد فيه من الإخلاص ومتابعة ما شرعه الله ورسوله [٣] .

الشرط الخامس : الإخلاص ، المنافي للشرك :

ذكر هذا الشرط الشيخ عبدالله أبابطين [٤] والشيخ عبدالرحمن بن حسن يقول الشيخ عبدالرحمن : " الخامس : الإخلاص المنافي للشرك " [٥] .

وأوضح الشيخ عبدالرحمن هذا الشرط فقال : " ولا بد من الإخلاص ، المنافي للشرك ، فإن كثيراً من الناس يقولها وهو يشرك في العبادة ، وينكر معناها ، ويعادي من اعتقده ، وعمل به " [٦] .

وبين رحمه الله ما ينافي هذا الشرط فقال : " فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص ، ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فإنها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة ، ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله " لا إله إلا الله " ، كما هو حال كثير من عبدة الأوثان ، يقولون لا إله إلا الله وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ، ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله ، وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه

---

(١) سورة البقرة الآية : ١١٢ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٢٢ .

(٣) انظر : رسالتين للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، وجواب له ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤) انظر : جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١١ .

(٥) فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٩٠ .

(٦) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٤ .

وقومه : ﴿ إنَّني بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إلاَّ الَّذي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ ﴾ [١] وهي لا إله إلا الله ، وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه وهو البراءة من الشرك ، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له " [٢] .

ومما أورده علماء الدعوة في الاستدلال على هذا الشرط ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ [٣] الآية .

٢ - قال ﷺ : « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » [٤] .

الشاهد : (خالصاً من قلبه) [٥] .

٣ - عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » [٦] .

قال الشيخ عبدالرحمن : " وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك ، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر ، فإن لم يكن مخلصاً فهو مشرك ، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق ، والمخلص أن يقولها مخلصاً الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى " [٧] .

٤ - وعن أنس قال : ذكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل : « من لقي الله لا يشرك به

---

[١] سورة الزخرف الآيات : ٢٦ - ٢٨ .

[٢] قرة عيون الموحدين ، ص ٣٠ .

[٣] سورة الزمر الآيات : ١١ - ١٥ .

[٤] أخرجه البخاري ، ص ٢٧ ، رقم ٩٩ ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٥] انظر : جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ .

[٦] سبق تخريجه ، ص ١١٢ .

[٧] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٩ .

شيئاً دخل الجنة » قال : أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لا إني أخاف أن يتكلوا » [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " فتبين بهذا السياق معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدق ويقين وإخلاص » [٢] .

الشرط السادس : الصدق المنافي للكذب والنفاق :

ذكر هذا الشرط الشيخ عبدالله أبابطين [٣] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن فقال : " السادس : الصدق ، المنافي للكذب " [٤] .

والمراد : أن يقولها صدقاً من قلبه يواطىء قلبه لسانه .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " الصادق : يعرف معنى هذه الكلمة ، ويقبله ، ويعمل بما تقتضيه ، وما يلزم قائلها من واجبات الدين ، فيصدق قلبه لسانه " [٥] .

وهذا بخلاف من قالها وهو غير صادق في قوله فإنها لا تنفعه ، لمخالفة القلب اللسان ، كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، كما قال تعالى عن المنافقين : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [٦] ، فالمنافق يقولها من غير صدق [٧] .

ودليل هذا الشرط حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار » [٨] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٣٤ ، رقم ١٢٩ ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

(٢) فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٣٧ .

(٣) انظر : جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١١.

(٤) فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٩٠ .

(٥) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٥ .

(٦) سورة الفتح الآية : ١١.

(٧) انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٣٠ ، وجواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٤ ، ورسالة له ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٥ .

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٣٣ ، رقم ١٢٨ ، كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

الشرط السابع : المحبة المنافية لضدها :

ذكر هذا الشرط الإمام محمد ، والشيخ عبدالله أبابطين [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " السابع : المحبة المنافية لعدمها " [٢] .

والمراد بالمحبة : المحبة لهذه الكلمة ، ولما دلت عليه من التوحيد والإخلاص وغير ذلك ، والفرح والسرور بذلك ، ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته [٣] .

وقد تقدم قول الإمام محمد : " ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته " [٤] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان هذا الشرط : " لا بد أيضاً من المحبة المنافية لضدها ، فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بمحبة مادلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك ، فمن أحب الله أحب دينه ، ومن لا فلا ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٥] فصارت محبتهم لله ولدينه خاصة ، فأحبوا الله ولدينه ، ووالوا لله ولدينه ، فأحبوا من أحبه الله ، وأبغضوا من أبغضه الله ....

ولهذا وجب أن يكون الرسول ﷺ أحب إلى العبد من نفسه ، وولده ووالده ، والناس أجمعين ، فإن شهادة ألا إله إلا الله تستلزم شهادة أن محمد رسول الله ، وتقتضي متابعته ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٦] " [٧] .

---

[١] انظر : جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١١ .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٩٠ .

[٣] انظر : رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤٦ ، وجواب له ضمن المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٤٤ .

[٤] رسالة تفسير كلمة التوحيد ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٦٣ .

[٥] سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

[٦] سورة آل عمران الآية : ٣١ .

[٧] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن في شروط لا إله إلا الله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٥٤ باختصار .

الشرط الثامن : الكفر بما يعبد من دون الله :

أخذ هذا الشرط من قوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله عز وجل »[١] .

ذكر هذا الدليل الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ثم قال بعده : " وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه ، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، وياله من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع "[٢] .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على كلام جده : " وهذا هو الشرط المصحح لقول : لا إله إلا الله ، فلا يصح قولها بدون هذه الخمس التي ذكرها المصنف رحمه الله أصلاً "[٣] .

وقرر الشيخ عبداللطيف رحمه الله تعالى شروط كلمة الإخلاص في رسالة له ، وقسمها إلى شروط صحة وقبول فقال : " وشروط كلمة الإخلاص يعرفها بحمد الله صغار الطلبة من المسلمين أهل الإثبات ، ويتبين ذلك بتعريف الشرط : وهو أنه ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده الوجود لذاته . وإذا عرف هذا فالعقل يلزم من عدمه العدم ، والتمييز يلزم من عدمه العدم ، والعلم يلزم من عدمه العدم ، هذه شروط الصحة . وأما شروط القبول فالالتزام والإيثار والرضا ، وإذا اجتمعت هذه الشروط حصل القول المنجي والشهادة النافعة ، ومصدر هذه الشروط عن علم القلب وعمله ، وهناك يصدر التلفظ بها عن يقين وصدق .

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٤٢ .

(٢) كتاب التوحيد ، ص ٣٥ .

(٣) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٢١ .

ولها أيضاً شروط منها معرفة الإله الحق بصفات كماله ، ونعوت جلاله التي علوه وارتفاعه واستواؤه على عرشه من أظهرها وأوجبها ، وكذلك معرفة أمره ونهيه ودينه الذي شرعه ، والوقوف مع أمر رسوله وحدوده ، ومنها كون الطبيعة لينة منقادة سلسة قابلة " [١] .

هذه هي شروط لا إله إلا الله كما بينها علماء الدعوة ، فلا تصح هذه الكلمة إلا إذا اجتمعت هذه الشروط .

---

[١] رسالة جوابية بعثها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الأخ محمد بن عون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

المبحث الثالث

مقتضيات لا إله إلا الله وآثارها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مقتضيات لا إله إلا الله .

المطلب الثاني : آثار لا إله إلا الله .

المطلب الأول

مقتضيات لا إله إلا الله

أبرز علماء الدعوة رحمهم الله مقتضيات كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، ومما ذكروه ما يلي :

أولاً : إخلاص العبادة لله وحده ، وترك الشرك :

من مقتضيات كلمة التوحيد إخلاص العبادة لله عز وجل وترك الشرك كبيره وصغيره جليه وخفيه .

وفيما يلي بعض ما صرح به علماء الدعوة من أقوال تدل على هذا المعنى :

١ - قال الشيخ سعيد بن حجي نقلاً عن الحافظ ابن رجب : " فتحققه بقول : لا إله إلا الله ، أن لا يأله القلب غير الله حباً ، ورجاءً ، وخوفاً ، وتوكلاً ، واستعانة وخضوعاً ، وإنابة ، وطلباً ، وتحققه بأن محمداً رسول الله ، أن لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان محمد ﷺ .. وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه ، أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله - والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ، ومحبة وخوفاً ، ورجاءً وتوكلاً عليه ، وسؤلاً منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية ، كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول : لا إله إلا الله ، ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك " [(١)] .

٢ - ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " وبالجملة فلا يأله إلا الله ، أي : لا يعبد إلا هو ، فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها ، عاملاً بمقتضاها ، من نفي الشرك ، وإثبات الوحدانيه لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به ، فهذا هو المسلم حقاً ، فإن عمل به ظاهراً من غير اعتقاد ، فهو المنافق ، وإن عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر ، ولو قالها ، ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهراً وهم في الدرك الأسفل من النار ، واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك

---

(١) رسالة الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٥٩ ، وكلام الحافظ ابن رجب في كتابه كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، ص ٢١ - ٢٤ باختصار .

والكفـر ، فلم تنفعـهم ، وكـذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمـها وحقوقها ، فإنها لا تنفعه ولو قالها مائة ألف ، فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله ، كعباد القبور والأصنام ، فلا تنفعهم ، ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها ، وما أشبهه من الأحاديث " [١] .

٣ - وقال الشيخ عبدالله أبابطين : " فالموحد : من جمع قلبه ولسانه مخلصاً لله تعالى في الإلهية ، المقتضية لعبادته بمحبته وخوفه ورجائه ودعائه والاستغاثة به والتوكل عليه ، وحصر الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله وحده ، والموالاة في ذلك والمعاداة فيه ، وامتثال أمره ، ناظراً إلى حق الخالق والمخلوق ، من الأنبياء والأولياء ، مميزاً بين الحقين ، وذلك واجب في علم القلب وشهادته ، وذكره ومعرفته ، ومحبته وموالاته وطاعته ، وهذا من تحقيق " لا إله إلا الله " لأن معنى " الإله " عند الأولين ما تألهه القلوب بالمحبة التي كحب الله ، والتعظيم والإجلال والخضوع ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [٢] .

فالمحبة التي لله غير المحبة التي مع الله ، قال الله تعالى ، عن الكفار : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٣] " [٤] .

٤ - وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن كلام جامع قرر فيه مقتضيات لا إله إلا الله ، فقال في رسالة نواة الإيمان : " ويدخل في الإيمان : إيمان العبد بتوحيد الإلهية ، الذي تضمنته شهادة الإخلاص (لا إله إلا الله) ، فقد تضمنت نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عما سواه سبحانه وتعالى ، من كل مخلوق ومربوب ، وأثبتت ذلك على وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالى ، فلا شريك له في فرد من أفراد العبادة ..

ويدخل في العبادة الشرعية : كل ما شرعه الله ورضيه : من الأقوال والأعمال

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٨ .

[٢] سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

[٣] سورة الشعراء الآيتين : ٩٧ - ٩٨ .

[٤] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

الباطنة والظاهرة : من محبة الله ، وتعظيمه وإجلاله ، وطاعته والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، ودعائه خوفاً وطمعاً ، وسؤاله رغباً ورهباً ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، والوفاء بالعهود ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمملوك والمسكين وابن السبيل ، وكذا النحر والنذر ، فإنهما من أجّل العبادات ، وأفضل الطاعات ، وكذا الطواف ببيته تعالى ، وحلق الرأس نسكاً ، تعظيماً وعبودية . وكذا سائر الواجبات والمستحبات .

فحق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

والشرك في العبادة : ينافي هذا التوحيد ويبطله .. فمن صرف شيئاً من العبادات القولية أو الاعتقادية أو المالية أو العملية - لغير الله : فقد أشرك شركاً يبطل به التوحيد وينافيه " [١] .

ثانياً : الكفر بالطاغوت :

من مقتضيات لا إله إلا الله الكفر بالطاغوت ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [٢] .

وقد تحدث علماء الدعوة عن معنى الطاغوت في اللغة والشرع ، وعن حقيقة الكفر به .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان معنى الطاغوت في اللغة : " الطاغوت : مشتق من الطغيان ، وهومجاوزة الحد " [٣] هذا هو معناه في اللغة .

أما معناه في الشرع : فقد ذكر علماء الدعوة [٤] ، جملة من أقوال أهل العلم في بيان

---

[١] نواة الإيمان ، ص ٣٥ ، ٣٧ باختصار .

[٢] سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٧ .

[٤] انظر : هذه الأقوال في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩ - ٥٠ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٨٧ - ٨٨ ، والانتصار لحزب الله الموحدين ، ص ٢٤ .

معنى الطاغوت في الشرع ، ومن هذه الأقوال ما يلي :

١ - قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " الطاغوت : الشيطان [١] .

٢ - وقال جابر رضي الله عنه : الطواغيت : كهان كانت تنزل عليهم الشياطين [٢] .

٣ - وقال مجاهد [٣] : " الطاغوت : الشيطان في صورة الإنسان ، يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم [٤] .

٤ - قال مالك : الطاغوت : كل ما عبد من دون الله [٥] .

قال الشيخ سليمان معلقاً على قول الإمام مالك المتقدم : " قلت : وهو صحيح ، لكن لا بُدّ فيه من استثناء من لا يرضى بعبادته " [٦] .

٥ - قال العماد بن كثير : الطاغوت : الشيطان ، وما زينه من عبادة غير الله [٧] .

وهذه التفاسير التي ذكرها العلماء للطاغوت ليس بينها تعارض ولا تضاد ، لأنهم فسروا الطاغوت ببعض أفراده [٨] .

٦ - وقد حدّه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حداً عاماً جامعاً فقال : " الطاغوت ، ما تجاوز به العبد حدّه : من معبود ، أو متبوع ، أو مطاع ، فطاغوت كل قوم : من

---

[١] أخرجه الطبري في التفسير ، ج٣ ، ص ٢٠ ، رقم ٥٨٣٥ ، وعلقه البخاري في صحيحه ، ص ٩٤٩ ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ج٨ ، ص ١٠٠ : " وصله عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده وعبدالرحمن بن رسته ، في كتاب الإيمان ، كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي " .

[٢] أخرجه الطبري في التفسير ، ج٣ ، ص ٢٠ ، رقم ٥٨٤٦ ، وعلقه البخاري في صحيحه ، ص ٩٤٩ ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ج٨ ، ص ١٠٠ " وصله ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه " .

[٣] مجاهد بن جبر ، المخزومي ، مولاهم ، المكي ، تابعي ، ثقة ، إمام في التفسير ، توفي سنة ١٠٠هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٤٤٩ ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ٤٢ ، تقريب التهذيب ، ص ٩٢١ ، الأعلام ، ج٥ ، ص ٢٧٨ .

[٤] أخرجه الطبري في التفسير ، ج٣ ، ص ٢٠ ، رقم ٥٨٣٧ ، وابن كثير في تفسيره ، ج١ ، ص ٥١٢ .

[٥] أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ، ج٢ ، ص ٢٢ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠ .

[٧] انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج١ ، ص ٣١١ .

[٨] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩ ، وفتح المجيد ، ص ٤٨ .

يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله .

فهذه طواغيت العالم . إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها ، رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت ، وعن طاعة الله ورسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته " [١] .

وقد وصف الشيخ حمد بن عتيق قول ابن القيم في الطاغوت : بأنه أحسن ما قيل فيه وأكمله [٢] .

٧ - وقد ذكر هذا بمعناه الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب فقال : " الطاغوت عام ، فكل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت . والطواغيت كثيرة ورؤسهم خمسة :

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٣] .

الثاني : الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام الله تعالى ، والدليل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [٤] .

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٥] .

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ

---

[١] إعلام الموقعين ، ج١ ، ص ٥٣ .

[٢] انظر : إبطال التنديد ، ص ١٢٤ .

[٣] سورة يس الآية : ٦٠

[٤] سورة النساء الآية : ٦٠ .

[٥] سورة المائدة الآية : ٤٤ .

فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] .

الخامس : الذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [٣] " [٤] .

قال الشيخ عبدالله أبابطين بعد أن نقل بعض أقوال العلماء في تعريف الطاغوت : " فتحصل من مجموع كلامهم - رحمهم الله - أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر ، وسدنة الأوثان إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضللة للجهال ، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده ، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب ، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده ، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه . وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان ؛ فهو الطاغوت الأكبر " [٥] .

وبهذا يتقرر أن مسمى الطاغوت عام شامل لكل ما عبد من دون الله . ولكن بقي مسألة وهي : هل يدخل تحت هذا المسمى من عُبد من الملائكة والأنبياء والصالحين أم لا ؟

---

(١) سورة الجن الآيتين : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٥٩ .

(٣) سورة الأنبياء الآية : ٢٩ .

(٤) رسالة معنى الطاغوت ورؤس أنواعه ، الرسالة السادسة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .

(٥) مجموعة التوحيد ، ج١ ، ص ١٧٣ .

والجواب : أنهم لا يدخلون تحت مسمى الطاغوت بلا شك ؛ لأنهم لا يرضون بهذه العبادة .

وإنما الذي يدخل تحت مسمى الطاغوت من عُبد وهو راض ، ولهذا قيده الإمام محمد بن عبدالوهاب بهذا القيد كما تقدم فقال : " الطاغوت عام ، فكل ما عُبد من دون الله ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت " [1] .

فجعل الرضا بالعبادة قيداً في إطلاق اسم الطاغوت على المعبود من دون الله .

وبهذا يتبين أن من عُبد من دون الله وهو غير راض بذلك كالملائكة والأنبياء والصالحين لا يسمى طاغوتاً ، وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعاهم إلى ذلك وزينه لهم من الجن والإنس .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " كل من عبد شيئاً من دون الله بأي نوع كان من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة فإنما عبد الطاغوت ، فإن كان المعبود صالحاً كانت عبادة العابد له واقعة على الشيطان الذي أمره بعبادته وزينها له كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [3] .

وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه كالطواغيت ، أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً كاللات والعزى ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناماً على صور

---

[1] رسالة معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه ، الرسالة السادسة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٧ ، وانظر : هذا القيد في كلام له ضمن الدرر السنيه في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

[2] سورة سبأ الآيتين : ٤٠ - ٤١ .

[3] سورة يونس الآيات : ٢٨ - ٣٠ .

الصالحين والملائكة أو غير ذلك ، فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرأوا منه ، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائناً من كان " [١] .

حقيقة الكفر بالطاغوت :

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب مبيناً حقيقة الكفر بالطاغوت : " اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [٢] .

فأما صفة الكفر بالطاغوت فهي أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها ، وتعاديهم .

وأما معنى الإيمان بالله فهو أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها له ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ، وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها ، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [٣] " [٤] .

وقال أيضاً في بيان معنى الكفر بالطاغوت : " ومعنى الكفر بالطاغوت : أن تبرأ من كل ما يعتقد فيه غير الله ، من جني ، أو إنسي ، أو شجر ، أو حجر ، أو غير ذلك ، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه ، ولو كان أنه أبوك أو أخوك ، فأما من قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وأنا لا أتعرض السادة ، والقباب على القبور ، وأمثال ذلك ، فهذا كاذب في قول : لا إله إلا الله ، ولم يؤمن بالله ، ولم يكفر بالطاغوت " [٥] .

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، وانظر فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٥٦ .

[٢] سورة النحل الآية : ٣٦ .

[٣] سورة الممتحنة الآية : ٤ .

[٤] رسالة معنى الطاغوت ورؤس أنواعه ، الرسالة السادسة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

[٥] رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢١ - ١٢٢ . وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالله أبابطين عن معنى الكفر بالطاغوت في جواب له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٢ ، وجواب آخر ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٨١ .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين في بيان معنى الكفر بالطاغوت : " ولا إله إلا الله : متضمنة للكفر بما يعبدون من دونه ، لأن معنى : لا إله إلا الله : إثبات العبادة لله وحده ، والبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى : الكفر بما يعبد من دونه ، لأن معنى الكفر بما يعبد من دونه ، البراءة منه ، واعتقاد بطلانه ، وهذا معنى الكفر بالطاغوت ، في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [١] " [٢] .

فالخلاصة أن من مقتضيات كلمة التوحيد الكفر بالطاغوت .

ثالثاً : محبة الله ومحبة ما يحبه الله من الأقوال والأعمال والأشخاص ، وموالاتهم ، وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال ، وبغض من فعل ذلك ، فيوالي أهل التوحيد ، ويعادي أهل الشرك ، ويتبرأ منهم ، ويكفرهم ، وهذا كله من مقتضيات لا إله إلا الله ، كما قال ذلك علماء الدعوة ، ومن أقوالهم ما يلي :

١ - قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : " فاعلم أن وصية الله لعباده هي : كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام ، فعند ذلك : افترق الناس سواء جهلاً أو بغياً أو عناداً ، والجامع لذلك : اجتماع الأمة على وفق قول الله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [٣] ، وقوله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [٤] .

فالواجب : على كل أحد إذا عرف التوحيد وأقرَّ به : أن يحبه بقلبه وينصره بيده ولسانه ، وينصر من نصره ووالاه ، وإذا عرف الشرك وأقرَّ به : أن يبغضه بقلبه ، ويخذله بلسانه ، ويخذل من نصره ووالاه باليد ، واللسان ، والقلب ، هذه : حقيقة الأمرين ، فعند ذلك يدخل في سلك من قال الله فيهم : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [٥] .

---

[١] سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

[٢] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

[٣] سورة الشورى الآية : ١٣ .

[٤] سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

[٥] سورة يوسف الآية : ١٠٨ .

فنقول : لا خلاف بين الأمة ، أن التوحيد لا بدّ أن يكون بالقلب الذي هو العلم ، واللسان الذي هو القول ، والعمل الذي هو تنفيذ الأوامر والنواهي ، فإن أخلَّ بشيء من هذا ، لم يكن الرجل مسلماً ، فإن أقرَّ بالتوحيد ولم يعمل به ، فهو : كافر معاند كفرعون وإبليس ، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يعتقده باطناً فهو : منافق خالصاً أشر من الكفار ، والله أعلم " [١] .

٢ - يقول الشيخ سعيد بن حجي فيما نقله عن الحافظ ابن رجب : " قول : لا إله إلا الله تقتضي أن لا يُحب سواه ، فإن الإله هو الذي يطاع فلا يعصى محبة وخوفاً ورجاءً ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله ، أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول : لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله ، قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٢] ...

وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٣] وهذا نص في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى ، والموالاة على ذلك والمعاداة فيه من الشرك الخفي " [٤] .

٣ - يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " وقد تفاوت الناس في هذا التوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله فهماً وعلماً واعتقاداً وعملاً أعظم تفاوت ، فمنهم من يقولها عن علم ويقين صادقاً مخلصاً من قلبه ، وأدّى حقوقها ، وعمل بمقتضاها ، من المعاداة لأهل الشرك بالله ، والموالاة لأهل التوحيد متقدِّمهم ومتأخرهم ، واستقام على ذلك ولم يأت بما يبطلها .

وهؤلاء هم المسلمون المؤمنون الذين لم يخلطوا إيمانهم بشرك ، فأدوا شكر ما أنعم

---

[١] رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

[٢] سورة محمد الآية : ٢٨ .

[٣] سورة آل عمران الآية : ٣١ .

[٤] الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٦١ - ٨٦٢ باختصار، وكلام الحافظ ابن رجب في كتابه كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، ص ٢٩ - ٣١ .

الله به عليهم من الإخلاص له والبراءة من كل دين يخالف ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ [1] الآية . والمراد الربوبية الخالصة ، وهي أن يتخذوا خالقهم ومالكهم والمتصرف فيهم معبوداً دون كل ما سواه .

أخرج ابن جرير بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ قال : « قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم » [2] .. " [3] .

٤ - قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ، والشيخ علي بن حسين ، والشيخ إبراهيم بن سيف في رسالة لهم : " فالتوحيد هو إفراد الله بالإلهية ، كما تقدم بيانه ، ولا يحصل ذلك إلا بالبراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً ، كما ذكر الله تعالى ذلك عن إمام الحنفاء عليه السلام بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [5] .

فتأمل : كيف ابتدأهم بالبراءة من المشركين ، وهذا هو حقيقة معنى : لا إله إلا الله ومدلولها ، لا بمجرد قولها باللسان من غير معرفة وإذعان لما تضمنته كلمة الإخلاص من نفي الشرك وإثبات التوحيد ، والجاهلون من أشباه المنافقين : يقولونها بألسنتهم من غير معرفة لمعناها ، ولا عمل بمقتضاها ، ولهذا نجد كثيراً ممن يقولها باللسان إذا قيل له : لا يُعبد إلا الله ، ولا يُدعى إلا الله ، اشمأز من هذا القول ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [6] .

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) سورة فصلت الآية : ٣٠ ، وسورة الأحقاف الآية : ١٣ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ، ج١١ ، ص ١٠٦ ، رقم ٣٥١٦ .

(٣) المورد العذب الزلال في نقض شبه أهل الضلال ، ص ١٤ - ١٥ .

(٤) سورة الزخرف الآية : ٢٦ .

(٥) سورة الأنعام الآيتين : ٧٨ - ٧٩ .

(٦) سورة الزمر الآية : ٤٥ .

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [١] ، والحنيف هو : المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه ، وقد قال تعالى : ﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [٢] .

وتقديم المعمول : يفيد الحصر ، كما في هذه الآية وأشباهها " [٣] .

٥ - وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " وأما الموالاة ، والمعاداة ، فهي من أوجب الواجبات ، وفي الحديث « أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله » [٤] ، وأصل الموالاة : الحب ، وأصل المعاداة : البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة ، كالنصرة والأنس والمعاونة ، وكالجهاد والهجرة ، ونحو ذلك من الأعمال ، والولي ضد العدو " [٥] .

٦ - وقال الشيخ عبداللطيف أيضاً : " والمرء قد يكره الشرك ، ويحب التوحيد ، لكن يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم ، فيكون متبعاً لهواه ، داخلاً من الشرك في شعب تهدم دينه وما بناه ، تاركاً من التوحيد أصولاً وشعباً ، لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه ، فلا يحب ولا يبغض لله ، ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسواه ، وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلا الله " [٦] .

٧ - وقال الشيخ حمد بن عتيق : " ومن أعظم الواجبات على المؤمن ، محبة الله ومحبة ما يحبه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وكذلك ما يحبه من الأشخاص ،

---

[١] سورة يونس الآيتين : ١٠٥ - ١٠٦ .

[٢] سورة العنكبوت الآية : ٥٦ .

[٣] رسالة مشتركة بين الشيخ عبدالرحمن بن حسن ، والشيخ علي بن حسين ، والشيخ إبراهيم ابن سيف ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

[٤] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٢٨٦ ، وأبوداود الطيالسي في مسنده ، ج٣ ، ص ١٠١ ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، والحديث حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

[٥] جواب للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

[٦] رساله بعثها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الاخ حمد بن عبدالعزيز ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٨ ، ص ٣٩٦ .

كالملائكة ، وصالح بني آدم ، وموالاتهم ، وبغض ما يبغضه الله ، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وبغض من فعل ذلك " [١] .

٨ - وقال أيضاً : " فأصل دين جميع الرسل هو القيام بالتوحيد ، ومحبته ومحبة أهله ، وموالاتهم ، وإنكار الشرك وتكفير أهله وبغضهم ، وإظهار عداوتهم " [٢] .

الرابع : تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع :

من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ، تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى عند باب قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [٣] " نبه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد ، واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع ، إذ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ، ولازمها الذي لابد منه لكل مؤمن ، فإن من عرف أن لا إله إلا الله ، فلا بد من الانقياد لحكم الله ، والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ .

فمن شهد أن لا إله إلا الله ، ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع ، فقد كذب في شهادته ... " [٤] .

وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع ، وأن ذلك من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن ذلك ما أورده الإمام محمد بن عبدالوهاب في الباب المتقدم ذكره ، ومما أورده ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ

---

[١] رسالة للشيخ حمد بن عتيق ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٨ ، ص ٤١١ .

[٢] رسالة بعثها الشيخ حمد بن عتيق إلى الأخ عبدالله بن صالح ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٨ ، ص ٤١٨ .

[٣] سورة النساء الآية : ٦٠ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في شرحه لهذه الآيات : " فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به ، فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ومن كان يحكم بهما ، فمن حاكم إلى غيرهما : فقد تجاوز به حدَّه ، وخرج عما شرعه الله ورسوله ، وأنزله منزلة لا يستحقها .. وقوله : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ يبيِّن تعالى في هذه الآية : أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه ، ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله ، وأكده بالمصدر ، ووصفه بالبعد ، فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى ، ففي هذه الآية أربعة أمور . الأول : أنه من إرادة الشيطان . الثاني : أنه ضلال . الثالث تأكيده بالمصدر . الرابع : وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى . فسبحان الله ، ما أعظم هذه القرآن وما أبلغه ، وما أدله على أنه كلام رب العالمين ، أوحاه إلى رسوله الكريم ، وبلغه عبده الصادق الأمين . صلوات الله وسلامه عليهما أجمعين .

قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [٢]. بين تعالى أن هذه صفة المنافقين ، وأن من فعل ذلك أو طلبه ، وإن زعم أنه مؤمن فإنه في غاية البعد من الإيمان " [٣] .

٢ - قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ومناسبة الآية للترجمة : أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين ، وهو من الفساد في الأرض " [٥] .

---

[١] سورة النساء الآيات : ٦٠ - ٦٢ .

[٢] سورة النساء الآية : ٦١ .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٥٥ - ٦٥٨ باختصار ، وانظر: تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٥٥ - ٥٥٧ .

[٤] سورة البقرة الآية : ١١ .

[٥] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٥٩ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٦٧ .

٣ - قال تعالى : ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾ [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ووجه مطابقة هذه الآية للترجمة : أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي ، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، وهو سبيل المؤمنين ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [٢] " [٣] .

٤ - قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " قال ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير وعدل ، الناهي عن كل شر ، إلى ما سواه من الآراء ، والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون بها من الضلالات والجهالات ، كما يحكم بها التتار من السياسات المأخوذة عن جنكز خان [٥] الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسها من شرائع شتى من الملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره ، فصار في بنيه شرعاً يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة .

ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير " [٦] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " وفي الآية : التحذير من حكم الجاهلة ، واختياره على حكم الله ورسوله ، فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن ، وهو الحق ، إلى ضده من الباطل " [٧] .

---

[١] سورة الأعراف الآية : ٥٦ .

[٢] سورة النساء الآية : ١١٥ .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٦١ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٦٧ .

[٤] سورة المائدة الآية : ٥٠ .

[٥] أعظم ملوك التتار ، وواضع سياستهم التي يتحاكمون إليها ، مجهول النسب ، مسرف في القتل ، مات سنة ٦٢٤ .
انظر في ترجمته : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١١٧ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٦٧ ، وكلام الحافظ ابن كثير في تفسيره ، ج٢ ، ص ٦٧ .

[٧] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٦٢ .

المطلب الثاني

آثار لا إله إلا الله

كلمة التوحيد لا إله إلا الله لها آثار عظيمة إذا قيلت بصدق وإخلاص ، واستوفت شروطها وعمل بمقتضاها .

وقد تحدث علماء الدعوة عن آثار هذه الكلمة ، فمما ذكروه ما يلي :

١ - أن من مات عليها دخل الجنة :

من آثار كلمة التوحيد أن من مات عليها دخل الجنة ، لحديث معاذ مرفوعاً « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (١) .

قال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في إحدى خطبه : " فسارعوا عباد الله إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين الذين قاموا بواجبات لا إله إلا الله . ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين . وتمسكوا بعرى لا إله إلا الله فمن نفى ما نفته ، وأثبت ما أثبتته ، ووالى عليها وعادى رفعته إلى أعلى عليين منازل أهل لا إله إلا الله " (٢) .

وقد ذكر هذا الأثر الشيخ سعيد بن حجي رحمه الله (٣) .

٢ - أنها تعصم الدم والمال :

فمن آثارها أنها تعصم الدم والمال لمن قالها إلا بحقها (٤) يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " فمن تحقق مبدأ قول هذه الكلمة العظيمة من إخلاص العبادة لله تعالى والبراءة من عبادة ما سواه بالجنان والأركان ، وعمل بما اقتضته فرائض الإسلام والإيمان كان معصوم الدم والمال ، ومن رد فلا قال تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ (٥) فدلت هذه الآية الكريمة على أن عصمة الدم والمال لا تحصل بدون

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٢٦٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ، ص ٥٧ .

(٣) انظر : رسالة الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لا إله إلا الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٨٥٨

(٤) انظر : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٥٨ .

(٥) سورة التوبة الآية : ٥ .

هذه الثلاث ؛ لترتيبها عليها بترتيب الجزاء على الشرط . وفي الصحيح عن أبي مالك الأشجعي [١] عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى » [٢] فلا بّد لتصحيحها من الإخلاص لله تعالى ، ونفي الشرك كما قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [٣] " [٤] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن معلقاً على الحديث السابق : " اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين :

الأول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين كما هو مقيد في قولها في غير ما حديث ، كما تقدم .

والثاني : الكفر بما يعبد من دون الله ، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لا بّد من قولها والعمل بها " [٥] .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى : " فتبين : أن النطق بالشهادتين دليل على العصمة لا أنه عصمة ، أو يقال : هو العصمة لكن بشرط العمل " [٦] .

٣ - صلاح النفس ، وسعادتها ، ونجاتها :

فلا صلاح ولا سعادة ولا نجاة إلا بالعمل بلا إله إلا الله ، فأهل السعادة والنجاة هم أهل لا إله إلا الله .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن فيما نقله عن ابن تيمية في بيان هذا الأثر : " ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح النفس ، وهو عبادة الله وحده لا شريك

---

(١) سعد بن طارق بن أشيم ، الكوفي ، وثقه غير واحد من أهل العلم ، توفي في حدود ١٤٠هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج ٦ ، ص ١٨٤ ، ميزان الاعتدال ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، تهذيب التهذيب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، تقريب التهذيب ، ص ٣٦٩

(٢) سبق تخريجه ، ص ٢٤٢ .

(٣) سورة النساء الآية : ٣٦ .

(٤) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٢١ .

(٥) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٢٠ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٦ .

(٦) إبطال التنديد ، ص ٤٧ .

له ، فلا صلاح للنفس إلاّ في ذلك وبدونه تكون فاسدة ، وهو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٢] .

فالغاية الحميدة التي بها كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم عبادة الله وحده ، وهي حقيقة لا إله إلا الله .

وكل من لم يحصل له هذا الإخلاص لم يكن من أهل النجاة والسعادة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [٣] .

فمن آمن بأن الله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد الله وحد ، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه ، وأخشى عنده من كل ما سواه ، وأرجى عنده من كل ما سواه ، بل من سوّى بين الله وبين بعض المخلوقين في الحب ، بحيث يحبه كما يحب الله ، ويخشاه كما يخشى الله ، ويرجوه كما يرجو الله ويدعوه كما يدعو الله ، فهو مشركٌ الشرك الذي لا يغفره الله ، ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه ، وكان حليماً شجاعاً ، انتهى " [٤] .

٤ - اجتماع الكلمة واتحاد الصف ، وعدم التفرق والاختلاف :

من آثار لا إله إلا الله جمع كلمة المسلمين ، واتحاد صفهم ، ولمُّ شملهم ، والقضاء على الفرقة والانقسام فيما بينهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا

---

(١) سورة النحل الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الروم الآيتين : ٣٠ - ٣١ .

(٣) سورة النساء الآية : ١١٦ .

(٤) إرشاد طالب الهدى لما يباعد عن الردى ضمن سلسلة التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [(١)] .

وقد تكلم الشيخ حسين بن غنام على هذه الآيات ، وبيَّن من خلالها هذه الثمار العظيمة فقال : " وقوله : : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وهو القرآن المبين ، الذي نزل به الروح الأمين ، وحفظه عن تحريف المبطلين . . .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ هذا أمر من الله تعالى لعباده بلزوم الجماعة ، ونهي لهم عن التفرق التي هي منشأ نبذ الدين والإضاعة ، بعدما أمرهم جل جلاله بالتمسك والاعتصام بالسبب المتين ، أتبعه بالنهي عن ضده لأنه الحالقة للدين ، وهو الداء العضال الذي أوقع الاستئصال بالأمم السالفة ، ثم بعدهم في الأمم الخالفة فصارت به تاوية [(٢)] تالفة .

وقد وردت أحاديث كثيرة بالأمر بالاجتماع والائتلاف ، والنهي عن التفرق والاختلاف ، والآثار في ذلك كثيرة ، فلا نطيل بتعدادها لكونها معلومة شهيرة . .

وقوله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

ذكرهم جل جلاله نعمته التي أنعم بها عليهم ، ومنته التي أسداها إليهم ، التي هي أجل نعمة وأجزل منة ، لأنها الهداية والتوفيق للإسلام الذي هو السبب في دخول الجنة ، وأعقب النهي عن الفرقة عن الحق كما وقع لأهل الكتاب ، وكما جرى بينهم في الجاهلية من المحاربة والاستلاب ، بتذكيرهم بنعمته العظيمة ، ليكون أنفع لقبول الذكرى ، وأقمع عن تعاطي عادتهم القديمة ، وأردع في الكفر وأحرى .

وهذه الآية نزلت في الأوس والخزرج [(٣)] ، فإنه كانت بينهم في الجاهلية حروب كثيرة

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

(٢) تاوية : هالكة ، انظر : لسان العرب ، ج١٤ ، ص ١٠٦ .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدي ، ص ٦٦ - ٦٧ .

وعداوة شديدة ، وضغائن وأحوال طال بينهم بسببها الوقائع والقتال .

فلما جاء الإسلام ودخل فيه من دخل منهم ، اضمحل ذلك كله وزال ، وصاروا متواصلين متحابين في الله إخواناً ، وعلى أعدائهم من الكفار أعواناً ، كما وصفهم الله تعالى بذلك في كتابه ، وأفصح به في جليل خطابه ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [1] .

وقوله : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾أي : مشفين على الوقوع في السعير لما هم فيه من الذنب الكبير ، إذ لو ماتوا وهم كفار لكان مأواهم النار وبئس المصير .

وقوله : ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ أي بسبب الهداية للإسلام والإيمان ، ذكرهم جل جلاله ذلك في سياق الامتنان ، فأخبرهم أنه قد زال ما بينهم من التقاطع والعداوة والأضغان ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ فصاروا يداً واحدة على العدوان ، وأنقذهم من الوقوع في مهواة النيران وهداهم إلى ما يعقبهم الخلود في الجنان .

وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴾ أي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم دلائله ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي تدومون على الهدى وتزدادون فيه . قيل : كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين ، فوقع بين أولادهم العداوة ، وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله تعالى بالإسلام [2] " [3] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله على هذه الآيات : " ابتدأ الآية بالأمر بأن يتقى حق تقاته ، وأمر بالتزام الإسلام والعض عليه بالنواجذ حتى الممات ؛ لأن قوله ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [4] تخصيص وحث على التزامه في جميع أوقات العمر والساعات ، ومن عاش على شيء مات عليه .

---

(١) سورة الأنفال الآيتين : ٦٢ - ٦٣ .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ، ج٣ ، ص ٣٨١ .

(٣) العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين ، ص ٢٢٧ - ٢٣١ باختصار .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

وقد أمر بالاعتصام بحبله وهو دينه وكتابه أمراً عاماً لجميع المكلفين وسائر المخاطبين ؛ لأن التقوى والتزام الإسلام يتوقف على ذلك ، ولا يحصل المقصود منه إلا بالاعتصام بحبل الله وترك التفرق والاختلاف ؛ لما فيهما من فساد الدين وهدم أصوله وقواعده .

ثم ذكرهم بنعمته عليهم بتأليف قلوبهم واجتماعهم بعد العداوة والبغضاء ، فإن التفرق والاختلاف عذاب وهلاك وشقاوة في العاجل والآجل ، والجماعة والائتلاف رحمة وسعادة ونعيم في العاجل والآجل .

وأخبرهم أنهم كانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الضلالة والجاهلية ، فامتن عليهم وأنقذهم ، واجتباهم ، وهداهم ، وجمع قلوبهم وشملهم بعد الفرقة والشتات ، وأعزهم ، وأغناهم بعد الفقر والحاجات .

فيا لها من نعم ما أجلها ، ومواهب ما أعظمها وأبرها لمن عقلها وشكرها ، ولذلك ختم الآية بقوله ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ فيه بيان الحكمة المقتضية لبيان الآيات والتذكير بالنعم ، وأن المراد بها حصول الاهتداء وترك أسباب الشقاء والردى " [1] .

٥ - حصول الظهور والنصر والغلبة للإسلام والمسلمين :

فمن آثار لا إله إلا الله ما يحصل لمن تمسك بها ، وعمل بمقتضاها ، ونصرها من الظهور والنصر والغلبة والعزة والتمكين في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [2] .

وقد أشار إلى هذه الآثار العظيمة الإمام محمد بن عبدالوهاب في اللقاء التاريخي الذي حصل بينه وبين الإمام محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ ، كما حكى ذلك الشيخ المؤرخ عثمان بن بشر .

---

[1] رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ، الرسالة الرابعة والثلاثون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ١٩٦ - ١٩٧.

[2] سورة النور الآية : ٥٥ .

يقول ابن بشر في وصف ما جرى بين الإمام محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود حينما التقيا : " فسار إليه محمد بن سعود ، ودخل عليه في بيت ابن سويلم فرحب به وقال : أبشر ببلاد خير من بلادك ، وبالعز والمنعة . فقال له الشيخ : وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين ، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم ، فمن تمسك بها ، وعمل بها ، ونصرها ، ملك بها البلاد ، والعباد ، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل ، والفرقة ، والاختلاف والقتال لبعضهم بعضاً ، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك " [١] .

ومصداق ما قاله الإمام محمد بن عبدالوهاب للإمام محمد بن سعود ما حصل لأهل البلاد النجدية من النصر على أعدائهم والتمكين لهم في الأرض ، وانتشار ملكهم في أغلب الجزيرة العربية .

وقد أشار الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى هذه الحقيقة في رسالة المقامات في عدة مواضع ، فمنها ما قاله في المقام الخامس بقوله : " وانتشر ملكهم ، وصار كل من بقي في أماكنهم سامعا مطيعاً لإمام المسلمين القائم بهذا الدين ، فانتشر ملك أهل الإسلام حتى وصل إلى حدود الشام مع الحجاز وتهامة وعمان ، وصاروا بحمد الله في أمن وأمان يخافهم كل مبطل وشيطان، ففي هذا معتبر لأهل الإعتبار مع ما وقع بمن حاربهم من الخراب والدمار واستيلاء المسلمين على ما كان لهم من العقار والديار ، فلا يرتاب في هذا الدين بعد هذا البيان إلا من عميت بصيرته وفسدت علانيته وسريرته " [٢] .

ومنها ما قاله في المقام التاسع في حديثه عن الدول التركية المصرية بقوله : " والمقصود بما ذكرنا الاعتبار بأن الله حفظ هذا الدين ومن تمسك به ، وأيدهم بالنصر على ضعفهم وقلتهم ، وأوقع بأسه بهذه الدول على قوتهم وكثرتهم وأسباب كيدهم ، ثم إن الله تعالى أهلك تلك الدول بما أجرى عليهم من حرب النصارى في بلاد الروم ، فكل دولة مشت على نجد والحجاز لم يبق منهم اليوم عين تطرف ، وكانوا لا يحصي عددهم إلا الله ، فهلكوا في حرب النصارى ، فصارت العاقبة والظهور لمن جاهدهم في الله من الموحدين ، فجمع الله

---

[١] عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ٤٢ .

[٢] المقامات للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، ص ١٨ .

لهم بعد تلك الحوادث العظيمة من النعم والعز والنصر مالا يخطر بالبال ، ولا يدور في الخيال ، فلا يشك في هذا الدين بعد ما جرى ممن ذكرناه إلا من أعمى الله بصيرته ، وجعل على قلوبهم أكنة عن فهم أدلة الكتاب والسنة ، ولم يعتبروا بما جرى لهذا الدين من ابتدائه إلى يومنا هذا ، وكل من ذكرنا من الدول والبادي والحاضر رام إطفاءه ، وكلما أرادوا إطفاءه استضاءت أنواره ، وعز أنصاره ، فلله الحمد لا نحصي ثناءً عليه ، فهذا ما جرى على الدول التي زعم ابن منصور أن شيخنا جرها على أهل نجد ، وما جرى بسبب تلك الدول من ظهور هذا الدين والعز والتمكين ، وذهاب من ناوأهم من هذه الدول وغيرها ، فلله الحمد لا نحصي ثناءً عليه ، وهو المرجو أن يوزعنا شكر ما أنعم به علينا من هذا الدين الذي رضيه لعباده وخص به المؤمنين ، وصلى الله على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً . ومن عجيب ما اتفق لأهل هذه الدعوة أن محمد بن سعود - عفى الله عنه - لما وفقه الله لقبول هذا الدين ابتداء بعد تخلف الأسباب وعدم الناصر ، شمّر في نصرته ، ولم يبال بمن خالفه من قريب أو بعيد حتى أن بعض أناس ممن له قرابة له عذله عن هذا المقام الذي شمر إليه فلم يلتفت إلى عذل عاذل ولا لوم لائم ، ولا رأي مرتاب ، بل جدَّ في نصرة هذا الدين ، فملكه تعالى في حياته كل من استولى عليه من القرى ، ثم بعد وفاته صار الأمر في ذريته يسوسون الناس بهذا الدين ، ويجاهدون فيه كما جاهدوا في الابتداء ، فزادت دولتهم ، وعظمت صولتهم على الناس بهذا الدين الذي لا شك فيه ولا التباس ، فصار الأمر في ذريته لا ينازعهم فيه منازع ، ولا يدافعهم عنه مدافع ، وأعطاهم الله القبول والمهابة ، وجمع عليهم من أهل نجد وغيرهم ممن لا يمكن اجتماعهم على إمام واحد إلا بهذا الدين ، وظهرت لأثار [(١)] الإسلام في كثير من الأقاليم النجدية وغيرها مما تقدم ذكره ، وأصلح الله بهم ما أفسدت تلك الدول التي حاربتهم ودافعتهم عن هذا الدين ليطفؤه ، فأبى الله ذلك وجعل لهم العز والظهور " [(٢)] .

وزاد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن هذه الحقيقة وضوحاً فقال : " وقد عرفتم ما كان عليه أسلافكم من أهل الإسلام ، وما مَّن الله به عليكم من دعوة شيخنا رحمه الله إلى

---

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب " آثار " .

(٢) المقامات للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، ص ٢٩ - ٣٠ .

توحيد الله والإيمان به ، وإخلاص الدين له ، والبراءة من أعدائه وجهادهم ، وببركة دعوته وبيانه ، حصل للإسلام من الظهور والنصر وإعلاء كلمة الله ما لم يحصل مثله في دياركم وأوطانكم منذ قرون متطاوله ، فيجب شكر هذه النعمة ، ورعايتها حق الرعاية ، والعض عليها بالنواجذ "[١] .

٦ - حصول الأمن والطمأنينة في المجتمع الذي يطبق مقتضيات لا إله إلا الله :

من آثار لا إله إلا الله استتباب الأمن وتأمين السبل ، وحصول الرخاء وكثرت الخيرات .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[٣] .

وشاهد هذا ما حصل لبلاد أهل هذه الدعوة المباركة حينما تمسكوا بهذه الكلمة وعملوا بها ، من أمن وارف الظلال ، ورغد في العيش ، وسعة في الأرزاق ، بعد أن كانت تعيش في حالة من الذعر والخوف والهلع ، وضيق من العيش .

وقد تحدث الشيخ المؤرخ عثمان بن بشر عن الأمن والرخاء الذي تحقق في زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود فقال : " وكانت البلاد من جميع الأقطار في زمنه . آمنة مطمئنة في عيشة هنيئة ، وهو حقيق بأن يلقب بمهدي زمانه ، لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أيّ وقت شاء ، شتاءً وصيفاً ، يميناً وشمالاً ، شرقاً وغرباً ، وفي نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك ، لا يخشى أحداً إلا الله ، لا سارق ولا مكابر ،

---

[١] رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٨ ، ص ٣٢٦ .

[٢] سورة النور الآية : ٥٥ .

[٣] سورة الأعراف الآية : ٩٦ .

وكانت جميع بلدان نجد من العارض والخرج والقصيم والجنوب وغير ذلك من النواحي في أيام الربيع ، يسيبون [١] جميع مواشيهم في البراري والمفالي ، من الإبل والخيل والجياد والبقر والأغنام وغير ذلك ، ليس لها راع ولا مراع ، بل إذا عطشت وردت على البلاد تشرب ثم تصدر إلى مفاليها حتى ينقضي الربيع ، أو يحتاجون لها أهلها لسقي زروعهم ونخيلهم وربما تلقح وتلد ، ولا يدرون أهلها إلا إذا جاءت بولدها معها " [٢] .

---

[١] كلمة عامية دارجة معناها : يتركون .

[٢] عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

الباب الثاني

جهود علماء نجد في التحذير من الشرك في العبادة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : جهودهم في بيان حقيقة الشرك ووسائله .

الفصل الثاني : جهودهم في بيان أنواع الشرك في العبادة .

الفصل الثالث : جهودهم في نقض شبهات المشركين في العبادة .

الفصل الأول

جهودهم في بيان حقيقة الشرك ووسائله

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حقيقة الشرك وخطره .

المبحث الثاني : الوسائل المفضية إلى الشرك .

المبحث الأول

حقيقة الشرك وخطره

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حقيقة الشرك .

المطلب الثاني : خطر الشرك .

المطلب الأول

حقيقة الشرك

عني أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى ببيان حقيقة الشرك في العبادة ، وقد جاء عنهم عدة تعاريف في بيان حقيقة هذا الشرك ، ومؤداها واحد ، فمن هذه التعاريف ما يلي :

١ - قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في تعريفه : " هو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه رباً وإلهاً وأشرك مع الله غيره " [(١)] .

٢ - وقال في موضع آخر : " هو دعوة غيره معه " [(٢)] .

٣ - وقال الشيخ سليمان بن عبدالله : " هو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويخافه كما يخاف الله " [(٣)] .

ونصَّ على هذا التعريف الشيخ عبدالرحمن بن حسن [(٤)] .

٤ - وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في بيان حقيقة الشرك : " والشرك جعل شريك لله تعالى فيما يستحقه ويختص به من العبادة الباطنة والظاهرة ، كالحب ، والخضوع ، والتعظيم ، والخوف ، والرجاء ، والإنابة ، والتوكل ، والنسك ، والطاعة ، ونحو ذلك من العبادات ، فمتى أشرك مع الله غيره في شيء من ذلك فهو مشرك بربه ، قد عدل به سواه ، وجعل له نداً من خلقه ، ولا يشترط في ذلك أن يعتقد له شَرِكَةً في الربوبية ، أو استقلالا بشيء منها " [(٥)] .

٥ - وقال أيضاً : " والشرك قد عرفه النبي ﷺ بتعريف جامع ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً

---

(١) رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٨١ .

(٢) الأصول الثلاثة ، ص ٥ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٨ .

(٤) انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٦٩ .

(٥) تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس ، ص ٦٤ ، وانظر : معناه في توضيح الخلاق ، ص ٣٥١ .

وهو خلقك » [١] النّد المثل ، والشبيه .

فمن صرف شيئاً من العبادات القولية أو الإعتقادية أو المالية أو العملية لغير الله فقد أشرك شركاً يبطل به التوحيد وينافيه .. " [٢] .

وبعد أن اتضح معنا الشرك يتبين أن المشرك هو من صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان ذلك : " وضابط هذا أن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به ، ففعله لله عبادة . فإذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله : ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾ [٣] " [٤] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " فمن عبد غير الله ، وعدل بربه ، وسوى بينه وبين غيره في خالص حقه ، صدق عليه أنه مشرك ضال غير مسلم " [٥] .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٩٢٣ ، رقم ٤٤٧٧ ، كتاب التفسير ، باب قول الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ ، وص ١٢٧٧ ، رقم ٦٠٠١ ، كتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ، وص ١٤٢٩ ، رقم ٦٨١١ ، كتاب الحدود ، باب إثم الزناة ، وقول الله تعالى : ﴿ ولا يزنون ﴾ ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ، وص ١٥٧٩ ، رقم ٧٥٢٠ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٩٠ ، رقم ٨٦ ، كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده .

[٢] نواة الإيمان ، ص ٣٧ .

[٣] سورة الزمر الآية : ١٤ .

[٤] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٣ .

[٥] مصباح الظلام ، ص ٣٧ .

المطلب الثاني

خطر الشرك

تظافرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في التحذير من الشرك ، وبيان خطره ، والقرآن بل الكتب السماوية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان الشرك وكفر أهله ، وأنهم أعداء الله ورسوله ، وأنهم أولياء الشيطان ، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ، ولا يقبل عملاً منهم ، وانطلاقاً من هذه النصوص الشرعية يمكن إبراز خطر الشرك وقبحه في الأمور التالية :

أولاً : الشرك بالله هو أكبر الكبائر على الإطلاق [1] ، لقوله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » الحديث [2] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " الشرك بالله هو أكبر الكبائر ، إذ مضمونه تنقيص رب العالمين وإلهم ومالكهم وخالقهم الذي لا إله إلا هو ، وعدل غيره به ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [3] فهو أظلم الظلم ، وأقبح القبيح ، ولهذا لا يغفر إن لم يتب منه ، بخلاف غيره من الذنوب ، ففي مشيئة الله إن شاء غفرها ، وإن شاء عذب بها " [4] .

ثانياً : أن الشرك أظلم الظلم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [5] . وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [6] وعن عبدالله رضي الله عنه ، قال : لما نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ قلنا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : « ليس كما تقولون ، لم يلبسوا

---

(١) انظر : رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ، الرسالة الثانية والستون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٣٢٢ .

(٢) سبق تخريجه ، ص .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٠٩ .

(٥) سورة لقمان الآية : ١٣ .

(٦) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

إيمانهم بظلم : بشرك . أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه : ﴿ يا بُنيَّ لا تُشْرِكْ بالله إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ » [١] .

قال صاحب التوضيح في بيان ذلك : " فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته ، ويعبد وحده لا يشرك به ، وأن يقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض كما قال جل ذكره : ﴿ لقدْ أرْسلْنا رُسُلنا بالْبيِّنَات وأَنزَلْنَا معهُمُ الْكتَابَ والْميزَانَ ليَقُومَ النَّاسُ بالْقسْط ﴾ [٢] ومن أعظم القسط التوحيد، بل هو رأس العدل وقوامه ، وإن الشرك لظلم عظيم ، فالشرك أظلم الظلم ، والتوحيد أعدل العدل ، وأوجب الواجبات، وأفرض الطاعات ، ولما كان الشرك بالله منافياً بالذات لتوحيده تعالى وإخلاص العبادة له ، كان أكبر الكبائر على الإطلاق ، وحرم الله الجنة على كل مشرك ، وأباح دمه وماله لأهل التوحيد ، وأن يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا القيام بعبوديته ، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً أو يقبل فيه شفاعة ، أو يستجيب له في الآخرة دعوة ، أو يقيل له فيها عثرة ، فإن المشرك أجهل الجاهلين بالله حيث جعل له من خلقه نداً وذلك غاية الجهل به ، كما أنه غاية الظلم منه ، وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه " [٣] .

ثالثاً : أن الله أخبر أنه لا يغفره إلا بالتوبة كما قال تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَغْفرُ أَن يُشْرَكَ به ويَغْفرُ مَا دُونَ ذَلكَ لمَن يَشَاءُ ﴾ [٤] قال الشيخ سليمان في تفسير هذه الآية : " قال ابن كثير : أخبر الله تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به ، أي : لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ، ويغفر ما دون ذلك ، أي : من الذنوب لمن يشاء من عباده [٥] .

ثم قال الشيخ سليمان رحمه الله : " قلت : فتبين بهذا أن الشرك أعظم

---

[١] سورة لقمان الآية : ١٣ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١١ ، رقم ٣٢ ، كتاب الإيمان ، بابٌ ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ ، ورقم (٣٣٦٠ ، ٣٤٢٨ ، ٣٤٢٩ ، ٤٦٢٩ ، ٤٧٧٦ ، ٦٩١٨ ، ٦٩٣٧) ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١١٤ ، رقم ١٢٤ ، كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه .

[٢] سورة الحديد الآية : ٢٥ .

[٣] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٥ - ٦ .

[٤] سورة النساء الآية : ٤٨ .

[٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج١ ، ص ٥٠٨ بتصرف .

الذنوب ، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره ، أي : إلا بالتوبة منه ، وما عداه ، فهو داخل تحت مشيئة الله إن شاء غفره بلا توبة وإن شاء عذب به ، وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله ، وإنما كان كذلك ، لأنه أقبح القبح وأظلم الظلم ، إذ مضمونه تنقيص رب العالمين ، وصرف خالص حقه لغيره ، وعدل غيره به كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[1] ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر ، مناف له من كل وجه ، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين ، والاستكبار عن طاعته والذل له ، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك . فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة ، كما قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله »[2] ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية من ملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع الذى يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها لله وحده . فمن علق ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فضلاً من غيره شبيهاً بمن له الخلق كله ، وله الملك كله وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله . فأزمة الأمور كلها بيديه سبحانه ، ومرجعها إليه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع ، الذي إذا فتح للناس رحمة ، فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم . فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ، ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لله وحده ، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره ، فمن فعل شيئاً من ذلك لغيره ، فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله ، فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه أنه لا يغفره مع أنه

---

[1] سورة الأنعام الآية : ١ .

[2] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٣١ ، رقم ١٤٨ ، كتاب الإيمان ، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان من حديث أنس رضي الله عنه .

كتب على نفسه الرحمة ، هذا معنى كلام ابن القيم " [١] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في كلامه على الآية السابقة : " وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك ، لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك ، وأوجب له الخلود في النار ، وأطلق ولم يقيد ، ثم قال ﴿ ويغفرُ ما دُون ذلك لمن يَشَاءُ ﴾ [٢] فخصص وقيد فيما دون الشرك ، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه ، فلا يرجى له معه نجاة إن لم يتب منه قبل الوفاة " [٣] .

وقال الشيخ عبداللطيف رحمه الله : " وأما من دعا الأولياء والصالحين من أهل القبور والغائبين ، وجعلهم أنداداً لله رب العالمين ، فهذا مشرك شركاً يحول بينه وبين المغفرة قال تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دُونَ ذَلكَ لمن يَشاءُ ﴾ [٤] في موضعين من كتابه ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّه فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْه الْجنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا للظَّالمينَ منْ أَنصَارٍ ﴾ [٥] " [٦] .

رابعاً : أن الله أخبر أنه حرم الجنة على المشرك ، وأنه خالد مخلد في نار جهنم قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّه فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْه الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا للظَّالمينَ منْ أَنصَارٍ ﴾ [٧]
يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في بيان هذا : " ورأس أعمال أهل النار : الشرك بالله ، فمن مات على ذلك ، فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار ، والصدقة والإحسان ، فهو من أهل النار قطعاً ، كالنصارى ، الذين يبني أحدهم صومعة في البرية ، ويزهد في الدنيا ، ويتعبد الليل والنهار ، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله ، تعالى الله عن ذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ١١٥ - ١١٦ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ ، وانظر كلام ابن القيم في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ٢٠١ .

[٢] سورة النساء الآية : ٤٨ .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ٤٣ .

[٤] سورة النساء الآية : ٤٨ ، والآية : ١١٦ .

[٥] سورة المائدة الآية : ٧٢ .

[٦] مصباح الظلام ، ص ٢٨٦ .

[٧] سورة المائدة الآية : ٧٢ .

عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا ﴾ [(١)] وقـال تعـالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ [(٢)] فرحم الله امرءاً ، تنبه لهذا الأمر العظيم ، قبل أن يعض الظالم على يديه ، ويقول : ﴿ يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾ [(٣)] ... " [(٤)] .

وقد أورد الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد دليلين من السنة يدلان على أن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ، ويخلد في النار أبد الآباد ، والدليلان كالآتي :

١ - عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار » [(٥)] .

قال الشيخ سليمان رحمه الله تعالى : " أي : من مات وهو يدعو لله نداً ، أي يجعل لله نداً فيما يختص به تعالى ويستحقه من الربوبية والإلهية دخل النار ، لأنه مشرك ، فإن الله تعالى هو المستحق للعبادة لذاته ، لأنه المألوه المعبود الذي تألهه القلوب وترغب إليه ، وتفزع إليه عند الشدائد ، وما سواه فهو مفتقر إليه ، مقهور بالعبودية له ، تجرى عليه أقداره وأحكامه طوعاً وكرهاً ، فكيف يصلح أن يكون نداً ؟ قـال الله تعـالى : ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين ﴾ [(٦)] وقـال : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ﴿٩٣﴾ لقد أحصاهم وعدهم عداً ﴿٩٤﴾ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴿٩٥﴾ ﴾ [(٧)] وقـال تعـالى : ﴿ يا أيها

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٢٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ١٨ .

(٣) سورة الفرقان الآية : ٢٧ .

(٤) رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٩٢٧ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ ، وص ١٤٠٥ ، رقم ٦٦٨٣ ، كتاب الإيمان والنذور ، باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم ، فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته ، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

(٦) سورة الزخرف الآية : ١٥ .

(٧) سورة مريم الآيات : ٩٣ - ٩٥ .

النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [1] فبطل أن يكون له نديد من خلقه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [2] .. " [3] .

٢ - عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » [4] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في تعليقه على هذا الحديث : " قوله : « ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » هذا هو الشرك ، فمن لقي الله بالشرك دخل النار قل أو كثر ، أما الشرك الأكبر فلا عمل معه ، ويوجب الخلود في النار كما تقدم في معنى الآيات ، وأما الأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل : ما شاء الله وشئت ، وقوله : مالي إلا الله وأنت ونحو ذلك ، فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات " [5] .

خامساً : أن الشرك يحبط الأعمال كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [6] .

قال الإمام محمد رحمه الله في رسالة تشتمل على مسائل أربع وقواعد أربع ، يتميز بهن المسلم من المشرك : " ... الثالثة : أنه إذا دخل الشرك في عبادتك بطلت ، ولم تقبل ، وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) سورة فاطر الآية : ١٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآيتين : ٩١ - ٩٢ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٢٠ ، وانظر : فتح المجيد ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ٤٥ - ٤٦ ، وإبطال التنديد ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٩٤ ، رقم ٩٣ ، كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار ، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

(٥) قرة عيون الموحدين ، ص ٤٦ .

(٦) سورة الأنعام الاية : ٨٨ .

الْخَاسِرِينَ ﴾ [(١)] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [(٢)] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[(٣)] .. " [(٤)] وقال في رسالة المسائل الخمس الواجبة معرفتها : " . .. الرابعة : أنك تعلم أن الله أنزل على رسوله ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [(٥)] مع أنهم راودوه على قول كلمة أو فعل مرة واحدة ، ووعدوه أن ذلك يقودهم إلى الإسلام .

إذا عرفت أن أعظم أهل الإخلاص وأكثرهم حسنات لو قال كلمة الشرك مع كراهته لها ليقود غيره بها إلى الإسلام حبط عمله وصار من الخاسرين ، فكيف بمن أظهر أنه منهم ، وتكلم بمائة كلمة لأجل تجارة أو لأجل أن يحج لما منع الموحدين من الحج كما منعوا النبي ﷺ وأصحابه حتى فتح الله مكة .

فمن فهم هذا فهماً جيداً انفتح له معرفة قدر التوحيد عند الله عز وجل وقدر الشرك ، ولكن إن عرفت هذا بعد أربع سنين فنعمى لك أعني المعرفة التامة كما تعرف أن قطرة من البول تنقض الوضوء الكامل إذا خرجت ولو بغير اختياره " [(٦)] .

وقال في رسالة له رحمه الله تعالى : " ... مسألة الشرك بالله بينها الله سبحانه ، وأكثر الكلام فيها ، وضرب لها الأمثال ، ومن أعظم ما ذكر فيها قوله : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [(٧)] مع أن الذي طلبوا منه ليس شرك القلب ... " [(٨)] .

---

(١) سورة الزمر الآية : ٦٥ .

(٢) سورة النساء الآية : ١١٦ .

(٣) سورة المائدة الاية : ٧٢ .

(٤) رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٦ .

(٥) سورة الزمر الآية : ٦٥ .

(٦) رسالة المسائل الخمس الواجبة معرفتها ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ١٠ - ١١

(٧) سورة الزمر الآية : ٦٥ .

(٨) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ٢٠٠ .

وأوضح هذا الأمر الخطير الشيخ عبدالرحمن بن حسن فكان مما قاله : " الشرك يحبط الأعمال كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [(١)] وقد صار العمل مع الشرك هباء منثوراً " [(٢)] .

سادساً : أن المشرك كافر حلال الدم والمال ، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً كفر من فعل الشرك : " وقد بين الله تعالى في كتابه هذا الشرك الذي انتحله هؤلاء المشركون بياناً شافياً كافياً . وقد تقدم في الآيات المحكمات ما يبينه ويوضحه ، وما يترتب على فعله من التهديد والوعيد الشديد وكفر من فعله . فأخذ هؤلاء ما زخرفوه من الترهات والخبالات والشبهات ، بدلاً من الآيات المحكمات وصريح السنة وصحيحها . فلا محال أبين من هذا المحال ، ولا ضلال أبعد من هذا الضلال . ألم يسمعوا إلى قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦ ﴾ [(٣)] وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤ ﴾ [(٤)] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [(٥)] وقد تقدمت هذه الآيات وبعض نظائرها من الآيات المحكمات " [(٦)] .

وبين رحمه الله أن الله سبحانه أبدى وأعاد في الكتاب المجيد في النهي عن الشرك المنافي للتوحيد ، وأفصح عن كفر فاعله وأسجل عليه بالوعيد الشديد فقال :

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٨٨ .

(٢) المحجة ، ص ٣٤ .

(٣) سورة الأحقاف الآيتين : ٥ - ٦ .

(٤) سورة فاطر الآيتين : ١٣ - ١٤ .

(٥) سورة المؤمنون الآية : ١١٧ .

(٦) القول الفصل النفيس ، ص ٩٨ .

" وأبدى سبحانه وتعالى وأعاد في هذا الكتاب المجيد ، في النهي عن الشرك المنافي لهذا التوحيد ، وأفصح عن كفر فاعله وأسجل عليه بالوعيد الشديد ، فقال : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [6] وقوله : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ﴾ [7] وغير ذلك من الآيات .

فأي بيان أوضح من هذا في تعريف الشرك الذي حرمه الله وأخبر أنه لا يغفره . وهذا لا يختص بالدعاء ، بل كل نوع من أنواع العبادة صرفه لغير الله شرك عظيم " [8] .

وقرر الشيخ عبداللطيف رحمه الله : أنه قد عُلِّق الحكم بالكفر وإباحة الدم والمال

---

[1] سورة الأحقاف الآيتين : ٥ - ٦ .

[2] سورة فاطر الآية : ١٤ .

[3] سورة يونس الآية : ١٠٦ .

[4] سورة الشعراء الآيتين : ٢١٣ - ٢١٤ .

[5] سورة المؤمنون الآية : ١١٧ .

[6] سورة الأعراف الآية : ٣٧ .

[7] سورة غافر الآيتين : ٧٣ - ٧٤ .

[8] إرشاد طالب الهدى لما يباعد عن الردى ضمن سلسلة التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة ، ج٤ ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

بنفس الشرك ، وعبادة غير الله ، فقال : " وقد علّق الحكم بالكفر وإباحة الدم والمال بنفس الشرك ، وعبادة غير الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [(١)] ، وقال : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [(٢)] والفتنة : الشرك . وقال تعالى : ﴿ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [(٣)] الآية . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [(٤)] .. " [(٥)] .

وبيّن رحمه لله أن الله قد حكم في دماء المشركين وأموالهم فقال : " والله تعالى قد حكم في دماء المشركين وأموالهم ، وبيّن ذلك ووضحه في كتابه أتم بيان وأحسن توضيح . قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[(٦)] والفتنة الشرك . وقال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [(٧)] وقال : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [(٨)] ... " [(٩)]

وقرر أيضاً أن القرآن قد كفر المشركين ، وأنكر عليهم دعاءهم غير الله ... فقال رحمه الله : " والقرآن قد كفر المشركين ، وأنكر عليهم دعاءهم غير الله ومحبته كمحبة الله ، وتعظيم ما يُدعى معه سبحانه بالذبح والنذر وسائر العبادات . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [(١٠)] وقال : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [(١١)]

[(١)] سورة التوبة الآية : ٣٦ .

[(٢)] سورة الأنفال الآية : ٣٩ .

[(٣)] سورة المائدة الآية : ٧٢ .

[(٤)] سورة النساء الآية : ٤٨ .

[(٥)] تحفة الطالب والجليس ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

[(٦)] سورة الأنفال الآية : ٣٩ .

[(٧)] سورة التوبة الآية : ٣٦ .

[(٨)] سورة التوبة الآية : ٥ .

[(٩)] منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٢٦ - ٢٧ .

[(١٠)] سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

[(١١)] سورة الإسراء الآية : ٥٦ .

وقال : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ [١] الآية . وقال تعالى : ﴿ ولا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، يبين الله تعالى أنه كفرهم ، وأنكر عليهم ، وتوعدهم بالنار على عبادة غيره ودعاء سواه " [٤] .

وقال رحمه الله : " وقال تعالى حاكياً عن أهل النار أنهم يقولون لآلهتهم التي عبدت مع الله ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٥] . ومعلوم أنهم ما سووهم بالله في الخلق والرزق والتدبير ، وإنما هو في المحبة والخضوع والتعظيم والخوف والرجاء ونحو ذلك من العبادات ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [٦] وهذا حب عبادة وتأله وتعظيم . ولهذا ونحوه كفرهم الله تعالى وأباح دماءهم وأموالهم ونساءهم لعباده المؤمنين حتى يسلموا ويكون الدين كله لله فالنزاع في هذا " [٧] .

سابعاً : أن المشرك يحرم من الشفاعة ، يقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله تعالى في كتابه : (تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس) مقرراً هذا المعنى : " ومن المعلوم بالسنة المتواترة وإجماع أهل السنة بل الأمة أن من مات مشركاً لا شفيع له ، وأخبر سيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه أن شفاعته لمن مات لا يشرك بالله شيئاً [٨] فمن عبد غير الله من ملك أو نبي أو

---

[١] سورة المؤمنون الآية : ١١٧ .

[٢] سورة يونس الآية : ١٠٦ .

[٣] سورة الجن الآية : ١٨ .

[٤] منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٦٣ .

[٥] سورة الشعراء الآيتين : ٩٧ - ٩٨ .

[٦] سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

[٧] مصباح الظلام ، ص ٣٧ .

[٨] كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته . وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله ، من مات لا يشرك بالله شيئاً » والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٨٩ ، رقم ١٩٩ ، كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته .

صالح أو صنم أو غير ذلك فإنه لا يشفع فيه شافع ، ولا يدفع عنه دافع ، قال الله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [(١)] وقال : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [(٢)] وقال : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [(٣)] ، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [(٤)] ... " [(٥)] .

ثامناً : أن الشرك هضم لحق الربوبية ، ونقص لعظمة الألوهية ، وسوء ظن برب العالمين :

يقول صاحب التوضيح : " وهذا المشرك المعطل قد ساوى التراب برب الأرباب ، والعبيد بمالك الرقاب ، والفقير بالذات ، الضعيف بالذات ، العاجز بالذات ، المحتاج بالذات ، الذي ليس له من ذاته إلا العدم ، بالغني بالذات ، القادر بالذات ، الذي غناه وقدرته وملكه وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته ، فلا ظلم أقبح من هذا ، ولا حكم أشد جوراً منه ، حيث عدّل من لا عدل له بخلقه كما قال جل ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [(٦)] وعطل حقَّ الله تعالى المختص بجلاله ، فجعله لغيره بمشاركته بين الله وبين عبده في محض حقه تعالى ، من الدعاء بما لا يقدر عليه إلا من أمر بسؤاله ، وتوعد على ترك طلب أفضاله ، والإجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء والالتجاء والتوكل وذبح القربان ، فقد أشرك بينه تعالى وبين أبغض الخلق إليه ، وأهونهم عليه ، وأمقتهم عنده ، إذ هو عدوه على الحقيقة ، فإن المشرك مطلقاً إنما عبد غير الله ، وما عبد من دون الله إلا شيطاناً مريداً كما قال جل ذكره : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ

[(١)] سورة غافر الآية : ١٨ .

[(٢)] سورة المدثر الآية : ٤٨ .

[(٣)] سورة النجم الآية : ٢٦ .

[(٤)] سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

[(٥)] تأسيس التقديس ، ص ٤٤ .

[(٦)] سورة الأنعام الآية : ١ .

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [١] ... ومن أجل ذلك كان الشرك بالله أكبر الكبائر على الإطلاق ، وأنه تعالى لا يغفر أن يشرك به بغير توبة منه وكف عنه ، وأنه يوجب الخلود في النار ، وليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه ، بل قبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح " [٢] .

وقال أيضاً : " ... هو أظلم الظلم ، وأقبح القبائح ، وأنكر المنكرات ، وأبغض الأشياء إلى الله ، وأكرهها له وأشدها مقتا لديه ، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يترتب على ذنب سواه .

وأخبر أنه لا يغفر ، وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه ، وحرم ذبائحهم ومناكحهم ، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين ، وجعلهم أعداء له سبحانه وللملائكته ورسله والمؤمنين . وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، وأن يتخذوهم عبيداً لما تركوا القيام بحقه، وعطلوا معاملته المتضمنة لألوهيته ، وما ذاك إلا أنه هضم لحق الربوبية ، ونقص لعظمة الألوهية ، وسوء الظن برب العالمين كما قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [٣] فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك ، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده . ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه . وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلاً ونداً يحبه ويخافه ويرجوه ، ويذل ويخضع له ، ويهرب من سخطه ، ويؤثر مرضاته والمؤثر لا يرضى بإيثاره " [٤] .

وقال : " فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن . ولهذا قال إمام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ

---

[١] سورة يس الآيتين : ٦٠ - ٦١ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

[٣] سورة الفتح الآية : ٦ .

[٤] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [١] وإن كـان المعنى :ما ظنكم به أن يعـاملكم ويجـازيكم به وقـد عبدتم معه غيره وجعلتم له نداً ؟! فأنت تجد تحت هذا التهديد ما ظنكم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره . فإن المشرك إما أن يظن الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين ، وهذا أعظم النقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه بذاته . وإما أن يظن أنه سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشريك . وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة ، أو لا يرحم عبيده حتى يجعله الواسطة يرحمهم ، أو لا يكفي وحده أن يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة ، كما يشفع المخلوق عند المخلوق ، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع ، وانتفاعه به، وتكثيره به من القلة ، وتعزيزه به من الذلة ، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن يرفع تلك الحاجة إليه ، كما هو حال ملوك الدنيا . وهذا أصل شرك الخلق ، أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم ، حتى يرفع الوسائط إليه ذلك ، أو يظن أن للمخلوق عليه حقاً ، فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ، ويتوسل إليه بذلك المخلوق ، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ، ولا تمكنهم مخالفته . وكل هذا نقص للربوبية ، وهضم في الألوهية ، ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك ، بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به ، فينقص أو يضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه إلى من عبده من دونه ، فالشرك ملزوم لنقص الرب سبحانه ، والتنقيص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى . ولهذا اقتضى حمده تعالى وربوبيته أن لا يغفره ، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم ويجعله أشقى البرية ، فلا تجد مشركاً قط إلا وهومتنقص لله سبحانه ، وإن زعم أنه يعظمه بذلك " [٢] .

هذه أبرز الأمور التي تبين خطر الشرك نسأل الله العافية .

---

[١] سورة الصافات الآيتين : ٨٦ - ٨٧ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [١] ... ومن أجل ذلك كان الشرك بالله أكبر الكبائر على الإطلاق ، وأنه تعالى لا يغفر أن يشرك به بغير توبة منه وكف عنه ، وأنه يوجب الخلود في النار ، وليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه ، بل قبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح " [٢] .

وقال أيضاً : " ... هو أظلم الظلم ، وأقبح القبائح ، وأنكر المنكرات ، وأبغض الأشياء إلى الله ، وأكرهها له وأشدها مقتا لديه ، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يترتب على ذنب سواه .

وأخبر أنه لا يغفر ، وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه ، وحرم ذبائحهم ومناكحهم ، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين ، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله والمؤمنين . وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، وأن يتخذوهم عبيداً لما تركوا القيام بحقه، وعطلوا معاملته المتضمنة لألوهيته ، وما ذاك إلا أنه هضم لحق الربوبية ، ونقص لعظمة الألوهية ، وسوء الظن برب العالمين كما قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [٣] فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الإشراك ، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده . ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثة مواضع من كتابه . وكيف يقدره حق قدره من جعل له عدلاً ونداً يحبه ويخافه ويرجوه ، ويذل ويخضع له ، ويهرب من سخطه ، ويؤثر مرضاته والمؤثر لا يرضى بإيثاره " [٤] .

وقال : " فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن . ولهذا قال إمام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ

---

[١] سورة يس الآيتين : ٦٠ - ٦١ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

[٣] سورة الفتح الآية : ٦ .

[٤] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [١] وإن كان المعنى :ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به وقد عبدتم معه غيره وجعلتم له نداً ؟! فأنت تجد تحت هذا التهديد ما ظنكم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره . فإن المشرك إما أن يظن الله سبحانه وتعالى يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو عوين ، وهذا أعظم النقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه بذاته . وإما أن يظن أنه سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشريك . وإما أن يظن بأنه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة ، أو لا يرحم عبيده حتى يجعله الواسطة يرحمهم ، أو لا يكفي وحده أن يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة ، كما يشفع المخلوق عند المخلوق ، فيحتاج أن يقبل شفاعته لحاجته إلى الشافع ، وانتفاعه به، وتكثيره به من القلة ، وتعزيزه به من الذلة ، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الواسطة أن يرفع تلك الحاجة إليه ، كما هو حال ملوك الدنيا . وهذا أصل شرك الخلق ، أو يظن أنه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم ، حتى يرفع الوسائط إليه ذلك ، أو يظن أن للمخلوق عليه حقاً ، فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه ، ويتوسل إليه بذلك المخلوق ، كما يتوسل الناس إلى الأكابر والملوك بمن يعز عليهم ، ولا تمكنهم مخالفته . وكل هذا نقص للربوبية ، وهضم في الألوهية ، ولو لم يكن فيه إلا نقص محبة الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه من قلب المشرك ، بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من أشرك به ، فينقص أو يضعف أو يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجاء بسبب صرف أكثره أو بعضه إلى من عبده من دونه ، فالشرك ملزوم لنقص الرب سبحانه ، والتنقيص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى . ولهذا اقتضى حمده تعالى وربوبيته أن لا يغفره ، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم ويجعله أشقى البرية ، فلا تجد مشركاً قط إلا وهومتنقص لله سبحانه ، وإن زعم أنه يعظمه بذلك " [٢] .

هذه أبرز الأمور التي تبين خطر الشرك نسأل الله العافية .

---

[١] سورة الصافات الآيتين : ٨٦ - ٨٧ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

المبحث الثاني

الوسائل المفضية إلى الشرك

من القواعد الفقهية التي يستفاد منها في حماية حمى التوحيد ، وسد الوسائل والذرائع والطرق الموصلة إلى الشرك قاعدة : " الوسائل لها أحكام المقاصد " أو " الوسائل لها حكم الغايات " .

فمعنى هذه القاعدة : أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون ، وطرق الحرام والمكروهات تابعة لها .

فإذا أمر الله ورسوله بشيء كان أمراً به ، وبما لا يتم إلا به . والنهي عن الشيء نهي عنه ، وعن كل ما يؤدي إليه . فإذا كان منهياً عن شيء كان منهياً عن جميع طرقه وذرائعه ووسائله الموصلة إليه .

فالوسيلة إلى الواجب واجبة ، كالمشي إلى الصلاة للفريضة والزكاة ونحوها . والوسيلة إلى المسنون مسنونة ، كنقل الأقدام إلى النافلة من صلاة وصدقة ونحوها . والوسيلة إلى المحرم محرمة ، كوسائل الشرك ، فيحرم كل قول وفعل يفضي إلى الشرك ، ويكون وسيلة قريبة إليه مثل تعظيم القبور لأنه ذريعة لعبادتها [١] .

وقد نصَّ على هذه القاعدة الشيخ عبدالرحمن بن حسن فقال : " الوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها " [٢] .

" وبمعرفة وسائل الشرك - والنهي عنها لتُجتنب - تُعرف الغايات التي نهي عن الوسائل لأجلها ، فإن اجتناب ذلك كله يستلزم التوحيد والإخلاص ، بل يقتضيه " [٣] .

ووسائل الشرك كلها محرمة يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ووسائل الشرك محرمة ، لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر ، وهو أعظم الذنوب " [٤] " فكل ما كان وسيلة إلى الشرك فهو حرام لكونه يوقع في الشرك بالله وعبادة ما سواه " [٥] .

---

[١] انظر : القواعد والأصول الجامعة ، ص ٢٥ - ٢٦ ، ورسالة القواعد الفقهية ، ص ٢٥ .

[٢] قرة عيون الموحدين ، ص ٩٤ .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٢٥ .

[٤] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٨٥ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ١١٧ .

" ولقد بالغ ﷺ ، وحذر وأنذر ، وأبدا وأعاد ، وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها ، فهي حنيفية في التوحيد ، سمحة في العمل ، كما قال بعض العلماء : هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك ، وأسمح الشرائع في العمل " [(١)] .

كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٢)] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في شرحه لهذه الآية : " فتأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ، ومحاسنه الجمة التي تقتضي أن ينصح لأمته ، ويبلغ البلاغ المبين ، ويسدّ الطرق الموصلة إلى الشرك ، ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية ، ويبالغ أشد المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمة في الشرك ، وأعظم ذلك الفتنة بالقبور ، فإن الغلو فيها هو الذي جر الناس في قديم الزمان وحديثه إلى الشرك ، لا جرم فعل النبي ﷺ ذلك ، وحمى جناب التوحيد حتى في قبره الذي هو أشرف القبور ، حتى نهى عن جعله عيداً ، ودعا الله أن لا يجعله وثناً يعبد " [(٣)] .

ولقد كان لعلماء الدعوة جهود عظيمة ، ومواقف مشرفة في سدّ أبواب الشرك ووسائله وذرائعه والتحذير منها ، وإزالة ما قدروا عليه منها ، حتى طهر الله عز وجل بلادهم من الشرك ووسائله وذرائعه .

وقد بين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن موقف علماء نجد رحمهم الله من وسائل الشرك وذرائعه فقال رحمه الله : " ويشددون في النهي عن وسائل الشرك وذرائعه ، كبناء المساجد على القبور ، والصلاة عندها ، وإيقاد السرج عليها ، والعكوف لديها ، واتخاذ السدنة لها ، واتخاذها أعياداً تزار وتقصد في يوم معلوم ، ووقت مرسوم ، فإن هذا فيه من روائح الشرك ووسائله ما لا يخفى " [(٤)] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٤٩ ، وانظر : معناه في فتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٢٥ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ١٢٥ .

(٤) رسالة أملاها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن على لسان راشد بن عبدالله الغزي ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٥٠٣ .

وبعد هذا الكلام المجمل المقتضب عن موقف علماء الدعوة من وسائل الشرك وذرائعه ، أذكر جهود علماء الدعوة التفصيلية في التحذير من وسائل الشرك على النحو التالي :

الوسيلة الأولى : الغلو :

من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك الغلو مطلقاً ، لا سيما الغلو في الصالحين ، وقد حذر منه علماء الدعوة أشد التحذير ، وأنكروا على من فعله أشد النكير .

وقد عرف علماء الدعوة الغلو ، فمن ذلك ما قاله الشيخ سليمان بن عبدالله بقوله : " الغلو : هو مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه ، وضابطه تعدي ما أمر الله به " [١] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " الغلو : هو الإفراط في التعظيم ، بالقول والاعتقاد " [٢] .

وقد وردت لعلماء الدعوة عدة نصوص في التحذير من الغلو وبيان خطره ، فمن ذلك ما يلي :

١ - ما عقده الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد بقوله : " باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين " [٣] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً مراد الإمام من هذا الباب : " أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذر ، وهو الغلو مطلقاً لا سيما في الصالحين ، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً ؛ لقرب الشرك بالصالحين من النفوس ، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم " [٤] .

٢ - وقال الشيخ سليمان بن عبدالله : " مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم ، كما أن سبب الشرك بالنجوم هو الغلو فيها واعتقاد النحوس فيها والسعود ، ونحو ذلك . وهذا هو الغالب على الفلاسفة ونحوهم ، كما أن ذاك هو الغالب على عباد القبور

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٠٥ .

[٢] قرة عيون الموحدين ، ص ١١٢ .

[٣] كتاب التوحيد ، ص ٧٤ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٠٥ ، وانظر : معناه في فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٧١ .

ونحوهم ، وهو أصل عبادة الأصنام ، فإنهم عظموا الأموات تعظيماً مبتدعاً ، فصوروا صورهم ، وتبركوا بها ، فآل الأمر إلى أن عبدت الصور ومن صورته ، وهذا أول شرك حدث في الأرض "[(١)] .

٣ - وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " ... وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو فيه كما لا يخفى على ذوي البصائر ، كما جرى لأهل مصر وغيرهم ، فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ، ومع هذا فصار أعظم آلهتهم ، مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل ...[(٢)] فزين لهم الشيطان عبادته ، فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ، ويطفئ الحريق ، وينجي الغريق ، وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب ، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة ، وفيهم من يسجد على عتبة حضرته . وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبدالقادر الجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي ، وعبدالقادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية ، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزهد ، لكن فيه زهد وعبادة ، وفتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرافضة[(٣)] مع أهل البيت . وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات ، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين ، وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به . وأعظم من هذا عبادة

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣١٠ .

(٢) ذكره السخاوي عن أبي حيان كما في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج٩ ، ص ١٥٠ .

(٣) سمو بذلك لرفضهم زيد بن علي حينما توجه لقتال هشام بن عبدالملك فقال أصحابه : تبرأ من الشيخين حتى نكون معك ، فقال : لا بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما . فقالوا : إذا رفضناك ، فسموا بالرافضة ، ولهم معتقدات باطلة منها : أن أمامة علي وتقديمه ثابتة نصاً ، وأن أئمتهم معصومون ، وأن علي أفضل من سائر الصحابة ، وأن الصحابة ارتدوا كلهم إلا أربعة ويسبون الصحابة لا سيما الخلفاء الثلاثة ، إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة .
انظر في الرافضة : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٧٧ - ٧٨ ، رسالة في الرد على الرافضة .

أهل الشام لابن عربي [١] وهو إمام أهل الوحدة [٢] الذين هم أكفر أهل الأرض .

وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيرها . وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرها من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى ، كعبادتهم للجن وطلبهم الشفاعة منهم ، والأصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان . وذكر أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام " لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك " حتى كان عمرو بن لحي الخزاعي ، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : إلا شريكاً هو لك . فأنكر ذلك عمرو وقال : ما هذا ؟ فقال الشيخ : تملكه وما ملك . فإنه لا بأس بهذا . فقالها عمرو ، فدانت بها العرب " [٣] .

وقد ورد في التحذير من الغلو وشدة خطره أدلة كثيرة ، أورد شيئاً منها علماء الدعوة ومن ذلك ما يلي :

١ - قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في بيان معنى هذه الآية : " أي : لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله . والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ﷺ كما فعلت النصارى مع المسيح

---

[١] محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي ، ابن عربي ، أبوبكر ، صاحب كتاب الفصوص ، قال فيه الذهبي " فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر " يقول بقدم العالم وبوحدة الوجود ، توفي سنة ٦٣٨هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣ ، ص ٤٨ - ٤٩ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٩ ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

[٢] مذهب هذه الطائفة أن الرب تعالى وتقدس هو عين وجود السموات والأرض والجبال والبحار ، وجميع الموجودات هي عين الرب عندهم ، فليس عندهم رب وعبد ، ولا خالق ولا مخلوق ، والموحد عندهم من عبد جميع الموجودات ، ولهم مقالات كفرية شنيعة منها : أن القرآن كله شرك لأنه يفرق بين الخالق والمخلوق والعابد والمعبود ، وكفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود والنصارى .
انظر : الفرق بين مذهب السلف وابن سبعين وإخوانه الإتحادية الملحدين ، ص ٤ - ١٢ .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ١١٤ - ١١٥ ، وانظر : في التحذير من الغلو : رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب في فوائد قصة الجاهلية ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٤٧ ، والقول الفصل النفيس ، ص ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٩ - ١٥٤ ، ١٩٩ - ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ومصباح الظلام ، ص ٢٧٥ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٢٩ .

[٤] سورة النساء الآية : ١٧١ .

وأمه ، واليهود مع العزيز " [١] .

٢ - عن ابن عباس في قوله الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تذرُنَّ ودًا ولا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [٢] قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الأثر : " .. وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وإن كان القصد بها حسناً .

فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين ، والإفراط في محبتهم ، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة . أظهر لهم البدع والغلوَّ في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ، ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك ، من عبادتهم لهم من دون الله ... " [٤] .

٣ - وقال رسول الله ﷺ : « إياكم والغُلوَّ ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغُلوُّ » [٥] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قال شيخ الإسلام : هذا عام في جميع أنواع

---

(١) قرة عيون الموحدين ، ص ١١٢ .

(٢) سورة نوح الآية : ٢٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٠٦١ ، رقم ٤٩٢٠ ، كتاب التفسير ، باب (وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق) من حديث ابن عباس موقوفاً .

(٤) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢١٥ ، ٣٤٧ ، وابن ماجة في السنن ، ج٢ ، ص ١٠٠٨ ، رقم ٣٠٦٤ ، كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي ، والنسائي في سننه ، ج٥ ، ص ٢٦٨ ، رقم ٣٠٥٧ ، كتاب مناسك الحج ، باب التقاط الحصى ، وابن أبي عاصم في السنة ، ج١ ، ص ٤٦ ، رقم ٩٨ ، وابن خزيمة في الصحيح ، ج٤ ، ص ٢٧٤ ، رقم ٢٨٦٧ ، وابن الجارود في المنتقى ، ص ١٧٠ ، رقم ٤٧٣ ، وابن حبان ، ج١ ، ص ٤٣٨ ، رقم ١٠١١ ، موارد ، والطبراني في الكبير ، ج١٢ ، ص ١٥٦ ، رقم ١٢٧٤٧ ، والحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص ٤٦٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، قال النووي في المجموع ج٨ ، ص ١٤٤ : " إسناده صحيح على شرط مسلم " . وكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٢٨٩ ، وقال في مجموع الفتاوى ، ج٣ ، ص ٣٨٣ ، " وهو حديث صحيح " .

الغلو في الاعتقادات والأعمال "[١] .

٤ - وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً [٢] .

ووجه الدلالة من هذا الحديث : " أن الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشرك بالله "[٣] .

الوسيلة الثانية : الغلو في مدح النبي ﷺ :

حذر علماء الدعوة من الغلو في مدح النبي ﷺ وإطرائه ، وصرحوا بأنه وسيلة من وسائل الشرك واستدلوا لذلك بعدة أدلة منها :

١ - عن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبدالله ورسوله »[٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " الإطراء : مجاوزة الحدِّ في المدح ، والكذب فيه ، قاله أبوالسعادات . وقال غيره : لا تطروني بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء ، أي : لا تمدحوني بالباطل ، أو لا تجاوزوا الحدَّ في مدحي "[٥] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في شرحه لهذا الحديث : " قوله : « إنما أنا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله » أي : لا تمدحوني فتغلو في مدحي ، كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام ، فادَّعوا فيه الإلهية ، وإنما أنا عبدالله ، فصفوني بذلك كما وصفني ربي ، فقولوا : عبدالله ورسوله .

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ١١٦ ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ج١ ، ص ٢٨٩ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢٠٥٥ ، رقم ٢٦٧٠ ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون ، من حديث ابن مسعود مرفوعاً .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ١١٦ - ١١٧ .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٧٠٩ ، رقم ٣٤٤٥ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ ، وص ١٤٣٢ ، رقم ٦٨٣٠ ، كتاب الحدود ، باب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

فأبى المشركون إلا مخالفة أمره ، وارتكاب نهيه ، فعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه ، وناقضوه أعظم مناقضة ، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم ، ووقعوا في المحذور ، وجرى منهم من الغلو والشرك شعراً ونثراً ما يطول عدُّه ، وصنفوا فيه المصنفات .

وقد ذكر شيخ الإسلام عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله ، وصنف في ذلك مصنفاً ردَّه شيخُ الإسلام ، وردُّه موجودٌ بحمد الله [١] .

ويقول : إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله ، وذكر عنهم أشياء من هذا النمط ، نعوذ بالله من عمى البصيرة .

وقد اشتهر في نظم البوصيري [٢] ، قوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم !! [٣] .

وما بعده من الأبيات التي مضمونها : إخلاص الدعاء ، واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله .

فناقضوا الرسول ﷺ في ارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة ، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة .

وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم ، في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه . وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقصه .

وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون ، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد

---

(١) المراد كتاب : " الاستغاثة في الرد على البكري " وقد طبع بعضه في مجلدين بتحقيق عبدالله بن دجين السهلي . (الطبعة الأولى : ١٤١٧هـ) .

(٢) محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري المصري ، صوفي ، من أهل الطرق ، ناظم ، له ديوان شعري وأشهر شعره البردة ، وهي في مدح النبي ﷺ ، وقد غلا فيها حتى وقع في الشرك الأكبر ، توفي عام ٦٩٤هـ وقيل ٦٩٦هـ .
انظر في ترجمته : الأعلام ، ج٦ ، ص ١٣٩ ، معجم المؤلفين ، ج٣ ، ص ٣١٧ .

(٣) مجموع مهمات المتون ، ص ٩٠ .

النهي ، وفرَّطوا في متابعته . فلم يعبؤوا بأقواله وأفعاله ، ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له ، وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ : بتعظيم أمره ونهيه ، والاهتداء بهديه ، واتباع سنته ، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ، ونصرته ، وموالاة من عمل به ، ومعاداة من خالفه .

فعكس أولئك المشركون ما أراده الله ورسوله علماً وعملاً ، وارتكبوا ما نهى الله عنه ورسوله ، فالله المستعان " [١] .

ومن الأدلة أيضاً ما أورده الشيخ الإمام محمد تحت باب " ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك " وهذه الأدلة هي :

١ - عن عبدالله بن الشخير [٢] قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ، فقال : « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان » [٣] .

٢ - عن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : « يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان . أنا

---

(١) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٨٠ - ٣٨٢ ، وانظر : في الرد على قصيدة البوصيري تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٢١ - ٢٢٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٣١٥ - ٣١٧ ، والتوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٣٢٣ - ٣٣٠ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩٣ ، والقول الفصل النفيس ، ص ١٤١ ، والمحجة ، ص ٨ ، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٨٢ - ٨٤ ، و ج٢ ، ص ٢٣٧ - ، و ج٤ ، ص ٢٢٧ ، ومصباح الظلام ، ص ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) عبدالله بن الشخير بن عوف بن كعب الحرشي العامري ، صحابي ، من مسلمة الفتح ، له رواية ، سكن البصرة .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٥٨ ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص ٢٧٥ ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص ٢٥١ ، تقريب التهذيب ، ص ٥٩٤ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ، ص ٨٣ ، رقم ٢١١ ، وأبوداود في السنن ، ج٥ ، ص ١٥٤ ، رقم ٤٨٠٦ ، كتاب الأدب ، باب كراهية التمادح ، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٤٣٨ : " إسناده جيد " وقال ابن حجر في فتح الباري ، ج٥ ، ص ٢١٢ ، : " رجاله ثقات وقد صححه غير واحد " وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، ص ٩٧ رقم ١٥٥ .

محمد بن عبدالله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل »[١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء كما تقدم في قوله : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبدالله ورسوله » وهذا من كمال نصحه للأمة وشفقته عليهم ، حذرهم مما يكون ذريعة إلى الغلو فيه "[٢] .

الوسيلة الثالثة : اتخاذ القبور مساجد :

حذر علماء نجد رحمهم الله تعالى من اتخاذ القبور مساجد بالصلاة عندها ، وإليها ، وبناء المساجد عليها ، لأنه ذريعة إلى عبادتها . وبينوا أنه من أعظم الذرائع الموصلة إلى الشرك .

وقد وردت لهم نصوص في هذا ومن ذلك ما يلي :

١ - قرر الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى : أن اتخاذ القبور مساجد مما حرم الله ورسوله وإن لم يبن عليها مسجد فقال : " واتخاذ القبور مساجد مما حرم الله ورسوله وإن لم يبن عليها مسجد ، ولما كان اتخاذ القبور مساجد ، وبناء المساجد عليها محرماً ، لم يكن من ذلك شيء على عهد الصحابة والتابعين "[٣] .

٢ - وبيَّن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى : أن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وسيلة من وسائل الشرك فقال : " واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم ، إما في الشرك الأكبر ، أو فيما دونه من الشرك الأصغر ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين ، كود ، وسواع ، ويغوث ، وتماثيل طلاسم الكواكب ونحو ذلك ، يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم .

---

[١] أخرجه النسائي في الكبرى ، ج٦ ، ص ٧٠ ، رقم ١٠٠٧٧ ، وأحمد في المسند ، ج٣ ، ص ١٥٣ ، ٢٤١ .

[٢] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٥٦ ، وانظر : ما كتبه - أيضاً - الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان حكم تسمية العبد بالسيد في فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٨٣٨ ، ٨٣٩ .

[٣] رسالة للإمام محمد تضمنت مسائل أربع وقواعد أربع ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠ .

والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو بحجر . ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في الصلاة ... " [١] .

وقد وردت عدة أحاديث في التحذير من اتخاذ القبور مساجد ، بالصلاة عندها ، وإليها ، وبناء المساجد عليها ، ومن ذلك ما أورده الشيخ الإمام محمد رحمه الله تحت " باب ما جاء من التغليظ فيمن عبدالله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟! " [٢] .

وهذه الأدلة هي :

١ - عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور . فقال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " ... وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور ، وقد لعن من فعل ذلك " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : .. فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك : الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد ، وبناء المساجد عليها . وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك ، والتغليظ فيه .

وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها ، متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة ، وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك ، وطائفة أطلقت الكراهة . والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم ،

---

[١] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٣٠ باختصار ، وانظر : هذا المعنى بتوسع في كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢١٠ - ٢١٢ ، وما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في التحذير من اتخاذ القبور مساجد ، وأنه من وسائل الشرك في جواب له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٠٢ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ٨١ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٩١ - ٩٢ ، رقم ٤٢٧ ، كتاب الصلاة ، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ، وص ٩٣ ، رقم ٤٣٤ ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، وص ٢٦٣ ، رقم ١٣٤١ ، كتاب الجنائز ، باب بناء المسجد على القبر .

[٤] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٨٦ .

إحساناً للظن بالعلماء ، وأن لا يظن بهم أن يجوِّزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه . انتهى كلامه رحمه الله " [١] .

٢ - عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : « لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها ، فقال - وهو كذلك - : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، يُحَذِّر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً [٢] .

الشاهد قوله ﷺ : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : " فلعنهم ﷺ على تحري الصلاة عندها ، وإن كان المصلي إنما يصلي لله ، فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون ، لأنه ذريعة إلى عبادتها ، فكيف إذا عبد أهل القبور والغائبين بأنواع العبادة ، وسألهم ما لا قدرة لهم عليه ؟ وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها ، واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى ، بل تعم من فعل فعلهم وما هو أعظم منه ، وهذا هو الذي أراده ﷺ من لعنة اليهود والنصارى على هذا الفعل ، تحذيراً لأمته أن يفعلوا ما فعلته اليهود والنصارى ، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم " [٣] " لأنه من أعظم الذرائع الموصلة إلى الشرك . وهذا الذي لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى على فعله قد وقع من كثير من هذه الأمة بعد القرون المفضلة " [٤] .

---

[١] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٨٨ باختصار ، وكلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٦٧٤ ، ونقله ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢٠٣ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ ، وانظر أيضاً ما نقله الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم البناء على القبور ، قرة عيون الموحدين ، ص ١٢٠ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٩٣ ، رقم ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، وص ٢٦١ ، رقم ١٣٣٠ ، كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٣٧٧ ، رقم ٥٣١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ١١٩ .

[٤] القول الفصل النفيس ، ص ١٣٨ .

وقال : " قال القرطبي في معنى هذا الحديث : وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها ، كما كان السبب في عبادة الأصنام . قال : ولهذا بالغ المسلمون في سدّ الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعلوا حيطان تربته ، وسدوا المدخل إليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين ، فتتصور الصلاة إليه بصورة العبادة - فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره . انتهى "[١] .

" قلت : فبذلك صان الله قبره وقبل دعوته بقوله : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٢] "[٣] .

٣ - عن جندب بن عبدالله قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك »[٤] .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث : " فكيف يسوغ مع هذا التغليظ من سيد المرسلين ، أن تُعظَّم القبور ويُبنى عليها ،

---

[١] القول الفصل النفيس ، ص ١٣٨ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٨٩ - ٣٩١ .

[٢] أخرجه مالك في الموطأ ، ج١ ، ص ١٥٦ ، رقم ٨٥ ، كتاب قصر الصلاة في السفر ، باب جامع الصلاة ، وأحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٢٤٦ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ " اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ١١٩ .

[٤] أخرجه مسلم ، ج١ ، ص ٣٧٧ ، رقم ٥٣٢ ، كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

ويُصلى عندها وإليها . هذا أعظم مشاقّة ومحادة لله ولرسوله ﷺ ، لو كانوا يعقلون " [١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " ... فتحرم الصلاة في المقبرة وإلى القبور ، بل لا تنعقد أصلاً ؛ لما في هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها من لعن من اتخذها مساجد ... " [٢] .

" قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه ، وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده ، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أنّ هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه - صيغة « لا تفعلوا » وصيغة « إني أنهاكم عن ذلك » - ليس لأجل النجاسة ، بل هي لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه ، وارتكب ما عنه نهاه ، واتبع هواه ، ولم يخش ربه ومولاه ، وقل نصيبه أو عدم من لا إله إلا الله .

فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ : صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه ، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه ، فأبى المشركون إلا معصية لأمره ، وارتكاباً لنهيه ، وغرهم الشيطان ، بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين ، وكلما كنتم لها أشد تعظيماً وأشد فيهم غلواً كنتم بقربهم أسعد ، ومن أعدائهم أبعد .

ولعمر الله من هذا الباب دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر ، ودخل على عباد الأصنام ، منذ كانوا إلى يوم القيامة . فجمع المشركون بين الغلو فيهم ، والطعن في طريقتهم . فهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم ، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية ، وسلب خصائص الإلهية عنهم " [٣] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " وممن علل بخوف الفتنة

---

[١] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٩٥ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٢٨ ، وانظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٩٥ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٢٩ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، وكلام ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ١٨٩ .

والشرك الشافعي وأبوبكر الأثرم [(١)] وأبومحمد المقدسي [(٢)] وشيخ الإسلام وغيرهم وهو الحق " [(٣)] .

٤ - عن ابن مسعود مرفوعاً : « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » [(٤)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في معنى الحديث : " .. أي : إن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد ، بالصلاة عندها وإليها ، وبناء المساجد عليها . وهذا المعنى متواتر عن النبي ﷺ، معلوم بالاضطرار من دينه ، وكل ذلك شفقة على الأمة ، وخوفاً عليهم أن يقودهم ذلك إلى الشرك بها وبأصحابها ، كما قاد إلى ذلك اليهود والنصارى . فأبى عباد القبور إلا الضرب بهذه الأحاديث الجدار ونبذها وراء الظهر ، أو الدفع في صدورها وأعجازها بحمل ذلك على غير قبور الأنبياء والصالحين . أما قبورهم فتجوز الصلاة إليها وعندها ، وبناء المساجد والقباب عليها رجاء أن تصل إليهم العواطف الروحانية . ولا ريب أن هذا مراغمة ومحادة لله ورسوله ، وهذا هو قول اليهود : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ فإن النبي ﷺ إنما لعن من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، كما هو نص حديث عائشة رضي الله عنها [(٥)] وغيره ، وقبور غيرهم إنما أخذ النهي عن البناء عليها من هذه الأحاديث ونحوها بقياس الأولى ، أو من عموم أحاديث أخر ، فمن أعظم المراغمة والمناصبة والمحادة لله

---

(١) أحمد بن محمد بن هانيء ، أبوبكر المعروف بالأثرم ، أحد الأعلام ، الفقيه الحافظ ، صاحب الإمام أحمد ، له تصانيف منها : السنن ، وهي من الكتب النفيسة التي تدل على إمامته وسعة حفظه ، توفي سنة ٢٧٣هـ .

انظر في ترجمته : تقريب التهذيب ، ص ٩٨ ، الرسالة المستطرفة ، ص ٣٥ .

(٢) عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، أبو محمد ، من بحور العلم ، كان عالم أهل الشام في زمانه ، وكان إمام الحنابلة بجامع دمشق ، له مصنفات شهيرة منها " المغني " ، و " الكافي " ، توفي سنة ٦٢٠هـ .

انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢ ، ص ١٦٥ - ١٧٣ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٨٨ - ٩٢ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٢٩ .

(٤) أخرجه أحمد ، ج١ ، ص ٤٣٥ ، والطبراني في الكبير ، ج١٠ ، ص ١٨٨ ، رقم ١٠٤١٣ .

(٥) سبق تخريجه ، ص ٣٥٤ .

ورسوله ، أن تحمل على غير ما وردت فيه ، ويباح ما وردت بالنهي عنه ، ولعن من فعله ... " [١] .

ومن الأدلة ما أورده الإمام محمد تحت " باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله " [٢] .

٥ - روى مالك في الموطأ : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » [٣] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله على هذا الحديث : " قوله : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم ، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثاناً تعبد " [٤] .

وقال الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمه الله : " قال شيخنا ووالدنا على هذا الحديث : لما قرن ﷺ بين دعائه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد ، وبين إخباره باشتداد غضب الله على متخذي القبور مساجد ، دل ذلك على أن الثاني سبب للأول " [٥] .

وقد دل هذا الحديث على ما يلي :

١ - " أن قبر النبي ﷺ لو عبد لكان وثناً ، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس ، فلا يوصل إليه " [٦] .

٢ - " أن الوثن ، هو ما يباشر العابد من القبور ، والتوابيت التي عليها " [٧] .

٣ - تحريم البناء على القبور ، وتحريم الصلاة عندها ، وأن ذلك من الكبائر [٨] .

---

[١] تيسر العزيز الحميد ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ٨٦ .

[٣] سبق تخريجه ، ص ٣٥٥ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٤٣ .

[٥] عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الإلهية ، ص ٣٨ .

[٦] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٠٦ .

[٧] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٠٦ .

[٨] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٤٣ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٠٩ .

الوسيلة الرابعة : البناء على القبور :

حذر علماء الدعوة رحمهم الله تعالى من البناء على القبور ، سواءً بناء المساجد ، أو القباب أو غيرها .

وقرروا أنه من أسباب حدوث الشرك ومن وسائله .

وقد كانت لهم جهود عظيمة في التحذير من البناء على القبور ، وهدم الأبنية التي على القبور في كل مكان من بلادهم حتى طهر الله بلادهم من ذلك ، فلم يبق على أرض بلادهم قبة تذكر إلا هدموها ، وقد كان من هديهم أنهم إذا فتحوا أرضاً كان أول عمل لهم هدم أماكن الضلالة ، وإزالة القباب التي على القبور ، وتسويتها على النهج المشروع .

يقول الشيخ حسين بن غنام رحمه الله تعالى ذاكراً جهود الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله والمسلمين لما دخلوا الأحساء عام ١٢٠٧هـ : " ثم أمر بهدم ما في البلاد من أماكن الرفض والبدع والزيغ والأهواء والضلال ، وإزالة القباب التي على القبور ، وتسويتها على النهج المشروع . وأمر كذلك بإقامة شعائر التوحيد ، وإبطال ما خالف الشرع من الأحكام ، والمواظبة على إظهار الصلوات في المساجد ومعاقبة كل متخلف عنها . وأبطل جميع أنواع الربا ، والعقود الفاسدة والمظالم والعشور والأمكاس . وأمر كذلك بنشر العلم وإحيائه بالمذاكرة ، والتدريس على جميع المذاهب الأربعة ، والتجرد في تفهم التوحيد . وإقامة الأئمة في المساجد ، والعلماء في المدارس ، وأقر الأحباس والسبل ، فاستقامت بذلك الحنيفية السمحاء على النهج ، وزال ما كان خالطها من البدع والضلال " [(١)] .

وحكى الشيخ عثمان بن بشر رحمه الله تعالى في حوادث السنة السادسة عشر بعد المائتين والألف أن الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله سار بالجيوش ، وقصد أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين ، ودخلوها عنوة ، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين . وأخذوا ما في القبة وما حولها ، وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر [(٢)] .

---

(١) تاريخ نجد ، ص ١٨٢ ، وذكر هذا الشيخ عثمان بن بشر رحمه الله في حوادث عام ١٢٠٧هـ ، انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ٩٨ ، وانظر : ما ذكره الشيخ حسين بن غنام رحمه الله في حوادث عام ١٢١٠هـ لما دخل المسلمون الأحساء مرة ثانية من تسوية القبور ، وإزالة ما عليها من القباب ، تاريخ نجد ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ١٢١ .

وذكر في حوادث السنة السابعة عشر بعد المائتين والألف أن الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله دخل مكة واستولى عليها ، وفرق أهل النواحي يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية . يقول رحمه الله : " وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها ، فأقام فيها أكثر من عشرين يوماً. ولبث المسلمون في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون . يباكرون إلى هدمها كل يوم . وللواحد الأحد يتقربون ، حتى لم يبق في مكة شيء ، من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها تراباً " [١] .

وحكى الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ما فعله غزو الموحدين لما منَّ الله عليهم بدخول مكة المشرفة مع الإمام سعود رحمه الله سنة ١٢١٨هـ من إزالة ما وضع من البناء على القبور وغيرها ، وتطهير الأرض المقدسة منها . فكان مما قاله رحمه الله : " فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ورجاء النفع ودفع الضر بسببه ، من جميع البناء على القبور وغيرها ، حتى لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يعبد ، فالحمد لله على ذلك " [٢] .

وبيَّن رحمه الله تعالى أن سبب إزالة تلك الأبنية هو حسم ذرائع الشرك ما أمكن فقال : " وإنما هدمنا بيت السيدة خديجة وقبة المولد وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الأولياء حسماً لتلك المادة ، وتنفيراً عن الإشراك بالله ما أمكن لعظم شأنه فإنه لا يغفر ... " [٣] .

وسئل الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله عن البناء على القبور ، فأجاب : " أما بناء القباب عليها فيجب هدمها ، ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر ، وكذلك الصلاة عنده ، وقصده لأجل الدعاء ، فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك ، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك ، فيشتد نكير العلماء لذلك ، كما صح عنه ﷺ : أنه قال : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » [٤] . وذكر العلماء أنه

---

[١] عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ٢٦٣ ، وانظر : ما كتبه الشيخ عثمان بن بشر رحمه الله في بيان جهود الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله في هدم القباب التي وضعت على القبور والمشاهد الشركية ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج١ ، ص ١٣٢ ، ١٣٧ .

[٢] الهدية السنية والتحفة النجدية ، ص ٤٦ .

[٣] المصدر السابق ، ص ٥٤ .

[٤] سبق تخريجه ، ص ٣٥٤ .

يجب التغليظ في هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك ، كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب وَدّ وسُوَاع ويَعُوق ونسْر ، لما عكفوا على قبورهم ، ثم صوّروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة ، ثم بعد ذلك بقرون عُبدوا ، فكذلك في هذه الأمة كما قال ﷺ : « لتتبعُنّ سنن من كان قبلكم حذو القُذّة بالقُذّة حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبّ لدخلتموه » [١] فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك ، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك . وأول ما جرى من هذا أن بني أمية لما بنوا مسجد الرسول ﷺ وسّعوه واشتروا بيوتاً حوله ، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي ﷺ الذي فيه قبره وقبر صاحبيه ، ولكن أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد ، ولم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك ، لكن قصدوا تعظيم المسجد ، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبدالله بن الزبير [٢] بسبب إنكاره ذلك ، فانظر إلى سدّ العلماء الذرائع " [٣] .

وأنكر الشيخ الإمام محمد رحمه الله ما حدث من تعظيم القبور ببناء القباب عليها وإيقاد السرج والصلاة عندها واتخاذها أعياداً .. فقال : " وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج ، والصلاة عندها ، واتخاذها أعياداً ، وجعل السدنة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ وحذر منها ، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان » [٤] وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية ، وسدّ كل طريق يوصل إلى الشرك ، فنهى أن يجصص القبر ،

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٧١١ ، رقم ٣٤٥٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، وص ١٥٣٤ - ١٥٣٥ ، رقم ٧٣٢٠ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، ومسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢٠٥٤ ، رقم ٢٦٦٩ ، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[٢] خبيب بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي ، ثقة ، عابد ، مات سنة ٩٣هـ .
انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، تقريب التهذيب ، ص ٢٩٥ .

[٣] جواب للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٤٠ ، وضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الثالث ، الفتاوى ، ص ٧٠ .

[٤] أخرجه أبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٤٥٠ ، رقم ٤٢٥٢ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٣٠٤ ، رقم ٣٩٥٢ ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ، من حديث ثوبان ، وأحمد في المسند ، ج٤ ، ص ١٢٣ ، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه .

وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر [(١)] ، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ، ولا تمثالا إلا طمسه [(٢)] . ولهذا قال غير واحد من العلماء : يجب هدم القبب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ " [(٣)] .

ووضح الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله ما جناه البناء على القبور على الأمة من البلاء ، فقال رحمه الله : " والبناء على القبور ونحوه جنى على الأمة أعظم البلاء، من دعاء أصحابها ورجائهم ، والالتجاء إليهم ، والنذر لهم ، وكتب الرقاع لهم ، وخطابهم يا سيدي افعل كذا وكذا ، وبهذا عبدت اللات والعزى ، والويل كل الويل عندهم لمن عاب وأنكر عليهم . ومن قارن بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وزيارتها ، وما كان عليه أصحابه ، وبين ما عليه الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر ، مناقضاً له ، فإنا لله وإنا إليه راجعون " [(٤)] .

وردَّ الشيخ حمد بن معمر رحمه الله تعالى على من أجاز بقاء القباب على القبور ، وإسراجها ، وفرشها ... فكان مما قال : " ثبت في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي [(٥)] قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » " [(٦)] .

وأورد الشيخ حمد أحاديث أخرى ، ثم قال : " فنهى رسول الله ﷺ عن البناء عليها ، وأمر بهدمه بعد ما يبنى ، ونهى عن الكتابة عليها ، ولعن من أسرجها .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٢ ، ص ٦٦٧ ، رقم ٩٧٠ ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تجصيص القبر .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، ص ٦٦٦ ، رقم ٩٦٩ ، كتاب الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر ، من حديث علي رضي الله عنه .

(٣) رسالة للإمام محمد إلى أهل المغرب ضمن مؤلفات الشيخ الإمام ، ج٥ ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ ، بعنوان : رسالة في الاعتصام والاتباع والنهي عن التفرق والابتداع .

(٤) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٥) حيان بن حصين ، أبوالهياج الأسدي ، الكوفي ، روى عن علي وعمار ، وعنه ابناه جرير ومنصور وغيرهما ، تابعي ثقة .
انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص ٦٧ ، تقريب التهذيب ، ص ٢٨١ .

(٦) النبذة الشريفة ، ص ١٢٣ .

فنحن نأمر بما أمر به ﷺ من تسويتها ، وننهى عن البناء عليها ، كما نهى عنه رسول الله ﷺ " [١] .

وبيّن رحمه الله أن هذا الفعل ليس من هدي النبي ﷺ ولا من هدي أصحابه رضي الله عنهم ، وساق رحمه الله كلام العلماء في النهي عنه .

ووضّح رحمه الله : أن تعظيم القبور من أعظم الوسائل إلى الشرك [٢] .

وقال في موضع آخر : " من جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور ، وما أمر به ، وما نهى عنه ، وما كان عليه أصحابه ، وبين ما أنتم عليه من فعلكم مع قبر أبي طالب والمحجوب وغيرهما وجد أحدهما مضاداً للآخر ، مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً ، فنهى رسول الله ﷺ عن البناء على القبور كما تقدم ذكره ، وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة ، والذي رأيته في المعلاة أكثر من عشرين قبة ، ونهى رسول الله ﷺ أن يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذي عليه ولباس الجوخ ، ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص " [٣] .

وأوضح الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أن بناء القباب على القبور من علامات الكفر وشعائره ، فقال في جواب له : " أما بناء القباب على القبور فهو من علامات الكفر وشعائره ، لأن الله أرسل محمداً ﷺ بهدم الأوثان ولو كانت على قبر رجل صالح ، لأن اللات رجل صالح فلما مات عكفوا على قبره وبنوا عليه بنية وعظموها فلما أسلم أهل الطائف ، وطلبوا منه أن يترك هدم اللات شهراً لئلا يروعوا نساءهم وصبيانهم

---

[١] المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

[٢] انظر : المصدر السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٩ .

[٣] الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، ص ٩٣ ، انظر ما كتبه علماء نجد في بيان مناقضة ما عليه عباد القبور لسنة الرسول ﷺ في القبور ، النبذة الشريفة ، ص ١٦١ ، ١٦٢ ، والتوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢١٤ - ٢١٦ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٢٨ .

حتى يدخلوهم الدين ، فأبى ذلك عليهم ، وأرسل معهم المغيرة بن شعبة [١] وأباسفيان بن حرب [٢] وأمرهما بهدمها .

قال العلماء : وفي هذا أوضح دليل على أنه لا يجوز إبقاء شيء من هذه القباب التي بنيت على القبور واتخذت أوثاناً ولا يوماً واحداً ، فإنها شعائر الكفر ، وقد ثبت أن النبي ﷺ نهى عن البناء على القبر وتجصيصه وتخليقه والكتابة عليه [٣] وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [٤] .

وأما قول السائل : هل يكون علامة على كفر بانيها ؟ فهذا يحتاج إلى تفصيل ، فإن كان الباني قد بلغه هدي الرسول ﷺ في هدم البناء عليها ونهيه عن ذلك ، وعاند وعصى أو منع من أراد هدمها من ذلك فذلك من علامات الكفر ، وأما من فعل ذلك جهلاً منه بما بعث الله به رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فهذا لا يكون علامة على كفره ، وإنما يكون علامة على جهله وبدعته ، وإعراضه عن البحث عما أمره الله به ورسوله صلوات الله وسلامه عليه في القبور " [٥] ..

وسئل رحمه الله عن القبور التي في المساجد فأجاب : " وأما القبور التي في المساجد فإن كان المسجد بني قبل أن يحط فيه قبر فينبش القبر ويبعد عن المسجد ، فإن كان المسجد ما بني إلا لأجل القبر فالمسجد يهدم ولا يصلى فيه ؛ لأنه ثبت عن رسول الله ﷺ أنه لعن الذين يتخذون المساجد على القبور ، ولا تصح الصلاة فيه ، ولا تجوز الصلاة عند القبور ،

---

[١] المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن متعب الثقفي ، صحابي مشهور ، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان ، وما بعدها ، وولي إمرة البصرة ثم الكوفة ، كان من دهاة العرب ، وشجعانهم ، مات سنة ٥٠هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ٧ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٢١ ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٤٨ ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ٢٦٢ .

[٢] صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي ، أبوسفيان ، وهو والد يزيد ومعاوية وغيرهما ، صحابي شهير ، أسلم عام الفتح ، كان من دهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم ، مات سنة ٣١هـ وقيل : بعدها .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ٢٤٠ ، أسد الغابة ، ج٦ ، ص ١٤٤ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ١٠٥ ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ٤١١ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٣٧ .

[٣] سبق تخريجه ، ص ٣٦١ .

[٤] سورة الحشر الآية : ٧ .

[٥] جواب للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٢٤٦

ولا عليها ، لأنه عليه السلام نهى عن الصلاة في المقبرة " [١] .

وسئل رحمه الله عن القبور التي عليها بناء فأجاب بقوله : " وأما القبور التي عليها بناء فإنه يهدم " [٢] .

وبيّن الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : أن بناء القباب على القبور من وسائل الشرك فقال : " بناء القباب على القبور وإسراجها وسيلة إلى عبادتها والخضوع لها والتذلل والتعظيم ، وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله ... " [٣] .

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى إجماع العلماء على النهي عن البناء على القبور ، وتحريمه ، ووجوب هدمه ؛ فقال : " وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور ، وتحريمه ، ووجوب هدمه ؛ لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه ، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبلة ، أو مملوكة ، إلا أنه في المملوكة أشدّ . ولا عبرة بمن شذّ من المتأخرين فأباح ذلك ، إما مطلقاً ، وإما في المملوكة ... " [٤] .

ثم ذكر رحمه الله كلام العلماء في ذلك [٥] ، ثم قال : " والمقصود أن كلام العلماء موافق لما دلت عليه السنة الصحيحة في النهي عن البناء على القبور " [٦] .

وبيّن الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : أنه وقع بسبب البناء على القبور من المفاسد التي لا يحيط بها على التفصيل إلا الله ، ما يغضب من أجله كل من في قلبه رائحة إيمان ، فقال رحمه الله :

---

(١) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢١٥ ، وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في بيان بدعة جعل الرياحين على القبر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩٨ .

(٣) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، الرسالة الثالثة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣٦ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٢٥ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٣٢ .

(٥) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٣٢ - ٣٣٤ ، وانظر : ما نقله الشيخ حمد بن معمر عن العلماء في ذلك النبذة الشريفة ، ص ١٣٢ - ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٦) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٣٤ .

" فمنها : اعتيادها للصلاة عندها ، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك .

ومنها : تحري الدعاء عندها .. وهذا بدعة منكرة .

ومنها : ظنهم أن لها خصوصيات بأنفسها في دفع البلاء وجلب النعماء ... ولا ريب أن هذا مخالف للكتاب والسنة والإجماع .

ومنها : الدخول في لعنة رسول الله ﷺ باتخاذ المساجد عليها ، وإيقاد السرج عليها .

ومنها : أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد ، وخراب المساجد ، كما هو الواقع ، ودين الله بضد ذلك .

ومنها : اجتماعهم لزيارتها واختلاط النساء بالرجال ، وما يقع في ضمن ذلك من الفواحش وترك الصلوات ...

ومنها : كسوتها بالثياب النفيسة المنسوجة بالحرير والذهب والفضة ونحو ذلك .

ومنها : جعل الخزائن والأموال ووقف الوقوف لما يحتاج إليه من ترميمها ونحو ذلك .

ومنها : إهداء الأموال ونذر النذور ولسدنتها العاكفين عليها الذين هم أصل كل بلية وكفر ...

ومنها : جعل السدنة لها كسدنة عباد الأصنام .

ومنها : الإقسام على الله في الدعاء بالمدفون فيها .

ومنها : أن كثيراً من الزوار إذا رأى البناء الذي على قبر صاحب التربة سجد له ..

ومنها : النذر للمدفون فيها ، وفرض نصيب من المال والولد .

ومنها : أن المدفون فيها أعظم في قلوب عباد القبور من الله وأخوف .

ومنها : سؤال الميت قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ...

ومنها : التضرع عند مصارع الأموات والبكاء بالهيبة والخشوع لمن فيها .

ومنها : تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله وهي المساجد .

ومنها : ... الشرك بالميت ودعاؤه والدعاء به ، وسؤاله حوائجهم ونصرهم على الأعداء ونحو ذلك ...

ومنها : إيذاء أصحابها بما يفعله عباد القبر بها ...

ومنها : محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها .

ومنها : التعب العظيم مع الوزر الكبير ، والإثم العظيم .

وكل هذه المفاسد العظيمة وغيرها مما لم يذكر ، إنما حدثت بسبب البناء على القبور ، ولهذا تجد القبور التي ليس عليها قباب لا يأتيها أحد ولا يعتادها لشيء مما ذكر إلا ما شاء الله ، وصاحب الشرع أعلم بما يؤول إليه هذا الأمر ، فلذلك غلظ فيه وأبدأ وأعاد ، ولعن من فعله ، فالخير والهدى في طاعته ، والشر والضلال في معصيته ومخالفته ... " [١] .

الوسيلة الخامسة : اتخاذ القبور عيداً :

من وسائل الشرك التي حذر منها علماء الدعوة ونهوا عنها اتخاذ القبور أعياداً ، لما في ذلك من المفاسد العظيمة التي لا يمكن حصرها .

وقد بيَّن علماء الدعوة معنى العيد ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن فيما نقلاه عن شيخ الإسلام ابن تيمية : " العيد : اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة ، أو بعود الأسبوع ، أو الشهر ونحو ذلك " [٢] .

ونقلا عن ابن القيم معناه أيضاً فقالا : " قال ابن القيم : العيد : ما يعتاد مجيئه وقصده ، من زمان ومكان ، مأخوذ من المعاودة والاعتياد ... " [٣] .

وقد جاء في النهي عن اتخاذ القبور أعياداً عدة أحاديث ، ساق بعضها علماء الدعوة فمما ساقوه ما يلي :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ،

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٣٤ - ٣٣٨ باختصار ، وانظر : ما كتبه صاحب التوضيح عن توحيد الخلاق في بيان هذه المفاسد ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٥١ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ ، وكلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٤٤١ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٥١ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٢٧ باختصار ، وكلام ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢٠٩ .

ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم »[١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله مبيناً معنى هذا الحديث : " فمعنى الحديث نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، واجتماع معهود كالعيد الذي يكون على وجه مخصوص ، في زمان مخصوص ، وذلك يدل على المنع في جميع القبور وغيرها ، لأن قبره ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض ، وقد نهى عن اتخاذه عيداً ، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان "[٢] .

ومن فوائد هذا الحديث : النهي عن الإكثار من الزيارة[٣] .

٢ - عن علي بن الحسين[٤] ، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو . فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي ، عن جدي ، عن رسول الله ﷺ ؟ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم »[٥] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها ، لأن ذلك من اتخذها عيداً كما فهمه علي بن الحسين من الحديث ، فنهى ذلك الرجل عن المجيء إلى قبر النبي ﷺ للدعاء عنده ، فكيف بقبر غيره .

ويدل أيضاً : على أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من اتخاذه عيداً المنهي عنه .

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ، أبوداود في سننه ، ج٢ ، ص ٥٣٤ ، رقم ٢٠٤٢ ، كتاب المناسك ، باب في زيارة القبور ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٥٢ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٥٢ ، وانظر : كتاب التوحيد ، ص ٩١ .

[٤] علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبوالحسن ، زين العابدين ، من سادات التابعين ، وكان يسمى زين العابدين لعبادته ، فضائله ومناقبه كثيرة ، توفي سنة ٩٢هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢٦٦ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٣٨٦ ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ، ص ٣٠٤ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٠٤ .

[٥] أخرجه أبويعلي الموصلي في مسنده ، ج١ ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، رقم ٤٦٩ ، من حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أجمعين .

ويدل أيضاً : على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه ، لأن ذلك من اتخاذه عيداً . وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك ، قال : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها [1] ... " [2] .

" وفي الحديث دليل على منع شدِّ الرحال إلى قبره ﷺ وإلى غيره من القبور والمشاهد لأن ذلك من اتخاذها عيداً ، بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها " [3] .

٣ - عن سهيل بن أبي سهيل [4] قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب [5] عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : هلم إلى العشاء ، فقلت : لا أريده ، فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ ، فقال : إذا دخلت المسجد فسلِّم . ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء [6] .

---

(١) انظر : قول الإمام مالك في مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج٢٧ ، ص ٣٨٤ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ باختصار .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

(٤) سهيل هذا أورده ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ، ج٤ ، ص ٢٤٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكر عنه راويين : أحدهما : محمد بن عجلان وهو الراوي لهذا الحديث عن ابن أبي شيبة . والآخر : سفيان الثوري . قال الألباني في تحذير الساجد ، ص ٩٦ : " وله راو ثالث وهو إسماعيل ، الراوي لهذا عنه عند ابن خزيمة وهو إسماعيل بن علية ، وهذه فائدة عزيزة لا تجدها في كتب الرجال فقد روى عنه ثلاثة من الثقات فهو معروف غير مجهول والله أعلم " .

(٥) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي ، المدني الإمام أبو محمد ، قليل الرواية والفتيا مع صدقه وجلالته ، توفي سنة ٩٩هـ وقيل ٩٧هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٤٨٣ ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ٢٦٣ ، تقريب التهذيب ، ص ٢٣٦ ، الأعلام ، ج٢ ، ص ١٨٧ .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، ج٢ ، ص ١٥٢ ، رقم ٧٥٤٢ ، وج٣ ، ص ٣٢ ، رقم ١١٨١٧ ، وانظر هذه الأحاديث في كتاب التوحيد ، باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ص ٨٩ ، ورسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، والنبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٥٠ ، ١٥٢ ، والتوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٦ ، وج٤ ، ص ٣٩١ ، وتحفة الطالب والجليس ، ص ٩٠ ، ٩١ .

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله مبيناً وجه الدلالة : " ووجه الدلالة منه أن قبر الرسول ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض ، وقد نهى عن اتخاذه عيداً ، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان .

ثم إنه قرن ذلك بقوله : « ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً » أي لا تعطلوها من الصلاة فيها ، والدعاء ، والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحري النافلة في البيوت ، ونهى عن تحري العبادة عند القبور ، وهذا ضد ما عليه المشركون .

ثم إنه عقب النهي عن اتخاذها عيداً بقوله : « وصلوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني » .

يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم ، فلا حاجة إلى اتخاذه عيداً "[1] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " فهذا علي بن الحسين أفضل التابعين من أهل البيت ، والحسن بن الحسن سيد أهل البيت في زمانه ، لم يفهموا من نهي النبي ﷺ بقوله : « لا تتخذوا قبري عيداً » إلا نهي أمته عن اعتياد المجيء إلى قبره وملازمته ؛ لأن الصلاة عليه تبلغه ﷺ من المصلي وإن كان بعيداً عن قبره . ولما في ذلك من سدِّ الذريعة عن العكوف عند القبر وتعظيمه بما لم يشرع .

والعكوف عبادة شرعها رسول الله ﷺ في المساجد تقرباً بها إلى الله ، فلا يجوز أن يفعل ما هو مشروع في المساجد عند القبور ، فإن الملازمة والعكوف عندها ذريعة قريبة إلى عبادتها ، فتعظيمها بما لم يشرعه الله ورسوله غلو ، والغلو أعظم وسائل الشرك ... "[2] .

وبيَّن الشيخ حمد بن معمر رحمه الله المفاسد العظيمة في اتخاذ القبور أعياداً فقال :

---

(1) النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٥٢ ، وانظر : وجه الدلالة في جواب للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٧ ، والتوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٤٧ ، وتحفة الطالب والجليس ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، وانظر : تحريف أهل الباطل لهذه الأحاديث ، ورد الشيخ حمد بن معمر عليهم في النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٥٢ - ١٥٤ ، ورد عليهم أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن في جواب له ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٩٢ .

(2) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٩٢ .

" واعلم أن في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ، ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد .

فمن ذلك الصلاة إليها ، والطواف ، وتقبيلها ، واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها ، والاستعانة بأصحابها ، وسؤالهم الرزق والنصر ، والعافية ، وقضاء الديون ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وغير ذلك من أنواع الطلبات ، التي كان عباد الأصنام يسألونها أوثانهم .

وهذا هو عين الشرك الأكبر الذي بعث الله رسوله ينهى عنه ، ويقاتل أهله ، ومن مات عليه كان من أهل النار - عياذاً بالله من ذلك - " [١] .

الوسيلة السادسة : شدّ الرحال إلى القبور :

حقق علماء الدعوة أن من أسباب الشرك ووسائله شدُّ الرحال إلى المقابر ، وقبل أن أبيِّن جهودهم في النهي والتحذير من هذه الوسيلة ، أرى من المناسب أن أبيِّن كلامهم في زيارة القبور ، وأنواعها ، والمقصود منها .

فقد بيَّن الشيخ حمد بن عثمان بن معمر رحمه الله أنواع زيارة القبور فقال : " وبيان ذلك أن زيارة القبور نوعان :

زيارة شرعية ، وزيارة بدعية شركية " [٢] .

ثم بيَّن مقصود الزيارة الشرعية فقال : " فالزيارة الشرعية مقصودها ، ثلاثة أشياء :

أحدها : تذكير الآخرة ، والاتعاظ ، والاعتبار .

والثاني : الإحسان إلى الميت أن لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه ، فإذا زاره وأهدى إليه هدية من دعاء ، أو صدقة ، سُرَّ الميت بذلك كما يزور الحي من يزوره ويهدي له ، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة ، ولم يشرع أن يدعوهم ، ولا يدعو بهم ، ولا يصلي عندهم .

---

[١] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٥٧ .

[٢] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٦٦ .

الثالث : إحسان الزائر إلى نفسه ، باتباع السنة ، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ ، فيحسن إلى نفسه وإلى المزور " [١] .

ثم بيّن الشيخ حمد رحمه الله الزيارة البدعية الشركية فقال : " وأما الزيارة البدعية الشركية فأصلها مأخوذ من عبادة الأصنام ، وهو أن يقصد قبر صالح في الصلاة عنده ، أو الدعاء عنده ، أو الدعاء به ، أو طلب الحوائج منه ، أو الاستغاثة به ، ونحو ذلك من البدع التي لم يشرعها رسول الله ﷺ ، ولا فعلها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ... " [٢] .

وبيّن صاحب التوضيح أن زيارة قبر النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين : مشروع وغير مشروع ، فقال : " فأما المشروع منها فهو ما قاله مالك ، وأحمد بن حنبل والشافعي ، وأبوحنيفة ، وغيرهم من المجتهدين كلهم قالوا : إن من كان حاضراً في المدينة فيشرع في حقه أن يأتي إلى القبر فيصلي ويسلّم على النبي ﷺ ، وعلى صاحبيه رضوان الله عليهما . قالوا : ولا يكثر من المجئ عليه ولا يكرره في اليوم مرات احتراماً له ، ولأنه لم يفعله الصحابة والتابعون ، وإن من قدم من سفر أو خرج إليه فيقف على قبر النبي ﷺ فيصلي ويسلم عليه ، وعلى صاحبيه بعد أن يصلي لله في المسجد ركعتين .

وأما غير المشروع فهو قصده للدعاء ، واتخاذه عيداً بالاجتماع عنده والسفر إليه ؛ لما في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن أنه ﷺ نهى أن يتخذ قبره مسجداً وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » [٣] بعد قوله : « اللهم لا

---

[١] المصدر السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، وانظر : كلام الشيخ حسين ابن غنام في بيان الحكمة في زيارة القبور في العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين ، ص ٢١١ ، وكلام صاحب التوضيح في بيان زيارة القبور الشرعية ، وما ورد في ذلك من الأحاديث ومقصود زيارة الموحدين القبور في التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، وما كتبه الشيخ عبدالله أبابطين في بيان مضمون الزيارة التي شرعها ﷺ في كتابه تأسيس التقديس ، ص ١٠٠ ، وكذا ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في ذلك في جواب له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ٩٧ ، ١٠٠ - ١٠١ .

[٢] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٦٧ ، وانظر : ما كتبه صاحب التوضيح في بيان أصل الزيارة الشركية في كتابه التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٣٤ ، وما كتبه الشيخ عبدالله أبابطين في بيان المقصود بالزيارة الشركية في تأسيس التقديس ، ص ١٠٠ .

[٣] سبق تخريجه ، ص ٣٥٥ .

تجعل قبري وثناً يعبد »[١] فإنه ﷺ لم ينه عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد استعانة بأهلها ، بل لما يخاف على القاصدين لها من الفتنة بدعائها أو الدعاء عندها ... "[٢] .

وبيّن علماء نجد رحمهم الله تعالى أن الزيارة هي التي لا تشدّ لها الرحال ، فإن كانت بشدّ رحل فهي زيارة بدعية . يقول الشيخ حمد بن معمر رحمه الله موضحاً ذلك : " ثم اعلم أن الزيارة هي التي لا تشدّ لها الرحال ، فإن كان بشدّ رحل فهي زيارة بدعية ، لم يأمر بها رسول الله ﷺ ، ولا فعلها الصحابة ، بل قد نهى عنها رسول الله ﷺ ، كما ثبت عنه في الصحيحن أنه قال : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا »[٣] ... "[٤] .

وحذر الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى من شدّ الرحال إلى المقابر ، وبيّن أنه ينافي ما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد ، وإخلاص الدين لله وحده ، وسد أبواب الشرك ، فكان مما قال : " وكان الخليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها ، وهي مسدودة لا أحد يدخلها ، ولا تشد الصحابة الرحال إليه ، ولا إلى غيره من المقابر ، ففي الصحيحين عنه ﷺ قال : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » فكان من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى ، يصلون فيه ، ثم يرجعون ، لا يأتون مغارة الخليل ، ولا غيرها ، وكانت مسدودة حتى استولى النصارى على الشام ، في أواخر المائة الرابعة ، وجعلوا ذلك مكان كنيسة[٥] ، ولما فتح المسلمون البلاد

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٣٥٥ .

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ باختصار .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٢٣٤ ، رقم ١١٩٧ ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب مسجد بيت المقدس ، وص ٣٩٤ ، رقم ١٩٩٥ ، كتاب الصوم ، باب صوم يوم النحر من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وص ٢٣٣ ، رقم ١١٨٩ ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٦٧ ، رقم ٨٢٧ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مختصراً .

(٤) النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٦٧ .

(٥) كذا في الأصل ولعل الصواب " وجعلوا مكان ذلك " .

اتخذه بعض الناس مسجداً ، وأهل العلم ينكرون ذلك .

وهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها ، ولا يزورونها ، فإنها محل الشرك ، ولهذا توجد فيها الشياطين كثيراً ...

وما حدث في الإسلام من هذه الخرافات وأمثالها ينافي ما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد ، وإخلاص الدين لله وحده ، وسدّ أبواب الشرك ، التي يفتحها الشيطان ... [١] .

واستدل أئمة الدعوة رحمهم الله على النهي عن شدّ الرحال إلى القبور بأحاديث النهي عن اتخاذ القبور أعياداً ، وقد تقدم بعضها ، واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » [٢] قال الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله معلقاً على هذا الحديث : " وهو حديث ثابت باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنهم ، وهو وإن كان معناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد من المساجد إلا إلى الثلاثة التي قد ذكرت ، فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة إنما هو للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة القرآن ، والاعتكاف الذي هو من الأعمال الصالحة . وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم ، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ، ولا شرع شد الرحل إليه من بعيد ، ولذلك كان النبي ﷺ يأتي إليه كل سبت ماشياً وراكباً ، وكان ابن عمر يفعله كما في الصحيح [٣] ... .

وإذا كان السفر إلى مسجد غير الثلاثة ممنوعاً شرعاً مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة ، ويستحب أخرى ، وقد جاء في قصد المساجد من الفضل مالا يحصى ، فالسفر إلى مجرد القبور أولى بالمنع . ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة التي أحدثها الملوك وأشباههم ...

---

[١] رسالة للإمام محمد تضمنت مسائل أربع وقواعد أربع ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٠ ، ١١ باختصار .

[٢] سبق تخريجه ، ص ٣٧٣ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٢٣٣ ، رقم ١١٩٣ ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب من أتى مسجد قباء كل سبت .

وإنما رخص ﷺ في زيارة القبور مطلقاً بعد أن نهى عنها كما ثبت في الصحيح ، لكن بلا شدّ رحل وسفر إليها ، للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك ...

وإذا كان السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه دخلت زيارة القبر تبعاً لأنها غير مقصودة استقلالاً ، وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل محذور عند القبر ... " [(١)] .

وبعد أن بيّن علماء نجد رحمهم الله تعالى أن السفر لزيارة القبور بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين ، ولا أمر بها رسول ﷺ ، ولا استحسنها أحد من أئمة المسلمين ، بينوا اختلاف العلماء أتباع الأئمة في الجواز بعد اتفاقهم أنه ليس مشروعاً ولا مستحباً .

يقول الشيخ حمد بن معمر رحمه الله موضحاً ذلك : " وإنما اختلف العلماء أتباع الأئمة في الجواز بعد اتفاقهم أنه ليس مشروعاً ولا مستحباً .

فالمتقدمون منهم قالوا : لا يجوز السفر إليها ، ولا تقصر الصلاة في هذا السفر لأنه معصية ، وهذا قول أبي عبدالله بن بطة [(٢)] ، وأبي الوفاء بن عقيل [(٣)] ، وطوائف كثيرة .

وذهب طائفة من متأخري أصحاب أحمد والشافعي إلى جواز السفر إليها كأبي حامد الغزالي [(٤)] ، وابن عبدوس [(٥)] ، وأبي محمد المقدسي .

---

(١) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٢٦ - ٢٩ باختصار ، وانظر : في بيان هذه المسألة التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٢) عبيدالله بن محمد العبكريّ الحنبلي ، ابن بطة ، أبوعبدالله ، الفقيه العابد ، المحدث ، له تصانيف كثيرة في الفنون المتنوعة ، منها : الإبانة الكبرى ، في ثلاث مجلدات ، توفي سنة ٣٨٥هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٦ ، ص ٥٢٩ - ٥٣٤ ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ١٢٢ - ١٢٤ .

(٣) علي بن عقيل بن محمد الظفري ، الحنبلي ، أبوالوفاء ، إمام علامة ، بحر ، صاحب تصانيف ، كان خارق الذكاء ، غزير العلوم ، له كتاب الفنون ، قيل إنه بلغ ٨٠٠ مجلد ، توفي سنة ٥١٣هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٤٤٣ ، ٤٥١ ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ١٨١ ، وشذرات الذهب ، ج٤ ، ص ٣٥، ٤٠ .

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الطوسي ، أبو حامد ، الفقيه الشافعي ، صاحب التصانيف ، كالوسيط ، والبسيط ، والوجيز ، وإحياء علوم الدين وغير ذلك ، توفي سنة ٥٠٥هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٢١٦ ، ٢١٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٣٢٢ ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ١٠ ، ١٣ ، التاج المكلل ، ص ٣٩٤ .

(٥) لم أعرفه .

وأجابوا عن حديث : « لا تشدّ الرحال » بأنه لنفي الاستحباب والفضيلة . ورد عليهم الجمهور من وجهين :

أحدهما : أن هذا تسليم منهم أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قربة ، ولا طاعة ، ومن اعتقد أن السفر لزيارة القبور قربة وطاعة ، فقد خالف الإجماع . وإذا سافر لاعتقاده بأنه طاعة فإن ذلك محرم بإجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك . وأما إذا قصد بشدِّ الرحل غرض من الأغراض المباحة فهذا جائز .

الوجه الثاني : أن النفي يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم "[1] .

وقد حكى هذا الخلاف الشيخ عبدالرحمن بن حسن ، وصوب قول الجمهور القائل بالمنع[2] .

وحقق علماء نجد رحمهم الله تعالى أن الأحاديث التي تذكر في زيارة قبر النبي ﷺ مكذوبة موضوعة باتفاق أهل العلم بالحديث .

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله محققاً ذلك : " الأحاديث التي رواها الدارقطني[3] في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام ، كلها مكذوبة موضوعة باتفاق

---

[1] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

[2] انظر : الرسالة الرابعة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٥١ - ٥٢ .

[3] علي بن عمر الدارقطني ، أبوالحسن ، الإمام الحافظ ، المقريء ، المحدث له تصانيف عديدة ، مات سنة ٣٨٥هـ .
انظر في ترجمته : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٨٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٦ ، ص ٤٤٩ - ٤٦١ ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

غالب أهل المعرفة ، منهم ابن الصلاح [١] ، وابن الجوزي [٢] ، وابن عبدالبر [٣] ، وأبوالقاسم السهيلي [٤] ، وشيخه ابن العربي المالكي [٥] ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية وغيرهم . ولم يجعلها في درجة الضعيف إلا القليل ، وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية أهل السنن . والأئمة كلهم يرون خلافه " [٦] .

ويقول الشيخ حمد بن معمر رحمه الله مبيناً درجة هذه الأحاديث : " والأحاديث التي تذكر في زيارة قبر النبي ﷺ ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة . فليس في زيارة قبر النبي ﷺ حديث صحيح ولا حسن ، ولا روى أهل السنن المعروفة كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة في ذلك شيئاً ، بل ولا أهل المسانيد المعروفة كمسند

---

(١) عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان الكردي الشافعي ، أبوعمر ، إمام حافظ ، برع في المذهب الشافعي وأصوله ، والحديث ، والتفسير ، وأسماء الرجال ، وعلم اللغة ، وصنف التصانيف الكثيرة ، توفي سنة ٦٤٣هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣ ، ص ١٤٠ - ١٤٤ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٢٢١ .

(٢) عبدالرحمن بن علي بن جعفر بن الجوزي ، أبوالفرج الواعظ صاحب التصانيف ، كان علامة عصره ، وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ ، مات سنة ٥٩٧هـ .
انظر في ترجمته : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص ٣٩٩ ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ١٤٠ - ١٤٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢١ ، ص ٣٦٥ - ٣٨٤ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٢٨ ، التاج المكلل ، ص ٥٤ ، الرسالة المتطرفة ، ص ٤٥ .

(٣) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري الأندلسي المالكي ، أبوعمر ، الإمام ، العلامة حافظ الغرب ، له تصانيف عدة ، مات سنة ٤٦٣هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص ١٥٣ - ١٧٠ ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ١٠٤ ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ٣١٤ - ٣١٦ .

(٤) عبدالرحمن بن الخطيب الخثعمي السهيلي ، أبوالقاسم ، قرأ القراءات ، واشتغل ، وحصل ، وساد أهل زمانه بقوة القريحة وحسن التصنيف ، مات سنة ٥٨١هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ١٤٣ ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٣١٨ ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ٢٧١ ، معجم المؤلفين ، ج٢ ، ص ٩٤ .

(٥) محمد بن عبدالله ، ابن العربي ، الأندلسي المالكي ، أبوبكر، عالم الأندلس ، كان من أهل الاستبحار في العلوم مع الذكاء المفرط ، وولي قضاء اشبيلية ، له مصنفات متنوعة ، توفي سنة ٥٤٣هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ١٩٧ - ٢٠٤ ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ١٤١ .

(٦) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٢٧ ، وانظر بيان درجة هذه الأحاديث التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٥١ .

أحمد وأبي داود الطيالسي [١] وعبد بن حميد [٢] وغيرهم ، ولا أهل المصنفات المعروفة كموطأ مالك وغيره ... " [٣] .

وأوضح الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله مراد من أجاز السفر لأجل زيارة القبر فقال : " وما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من السفر لأجل زيارة القبر ، فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده ، بل يصلي ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة ، ثم يسلم على أبي بكر ، ثم عمر .

ولا يقصد الصلاة عند القبر للعنه ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد ، واللعنة في كلام الله ، وكلام رسوله لا تجامع إلا الحرمة والإثم لا مجرد الكراهة ... " [٤] .

وسئل الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عن السفر إلى قبر النبي ﷺ فأجاب : " وأما السؤال عن السفر إلى قبر النبي ﷺ فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » [٥] فالنهي عن شد الرحال إلى غير الثلاثة لفظ عام يتناول المساجد وغيرها ، وفحوى الخطاب يدل عليه ؛ لأن غيرالمساجد من باب أولى ، ولكن إذا نوى الإنسان السفر إلى مسجده حصلت زيارة القبر الشريف تبعاً ، فإنه إذا وصل إلى المسجد سلم على النبي ﷺ من قرب ، فيكون قد أخذ بعموم الحديث ، وحصلت له الزيارة من غير أن يخصها بشد الرحال المنهي عنه " [٦] .

---

[١] سليمان بن داود بن الجارود ، الطيالسي البصيري ، أبوداود ، الحافظ الثقة ، صاحب المسند ، مات سنة ٢٠٣هـ .
انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص ١٨٢ ، تقريب التهذيب ، ص ٤٠٦ ، الرسالة المستطرفة ، ص ٦١ .

[٢] عَبْدُ بن حميد بن نصر الكسِّي ويقال : الكَشِّي ، أبو محمد ، يقال : اسمه عبدالحميد الحافظ ، صاحب المسند والتفسير ، كان ثقة ثبتاً ، توفي سنة ٢٤٩هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص ٢٣٥ ، تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص ٤٥٥ ، تقريب التهذيب ، ص ٦٣٤ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٢٠ .

[٣] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٧٠ .

[٤] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٢٩ ، وانظر : هذا البيان في التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٥٠ .

[٥] سبق تخريجه ، ص ٣٧٣ .

[٦] رسالة بعثها الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالله بن محمد ، الرسالة الثالثة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، وانظر : زيادة بيان للشيخ عبدالرحمن بن حسن في الرسالة الرابعة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٥٢ .

وسئل رحمه الله عن شد الرحال إلى مكانات مشرفة للأنبياء والأولياء . هل هو ممنوع ومحذور أم لا ؟ ، فكان من جوابه : " فالجواب لا ريب أن هذا مما نهى عنه رسول الله ﷺ في الحديث .. وهو قوله : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » [١] فإذا كان تبركاً للمحل المزور فهو من الشرك ، لأنهم قصدوا بذلك تعظيم المزور ، كقصد النبي ﷺ أو الولي لتعود بركته عليه بزعمهم ، وهذه حال عباد الأصنام سواء كما فعله المشركون باللات والعزى ومناة ، فإنهم يقصدونها لحصول البركة بزيارتهم لها وإتيانهم إليها ... " [٢] .

الوسيلة السابعة : الدعاء عند القبر :

أوضح علماء الدعوة أن الدعاء عند القبور من أعظم وسائل الشرك ، حيث إن الشيطان يستدرج بابن آدم ، فيزين له أن الدعاء عند القبور أرجى للإجابة ، ثم يستدرجه إلى دعاء أربابها مع الله كما يفعله عباد الكواكب والأصنام والصالحين من الآدميين والملائكة [٣] .

وفي بيان هذا الأمر يقول الشيخ سليمان بن عبدالله وهو يتحدث عن الغلو في الصالحين :

" وهو الذي أوحاه الشيطان إلى عباد القبور في هذه الأزمان ، فإنه ألقى إليهم أن البناء على القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وتعظيمهم ، وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد ، فاعتادوها لذلك ، فإذا تقرر ذلك عندهم ، نقلهم منه إلى الدعاء به والإقسام على الله به ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وهذا أعظم من الذي قبله ، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه ، أو يسأل بأحد من خلقه ، فإذا تقرر ذلك عندهم ، نقلهم منه إلى دعائه وعبادته ، وسؤاله الشفاعة من دون الله ، واتخاذ قبره وثناً يعكف عليه ، وتعلق عليه القناديل والستور ، ويطاف به ويستلم ، ويقبل ويحج إليه ، ويذبح عنده ، فإذا تقرر عندهم ، نقله منه إلى دعاء الناس إلى عبادته ، واتخاذه

---

[١] سبق تخريجه ، ص ٣٧٣ .

[٢] رسالة بعثها الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالله بن محمد ، الرسالة الثالثة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٤١ باختصار .

[٣] انظر : منهاج التأسيس ، ص ٣٣٠ .

عيداً ومنسكاً ، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم ، وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد لله . وألا يعبد إلا الله ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك ، فقد تنقص أهل الرتب العالية ، وحطهم عن منزلتهم ، وزعم أنهم لا حرمة لهم ، ولا قدر ، وغضب المشركون ، وأشمأزت قلوبهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [1] . وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام ، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين ، حتى عادوا أهل التوحيد ، ورموهم بالعظائم ، ونفروا الناس عنهم ، ووالوا أهل الشرك وعظموهم ، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك ﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾ [2] .. " [3] .

وأوضح الشيخ حمد بن معمر حكم الدعاء عند قبر النبي ﷺ فقال : " واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره ، وتنازعوا عند السلام عليه ، فقال مالك وأحمد وغيرهما : يستقبل قبره ويسلم عليه ، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي ، وأظنه منصوصاً عنه .

وقال أبوحنيفة : يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه .

وقال مالك : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ، ولكن يسلم ويمضي .

ومن رخص منهم في الدعاء عند قبره ﷺ ، فإنما يرخص فيما إذا سلم عليه ، ثم أراد أن يدعو استقبل القبلة ، إما مستدبر القبر وإما منحرفاً عنه . وهو أن يستقبل القبلة ويدعو ، ولا يدعو مستقبل القبر . وهكذا المنقول عن سائر الأئمة ، ليس منهم من استحب للمرء أن يستقبل القبر - أعني قبر النبي ﷺ - ويدعو عنده .

---

(١) سورة الزمر الآية : ٤٥ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٣٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣١٠ - ٣١١ ، وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن كلام ابن القيم هذا في القول الفصل النفيس ، ص ١٣٩ ، وانظر : كلام ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، ٢١٦ - ٢١٧ .

فإذا كان هذا حالهم وفعلهم عند قبر النبي ﷺ فكيف بغيره "[١] .

والدعاء عند القبور ينقسم إلى قسمين ، وفي بيان ذلك يقول صاحب التوضيح : " الدعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلى نوعين :

أحدهما : أن يحصل الدعاء في البقعة اتفاقاً لا قصد الدعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه ويتفق أن مروره بالقبور ، أو كمن يزورها فيسلم على أهلها فيسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة ، فهذا ونحوه لا بأس به ، بل الثاني مأمور به .

الثاني : أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يعتقد أن الدعاء هناك أحق بالإجابة منه في غيره ، فهذا النوع منهي عنه نهي تحريم ، وما جاء عن الله أو رسوله كالدعاء والذكر في أماكن نسك الحج التي هي من شعائر الله فالعمل به هو المندوب والقصور عليه هو المطلوب "[٢] .

وأوضح الشيخ عبدالله بن محمد أنواع الأدعية المبتدعة عند القبور فقال : " وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع : أبعدها عن الشرع من يسأل الميت حاجته ، كما يفعله كثير من الناس ، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام ...

النوع الثاني : .. أن يسأل الله تعالى به ، وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو من البدع المحدثة في الإسلام .

النوع الثالث : ... أن يظن أن الدعاء عندها مستجاب ، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد ، فيقصد القبر لذلك ، فإن هذا من المنكرات إجماعاً ، ولم نعلم في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعله "[٣] .

فتقرر من هذه النصوص أن الدعاء عند القبور من أعظم وسائل الشرك التي يجب سدها والتحذير منها ؛ حماية لجناب التوحيد ، وسداً لأبواب الشرك وذرائعه .

---

[١] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٧٢ - ١٧٣ ، وانظره : في رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامةعبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٢٤ ، والتوضيح عند توحيد الخلاق ، ص ٢٤٢ ، وتحفة الطالب والجليس ، ص ٨٩ - ٩٠ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

[٣] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٥٤ - ٢٦٩ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٥ - ٧٦ باختصار ، وانظره : في تاريخ نجد لابن غنام ، نقلاً عن ابن القيم ، ص ٧٥ .

الوسيلة الثامنة : العكوف عند القبور :

من وسائل الشرك التي شدد علماء الدعوة في النهي عنها العكوف عند القبور . فقد صرحوا بأنه وسيلة من وسائل الشرك وذرائعه القريبة .

بل صرحوا بأنه السبب في حدوث الشرك في قوم نوح .

وفيما يلي نصوص علماء الدعوة في هذا الصدد :

١ - قال الإمام محمد بن عبدالوهاب على قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا ﴾ [١] : " قال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم " [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في تعليقه على قول ابن القيم : " ذكر عكوفهم على قبورهم ، قبل تصويرهم تماثيلهم .

وذلك من وسائل الشرك ، بل هو شرك ؛ لأن العكوف لله في المساجد عبادة ، فإذا عكفوا على القبور ، صار عكوفهم - تعظيماً ومحبة - عبادة لها " [٣] .

٢ - وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب أيضاً : " ومن نوع هذا الشرك : الاعتكاف على قبور المشهورين بالنبوة ، أو الصحبة أو الولاية ، وشدّ الرحال إلى زيارتها ، لأن الناس يعرفون الرجل الصالح ، وبركته ، ودعاءه ، فيعكفون على قبره ، ويقصدون ذلك ، فتارة : يسألونه ، وتارة : يسألون الله عنده ، وتارة : يصلون ويدعون الله عند قبره .

ولما كان هذا بدء الشرك ، سد النبي ﷺ هذا الباب ... " [٤] .

٣ - قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد أن بين أن النبي ﷺ نهى أمته أن يجعلوا قبره عيداً : " ولما في ذلك النهي من سدِّ الذريعة عن العكوف عند القبر ، وتعظيمه بما لم يشرع ، والعكوف عبادة شرعها الرسول ﷺ في المساجد ، تقرباً بها إلى الله ،

---

[١] سورة نوح الآية : ٢٣ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ٧٦ ، وكلام ابن القيم في إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص٢٠٣ .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٧٥ ، وانظر : كتاب التوحيد ، ص ٧٩ .

[٤] رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٩ .

فلا يجوز أن يفعل ما هو مشروع في المساجد عند القبر ، فإن الملازمة والعكوف عنده ذريعة قريبة إلى عبادتها ، فتعظيمها بما لم يشرعه الله ورسوله غلو ، والغلو أعظم وسائل الشرك " [1] . فصرح الشيخ عبدالرحمن أن الملازمة والعكوف عند القبور ذريعة قريبة إلى عبادتها .

٤ - وقال أيضاً الشيخ عبدالرحمن : " من أعظم أسباب الشرك تعظيم القبور والعكوف عندها ، ولا ريب أن ذلك يفضي إلى الالتجاء إليها ، والتعلق بها ، والرغبة إليها ، ونحو ذلك من المحبة ، وخطابها بالحوائج ، وغير ذلك مما لا يمكن عدّه ، كالخشوع والبكاء والنحيب رغبة ورهبة إليها . وهذا هو العبادة التي قصرها الله تعالى عليه دون كل من سواه " [2] .

وفي معنى العكوف على القبور السكن بقرب قبور الصالحين لأجل البركة .

سئل الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عن رجل بنى في جوار قبر صالح لإفاضة الفيوضات عليه وإصابة البركات ؟ فكان مما أجاب به : " فالجواب : من أخبر هذا المغرور أن بركة هذا المدفون تفيض عليه ... قال - ﷺ - : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » [3] وقد صان الله قبر نبيه ﷺ بأن صار قبره في حجرته حذراً من هذه الأمور التي نهى عنها .

قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً [4] وقال ﷺ : « إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » [5] والضابط أن ما كان يفعل مع الميت من رفع الأصوات على جنازته، والتبرك به ، وبتربته ، والنذر له وغير ذلك من الشرك كالذبائح والنذور التي يقصد بها الميت حرام ، وهي مما أهل به لغير الله كما صرح به القرآن ، قال

---

(١) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٠٩ وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٩٣ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٣٥٥ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ٣٥٤ .

(٥) سبق تخريجه ، ص ٣٤٨ .

تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [١] .

وقد تضمنت هذه الأفعال التي ذكرت الشرك والبدع والغلو في الدين ...

فكل ما كان يفعل عند القبور من التعظيم لها ولأربابها ، وقصدها والتبرك بها ، والدعاء عندها أولها كل هذا شرك وضلال ... وكل ما كان يفعل هؤلاء ، مع الأموات فليس فيه مستحب ولا مباح إلا زيارة القبور من غير شدّ رحل لتذكر الآخرة ، والاستعداد لما بعد الموت من الإخلاص والعمل المشروع ، من غير تحر لإجابة الدعاء عندها والصلاة إليها ولو كانت لله ، فهذا محرم سداً لذريعة الشرك وحماية لجناب التوحيد " [٢] .

الوسيلة التاسعة : إيقاد السرج على القبور :

حذر علماء الدعوة رحمهم الله من إيقاد السرج على القبور ، وصرحوا بأن إسراجها وسيلة إلى عبادتها والخضوع لها ، والتذلل والتعظيم ، وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله .

وبينوا أن النبي ﷺ لعن من أسرجها [٣] . واستدلوا على ذلك بحديث ابن عباس رضي الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » [٤] .

وفيما يلي بعض نصوص علماء الدعوة في ذلك :

١ - قال الشيخ حمد بن معمر في مناظرته لأهل مكة : " ولعن رسول الله ﷺ من أسرجها . والذي رأيته ليلة دخولنا مكة - شرفها الله - في المقبرة أكثر من مائة قنديل . هذا مع علمكم بأن رسول الله ﷺ لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس أن رسول

---

[١] سورة المائدة الآية : ٣ .

[٢] الرسالة الثالثة للشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالله بن محمد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٤٥٠ .

[٣] انظر : كتاب التوحيد ، ص ٨٧ ، ٨٩ .

[٤] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص٢٢٩ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧ ، وأبو داود في سننه ، ج٣ ، ص ٥٥٨ ، رقم ٣٢٣٦ ، كتاب الجنائز ، باب في زيارة النساء القبور ، والترمذي في سننه ، ج٢ ، ص ١٣٦ ، رقم ٣٢٠ ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبور مسجداً ، قال الترمذي : " حديث ابن عباس حديث حسن " ، وأخرجه النسائي في سننه ، ج٤ ، ص ٩٤ - ٩٥ ، رقم ٢٠٤٣ ، كتاب الجنائز ، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ، وابن ماجه في سننه ، ج١ ، ص ٥٠٢ ، رقم ١٥٧٥ ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور .

الله ﷺ : « لعن زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » ... "[١] .

٢ - وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ومعلوم أن إيقاد السرج إنما لعن فاعله لكونه وسيلة إلى تعظيمها ، وجعلها نصباً يوفض إليها المشركون "[٢] .

٣ - وقال أيضاً الشيخ عبدالرحمن : " وبناء القباب على القبور وإسراجها ، وسيلة إلى عبادتها والخضوع لها ، والتذلل والتعظيم ، وسؤالها مالا يقدر عليه إلا الله "[٣] .

والخلاصة أن علماء الدعوة بينوا أن اتخاذ السرج ، وإيقادها على القبور من أخطر وسائل الشرك ، وأنها سبب من أسباب الطرد عن رحمة الله عز وجل .

الوسيلة العاشرة : الكتابة على القبور :

صرح علماء الدعوة رحمهم الله بالمنع من الكتابه على القبور والقباب ونحوها[٤] .

وقد وردت لهم نصوص في ذلك فمنها :

١ - سئل الشيخ عبدالله أبابطين عن كتابة اسم الميت على القبر فقال : " داخل في عموم النهي عن الكتابة على القبر ... "[٥] .

٢ - وقرر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن المنع من الكتابة على القبور والقباب وعلى جدران المساجد ونحوها فقال : " ثبت بالكتاب والسنة النهي عن ذلك أشد النهي ، وقرر الفقهاء المنع من الكتابة على القبور والقباب وعلى جدران المساجد ونحوها . ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا خلفائه الراشدين ، ولا أهل القرون المفضلة يفعل ذلك ، لا في حياته ولا بعد مماته بأبي هو وأمي ... "[٦] .

---

(١) الفواكه العذاب ، ص ٩٤ .

(٢) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٠٤ .

(٣) جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٢٥ .

(٤) انظر : النبذة الشريفة ، ص ١٢٥ ، والفواكه العذاب ، ص ٩١ ، ٩٤ .

(٥) جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، وانظر : جواب للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٢٤٦ .

(٦) مصباح الظلام ، ص ٢٤٧ .

واستدلوا على ذلك بما ورد من النهي عن الكتابة على القبور من الأحاديث [١] كحديث جابر قال : « نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها ، وأن توطأ » [٢] .

الوسيلة الحادية عشرة : التصوير :

التصوير وسيلة من وسائل الشرك ، وأول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ، كما نصَّ على ذلك علماء الدعوة . يقول الشيخ سليمان بن عبدالله وهو يتحدث عن الغلو في الصالحين : " فإنهم عظموا الأموات تعظيماً مبتدعاً ، فصوروا صورهم وتبركوا بها ، فآل الأمر إلى أن عبدت الصور ومن صورته ، وهذا أول شرك حدث في الأرض " [٣] .

وقد وردت أدلة كثيرة من السنة النبوية في التحذير من التصوير والنهي عنه ، وتوعد من فعله بأشد الوعيد .

وقد أورد بعضها الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد في باب ما جاء في المصورين [٤] ، وهذه الأدلة هي :

١ - عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة » [٥] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى : " قوله : « فليخلقوا ذرة » هذا

---

[١] انظر : هذه الأحاديث في النبذة الشريفة ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، والفواكه العذاب ، ص ٩١ - ٩٤ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٢ ، ص ٦٦٧ ، رقم ٩٧٠ ، كتاب الجنائز ، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ، بدون ذكر الكتابة ، وأخرجه أبوداود في سننه ، ج٣ ، ص ٥٥٢ ، رقم ٣٢٢٥ ، كتاب الجنائز ، باب في البناء على القبر ، والترمذي في سننه ، ج٣ ، ص ٣٦٨ ، رقم ١٠٥٢ ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها ، قال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " ، وابن ماجة في سننه ، ج١ ، ص ٤٩٨ ، رقم ١٥٦٢ - ١٥٦٣ ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها من حديث جابر رضي الله عنه .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣١٠ .

[٤] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٧٤ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٦٨ ، رقم ٥٩٥٣ ، كتاب اللباس ، باب نقض الصور ، وص ١٥٨٨ ، رقم ٧٥٥٩ ، كتاب التوحيد ، باب قوله الله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ ، ومسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٦٧١ ، رقم ٢١١١ ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان .. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

تعجيز أي : فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي خلقها الله . وكذلك قوله : « حبة أو شعيرة » أي : حبة حنطة فيها طعم تؤكل وتُزْرع وتنبت ، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلق الله ، وأنى لهم السبيل إلى ذلك ؟ بل الله هو المتفرد بذلك ، لا خالق غيره ولا إله سواه ، علقه الشارح على نسخته " [١] .

٢ - عن عائشة : أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُضاهئون بخلق الله » [٢] .

قال الشيخ حمد بن عتيق : " قوله : « أشد الناس عذاباً » الخ . قال النووي رحمه الله : قيل هذا محمول على صانع الصورة لتُعْبَد وهو صانع الأصنام ونحوها ، فهذا كافر ، وهو أشد الناس عذاباً ، وقيل : هو فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله واعتقد ذلك فهو كافر أيضاً ، وله من شدة العذاب ما للكفار ، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره ، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير لا يكفر كسائر المعاصي " [٣] .

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار ، يُجعل له بكل صورة صوَّرها نفسٌ يعذب بها في جهنم » [٤] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى : " قوله : « كل مصور في النار » أي : لذي روح لتعاطيه ما يشبه ما انفرد الله به من الخلق والاختراع . قوله : « يجعل » هو بفتح الياء التحتيه أي يجعل الله ، وقيل بضم الياء ، قوله : « بكل

---

(١) إبطال التنديد ، ص ٢٣٩ ، والمقصود بالشارح الشيخ سليمان بن عبدالله .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٦٨ ، رقم ٥٩٥٤ ، كتاب اللباس ، باب ما وطيء من التصاوير ، ومسلم ، ج٣ ، ص ١٦٦٨ ، رقم ٢١٠٦ ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) إبطال التنديد ، ص ٢٣٩ ، وكلام النووي في شرح صحيح مسلم ، ج١٤ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٤٣٦ ، رقم ٢٢٢٥ ، كتاب البيوع ، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح ، ومسلم ، ج٣ ، ص ١٦٧٠ - ١٦٧١ رقم ٢١١٠ ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، واللفظ لمسلم ، وأخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

صورة » أي : تعذبه نفس الصورة بأن يجعل فيها روح ، والباء في « بكل » بمعنى في ، أو يجعل له بعدد كل صورة شخص يعذبه ، فالباء بمعنى لام السبب "[١] .

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « من صور صورة في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ »[٢] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى : " وهذه الأحاديث صريحة في تحريم صورة الحيوان وأنه غليظ التحريم ، وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا تحرم صنعته ولا التكسب به ، وسواء الشجر المثمر وغيره ، وهذا مذهب العلماء كافة إلا مجاهد ، واحتج مجاهد بقوله : « ومن أظلم » الحديث . واحتج الجمهور بقوله : " فيقال لهم : أحيوا ما خلقتم " أي " اجعلوه حيواناً ذا روح كما ضاهيتم عليه ، ويؤيده قول ابن عباس : إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له ، علقه الشارح "[٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى معلقاً على هذه الأحاديث : " وقد ذكر النبي ﷺ العلة : وهي المضاهاة بخلق الله ، لأن الله تعالى له الخلق والأمر ، فهو ربُّ كلِّ شيء ومليكُه ، وهو خالقُ كل شيء ، وهو الذي صوَّر جميع المخلوقات ، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٤] . فالمصوِّر لمَّا صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة ، صار مضاهياً لخلق الله . فصار ما صوَّره عذاباً له يوم القيامة ، وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ . فكان أشد الناس عذاباً ، لأن ذنبه من أكبر الذنوب . فإذا كان هذا فيمن صوَّر صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من

---

[١] إبطال التنديد ، ص ٢٤٠ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٧٠ ، رقم ٥٩٦٣ ، كتاب اللباس ، باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ، ومسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٦٧١ ، رقم ٢١١٠ ، كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

[٣] إبطال التنديد ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

[٤] سورة السجدة الآيات : ٧ - ٩ .

الحيوان ، فكيف بحال من سوّى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه ، وصرف له شيئاً من العبادة التي خلق الله الخلق [١] ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره ، من كلّ عمل يحبه الله من العبد ويرضاه ؟ فتسوية المخلوق بالخالق ، بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه ، وجعله شريكاً له فيما اختص به تعالى وتقدس : هو أعظمُ ذنب عُصي الله تعالى به ، ولهذا أرسل رسله ، وأنزل كتبه ، لبيان هذا الشرك والنهي عنه ، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى . فنجيٌّ تعالى رسله ومن أطاعهم ، وأهلك من جحد التوحيد ، واستمر على الشرك والتنديد .

فما أعظمه من ذنب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [٢] ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [٣] .. [٤] .

٥ - عن أبي الهياج ، قال : قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ : « أن لا تدع صورةً إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » [٥] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله : " قوله : « إلا طمستها » أي : أزلتها ومحوتها فهو مشروع ، ويجب منه إزالة ما لا تبقى معه حياة " [٦] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : " فيه التصريح بأن النبي ﷺ بعث علياً لذلك . أما الصور : فلمضاهاتها لخلق الله - وأما تسوية القبور : فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها ، وهو من ذرائع الشرك ووسائله - فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله ، من مصالح الدين ومقاصده وواجباته " [٧] .

قال الإمام محمد في المسائل : " السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت " [٨] .

---

[١] قال محقق فتح المجيد : " في ط ما خلق الله الخلق إلا " .

[٢] سورة النساء الآيات : ٤٨ ، ١١٦ .

[٣] سورة الحج الآية : ٣١ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٧٩٧ - ٧٩٨ .

[٥] سبق تخريجه ، ص٢٦٣ .

[٦] إبطال التنديد ، ص ٢٤١ .

[٧] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٧٩٩ .

[٨] كتاب التوحيد ، ص ١٧٦ .

هذه بعض الأحاديث النبوية التي أوردها علماء الدعوة في بيان خطر التصوير ، وما يؤول إليه .

الوسيلة الثانية عشرة : الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله :

حذر علماء نجد رحمهم الله تعالى من وسائل الشرك وذرائعه ومنها : الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله ، لورود النهي في ذلك حسماً لمادة الشرك ، وقطعاً لوسائله ، وسداً لذرائعه ، وحماية للتوحيد ، وصيانة لجنابه [١] .

وكان الناس في نجد وغيرها قبل دعوة التوحيد يذبحون للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم ، ويتخذون للذبح لهم مكاناً مخصوصاً في دورهم ، فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الإسلامية ، فلله الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي إلى توحيد رب العباد [٢] .

وقد حذر الإمام محمد رحمه الله تعالى من هذه الذريعة في كتاب التوحيد فقال : " باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله " [٣] .

وبيَّن علماء نجد رحمهم الله عدم جواز ذلك ، كما نصّ على ذلك الشيخ سليمان ابن عبدالله ، والشيخ حمد بن عتيق [٤] .

وأورد الشيخ الإمام محمد رحمه الله تحت " باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله " [٥] آية وحديث يدلان على ذلك وهما :

١ - قول الله تعالى : ﴿ لا تَقُمْ فيه أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فيه رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [٦] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله مبيناً وجه الدلالة من الآية : " ووجه

---

[١] انظر : تحفة الطالب والجليس ، ص ١٢٣ .

[٢] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٨١ .

[٣] كتاب التوحيد ، ص ٥١ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٩٦ ، وإبطال التنديد ، ص ٦٨ .

[٥] كتاب التوحيد ، ص ٥١ .

[٦] سورة التوبة الآية : ١٠٨ .

الدلالة من الآية على الترجمة من جهة القياس ، لأنه إذا منع الله رسوله ﷺ عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم فيه إلا لله ، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله ، لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به " [(١)] .

٢ - عن ثابت بن الضحاك [(٢)] ، قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي ﷺ ، فقال : " هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ ؛ قالوا : لا . قال : " فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ " قالوا : لا . فقال رسول الله ﷺ : « أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » [(٣)] .

ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى أن الحديث يدل على ما يلي : "

١ - فيه : المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن من أوثانهم ، ولو بعد زواله .

٢ - وفيه : المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان عيد من أعياد الجاهلية ولو بعد زواله [(٤)] .

٣ - فيه : أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغيره ، أو في محل أعيادهم معصية [(٥)] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله :

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، وانظر بيان الشيخ عبدالرحمن بن حسن لوجه الدلالة من الآية : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٨١ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ٨٢ .

(٢) ثابت بن الضحاك بن خليفة الأشهلي ، الأوسي ، المدني ، أبوزيد ، صحابي مشهور ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، مات سنة ٦٤هـ .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج١ ، ص ٤٤٦ ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٣٤٧ ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ٨ ، تقريب التهذيب ، ص ١٨٦ .

(٣) أخرجه أبوداود في سننه ، ج٣ ، ص ٦٠٧ ، رقم ٣٣١٣ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، والطبراني في الكبير ، ج٢ ، ص ٧٥ ، رقم ١٣٤١ ، من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ، ج١ ، ص ٤٣٦ : " هذا الإسناد على شرط الصحيحين " ، وقال الحافظ بن حجر في التلخيص ، ج٤ ، ص ١٨٠ : " حديث صحيح " ، وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، ص ٥١ : " إسناده على شرطهما " .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠٠ ، وكتاب التوحيد ، ص ٥٢ .

(٥) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠١ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٨٤ .

٤ - " وفيه : سد الذريعة ، وترك مشابهة المشركين ، والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك "[1]

وقال أيضاً :

٥ - " وفيه : المنع من اتخاذ آثار المشركين محلاً للعبادة لكونها صارت محلاً لما حرم الله من الشرك والمعاصي . والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله . إذ لا فرق ، فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلاً لما يسخط الله تعالى ، فبهذا صار الحديث شاهداً للترجمة ، والمصنف رحمه الله تعالى لم يرد التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح كالمثال "[2] .

الوسيلة الثالثة عشر : التلفظ بالألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين خلقه :

من وسائل الشرك القولية التي حذر منها علماء الدعوة التلفظ بالألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين خلقه ، مثل : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، ونحوها . وهذه التسوية في اللفظ شرك أصغر ، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر .

واستدل علماء الدعوة بحديث ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده »[3] .

ولعلماء الدعوة نصوص في النهي عن ذلك ، وبيان أنه وسيلة من وسائل الشرك ، فمن ذلك :

١ - قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله تعالى : " اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالدعوة إلى التوحيد ، والنهي عن الشرك ، فحمى حمى التوحيد ، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك ، حتى في الألفاظ ، حتى إن رجلاً قال له : « ما شاء الله وشئت » قال « أجعلتني لله نداً ؟ قل ما شاء الله وحده » .. "[4] .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الحديث : " وفيه

---

[1] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٨٤ .

[2] قرة عيون الموحدين ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

[3] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢١٤ ، ٢٨٣ ، ٢٤٧ .

[4] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٧١ .

أن النبي ﷺ حمى حمى التوحيد ، وسدّ طرق الشرك في الأقوال والأعمال "[١] .

٢ - وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله تعالى : " وقد حمى ﷺ حمى التوحيد وسدّ ذرائع الشرك حتى نهى عن قول : « ما شاء الله وشاء فلان » ونهى عن الحلف بغير الله ، ونهى عن الصلاة عند القبور واستقبالها ، ونهى عن عبادة الله بالذبح في مكان يذبح فيه لغير الله ، ونهى عن قول الرجل « عبدي وأمتي » . وقد بالغ أصحابه رضي الله عنهم في صيانة قبره الشريف عن أن يصل إليه أهل الغلو والإطراء ، فجعلوا جداره مثلثاً ، وكره مالك رحمه الله للرجل كلما دخل المسجد إتيان القبر للسلام على النبي ﷺ وقال : لم يكن أهل العلم من أهل بلدنا يفعلونه "[٢] .

الوسيلة الرابعة عشرة : ربط الخيط أو لبس الحلقة أو تعليق التميمة :

من وسائل الشرك التي نهى عنها علماء الدعوة ربط الخيوط ولبس الحلق وتعليق التمائم لأنها تجر إلى الشرك الأكبر والأصغر .

وقد وردت لهم نصوص في ذلك فمنها :

١ - قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ولا يخفى على من له دين وإلمام بالعلم النافع أن رسول الله ﷺ حَمى حمى التوحيد ، وسدّ كل طريق يوصل إلى الشرك الأكبر والأصغر ، فقد ثبت عنه أنه لما قال له رجل ما شاء الله وشئت ، قال : « أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده »[٣] . وفي المسند عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر ، فقال : « ما هذه ؟ » قال : من الواهنة . فقال : « أنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً »[٤] فانظر إلى هذه العقوبة العظيمة ، لمن علق قلبه بحلقة دون الله ، وثبت

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٠٩ .

[٢] مصباح الظلام ، ص ٢١٣ .

[٣] سبق تخريجه ، ص ٣٩٢.

[٤] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٤٤٥ ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١١٦٧ ، رقم ٣٥٣١ ، كتاب الطب ، باب تعليق التمائم ، وابن حبان في صحيحه كما في " الموارد " ، ج١ ، ص ٦٠٨ ، رقم ١٤١٠ ، وص ٦٠٩ ، رقم ١٤١١ ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢١٦ ، وقال " صحيح الإسناد " ، وأقره الذهبي ، وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، ص ٣٦ : " رواه أحمد بسند لا بأس به " .

عنه ﷺ أنه قال « من تعلق شيئاً وُكِل إليه » [١] .

وعن عقبة بن عامر [٢] " من تعلق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له " وفي رواية (من تعلق تميمة فقد أشرك) [٣] " [٤] .

٢ - وقال الشيخ عبدالرحمن أيضاً : " وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى ، وقد كانت هذه حال أصحابه رضي الله عنهم في قطعهم الخيط التي رقي للمريض فيها ونحو ذلك من تعليق التمائم " [٥] .

الوسيلة الخامسة عشرة : الصلاة في الأوقات التي يسجد فيها الكفار للشمس :

من وسائل الشرك التي حذر منها علماء الدعوة الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، لأنهما وقتان يسجد فيها الكفار للشمس .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " والنبي ﷺ حسم مادة الشرك ، وقطع وسائله حتى نهى عن الصلاة في الأوقات التي يسجد فيها الكفار للشمس ، ونهى عن الصلاة عند القبور ، خشية الفتنة بها وبأربابها وإن كان المصلي لا يقصد شيئاً من ذلك .

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٣١١ ، والترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٣٥٢ ، رقم ٢٠٧٢ ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢١٦ ، والحديث رمز لحسنه السيوطي كما في فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج٦ ، ص ١٣٨ ، رقم ٨٥٩٩ .

[٢] عقبه بن عامر بن عبس الجهني ، صحابي مشهور ، فقيه فاضل ، كان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً فرضياً شاعراً كبير الشأن ولي إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين ، مات سنة ٥٨ هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ١٨٣ ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٥ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٥١ ، تقريب التهذيب ، ص ٦٨٤ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٦٤ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ١٥٤ ، وأبويعلى في المسند ، ج٣ ، ص ٢٩٦ ، رقم ١٧٥٩ ، والطبراني في الكبير ، ج١٧ ، ص ٢٩٧ ، رقم ٨٢٠ ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢١٦ ، ٤١٧ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص ١٠٣ " رواه أحمد وأبويعلى والطبراني ورجالهم ثقات " وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة ، ص ٧٨ ، رقم ٢٦٢ ، : " رجال حديثه موثوقون " . قال المنذري في الترغيب والترهيب ، ج٦ ، ص ١١٢ ، : إسناده جيد " .

[٤] جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١١٦ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ١٢٥ .

ولعن من فعل ذلك وأبدى وأعاد فيه وقال : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية لمسلم « وصالحيهم » [١] وقال ذلك وهو عند مفارقة الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » [٢] . وقال لرجل قال له : ما شاء الله وشئت : « أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده » [٣] ... » [٤] .

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٣٥٤.

(٢) أخرجه الترمذي ، ج٤ ، ص ٩٣ - ٩٤ ، رقم ١٥٣٥ ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، وأحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٩٦ ، ٨٧ ، ١٢٥ ، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٣٩٢.

(٤) منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٢٤٧ .

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وزارة التعليم العالي
كلية أصول الدين بالرياض
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



جهود علماء نجد في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك في القرن الثالث عشر الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



إعداد الطالب
عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم الشدي

اشراف
د. محمد بن عودة السعوي
عضو هيئة التدريس بالكلية

عام ١٤١٨هـ
الجزء الثاني

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وزارة التعليم العالي
كلية أصول الدين بالرياض
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



جهود علماء نجد في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك في القرن الثالث عشر الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير



إعداد الطالب
عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم الشدي

اشراف
د. محمد بن عودة السعوي
عضو هيئة التدريس بالكلية

عام ١٤١٨هـ
الجزء الثاني

الفصل الثاني

جهود علماء نجد في بيان أنواع الشرك في العبادة

وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول : أنواع الشرك الأكبر .

المبحث الثاني : أنواع الشرك الأصغر .

الفصل الثاني

جهود علماء نجد في بيان أنواع الشرك في العبادة

وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول : أنواع الشرك الأكبر .

المبحث الثاني : أنواع الشرك الأصغر .

تمهيد

في بيان نوعي الشرك في العبادة والفرق بينهما ، وفيه :

١ - أنواع الشرك في العبادة .

٢ - تعريف الشرك الأكبر والأصغر .

٣ - الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر .

أ - أنواع الشرك في العبادة :

بين علماء الدعوة رحمهم الله تعالى أن الشرك في العبادة نوعان :

النوع الأول : الشرك الأكبر .

النوع الثاني : الشرك الأصغر .

وقد وردت عدة نصوص لعلماء الدعوة تبين نوعي الشرك في العبادة من ذلك ما يلي :

١ - يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى نقلاً عن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : " وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر ، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهوأن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشائخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ..

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ، والحلف بغير الله ، وقول : هذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده " [١] .

وقد نقله أيضاً عن ابن القيم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر [٢] والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [٣] والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن [٤] .

٢ - وقال الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله : " والشرك شركان : أكبر وله أنواع .. وشرك أصغر كالرياء والسمعة ... " [٥] .

---

[١] مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد ، ص ٢٤ ، ٢٦ ، وكلام ابن القيم في مدارج السالكين ، ج١ ، ص ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، وقد أشار الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى هذين النوعين في كتاب التوحيد ، انظر : ص ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ١١٩ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٠ .

[٢] انظر : النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٥١ ، ٦١ .

[٣] انظر : الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٥ .

[٤] انظر : منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٦ .

[٥] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤١ .

٣ - وقال الشيخ حسين والشيخ عبدالله ابنا شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله في جواب لهما : " والشرك أنواع : منها ما يخرج عن الملة ومنها مالا يخرج عن الملة " [1] .

٤ - وقرر هذا الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مشرف وأبناء الشيخ محمد ، وحمد بن ناصر ابن معمر رحمهم الله عندما سئلوا عن الشرك بالله ما هو الأكبر والأصغر ؟ فكان مما قالوا : " قد ذكر العلماء رحمهم الله : أن الشرك نوعان ، أكبر وأصغر ، فالأكبر : أن يجعل لله نداً من خلقه ، يدعوه كما يدعو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله .

والحاصل : أن من سوّى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته ، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر الذي لا يغفره ...

وأما الشرك الأصغر : فكيسير الرياء ، والحلف بغير الله ... " [2] .

٥ - وأوضح هذا أيضاً الشيخ سليمان بن عبدالله فقال رحمه الله : " الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ... نوعان :

أحدهما : أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعوا الله ، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويحبه كما يحب الله ، ويخشاه كما يخشى الله . وبالجملة فهو أن يجعل لله نداً يعبده كما يعبد الله ، وهذا هو الشرك الأكبر ...

الثاني : الشرك الأصغر ، كيسير الرياء ، والتصنع للمخلوق ، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة ، بل يعمل لحظ نفسه تارة ، ولطلب الدنيا تارة ، ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة ، فله من عمله نصيب ، ولغيره منه نصيب ، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ ، كالحلف بغير الله وقول : ما شاء الله وشئت ، ومالي إلا

---

[1] جواب للشيخ حسين والشيخ عبدالله ابني محمد بن عبدالوهاب ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٣٧ .

[2] جواب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ١٩٥ ، ١٩٩ ، وضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، وسمي بالمسائل الشرعية إلى علماء الدرعية وبالأجوبة السنية على الأسئلة الحفظية .

الله وأنت ، وأنا في حسب الله وحسبك ونحوه ، وقد يكون ذلك شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده " [١] .

٦ - وكذا بين الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين : أن الشرك في توحيد الإلهية والعبادة نوعان :

النوع الأول : الشرك الأكبر المخرج من الملة الذي يحصل به الفرق بين المسلم والكافر ، وهو عبادة غير الله ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو المشرك الشرك الأكبر .

من ذلك الدعاء الذي هو مخ العبادة ، كالتوجه إلى الموتى والغائبين بسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، كذلك الذبح والنذر لغير الله .

النوع الثاني : الشرك الأصغر : كالرياء ، والسمعة ، والعمل لأجل الناس ، والحلف بغير الله ، وتعليق الخرز والتمائم من العين [٢] .

٧ - وكذا بين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله نوعي الشرك في العبادة فقال : " الشرك شركان : شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر ، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الأصغر كشرك الرياء " [٣] .

وصفوة القول أن الشرك في العبادة عند علماء الدعوة نوعان :

النوع الأول : شرك أكبر ينقل عن الملة ، وله أنواع متعددة .

النوع الثاني : شرك أصغر لا ينقل عن الملة ، وله أنواع متعددة .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤ - ٤٥ ، وانظر : معناه في كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٦٥ - ١٦٨ ، وص ١٧٢ - ١٧٤ .

[٢] انظر : رسالة للشيخ عبدالله أبابطين بعثها إلى إبراهيم بن عجلان ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٦٧ . وجواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٨ .

[٣] رسالة من الشيخ عبداللطيف إلى عبدالعزيز الخطيب ، الرسالة الأولى ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ١٧ ، وانظر معناه فيما نقله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عن ابن القيم في مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ، ص ٣٤٧ .

٢ - تعريف الشرك الأكبر والأصغر :

تعريف الشرك الأكبر :

عرف الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مشرف وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحمد بن ناصر ، الشرك الأكبر فقالوا : " الأكبر : أن يجعل لله نداً من خلقه ، يدعوه كما يدعو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله .

والحاصل : أن من سوى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته ، فقد أشرك بالله الشرك الأكبر الذي لا يغفره " [١] .

وقريب من هذا التعريف ما ذكره الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ [٢] .

ويشبهه ما أورده الإمام محمد عن ابن القيم في تعريفه الشرك الأكبر بقوله : " وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله " [٣] .

وقد نقل هذا التعريف عن ابن القيم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر [٤] والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [٥] والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن [٦] .

وعرفه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين بتعريف دقيق فقال : " وهو عبادة غير الله ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو المشرك الشرك الأكبر " [٧] .

---

[١] جواب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ١٩٥ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥ .

[٣] مفيد المستفيد ، ص ٢٤ ، وكلام ابن القيم في مدارج السالكين ، ج١ ، ص ٣٤٨ .

[٤] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٥١ .

[٥] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٥ .

[٦] منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٢٦٤ .

[٧] رسالة للشيخ عبدالله أبابطين بعثها إلى إبراهيم بن عجلان ضمن الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٦٧ .

تعريف الشرك الأصغر :

اكتفى علماء الدعوة رحمهم الله بتعريف الشرك الأصغر بالمثال ، فقالوا : الشرك الأصغر : كيسير الرياء ، والتصنع للمخلوق ، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة ، بل يعمل لحظ نفسه تارة ، ولطلب الدنيا تارة ، ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق تارة ، فله من عمله نصيب ، ولغيره منه نصيب ، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ ، كالحلف بغير الله ، وقول : ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، ونحو هذا .

هذا خلاصة ما ذكره علماء الدعوة في تعريف الشرك الأصغر [١] .

وأما الشرك الخفي ، فقد نص الشيخ عبدالرحمن بن حسن على أن الشرك الخفي هو الشرك الأصغر ، يقول رحمه الله : " وأما الشرك الخفي فهو الشرك الأصغر ، كالحلف بغير الله في الجملة ، والرياء ، وقول : ما شاء الله وشئت ، ونحو ذلك ، فإنه أكبر من الكبائر ، ولا يخرج من الملة " [٢] .

---

[١] انظر : مفيد المستفيد ، ص ٢٦ ، ورسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤١ ، والنبذة الشريفة ، ص ٦١ ، وجواب لعبدالعزيز بن حمد بن مشرف وأبناء الشخ محمد بن عبدالوهاب ، وحمد بن ناصر ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥ ، والكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٥ ، وجواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٦٧ ، وجواب آخر ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٨ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ٤٦ ، ورسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بعثها إلى عبدالعزيز بن محمد ، الرسالة الثالثة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣٥ ، وقد عرف علماء الدعوة المتأخرين الشرك الأصغر بالحد ، فقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في القول السديد ، ص ٥٣ ، " كل وسيله وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة " .
وقال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله في حاشية كتاب التوحيد ، ص ٥٠ : " هو ما أتى في النصوص أنه شرك ، ولم تصل إلى حد الشرك الأكبر " .
وعرفته اللجنة الدائمة للبحوث العلمة والإفتاء (في المملكة العربية السعودية) ، ج١ ، ص٥١٧ ، بتعريف يجمع بين التعريفين السابقين بأنه : " كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه ، وجاء في النصوص تسميته شركاً " .

[٢] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى الشيخ محمد بن مقرن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٢٨ .

٣ - الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر :

اعتنى علماء نجد ببيان الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر ، وهذه الفروق هي :

١ - الشرك الأكبر يخرج من الملة أما الشرك الأصغر فلا يخرج عن الملة .

يوضح الشيخان حسين وعبدالله ابنا شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في جواب لهما هذا الفرق فيقولان : " والشرك أنواع : منها ما يخرج عن الملة ومنها مالا يخرج عن الملة " [١] .

ويزيد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في البيان فيقول : " الشرك شركان : شرك ينقل عن الملة وهوالشرك الأكبر ، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الأصغر ... " [٢] .

وفي جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن عن الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر كان مما قال عن الشرك الأكبر : " الشرك الأكبر يخرج من الملة " [٣] .

وقد تطرق إلى هذا الفرق الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود فقال عن الشرك الأصغر " والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة ، وتجب التوبة منه ومن كل ذنب " [٤] .

٢ - أن الشرك الأكبر محبط للأعمال كلها جملة وتفصيلاً ، وأما الشرك الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي وقع فيه خاصة .

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين في شأن الشرك الأكبر : " فهو محبط للأعمال ، موجب للخسران ، والخلود في النيران ، إلا بالتوبة منه والرجوع إلى دين الإسلام " [٥] .

وتحدث الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن الشرك الأكبر والأصغر، ومما قال : " الشرك الأكبر يخرج من الملة ، ويحبط الأعمال ...

---

[١] جواب لهما ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٣٧ .

[٢] الرسالة الأولى للشيخ عبداللطيف ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ١٧ .

[٣] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالله بن محمد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣٥ .

[٤] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤١ .

[٥] رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٨٤ .

والأصغر لا يحبط إلا العمل الذي وقع فيه خاصة "[١] .

٣ - الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار ، والشرك الأصغر لا يوجب الخلود في النار .

وتقدم ما يدل على ذلك من كلام علماء نجد ، كقول الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين رحمه الله في شأن الشرك الأكبر : " فهو محبط للأعمال ، موجب للخسران ، والخلود في النيران ، إلا بالتوبة منه والرجوع إلى دين الإسلام "[٢] .

وتحدث الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن الشرك الأكبر فقال : " أما الشرك الأكبر فلا عمل معه ، ويوجب الخلود في النار "[٣] .

٤ - الشرك الأكبر يبيح الدم والمال ، والشرك الأصغر لا يبيحهما .

وتقدم ما يدل علي ذلك من كلام علماء نجد ، كقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله : " وقد عُلِّق الحكم بالكفر وإباحة الدم والمال بنفس الشرك ، وعبادة غير الله "[٤] .

٥ - أن الشرك الأكبر من مات عليه لا يغفره الله له ، أما الشرك الأصغر ففيه خلاف بين علماء نجد على قولين :

القول الأول : أنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾[٥] ويدخل تحت الموازنة ، إن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ، وإلا دخل النار ومآله الخروج منها ، أعاذنا الله منها .

وممن صرح بهذا القول من علماء نجد الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله ، فقال في جواب له عن الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر : " الأصغر لا يكفره في الدار الآخرة إلا كثرة الحسنات "[٦] .

---

[١] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بعثها إلى عبدالله بن محمد ، الرسالة الثالثة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣٥ - ٣٦ بتصرف يسير .

[٢] رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٨٤ .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ٤٦ .

[٤] تحفة الطالب والجليس ، ص ١٢٨ .

[٥] سورة النساء الآية : ٤٨ .

[٦] رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بعثها إلى عبدالله بن محمد ، الرسالة الثالثة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣٦ .

وقال في موضع آخر : " وأما الأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل ما شاء الله وشئت ، وقوله مالي إلا الله وأنت ، ونحو ذلك ، فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات " [١] .

وكأن الشيخ سليمان بن عبدالله [٢] والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين [٣] يميلان إلى هذا القول ، حيث نقلا عن شيخ الإسلام ما يفيد ذلك ، فقالا : " قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الشرك نوعان أكبر وأصغر ، فمن خلص منهما وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة دخل الجنة ، ومن خلص من الأكبر لكن كثر الأصغر حتى رجحت به سيئآته دخل النار " .

القول الثاني : أن من لقي الله بالشرك الأصغر ، فهو تحت مشيئة الله تعالى ، إن شاء الله برحمته غفر له وأدخله الجنه ، وإن شاء الله عذبه بعدله في النار بقدر ذنبه ومعصيته ، ثم أذن له بدخول الجنة .

وممن صرح بهذا القول من علماء نجد رحمهم الله الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين رحمه الله فقال في رسالته : " والشرك الأصغر : ذنب تحت المشيئة ، كسائر الذنوب ، بل هو أكبرها ... " [٤] .

وقد بسط الخلاف في هذا المسألة صاحب كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق وذكر أدلة القولين ، ورجح القول بأن الشرك الأصغر يدخل تحت المشيئة ، وأجاب عن أدلة القول الأول [٥] .

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ٤٦ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٩٧ - ٩٨ .

[٣] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٠٨ .

[٤] رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٨٥ .

[٥] انظر : التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٧٤ ، وص ٣١٥ - ٣١٦ .

المبحث الأول

أنواع الشرك الأكبر

وفيه مطالب :

المطلب الأول : التبرك بشجر أو حجر أو نحوهما .

المطلب الثاني : الذبح لغير الله والنذر لغير الله .

المطلب الثالث : الاستعاذة والاستغاثة بغير الله ودعاء غيره .

المطلب الرابع : السحر والكهانة .

المطلب الخامس : الشرك في المحبة .

المطلب السادس : الشرك في التوكل .

المطلب السابع : الشرك في الطاعة .

المطلب الأول

التبرك بشجر أو حجر أو نحوهما [(١)]

(١) مما ينبغي التنبيه عليه أن التبرك ينقسم إلى قسمين تبرك مشروع وتبرك ممنوع ، وسيقتصر الحديث هنا على التبرك الممنوع الشركي كالتعلق بالأشجار والأحجار ونحوها لطلب البركة .

معنى التبرك :

بيَّن علماء نجد معنى التبرك : يقول الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ مبيناً معنى التبرك " أي : طلب البركة ورجاها واعتقدها " [١] .

ويقول صاحب التوضيح : " معنى التبرك أي : طلب البركة وقصدها من الشجرة أو الحجر نفسهما أو هما السببان في حصولهما ، فالأول هو اعتقاد المتبركين بهما من غالب مشركي أهل هذا الزمان كما هو مشاهد لمن تأمل وتحقق ، والثاني هي ذات الأنواط .. " [٢] .

حكم التبرك بشجر أو حجر أو نحوهما :

من أنواع الشرك الأكبر الشرك في التبرك ، كمن يتبرك بشجر أو حجر أو نحوهما ، وذلك إذا اعتقد أن المتبرَّك به من شجر أو حجر أو قبر أو نحوها ينفع من دون الله ، فهذا شرك في الربوبية [٣] . أو يتعلق على الأشجار والأحجار أو غيرها لطلب البركة بها ، فهذا شرك في العبادة كشرك عبادة الأصنام [٤] ، وهو شرك قوم نوح لما صوروا الأصنام على صور صالحيهم ، قال من بعدهم : ما عظم أولنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم فعبدوهم أي بطلب الشفاعة واستمداد البركة بهم [٥] .

الأدلة :

عقد الشيخ الإمام محمد في كتاب التوحيد باباً بعنوان " من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما " [٦] أورد فيه جملة من الأدلة المحذرة من الشرك في التبرك ، كمن يتبرك

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٧٤ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٧٣ .

[٣] أما إذا اعتقد أن المتبرك به سبب وليس ينفع من دن الله استقلالاً فذلك شرك أصغر ، انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ج٢ ، ص ٢٣١ .

[٤] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٧٦ .

[٥] انظر : الرسالة الثالثة ، رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالله بن محمد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٤٤ .

[٦] كتاب التوحيد ، ص ٤٤ .

بالأشجار والأحجار ونحوها ، وهذه الأدلة هي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِن رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣) ﴾ [١] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن مبيناً وجه الدلالة من هذه الآيات : " ومطابقة الآيات للترجمة من جهة أن عباد الأوثان ، إنما كانوا يعتقدون حصول البركة فيها بتعظيمها ، ودعائها ، والاستعانة بها ، والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ، ويؤملونه ببركتها وشفاعتها ، وغير ذلك .

فالتبرك بقبور الصالحين كاللاَّت- وبالأشجار والأحجار - كالعُزَّى ، ومَنَاة - من فعل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان . فمن فعل مثل ذلك أو اعتقد في قبر أو حجر أو شجر ، فقد ضاهى عُبَّاد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك .

على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع مع أولئك . فالله المستعان " [٢] .

٢ - وعن أبي واقد الليثي [٣] قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [٤] لتركبن سنن من كان

---

[١] سورة النجم الآيات : ١٩ - ٢٣ .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٥٨ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٨٠ .

[٣] أبوواقد الليثي ، صحابي ، قيل : اسمه الحارث بن مالك ، وقيل : الحارث بن عوف ، وقيل : عوف بن الحارث ، مات سنة ٦٨هـ ، وهو ابن خمس وثمانين على الصحيح .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ٣٣٧ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ٥٧٤ ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ٢٧٠ ، تقريب التهذيب ، ص ١٢٢٠ .

[٤] سورة الأعراف الآية : ١٣٨ .

قبلكم »[١] قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قوله : وينوطون بها أسلحتهم أي : يعلقونها عليها للبركة . قلت : ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك . وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها "[٢] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " « قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً .. » إلخ . أخبر ﷺ أن هذا الأمر الذي طلبوه منه وهو اتخاذ شجرة للعكوف عندها ، وتعليق الأسلحة تبركاً ، كالأمر الذي طلبه بنو إسرائيل من موسى عليه السلام حيث قالوا : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ، فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها اتخاذ إلهاً مع الله مع أنهم لا يعبدونها ، ولا يسألونها ، فما الظن من عباد القبور من دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والذبح ، والنذر لهم ، والطواف بقبورهم ، وتقبيلها ، وتقبيل أعتابها وجدرانها ، والتمسح بها ، وجعل السدنة والحجاب لها ؟! وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركاً ؟! "[٣] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث : " .. أخبر أن التبرك بالأشجار يجعلها آلهة ، وإن لم يسموها آلهة ، ولذلك شبه قولهم هذا بقول بني إسرائيل لموسى ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾[٤] فظهر بهذا الحديث أن التعلق على الأشجار والأحجار وغيرها لطلب البركة بها شرك في العبادة كشرك عبادة الأصنام "[٥] .

فتقرر بهذه الأدلة أن من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما كبقعة وغار وعين وقبر ، ونحو ذلك مما يعتقد كثير من عباد القبور وأشباههم فيه البركة فيقصدونه رجاء البركة ، أنه مشرك .

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٢١٨ ، والترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٤١٢ ، رقم ٢١٨٠ ، كتاب الفتن ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ، وابن أبي عاصم في السنة ، ص ٣٧ ، رقم ٧٦ ، وابن حبان في صحيحه ، ج٢ ، ص ٨٢٢ ، رقم ١٨٣٥ ، " الموارد " ، والطبراني في الكبير ، ج٣ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، رقم ٣٢٩٠ ، ٣٢٩٤ ، من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٨٢ .

[٤] سورة الأعراف الآية : ١٣٨ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ٧٦ ، وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالرحمن حول هذا المعنى في جواب له ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٥ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

حكم التبرك بآثار الصالحين :

ومن التبرك الممنوع التبرك بآثار الصالحين ، وقد نصَّ على هذا الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن وذلك للوجوه التالية :

١ - أن السابقين الأولين من الصحابة ومن بعدهم لم يكونوا يفعلون ذلك مع غير النبي ﷺ لا في حياته ، ولا بعد موته ﷺ . ولو كان خيراً لسبقونا إليه .

٢ - لم يفعله التابعون مع سادتهم في العلم والدين ، وهم الأسوة .

٣ - أن للنبي ﷺ في حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره .

٤ - لا يجوز أن يقاس على رسول الله ﷺ أحد من الأئمة ، لعدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل والبركة .

٥ - عدم تحقق المعرفة بالصلاح ، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب .

٦ - أنا لو ظننا صلاح شخص ، فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء .

٧ - أن فعل هذا مع غيره ﷺ لا يؤمن أن يفتنه ، وتعجبه نفسه .

٨ - أن في المنع سداً لذريعة الشرك [١] .

---

[١] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٨٥ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٦٤ .

المطلب الثاني

الذبح لغير الله والنذر لغير الله

أ - الذبح لغير الله :

حكمه :

قرر علماء نجد أن الذبح لغير الله حرام وشرك وكفر والذبيحة حرام [١] .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى مقرراً لهذا المعنى : " وأما المسائل الأخرى ، وهي أني أقول : لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله ، وأني أعرف من يأتيني بمعناها ، وأني أكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله ، وأخذ النذر لأجل ذلك ، وأن الذبح لغير الله كفر ، والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق ، وأنا قائل بها ، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ، ومن أقوال العلماء المتبعين ، كالأئمة الأربعة .. " [٢] .

الأدلة :

أورد الإمام محمد في كتاب التوحيد ، باب ما جاء في الذبح لغير الله [٣] جملةً من الأدلة تدل على أن الذبح لغير الله شرك وهي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة من هذه الآية : " قلت : وفي الآية دلائل متعددة على أن الذبح لغير الله شرك ، كما هو بيِّن عند التأمل " [٥] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة أيضاً : إن الله تعالى تعبَّد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك ، كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من

---

[١] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٦٥ ، وإبطال التنديد ، ص ٦٤ .

[٢] جواب للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٥ .

[٣] انظر : كتاب التوحيد ، ص ٤٧ .

[٤] سورة الأنعام الآيتين : ١٦٢ - ١٦٣ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٨٨ .

أنواع العبادة . فإن الله تعالى أمرهم أن يخلصوا جميع أنواع العبادة له دون كل ما سواه . فإذا تقرب إلى غير الله بالذبح ، أو غيره من أنواع العبادة فقد جعل لله شريكاً في عبادته .

وهذا ظاهر في قوله : ﴿ لا شريك له ﴾ . نفى أن يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات ، وهو بحمد الله واضح " [١] .

٢ - قال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين ، وهما الصلاة والنسك ، الدالتان على القرب والتواضع ، والافتقار وحسن الظن ، وقوة اليقين ، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته ... " [٣] .

٣ - عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غيَّر منار الأرض » [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " قوله « من ذبح لغير الله » . قال النووي : المراد به أن يذبح باسم غير اسم الله تعالى ، كمن يذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما وسلم ، أو للكعبة ونحو ذلك ، وكل هذا حرام ، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً ، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا ، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفراً ، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً " [٥] .

---

(١) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٦٦ .

(٢) سورة الكوثر الآية : ٢ .

(٣) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٦٧ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ١٨٨ ، وكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ، ج١٦ ، ص ٥٣١ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ٢٢٠ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٩٠ ، وكلام النووي في شرح صحيح مسلم ، ج١٣ ، ص ١٥٠ .

٤ - عن طارق بن شهاب [١] : أن رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب » . قالوا : وكيف يا رسول الله ؟ قال : « مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقِّرب له شيئاً . فقالوا لأحدهما : قرِّبْ . قال : ما عندي شيء ، قالوا : قرِّبْ ولو ذباباً ، فقرب ذباباً فخلوا سبيله ، فدخل النار . وقالوا للآخر : قرِّبْ ، قال : ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دون الله عز وجل . فضربوا عنقه ، فدخل الجنة » [٢] .

الشاهد :

قوله : « قالوا : قرِّبْ ولو ذباباً ، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار » .

وجه الدلالة :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل ، وأنه يوجب النار ، ألا ترى إلى هذا لما قرَّب لهذ الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار ، لإشراكه في عبادة الله ، إذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة ، وهذا مطابق لقوله تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ [٣] ... " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في قرة عيون الموحدين : " لأنه قصد غير الله بقلبه ، وانقاد بعمله فوجبت له النار ، ... فإذا كان هذا فيمن قرب للصنم ذباباً ، فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله ، من ميت

---

(١) طارق بن شهاب بن عبدشمس البجلي ، الأحمسي ، أبوعبدالله الكوفي ، رأى النبي ﷺ ، مات سنة ٨٢هـ وقيل ٨٣هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٢ ، ص ٣٠٨ ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص ٣ ، تقريب التهذيب ، ص ٤٦١ .

(٢) أخرجه أحمد في الزهد ، ص ٢٢ ، وأبونعيم في الحلية ، ج١ ، ص ٢٠٣ ، كلاهما عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفاً .

(٣) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٩٥ .

أو غائب أو طاغوت أو مشهد أو حجر أو غير ذلك ؟ وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه ، وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي ؛ لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله ، وقد عمت البلوى بهذا وما هو أعظم منه " [١] .

وقال في فتح المجيد : " وفي هذا الحديث الحذر من الوقع في الشرك ، وأنّ الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدري أنه من الشرك الذي يوجب النار " [٢] .

ب - النذر لغير الله :

تعريف النذر :

قال صاحب التوضيح : " النذر لغة الإيجاب ، يقال نذر فلان دم فلان ، أي أوجب قلته .

ومعناه شرعاً : إلزام مكلف مختار نفسه عبادة لله تعالى غير لا زمة له بأصل الشرع " [٣] .

حكم النذر لغير الله :

قرّر علماء نجد رحمهم الله أن النذر لغير الله شرك أكبر .

قال الإمام محمد في كتاب التوحيد : باب من الشرك النذر لغير الله [٤] .

قال الشيخ سليمان في شرحه لهذه الترجمة : " أي : أنه من العبادة ، فيكون صرفه لغير الله شركاً ، فإذا نذر طاعة وجب عليه الوفاء بها ، وهو عبادة ، وقربة إلى الله ، ولهذا مدح الله الموفين به ، فإذا نذر لمخلوق تقرباً إليه ليشفع له عند الله ، ويكشف ضره ونحو ذلك ، فقد أشرك في عبادة الله تعالى غيره ضروره ، كما أن من صلى لله وصلى

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ٨٠ - ٨١ .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٧٦ .

[٣] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٨٠ .

[٤] كتاب التوحيد ، ص ٥٣ .

لغيره ، فقد أشرك ، كذلك هذا " [١] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن شارحاً لهذه الترجمة : " أي : لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا كان نذره لله ، فيكون النذر لغير الله شركاً في العبادة " [٢] .

وتقدم قبل هذا قول الإمام محمد : " وأما المسائل الأُخر ، وهي أني أقول :لا يتمُّ إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله ، وأني أعرّف من يأتيني بمعناها ، وأني أكفر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله ، وأخذ النذر لأجل ذلك ، وأن الذبح لغير الله كفر ، والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق وأنا قائل بها ، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ، ومن أقوال العلماء المتبعين ، كالأئمة الأربعة " [٣] وقال الإمام محمد في المسائل : " إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك " [٤] .

وقال صاحب التوضيح : " النذر لغير الله كالنذر لإبراهيم الخليل ، أو محمد النبي الأمي ﷺ ، أو ابن عباس رضي الله عنهما ، أو الشيخ عبدالقادر ، أو الخضر ، أو لملك من الملائكة ، أو جني ، أو شجرة فلا خلاف بين من يعتدّ به من علماء المسلمين أنه من الشرك الاعتقادي ، لأن الناذر لم ينذر هذا النذر الذي لغير الله إلا لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع ، ويعطي ويمنع ، إما بطبعه ، وإما بقوة السببية فيه ، ويجلب الخير والبركة ، ويدفع الشر والعسرة ... " [٥] .

وأوضح الشيخ سليمان بن عبدالله حكم النذور الواقعة من عباد القبور تقرباً إليهم فقال : " فهذه النذور الواقعة من عباد القبور وأشباههم لمن يعتقدون فيه نفعاً أو ضراً فيتقرب إليه بالنذر ليقضي حاجته أو ليشفع له ، كل ذلك شرك في العبادة ... " [٦] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠٣ .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٨٧ .

[٣] جواب للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

[٤] كتاب التوحيد ، ص ٥٤ .

[٥] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٨٢ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

وقال : " وقد نص غير واحد من العلماء ، على أن النذر لغير الله شرك " [١] . ثم ذكر رحمه الله نصوص العلماء على ذلك [٢] .

وسئل الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن الطعام المنذور هل هو حلال أم حرام ، وإن كان حراماً فبأي سبب حرم ؟

فقال : " الجواب : إنَّ ما قصد به الميت تقرباً إليه وتعظيماً من طعام أو غيره فهو حرام ؛ لأن ذلك شرك بالله تعالى كما قال تعالى عن المشركين : ﴿ وجعلُوا للّه ممّا ذرأ من الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّه بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ [٣] الآية ، فإذا خرج ذلك بالنذر فهو أعظم فيكون نذر معصية كما في الحديث الصحيح : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » [٤] .

ولأن النذر عبادة يجب الوفاء به إذا نذر طاعته لله كما قال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ [٥] .وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُه ﴾ [٦] ومن نذر للميت فقد جلعه شريكاً لله في عبادته ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [٧] " [٨] .

الأدلة :

أورد الإمام محمد في كتاب التوحيد ، تحت باب من الشرك النذر لغير الله [٩] جملة من الأدلة تدل على أن النذر لغير الله شرك أكبر ، ومنها :

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠٤ .

[٢] انظر : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

[٣] سورة الأنعام الآية : ١٣٦ .

[٤] سبق تخريجه ، ص ٢٢١ .

[٥] سورة الإنسان الآية : ٧ .

[٦] سورة البقرة الآية : ٢٧٠ .

[٧] سورة الحج الآية : ٣١ .

[٨] جواب للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن سلسلة التراث الإصلاحي في العقيدة والشريعة ، ج٢ ، ص ٣٢٣.

[٩] كتاب التوحيد ، ص ٥٣ .

١ - قال تعالى : ﴿ يُوفُونَ بالنَّذْرِ ﴾ [(١)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر ، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب ، أو ترك محرم ، لا يمدح على فعل المباح المجرد ، وذلك هو العبادة ، فمن فعل ذلك لغير الله متقرباً إليه فقد أشرك " [(٢)] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن مبيناً وجه الدلالة أيضاً : " فالآية دلّت على وجوب الوفاء بالنذر ، ومدح من فعل ذلك طاعة لله ووفاءً بما تقرّب به إليه " [(٣)] .

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [(٤)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله تعالى أخبر بأن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين بذلك إليه أنه يعلمه ، ويجازينا عليه ، فدلّ ذلك أنه عبادة وبالضرورة ، يدري كل مسلم أن من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك " [(٥)] .

---

(١) سورة الإنسان الاية : ٧ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠٣ .

(٣) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٨٧ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٧٠ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠٣ .

المطلب الثالث

الاستعاذة والاستغاثة بغير الله ودعاء غيره

أ - الاستعاذة بغير الله :

معنى الاستعاذة :

الاستعاذة هي :الالتجاء ، والاعتصام ، والتحرز .

وقد قررّ علماء نجد ذلك ، قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " الاستعاذة : الالتجاء ، والاعتصام ، والتحرز ، وحقيقتها الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً ، وملجأ ووزراً ، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه ، وفرّ إليه ، وألقى نفسه بين يديه واعتصم به ، واستجار به ، والتجأ إليه ، وهذا تمثيل وتفهيم ، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله ، والاعتصام به ، والإطراح بين يدي الرب ، والافتقار إليه ، والتذلل بين يديه ، أمر لا تحيط به العبارة . هذا معنى كلام ابن القيم [١] .

وقال ابن كثير : الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر . والعياذ يكون لدفع الشر ، واللياذ لطلب الخير [٢] .

وهذا معنى كلام غيرهما من العلماء " [٣] .

وقال صاحب التوضيح : " الاستعاذة : الالتجاء إلى الله والملاذ بجانبه من كل شر ، والعياذ يكون لدفع الشر ، والملاذ لطلب الخير كما قال المتنبي [٤] :

" يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به فيما أحاذره

لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهيضون عظماً أنت جابره [٥] " [٦]

---

[١] انظر : بدائع الفوائد ، ج٢ ، ص ١٧١ .

[٢] تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ١٥ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

[٤] أبوالطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر ، بلغ شعره غاية الارتقاء ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ، مات سنة ٣٥٤هـ .
انظر في ترجمته : جواهر الأدب ، ج٢ ، ص ٤٥٢ .

[٥] انظر : شرح ديوان المتنبي ، ج١ ، ص ١٧٠ مع اختلاف في الشطر الثاني من البيت الأول ، ونص ما في الديوان : ومن أعوذ به مما أحاذره .

[٦] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٨٦ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " الاستعاذة : الالتجاء والاعتصام ، فالعائذ قد هرب إلى ربه والتجأ إليه مما يخافه عموماً وخصوصاً .. " [١] .

حكم الاستعاذة بغير الله :

قرر علماء نجد أن الاستعاذة عبادة من أعظم أنواع العبادة التي أمر الله بها ، وأن من استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك ، لأن الاستعاذة عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادة .

قال الشيخ الإمام محمد في كتاب التوحيد :" باب من الشرك الاستعاذة بغير الله " وقال صاحب التوضيح : " ومن لاذ واستجار واعتصم بغير الله فقد خاب وخسر وأشرك في قوله واعتقاده ... " [٢] .

وقرر الشيخ عبدالرحمن بن حسن أن الاستعاذة بالله من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها ، وأن من صرفها لغير الله فقد أشرك .

يقول رحمه الله : " قلت : وهي من العبادات التي أمر الله تعالى عباده بها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٣] .

وأمثال ذلك في القرآن كثير ، كقوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [٤] ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [٥] فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك .

فمن صرف شيئاً من هذه العبادات لغير الله فقد جعل لله شريكاً في عبادته ، ونازع الرب في إلهيته ، كما أن من صلى لله وصلى لغيره يكون عابداً لغير الله ، ولا فرق " [٦] .

---

(١) قرة عيون الموحدين ، ص ٨٦ .

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٨٧ ، وانظر : بقية الكلام في هذا ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٣) سورة فصلت الآية : ٣٦ .

(٤) سورة الفلق الآية : ١ .

(٥) سورة الناس الآية : ١ .

(٦) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، وانظر : ما كتبه الشيخ سليمان بن عبدالله حول هذا المعنى في تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

" إلا أن المخلوق يطلب منه ما يقدر عليه ويستعاذ به فيه ، بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله ، فلا يستعاذ فيه إلا بالله " [١] .

وقرر أيضاً تلميذه الشيخ حمد بن عتيق أن من أعظم أنواع العبادة الاستعاذة بالله ، وأن من صرفها لغير الله فقد أشرك [٢] .

وأوضح الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف حكم اللياذ والعياذ بغير الله ، فقالا في رد لهما على قول البوصيري :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك [٣]

" وأما اللياذ فهو كالعياذ سواء ، فالعياذ لدفع الشر ، واللياذ لجلب الخير ، وحكى الإمام أحمد وغيره الإجماع على أنه لا يجوز العياذ إلا بالله وأسمائه وصفاته ، وأما العياذ بغيره فشرك ولا فرق " [٤] .

الأدلة :

أورد الإمام محمد في كتاب التوحيد ، باب من الشرك الاستعاذة بغير الله [٥] دليلين ، أحدهما من الكتاب والآخر من السنة وهما :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [٦] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله مبيناً معنى هذا الدليل : " المعنى - والله أعلم -

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١١ .

[٢] انظر : إبطال التنديد ، ص ٧٢٣ .

[٣] مجموع مهمات المتون ، ص ٩٠ ، وهذا شطر بيت من قصيدة البردة ، والشطر الثاني قوله : " عند حلول الحادث العمم " .

[٤] الرسالة السابعة للشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف إلى عبدالخالق الحفظي ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٨٢ ، وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن حول هذا البيت في الرسالة الثالثة للشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالله بن محمد ضمن المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٨ .

[٥] كتاب التوحيد ، ص ٥٤ .

[٦] سورة الجن الآية : ٦ .

على قول أن الإنس زادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقاً أي : إثماً وطغياناً وشراً ، فضمير الفاعل على هذا للعائذين من الإنس وضمير المفعول للمستعاذ بهم من الجن ، وعلى القول الثاني بالعكس ، وزيادتهم للإنس رهقاً بإغوائهم وإضلالهم ، وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض سيره وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، يريد الجن وكبيرهم . قال مجاهد : كانوا يقولون إذا هبطوا وادياً : نعوذ بعظيم هذا الوادي ، ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ قال : زادوا الكفار طغياناً [١] .. " [٢] ثم بين الشيخ سليمان وجه الاستدلال بالآية فذكر " أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين الرسول ﷺ وآمنوا به ، ذكروا أشياء من الشرك كانوا يعتقدونها في الجاهليه ، من جملتها الاستعاذة بغير الله " [٣] .

٢ - عن خولة [٤] بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك » [٥] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لهذا الحديث : " قوله : أعوذ بكلمات الله التامات . هذا ما شرعه الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن ، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا به أو بصفاته " [٦] .

وقال أيضاً " قال شيخ الإسلام : وقد نصَّ الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق ، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق .

---

[١] رواه عبد بن حمد ، وابن المنذر في التفسير كما في الدر المنثور ، ج٦ ، ص ٢٧٢ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١١ .

[٣] المصدر السابق ، ص ٢١١.

[٤] خولة بنت حكيم بن أمية السلمية ، تكنى أم شريك ، ويقال لها خويلة أيضاً ، صحابية مشهورة ، وكانت امرأة صالحة فاضلة ، ويقال : إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون . انظر في ترجمتها : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ٣٩١ ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ٤١٥ ، تقريب التهذيب ، ص ١٣٥١ .

[٥] أخرجه مسلم ، ج٤ ، ص ٢٠٨٠ ، رقم ٢٧٠٨ ، في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٢ .

قالوا : لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك ، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك [١] " [٢] .

وقد حكى الشيخ سليمان بن عبدالله إجماع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله قال رحمه الله : " وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله ، ولهذا نهوا على الرقى التي لا يعرف معناها ، خشية أن يكون فيها شيء من ذلك " [٣] .

---

[١] انظر : مجموع الفتاوى ، ج١ ، ص ٣٣٦ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٣ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٢ .

ب - الاستغاثة بغير الله :

معنى الاستغاثة :

الاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة .

يقول الشيخ حمد بن ناصر آل معمر مبيناً معنى الاستغاثة : " والاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة . كالاستنصار : طلب النصر ، والاستعانة : طلب العون " (١) .

وكذا قال الشيخ سليمان بن عبدالله نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية (٢) ، وتبعه الشيخ عبدالرحمن بن حسن (٣) والشيخ حمد بن عتيق (٤) .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وقال أبوالسعادات : الإغاثة : الإعانة " (٥) قال الشيخ سليمان " فعلى هذا تكون الاستغاثة هي الاستعانة . ولا ريب أن من استغاثك فأغثته فقد أعنته ، إلا أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة ، بخلاف الاستعانة " (٦) .

فالحاصل أن الاستغاثة هي طلب كشف الشدة .

الفرق بين الاستغاثة والدعاء :

فرق علماء نجد بين الاستغاثة والدعاء فقالوا : الاستغاثة لا تكون إلا من مكروب ، والدعاء أعمُّ من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : " ... الفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالى : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (٧) .

---

(١) النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٨٨ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٤ .

(٣) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠١ ، قرة عيون الموحدين ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٤) إبطال التنديد ، ص ٧٥ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ابن الأثير ، ج٣ ، ص ٣٩٢ .

(٦) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٥ .

(٧) سورة القصص الآية : ١٥ .

وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [١] . والدعاء أعمُّ من الاستغاثة لأنه يكون من المكروه وغيره [٢] .

وتبعه على هذا الشيخ عبدالرحمن بن حسن [٣] والشيخ حمد بن عتيق [٤] وزاد الشيخ عبدالرحمن بن حسن فقال : " فبينهما عموم وخصوص مطلق ، يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة . فكل استغاثة دعاء ، وليس كل دعاء استغاثة " [٥] .

وقال : " فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق : يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث ، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب والسؤال من غير المستغيث " [٦] .

حكمها :

قرر علماء نجد أن الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله حرام ، وشرك أكبر ، وأصل لعدة أنواع من الشرك بالله .

فقد حكى الشيخ عبدالله بن محمد اتفاق أئمة المسلمين على تحريم الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقال : " أما سؤال الميت والغائب ، نبياً كان أو غير ، تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، والاستغاثة به في الأمور المهمات ، فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام " [٧] .

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٩ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠١ .

(٤) انظر : إبطال التنديد ، ص ٧٦ .

(٥) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠١

(٦) قرة عيون الموحدين ، ص ٩١ .

(٧) جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٥٣ ، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

وقد نص الإمام محمد في كتاب التوحيد على أن من الشرك الاستغاثة بغير الله فقال : " باب من الشرك أن يستغيث بغير الله ... "[١] .

وقرر الشيخ عبدالرحمن بن حسن أن استغاثة الأحياء بالموتى في طلب الجاه والسعة والرزق والأولاد شرك أكبر لا يغفره الله .

يقول رحمه الله في إحدى رسائله : " وأما مسألة استغاثة الأحياء بالموتى في طلب الجاه والسعة والرزق والأولاد مثل أن يقال عند القبور : أن تدعوا الله في رفع فقرنا وبسط رزقنا وكثرة أولادنا وشفاء مريضنا لأنكم سلف مستجابوا الدعوات عند الله .

فالجواب : هذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وهذا شرك في الربوبية والإلهية ، وقد كان شرك المشركين في جاهليتهم بطلب الشفاعة والقربة .

وأما طلب الرزق والأولاد وشفاء المرضى فقد أقروا بأن آلهتهم لا تقدر على ذلك كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [٢] فأقروا لله تعالى أنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، وقال : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾[٣] أي : يفعل ذلك ، فأقروا لله بذلك ، وصار إقرارهم حجةً عليهم في اتخاذهم الشفعاء ، وقد قال تعالى في فاتحة الكتاب : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٤] أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نستعين إلا بك ، فهو المعبود وحده ، وهو المستعان ، وقد تقدم ما يبين أن الدعاء مخ العبادة ، لأن الله تعالى نهى عن دعوة غيره ، وأخبر أن المدعو لا يستجيب لداعيه ، وأنه شرك وضلال ، وأنه كفر بالله ... "[٥] .

---

(١) كتاب التوحيد ، ص ٥٦ .

(٢) سورة يونس الآية : ٣١ .

(٣) سورة النمل الآية : ٦٢ .

(٤) سورة الفاتحة الآية : ٥ .

(٥) رسالة بعثها الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٩ ، ص ١٨٢ ، الرسالة الثالثة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

وحذر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن من الاستغاثة بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم وفي مغيبهم ، وذكر أنها من شعب الشرك ، وأنها أصله الذي نشأ منه وتفرع عليه سائر الشركيات .

يقول رحمه الله تعالى في : منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات دواود بن جرجيس " : " والاسغاثة بالأنبياء والصالحين بعد مماتهم وفي مغيبهم مسألة معروفة مشهورة تكلم فيها أهل العلم ، ومنعوا منها أشد المنع ، وذكروا أنها من شعب الشرك ، وأنها أصله الذي نشأ منه وتفرع عليه سائر الشركيات ... " [١] .

الأدلة :

أورد علماء الدعوة أدلة من القرآن والسنة على تحريم الاستغاثة بغير الله في مالا يقدر عليه إلا الله منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله عند هذه الآية : " يبين تعالى أنه المدعو عند الشدائد الكاشف للسوء وحده ، فيكون هو المعبود وحده ..

فتبين أن من اعتقد في غير الله أنه يكشف السوء أو يجيب دعوة المضطر ، أو دعاه لذلك فقد أشرك شركاً أكبر من شرك العرب كما هو الواقع من عباد القبور " [٣] .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " في الآية الرد على المشركين الذين يدعون غير الله ليشفعوا لهم عنده في جلب الرزق ، فما ظنك بمن دعاهم أنفسهم ، واستغاث بهم ليرزقوه وينصروه كما هو الواقع من عباد القبور " [٥] .

---

[١] منهاج التأسيس ، ص ٢٣١ .

[٢] سورة النمل الآية : ٦٢ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤١ باختصار .

[٤] سورة العنكبوت الآية : ١٧ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٩ .

٣ - روى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله » [١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لهذا الحديث : " قوله : « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » . قال بعضهم : فيه التصريح بأنه لا يستغاث بالنبي ﷺ في الأمور ، وإنما يستغاث بالله ، والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ ، لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافقين من الأمور التي يقدر عليها ، إما بزجره أو تعزيزه ونحو ذلك ، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ والحماية منه ﷺ لجناب التوحيد ، وتعظيم الله تبارك وتعالى . فإذا كان هذا كلامه ﷺ في الاستغاثة به في ما يقدر عليه ، فكيف بالاستغاثة به أو بغيره في الأمور المهمة التي لا يقدر عليها أحد إلا الله كما هو جار على ألسنة كثير من الشعراء وغيرهم ؟! وقلَّ من يعرف أن ذلك منكر ، فضلاً عن معرفة كونه شركاً " [٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن مبيناً وجه الدلالة من هذا الحديث : " قوله : « إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله » فيه : النص على أنه لا يستغاث بالنبي ﷺ ، ولا من دونه .

كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه ، وإن كان في ما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد ، وسداً لذرائع الشرك وأدباً وتواضعاً لربه ، وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك ، في الأقوال والأفعال .

فإذا كان هذا في ما يقدر عليه ﷺ في حياته ، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته ، ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله ؟! كما جرى على ألسنة كثير من

---

[١] أخرجه الطبراني في الكبير كما في المجمع ، ج١٠ ، ص ١٥٩ ، عن عبادة ابن الصامت ، وقال الهيثمي : " رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعه وهو حسن الحديث " ، وأحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٣١٧ ، بغير هذا اللفظ من حديث عبادة بن الصامت وفيه ابن لهيعه ، وراو لم يسم . أنظر مجمع الزوائد ، ج٨ ، ص ٤٠ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الاستغاثة ، ص ١٥٢ : " وهو صالح للاعتضاد ، ودل على معناه الكتاب والسنة " .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

الشعراء - كالبوصيري ، والبرعي [١] وغيرهم - من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء ، الذي له الخلق والأمر وحده ، وله الملك وحده ، لا إله غيره ، ولا رب سواه ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [٢] في مواضع من القرآن ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ [٣] " [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " فإن قلت : ما الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [٥] فإن ظاهر الحديث المنع من إطلاق لفظ الاستغاثة على المخلوق فيما يقدر عليه ، وظاهر الآية جوازه . قيل : تحمل الآية على الجواز ، والحديث على الأدب والأولى ، والله أعلم " [٦] .

فتبين من هذا الحديث أن الاستغاثة بغير الله في ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شرك أكبر موجب للخلود في النار [٧] ، نسأل الله العافية .

---

[١] عبدالرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني ، شاعر متصوف ، له ديوان مطبوع أكثره في المدائح النبوية . انظر في ترجمته : هدية العارفين ، ج١ ، ص ٥٥٩ ، الأعلام ، ج٣ ، ص ٣٤٣ .

[٢] سورة الأعراف الآية : ١٨٨ .

[٣] سورة الجن الآية : ٢١ .

[٤] فتح المجد ، ج١ ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ، وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالرحمن على هذا الحديث في كتابه قرة عيون الموحدين ، ص ٩٤ .

[٥] سورة القصص الآية : ١٥ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤٣ .

[٧] انظر : إبطال التنديد ، ص ٧٨ .

جـ - دعاء غير الله :

اهتم علماء الدعوة رحمهم الله ببيان الشرك في الدعاء ، وركزوا عليه في دعوتهم ، وكان جلّ اهتمامهم في التحذير من هذا الشرك ، ولهم جهود كبيرة في هذا المجال تتبين في النقاط التالية :

تعريف الدعاء :

عرف الشيخ عبدالله بن محمد الدعاء فقال : " هو الطلب بياء النداء لأنه ينادى به القريب والبعيد ، وقد يستعمل في الاستغاثة ، أو بأحد أخواتها من حروف النداء ... " [١] .

أنواع الدعاء :

الدعاء نوعان : دعاء مسألة ودعاء عبادة ويراد به في القرآن هذا تارة ، وهذا أخرى ، وقد يراد به مجموعهما ، وهما متلازمان ، فدعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة ، ودعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله في بيان ذلك : " الدعاء نوعان دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ... ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعهما ... فدعاء المسألة : هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ، فالمعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر ، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً ولا نفعاً ...

وأما دعاء العبادة : فهو عبادة الله تعالى بأنواع العبادات ، من الصلاة ، والذبح ، والنذر ، والصيام ، والحج وغيرها ، خوفاً وطمعاً يرجو رحمته ويخاف عذابه ، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب .. " [٢] .

---

[١] رسالة من الشيخ عبدالله بن محمد إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٢٣٣ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

[٢] تيسير العزيز الحميد . ص ٢١٥ ، ٢٢٧ باختصار ، وانظر : معناه في النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٢٠ - ٢١ ، والقول الفصل النفيس ، ص ٢٧ ، وتحفة الطالب والجليس ، ص ١٠٨ - ١١١ .

وهما متلازمان . فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة [١] .

وقرر هذا أيضاً الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في فتح المجيد [٢] ، وكذا قرره الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى في إبطال التنديد [٣] .

حكم دعاء غير الله :

اهتم علماء نجد رحمهم الله تعالى ببيان هذه المسألة ، واعتنوا بها ، وبينوها غاية البيان ، وقرروا أدلتها من الكتاب والسنة والإجماع وكلام أهل العلم .

وقد اهتم الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى بهذه المسألة في كثير من كتبه ، ورسائله ، وأجوبته ، ومسائله ، حيث عقد في كتاب التوحيد باباً بعنوان " باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره " وذكر في مسائل هذا الباب المسألة الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر [٤] .

وقال في رسالة نواقض الإسلام : " والثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً " [٥] .

وفي ثلاثة الأصول : عدّ من أنواع العبادة الدعاء . ثم قال : " فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر " [٦] .

وفي رسالة الأصل الجامع لعبادة الله وحده : عرف الشرك بدعوة غير الله ، يقول رحمه الله : " وأعظم نهي نهى الله عنه الشرك به ، وهو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة ، فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه رباً

---

[١] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢١٥ .

[٢] ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

[٣] ص ٧٦ .

[٤] كتاب التوحيد ، ص ٥٦ - ٥٧ .

[٥] نواقض الإسلام ، الرسالة التاسعة ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، العقيدة والآداب الإسلامية ، ج١ ، ص ٣٨٥ .

[٦] الأصول الثلاثة ، ص ٦ .

وإلهاً وأشرك مع الله غيره " [١] .

وذكر رحمه الله أن هذه المسألة هي أعظم مسألة خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية ، وعدّها الأولى في رسالة مسائل الجاهلية [٢] .

وقال في أحد تقريراته : " فمن دعا غير الله ، طالباً منه ما لا يقدر عليه إلا الله ، من جلب خير ، أو دفع ضر ، فقد أشرك في عبادة الله " [٣] .

وقال أيضاً : " وأما النذر له - أي القبر - ودعاؤه ، والخضوع له ، فهو من الشرك الأكبر " [٤] .

وقال أيضاً : " فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ثم دعا نبياً أو ولياً عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ، ولم يشهد أن لا إله إلا الله ؛ لأن الإله هو المدعو ، كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهم ، وكما يفعل قبل هذا عند قبر زيد وغيره " [٥] .

ومما ذكره رحمه الله في مذاكرة أهل حرمة [٦] قوله : " وأكبر من ذلك كله الدعاء ، تفهمون أن الدعاء مخ العبادة ، قالوا : نعم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [٧] . أنتم تفهمون أن هنا من يدعو الله ويدعو الزبير ، ويدعو الله ، يدعو عبدالقادر ، والذي يدعو الله وحده مخلص ، وإن دعا غيره صار مشركاً ، فهمتم هذا ؟ قالوا : فهمنا ، قال الشيخ : هذا إن فهمتموه ، فهذا الذي بيننا وبين الناس " [٨] .

---

[٦] الأصول الثلاثة ، ص ٦ .

[١] الأصل الجامع لعبادة الله وحده ، الرسالة السابعة ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالواهاب ، العقيدة والآداب الإسلامية ، ج١ ، ص ٣٨١ .

[٢] مسائل الجاهلية ، ص ٤ .

[٣] تقرير للإمام محمد تضمن أربع قواعد ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٦ .

[٤] جواب للإمام محمد ، ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الفتاوي ، ج٣ ، ص ٧٠ .

[٥] رسالة للإمام محمد إلى عبدالرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثادق ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، الرسائل الشخصية ، ج٥ ، ص ١٦٦ .

[٦] حَرْمَة بلده معروفة في سدير ، عَمَّرها إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي في سنة ٧٧٠هـ تقريباً . انظر : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ، ص ٣١ .

[٧] سورة الجن ، آية : ١٨ .

[٨] مذاكرة الإمام محمد أهل حرمة ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٣٠ ، وانظر : معناه في كلام للإمام محمد بن عبدالوهاب في أنواع التوحيد ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٩ - ٤٠ .

وقال الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود : " أما الذي نحن عليه ، وهو الذي ندعو إليه من خالفنا : أنا نعتقد أن العبادة حق الله على عبيده وليس لأحد من عبيده في ذلك شيء ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فلا يجوز لأحد أن يدعو غير الله ، لجلب نفع ، أو دفع ضر وإن كان نبياً أو رسولاً أو ملكاً أو ولياً [(١)] ".

وقال أيضاً : " وأما دعوة غير الله ، والالتجاء إليهم ، والاستغاثة بهم ، لكشف الشدائد ، أو جلب الفوائد ، فهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه " [(٢)] .

وقال أيضاً : " ومن أشرك مع الله إلهاً غيره في الدعوة ، أو في الاستغاثة ، أو في التوكل ، أو في الذبح ، أو في النذر ، فقد اتخذ مع الله إلهاً آخر ، وعبد معه غيره " [(٣)] .

وقال الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله في رسالة وقع عليها علماء مكة : " ونكفر من أشرك بالله ، وجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله ، ويذبح له كما يذبح لله ، وينذر له كما ينذر لله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويستغيث به عند الشدائد وجلب الفوائد ، ويقاتل دون الأوثان ، والقباب المبنية على القبور التي اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله " [(٤)] .

وقد قرر رحمه الله هذا المعنى في مواضع متعددة من هذه الرسالة [(٥)] .

ويقول الشيخ حمد بن معمر : " اعلم أن دعاء غير الله وسؤاله نوعان :

أحدهما : سؤال الحي الحاضر ما يقدر عليه ، مثل سؤاله أن يدعو له ، أو ينصره ، أو يعينه بما يقدر عليه ، فهذا جائز كما كان الصحابة رضي الله عنهم يستشفعون بالنبي ﷺ في حياته فيشفع لهم ، ويسألونه الدعاء فيدعو لهم .

فالمخلوق يُطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه منها ، كما قال تعالى في قصة

---

(١) رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٥٨ -- ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ٢٦١ - ٢٦٢ ، وانظر : معناه في المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٦٦ - ٢٧٠ .

(٤) رسالة للإمام سعود بن عبدالعزيز إلى سليمان باشا ، عليها توقيعات علماء مكة ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩١ ، ٣٠٥ - ٣٠٦ .

موسى : ﴿ فاسْتَغَاثَهُ الَّذي من شيعته على الَّذي منْ عدُوِّه ﴾ [١] . وقال تعالى ﴿ وإن استنصرُوكُمْ في الدِّين فعلَيْكُمُ النَّصرُ ﴾ [٢] ...

النوع الثاني : سؤال الميت والغائب وغيرهما ما لا يقدر عليه إلا الله .

مثل سؤال قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات .

فهذا من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ، ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابه ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين .

وهذا مما يعلم بالضرورة أنه ليس من دين الإسلام .

فإنه لم يكن أحد منهم إذا نزل به شدة ، أو عرضت له حاجة يقول : للميت يا سيدي فلان اقض حاجتي ، أو اكشف شدتي ، أو أنا في حسبك ، أو أنا مستشفع بك إلى ربي ، كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء عند قبورهم ، ولا إذا أبعدوا عنهم ، فإن هذا من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين [٣] .

ومما ينبغي التنبيه عليه ما ذكره الشيخ عبدالله أبابطين من أن ترك مسألة الناس من تحقيق التوحيد وكماله [٤] .

وقال الشيخ حمد بن معمر : " ومعلوم أن الله سبحانه ذكر في كتابه من النهي عن دعاء غيره ، وتكاثرت نصوص القرآن في النهي عن ذلك أعظم مما ورد في النهي عن السجود لغير الله ، والذبح لغير الله ...

بل لا نعلم نوعاً من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله ، بالنهي عنه ، والتحذير من فعله ، والوعيد عليه ...

فمن أصغى إلى كتاب الله علم علماً ضرورياً أن دعاء الموتى من أعظم الشرك الذي

---

(١) سورة القصص الآية : ١٥ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٧٢ .

(٣) النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١٠ - ١٧ ، وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالله أبابطين حول هذا المعنى في كتابه تأسيس التقديس ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٤) انظر : تأسيس التقديس ، ص ٩٣ .

كفر الله به المشركين " [١] .

وقال أيضاً : " الذي نعتقده وندين الله به ، أن من دعا نبياً أو ولياً أو غيرهما ، وسأل منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، أن هذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين " [٢] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله بعد أن ذكر الآيات والأحاديث وأقوال العلماء في هذه المسألة : " وقد تبين بما ذُكِر ... أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله ، هو الشرك الأكبر ، بل هو أكبر أنواع الشرك ، لأن الدعاء مخ العبادة ، ولأن من خصائص الإلهية إفراد الله بسؤال ذلك ، إذ معنى (الإله) هو الذي يعبد لأجل هذه الأمور ، ولأن الداعي إنما يدعو إلهه عند انقطاع أمله مما سواه ، وذلك هو خلاصة التوحيد ، وهو انقطاع الأمل مما سوى الله ، فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله ، فقد ساوى بينه وبين الله ، وذلك هو الشرك " [٣] .

وقال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين رحمه الله تعالى في رسالته : " والدعاء بما لا يقدر على جلبه ودفعه إلا الله ، مختصاً به لا يجوز أن يدعى في ذلك غيره تبارك وتعالى ... " [٤] .

وقرر رحمه الله هذا المعنى في مواضع متعددة من هذه الرسالة [٥] .

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله : " إن دعاء الأموات والغائبين وطلب الحاجات منهم من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، يدخل في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون وغيرهم ؛ لأن ذلك عبادة وهي محض حق الله ، لا يرضى أن يشرك معه فيها

---

[١] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٣٦ - ٣٧ . باختصار .

[٢] الفواكه العذاب ، ص ٤١ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤٣ .

[٤] رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٧٤ .

[٥] انظر : المصدر السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ١٧٩ .

ملك مقرب ولا نبي مرسل " [١] .

وقال رحمه الله : " ومن قال لا إله إلا الله ، ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر ، كدعاء الموتى والغائبين ، وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، والتقرب إليهم بالنذور والذبائح ، فهذا مشرك شاء أم أبى ، والله لا يغفر أن يشرك به ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [٢] ومع هذا فهو مشرك ومن فعله كان كافراً " [٣] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " فإذا عرفت بصحيح المنقول وصريح المعقول أن الدعاء عبادة ، وأن مدلوله السؤال والطلب فمن صرف من هذه العبادات شيئاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره في عبادته كائناً ما كان ، لعموم النهي عن دعوة غير الله في القرآن كله من أوله إلى آخره . فمن ادعى أنه يصرف منه شيء لأحد سوى الله ، فقد صادم الكتاب والسنة ، وخالف ما اجتمعت عليه دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم فيما دعوا إليه أممهم بقولهم : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [٤] " [٥] .

وقال أيضاً : " فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوة الأموات والغائبين فهو من الشرك الذي لا يغفره الله " [٦] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " فمن المستحيل شرعاً وفطرة وعقلاً أن تأتي هذه الشريعة المطهرة الكاملة بإباحة دعاء الموتى والغائبين ، والاستغاثة بهم في المهمات والملمات ، كقول النصراني : يا والدة المسيح اشفعي لنا إلى الإله ، أو يا عيسى أعطني كذا ، وافعل بي وكذا ، وكذلك قول القائل : يا علي ، أو يا حسين ، أو يا عباس ، أو يا عبدالقادر ، أو يا عيدروس ، أو يا بدوي ، أو فلان وفلان : أعطني كذا ، أو أجرني من

---

[١] تأسيس التقديس ، ص ٨٦ .

[٢] سورة المائدة الآية : ٧٢

[٣] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠٢ .

[٤] سورة المؤمنون الآية : ٣٢ .

[٥] القول الفصل النفيس ، ص ٣٤ .

[٦] قرة عيون الموحدين ، ص ٩١ .

كذا ، أو أنا في حسبك ، أو نحو ذلك من الألفاظ الشركية التي تتضمن العدل بالله ، والتسوية به تعالى وتقدس ، فهذا لا تأتي شريعة ولا رسالة بإباحته قط ، بل هو من شعب الشرك الظاهرة الموجبة للخلود في النار ، ومقت العزيز الغفار .

وقد نص على ذلك مشايخ الإسلام " [١] .

وقال الشيخ عبداللطيف أيضاً : " الأدلة والنصوص متواترة متظاهرة على أن طلب الحوائج من الموتى والتوجه إليهم شرك محرم ، وأن فاعله من أسفه السفهاء ، وأضل الخلق ، وأنه ممن عدل بربه ، وجعل له أنداداً وشركاء في العبادة التي لا تصلح لسواه ، ولا تنبغي لغيره ، وأنه أصل شرك العالم . وقد حكى الإجماع على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه [٢] ، وكذلك ابن القيم الجوزية قرر تحريمه ، وأنه من الشرك الأكبر ، وأنه أصل شرك العالم في كتابه إغاثة اللهفان وغيره [٣] ، وابن عقيل كفَّر بطلب الحوائج من الموتى ، ودس الرقاع فيها " يا مولاي افعل بي كذا وكذا " [٤] ولم يخالف في ذلك أحد من أهل العلم " [٥] .

وقال : " كتاب الله ، وسنة رسوله ، وأقوال أهل العلم صريحة متوافرة متظاهرة على تكفير من دعا غير الله ، وناداه بما لا يقدر عليه إلا الله ..

والقرآن كله دال على هذا المعنى ، مقرر له ، وإن اختلفت الطرق والأوجه في بيانه والتنبيه عليه " [٦] .

---

[١] تحفة الطالب والجليس ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

[٢] انظر : مثلاً رسالة الواسطة بين الحق والخلق ، ص ١٣ .

[٣] انظر : مدارج السالكين ، ج١ ، ص ٣٥٣ .

[٤] انظر : إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ١٩٥ .

[٥] مصباح الظلام ، ص ٢٥٣ .

[٦] تحفة الطالب والجليس ، ص ٣٩ - ٤٠ .

فتقرر من هذه النصوص التي سطرها علماء نجد ، أنهم أطبقوا على أن دعاء غير الله أمر محرم بل شرك أكبر .

الأدلة :

أورد علماء نجد الأدلة على هذه المسألة المهمة من القرآن والسنة والإجماع وأقوال أهل العلم :

أ - القرآن الكريم :

وردت آيات محكمات في كتاب الله العزيز تحذر من دعاء غير الله ، وتبين أن من دعا غير الله فقد أشرك ، وقد ساقها علماء الدعوة ، ويمكن أن تقسم هذه الآيات الكريمة إلى الأنواع التالية :

١ - تارة يذكره على صيغة الأمر به ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ [١] سماه الله عبادة ، وأضافها إلى نفسه ، فلأجل ذلك قرن الأمر به الأمر بالإخلاص أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] . وقال تعالى : ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُون ﴾ [٣] فأمر وأكد بأن يكونوا في دعائه مخلصين ، كذلك قال تعالى : ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٤] فأخبر أن لا يكره دعاءه ، والإخلاص له في عبادته ، إلا من كان صفته الكفر .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ

---

[١] سورة غافر الآية : ٦٠ .

[٢] سورة غافر الآية : ٦٥ .

[٣] سورة الأعراف الآية : ٢٩ .

[٤] سورة غافر الآية : ١٤ .

إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ [١] [٢] .

٢ - ذكره بصيغة النهي عن دعاء غيره تعالى [٣] ، كما قال الله تعالى : ﴿ وأنَّ الْمَساجد لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [٤] و ﴿ أَحَدًا ﴾ نكرة في سيــاق النهي فنعم الرسل وغيرهم ، فتصدق على كل ما دعي مع الله تعالى [٥] وقد استنبط الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى من هذه الآية عشر درجات فقال : " فيها عشر درجات :

الأولى : تصديق القلب أن دعوة غير الله باطلة ، وقد خالف فيها من خالف .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره ، وقد خالف فيه من خالف .

الخامسة :أن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر ، وقد خالف فيه من خالف .

السادسة : أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلاً أو خائفاً أو طامعاً كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها ؟ وقد خالف فيها من خالف .

السابعة :أنك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك ، وقد خالف فيه من خالف .

الثامنة : أن هذا معنى " لا إله إلا الله " والإله هو المألوه ، والتأله عمل من الأعمال ، وكونه منفياً عن غير الله ترك من التروك .

---

[١] سورة العنكبوت الآيات : ٦٥ ، ٦٦ .

[٢] انظر : رسالة لبعض علماء نجد قيل : إنه محمد بن سلطان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٢ ، ص ٤٨٩ ، وانظر : معناه في التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٨٧ .

[٣] انظر : رسالة لبعض علماء نجد قيل : إنه محمد بن سلطان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٢ ، ص ٤٨٧ .

[٤] سورة الجن الآية : ١٨ .

[٥] انظر : مصباح الظلام ، ص ٢٥٣ ، ورسالة للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٤٣ .

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

العاشرة : أن الداعي لغير الله لا تقبل منه الجزية كما تقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ كفراً . وكل درجة من هذه الدرجات إذا عملت بها تخلف عنك بعض من كان معك " [١] .

وتارة يقع مع النهي الوعيد [٢] .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ ﴾ [٣] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في شرحه لهذه الآية : " والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : " فتبين بهذه الآية ونحوها أن دعوة غير الله شرك ، وكفر وضلال " [٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [٦] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على هذه الآية : " فانظر إلى هذا الوعيد الشديد المترتب على دعوة غير الله ، وخاطب به نبيه ﷺ ليكون أبلغ للتحذير " [٧] .

---

(١) الرسالة العاشرة ، مسائل مستنبطة من قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد ، ج١ ، ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٢) انظر : رسالة لبعض علماء نجد قيل : إنه محمد بن سلطان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٢ ، ص ٤٨٧ .

(٣) سورة يونس الآيتين : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣٧ .

(٥) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢١٢ ، وانظر : ما استنبطه الإمام محمد بن عبدالوهاب من هذه الآية ، الرسالة الحادية عشرة ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد ، ج١ ، ص ٣٩٠ - ٣٩٢ .

(٦) سورة الشعراء الآية : ٢٣ .

(٧) رسالة بعثها الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف إلى عبدالخالق الحفظي ، الرسالة السابعة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٨٢ .

" فإذا كان إمام الحنفاء وأعظمهم توحيداً - وهو معصوم - لو يدع من دون الله أحداً لكان من الظالمين ، ومن المعذبين " [١] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على هذه الآية : " فما أوضحها من آية في بيان أن جلّ شرك المشركين إنما هو بدعاء من أشركوا مع الله في العبادة " [٣] .

وتارة يقع الإخبار بأن المدعو إله [٤] ، كما قال تعالى : ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى إخباراً عن أهل الكهف : ﴿ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ [٦] .

استنبط الإمام محمد من هذه الآية مسألة كبرى فقال : " المسألة الكبرى أن من ذبح لغير الله أو دعا غيره فقد كذب بقول لا إله إلا الله ، وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربين " [٧] .

٣ - يقع في الخطاب بمعنى الإنكار على الداعي [٨] ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٩] .

---

[١] رسالة لبعض علماء نجد قيل : إنه محمد بن سلطان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٢ ، ص ٤٨٧ .

[٢] سورة الأنعام الآية : ٥٦ .

[٣] كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس ، ص ١٤٩ .

[٤] انظر : رسالة لبعض علماء نجد قيل : إنه محمد بن سلطان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٢ ، ص ٤٨٧ .

[٥] سورة القصص الآية : ٨٨ .

[٦] سورة الكهف الآية : ١٤ .

[٧] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٢٤٣ .

[٨] انظر : رسالة لبعض علماء نجد قيل : إنه محمد بن سلطان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٢ ، ص ٤٨٨ .

[٩] سورة الأنعام الآية : ٧١ .

وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على هذه الآية : " فأنكر تعالى على من صرف شيئاً من الدعوة لغيره ، وأنه يكون بذلك كافراً ، وهو نصّ في دعاء المسألة بدليل قوله : ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ ... " [٤] .

وقال : " وهذه الآية وأمثالها تقطع شبهة كل من دعا غير الله ، من ميت أو غائب " [٥] .

٤ - آيات تدل على أن الدعاء هو العبادة ، وأن صرفه لغير الله شرك .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [٦] .

وفي الآيتين مسائل نبه عليها الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله :

" إحداها : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .

الثانية : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .

---

[١] سورة الأعراف الآيات : ١٩٤ - ١٩٧ .

[٢] سورة الحج الآية : ٧٣ .

[٣] سورة الرعد الآية : ١٤ .

[٤] كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس ، ص ١٤٨ .

[٥] المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

[٦] سورة الأحقاف الآيتين : ٥ - ٦ .

الثالثة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الرابعة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الخامسة : كفر المدعو بتلك العبادة .

السادسة : أن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس " [١] .

قال الشيخ حمد بن معمر على هذه الآية : " أخبر سبحانه أنه لا أضل من هذا الداعي ، وأن المدعو لا يستجيب له ، وأن ذلك عبادة سيكفر بها المعبود يوم القيامة " [٢] . فبين سبحانه في هذه الآية أن الدعاء عبادة [٣] .

وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [٥] . وهذه الآية نص في أن دعاء غير الله شرك . حيث سمى الله ذلك شركاً .

يقول الشيخ حمد بن معمر رحمه الله : " فدلت الآية الكريمة على أن أعظم شركهم إنما هو دعاء غير الله .

فأخبر أنهم لا يملكون من قطمير ، وهو القشر الذي يكون على ظهر النواة ، أي ليس لهم من الأمر شيء وإن قل .

ثم أخبر أنهم لا يسمعون دعاءهم ، وأنهم لو سمعوا ما استجابوا لهم . وهذا

---

[١] كتاب التوحيد ، ص ٥٨ .

[٢] النبذة الشريفه النفيسه ، ص ٤٧ .

[٣] انظر : النبذة الشريفة ، ص ٢٧ .

[٤] سورة مريم الآيتين : ٤٨ - ٤٩ .

[٥] سورة فاطر الآيتين : ١٣ - ١٤ .

صريح في دعاء المسألة ، ثم أخبر أن هذا شرك يكفرون به يوم القيامة . فقال : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ "[١] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " وهذا نص صريح على أن من دعا غير الله فقد أشرك بشرطه ، وأن المدعوين يكفرون به يوم القيامة ، ويتبرؤون منهم ... "[٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في شرحه لهذه الآية : " وقوله : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ فتبين بهذا أن دعوة غير الله شرك "[٣] وقال أيضاً : " أخبر أن ذلك الدعاء شرك به ، وأنه لا يغفره لمن لقيه به "[٤] .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله : " وهذه الآية نص في أن دعاء غير الله شرك ، لقوله : ﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ "[٥] .

٥ - يقع بالأمر بصيغة النهي والإنكار[٦]: " وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[٧] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " فمن كان هذا حاله فكيف يدعى من دون الله "[٨] .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾

---

[١] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٣٣ - ٣٤ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٥٢ .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٢٨ .

[٤] قرة عيون الموحدين ، ص ٩٥ .

[٥] إبطال التنديد ، ص ٧٩ .

[٦] انظر : رسالة لبعض علماء نجد قيل : إنه محمد بن سلطان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٢ ، ص .

[٧] سورة سبأ الآيتين : ٢٢ - ٢٣ .

[٨] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٥٢ ، وسيأتي مزيد من الكلام على هذه الآية الكريمة في مبحث دعوى الشفاعة ، ص ٦٣٩ .

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [١] .

قال الإمام محمد رحمه الله تعالى في تعليقه على هذه الآية : " بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين . ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر " [٢] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في شرحه لهذه الآية : " إن دعاء الصالحين لكشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر " [٣] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : " وفي هذه الآية ردٌّ على من يدعو صالحاً ، ويقول : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، الشرك عبادة الأصنام " [٤] .

وقال : " وتبين بهذه الآية أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم ، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الإخلاص ... " [٥] .

٦ - وتارة يسمى الله سبحانه وتعالى الدعاء ديناً ويأمر بإخلاصه له .

يقول الشيخ حمد بن معمر : " وقد سمى الله سبحانه الدعاء ديناً في غير موضع من كتابه ، وأمرنا أن نخلصه له ، وأخبر أن المشركين يخلصون له في الشدائد فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [٦] . وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [٧] وقال تعالى

(١) سورة الإسراء الآيتين : ٥٦ - ٥٧ .

(٢) كتاب التوحيد ، ص ٣٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٣ .

(٤) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٠٨ .

(٥) قرة عيون الموحدين ، ص ٥٦ .

(٦) سورة لقمان الآية : ٣٢ .

(٧) سورة يونس الآية : ٢٢ .

: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[١] فأخبر سبحانه أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له ، مخلصين في تلك الحال ، لا يستغيثون بغيره فيها ، فلما نجاهم من تلك الشدة إذا هم يشركون في دعائهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ [٢] أي : أنه سبحانه لما نجاكم إلى البر أعرضتم أي : نسيتم ما عرفتم من توحيده ، وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له . وقال تعالى ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [٤] فالدعاء من أفضل العبادات وأجل الطاعات . ولهذا أخبر أنه الدين ، فذكره معرفاً بالألف واللام . وأخبر أن المشركين يخلصون له في الشدائد ، وأنهم في الرخاء يشركون معه غيره ، فيدعون من لا ينفعهم ولا يضرهم ، ولا يسمع دعاءهم ، فصاروا بذلك كافرين " [٥] " ... والمراد بالدين في هذه الآيات الدعاء عند جميع المفسرين ، فلما سمى الله سبحانه الدعاء ديناً ، وأمر بإخلاص الدين له وضد الإخلاص الشرك ، ومن جملة الدين الدعاء ، فمن جعل شيئاً من الدين لغير الله فقد أشرك ... " [٦] .

٧ - آيات فيها التصريح بكفر من دعا غير الله .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [٧] .

---

[١] سورة العنكبوت الآية : ٦٥ .

[٢] سورة الإسراء الآية : ٦٧ .

[٣] سورة غافر الآية : ١٤ .

[٤] سورة غافر الآية : ٦٥ .

[٥] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٢٧ - ٢٩ ، وانظر : هذا المعنى في تأسيس التقديس ، ص ٧٨ ، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠٢ .

[٦] تأسيس التقديس ، ص ٧٨ .

[٧] سورة الزمر الآية : ٨ .

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله معلقاً على هذه الآية : " فصرح بكفره ، وأمر نبيه أن يقول لمن هذه حاله : تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [1] " [2] .

٨ - آيات تبين عجز المدعوين من دون الله .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ [3] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن على هذه الآية : " فبين تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله ، وأن من دعاه فقد أشرك مع الله غيره في الإلهية ... " [4] .

٩ - وتارة يقع الإخبار عن تفرده بإجابة دعوة المضطر .

قال الله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [5] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله مبيناً وجه الدلالة من الآية الكريمة : " فتبين أن من اعتقد في غير الله أنه يكشف السوء أو يجيب دعوة المضطر ، أو دعاه لذلك فقد أشرك شركاً أكبر من شرك العرب كما هو الواقع من عباد القبور " [6] .

وبالجملة فأدلة تحريم دعاء غير الله كثيرة لا يمكن حصرها ولا استقصاؤها .

---

[1] سورة المؤمنون الآية : ١١٧ .

[2] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٣٢ - ٣٣ .

[3] سورة النحل الآيات : ٢٠ - ٢٢ .

[4] المحجة ، ص ٣٣ ، وانظر : الكلام حول هذه الآية في مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٢٠٥ .

[5] سورة النمل الآية : ٦٢ .

[6] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤١ .

ب - الأدلة من السنة المشرفة :

أورد علماء نجد رحمهم الله تعالى نصوصًا من السنة النبوية صريحة في كفر من دعا غير الله ، وجعل لله نداً من خلقه يدعوه كما يدعو الله ، ويرجوه كما يرجو الله . فمن ذلك :

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار »[١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لهذا الحديث : " من مات وهو يدعو لله نداً ، أي : يجعل لله نداً فيما يختص به تعالى ويستحقه من الربوبية والإلهية دخل النار ، لأنه مشرك ... "[٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " والند المثل والشبيه ، فمن دعا ميتاً أو غائباً وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورهبة منه ، سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ... "[٣] .

وقال في موضع آخر : " وفيه بيان أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي ... "[٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " واعلم أن دعاء الند على قسمين : أكبر وأصغر ، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وهو الشرك الأكبر .

والأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل ما شاء الله وشئت ، ونحو ذلك ، فقد ثبت

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٩٢٧ ، رقم ٤٤٩٧ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ ، وص ١٤٠٥ ، رقم ٦٦٨٣ ، كتاب الإيمان والنذور ، باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم ، فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٢٠ .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ٤٦ .

[٤] فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٨٠ .

أن النبي ﷺ لما قال له رجل : ما شاء الله وشئت . قال : « أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده » [١] " [٢] .

٢ - وفي الصحيحين أنه ﷺ سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » [٣] .

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله : " والند المثل قال الله تعالى : ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] وقال تعالى عن أهل النار : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٥] .

ومعلوم أنهم ما ساووهم به في الخلق والرزق ، والإحياء والإماته ، وإنما ساووهم به في الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والمحبة ، والتعظيم ، والإجلال " [٦] .

٣ - عن أنس أن النبي ﷺ قال : « الدعاء مخ العبادة » [٧] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : على هذا الحديث : " ومخ الشيء خالصه ولبه " [٨] .

---

[١] سبق تخريجه ، ص ٣٩٢ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٢٠ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٩٢٣ ، رقم ٤٤٧٧ ، كتاب التفسير ، باب قول الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ ، وص ١٢٧٧ ، رقم ٦٠٠١ ، كتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ، وص ١٤٢٩ ، رقم ٦٨١١ ، كتاب الحدود ، باب إثم الزناة ، وقول الله تعالى : ﴿ ولا يزنون ﴾ ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ ، وص ١٥٧٩ ، رقم ٧٥٢٠ ، كتاب التوحد ، باب قول الله ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ .

[٤] سورة البقرة الآية : ٢٢ .

[٥] سورة الشعراء الآيتين : ٩٧ ، ٩٨ .

[٦] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٣٢ .

[٧] أخرجه الترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٤٢٥ ، رقم ٣٣٧١ ، كتاب الدعوات ، باب ما جاء في فضل الدعاء ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة ، والطبراني في كتاب الدعاء ، رقم ٨ ، وله شاهد من حديث النعمان بن بشير ، كما سيأتي .

[٨] تحفة الطالب والجليس ، ص ١١٠ .

٤ - وعن النعمان بن بشير [(١)] قال قال رسول الله ﷺ : « الدعاء هو العبادة » [(٢)] ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [(٣)] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " والحصر يقتضي الاختصاص الادعائي ، والتمييز على سائر العبادات . قال بعض الشراح : هو كقوله : (الحج عرفة) [(٤)] أي : ركن العبادة الأعظم هو الدعاء [(٥)] .

ج - الإجماع :

أورد علماء نجد رحمهم الله تعالى إجماع المسلمين على كفر من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم .

وقد ذكر هذا الإجماع غير واحد من علماء نجد رحمهم الله تعالى .

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري ، الخزرجي ، الأمير العالم ، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه ، كان من أمراء معاوية ، ولاه الكوفة مدة ، ثم ولي قضاء دمشق ، ثم ولي إمرة حمص ، قتل في آخر سنة ٦٤هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ٦٠ ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٣١٠ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٤١١ ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ٤٤٧ ، تقريب التهذيب ، ص ١٠٠٤ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ ، وأبوداود في سننه ، ج٢ ، ص ١٦١ ، رقم ١٤٧٩ ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، والترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ١٩٤ ، رقم ٢٩٦٩ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة البقرة . وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وج٥ ، ص ٣٤٩ ، رقم ٣٢٤٧ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة المؤمن ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وج٥ ، ص ٤٢٦ ، رقم ٣٣٧٢ ، كتاب الدعوات ، باب ماجاء في فضل الدعاء وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٢٥٨ ، رقم ٣٨٢٨ ، كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء ، والبخاري في الأدب المفرد ، ص ٢٤٩ ، رقم ٧١٤ ، وابن حبان في صحيحه ، " الموارد " ، ج٢ ، ص ١٠٨١ ، رقم ٢٣٩٦ ، والبغوي في شرح السنة ، ج٥ ، ص ١٨٤ .

(٣) سورة غافر الآية : ٦٠ .

(٤) أخرجه أبوداود في سننه ، ج٢ ، ص ٤٨٥ ، رقم ١٩٤٩ ، كتاب الحج ، باب من لم يدرك عرفة ، والترمذي في سننه ، ج٣ ، ص ٢٣٧ ، رقم ٨٨٩ ، كتاب الحج ، باب ما جاء فيمَن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج ، قال الترمذي : " قال ابن أبي عمر : قال سفيان بن عيينةَ : وهذا أجود حديث رواه سفيان الثوري " ، والنسائي في سننه ، ج٥ ، ص ٢٦٤ ، كتاب المناسك ، باب من لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٠٠٣ ، رقم ٣٠١٥ ، كتاب المناسك ، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ، قال ابن ماجة : " قال محمد بن يحيى : ما أرى للثوري حديثاً أشرف منه " جميعهم عن بكير بن عطاء عن عبدالرحمن بن يعمر .

(٥) تحفة الطالب والجليس ، ص ١٠٩ ، وانظر : معناه في النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٢٠ .

يقول الإمام محمد رحمه الله في رسالة نواقض الإسلام : " الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً " [١] .

وقال أبناء الإمام محمد ، وحمد بن ناصر : " اتفق العلماء كلهم ، على أن من جعل بينه وبين الله وسائط ، يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم ، فقد كفر " [٢] .

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية : " قال الشيخ تقي الدين رحمه الله : فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنوب ، وهداية القلوب وتفريج الكربات ، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين " [٣] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله : " قال شيخ الإسلام : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم ، كفر إجماعاً " .

وأوضح رحمه الله أن هذا الإجماع : " نقله عنه غير واحد مقررين له ، منهم ابن مفلح في الفروع [٤] ، وصاحب الإنصاف [٥] وصاحب الغاية ، وصاحب الإقناع [٦] ، وشارحه وغيرهم .

وبيَّن رحمه الله أنه : " إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين ، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد ، على أن من أشرك بالله فهو كافر ، أي : من عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات . وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن دعاء الله عبادة ، فيكون صرفه لغير الله شركاً " [٧] .

---

[١] الرسالة التاسعة ، نواقض الإسلام ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٨٥ .

[٢] جواب لأبناء الإمام محمد وحمد بن ناصر ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ١٩٦ .

[٣] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٤١ ، والفواكه العذاب ، ص ٤٢ ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة الواسطة بين الحق والخلق ، ص ١٣ .

[٤] الفروع لابن مفلح ، ج٦ ، ص ١٦٥ .

[٥] الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، ج١٠ ، ص ٣٢٧ .

[٦] الإقناع لطالب الانتفاع ، ج٤ ، ص ٢٩٧ .

[٧] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٢٩ .

د - كلام العلماء في حكم من دعا غير الله تعالى :

ذكر علماء نجد رحمهم الله تعالى شيئاً من كلام العلماء في ذلك " وإن كنا غنيين بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ عن كل كلام ، إلا أنه قد صار بعض الناس منتسباً إلى طائفة معينة ، فلو أتيته بكل آية من كتاب الله وكل سنة عن رسول الله ﷺ لم يقبل حتى تأتيه بشيء من كلام العلماء ، أو بشيء من كلام طائفته التي ينتسب إليها " [١] .

ومن هذه الأقوال التي ذكرها علماء نجد ما يلي :

١ - قال الإمام أبو الوفاء بن عقيل : " لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالجوائج ، وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا ، وإلقاء الخرق على الشجر ، اقتداء بمن عبد اللات والعزى " [٢] نقل هذا النص من علماء نجد الإمام محمد [٣] والشيخ حمد بن معمر [٤] والشيخ سليمان بن عبدالله [٥] والشيخ عبدالله بن محمد [٦] والشيخ عبدالله أبابطين [٧] والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [٨] .

٢ - وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فكل من غلا في نبي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلهية ، مثل أن يقول : يا سيدي فلان انصرني ، أو أغثني أو ارزقني ، أو اجبرني ، أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

[٢] إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ١٩٥ .

[٣] كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ، ص ٣٤ .

[٤] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٥٥ ، والفواكه العذاب ، ص ٤٢ - ٤٣ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٢٨ .

[٦] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٢ .

[٧] تأسيس التقديس ، ص ٧٥ .

[٨] البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية ، ص ٥٤ .

صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل " [١] .

أورد هذا النص من علماء نجد الإمام محمد [٢] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٣] ، والشيخ عبدالله بن محمد [٤] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٥] .

٣ - وقال أيضاً شيخ الإسلام : " من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر إجماعاً " [٦] .

أورد هذا النص من علماء نجد الإمام محمد [٧] ، والشيخ حمد بن معمر [٨] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٩] ، والشيخ عبدالله بن محمد [١٠] ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن [١١] ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [١٢] .

٤ - وقال ابن القيم رحمه الله : " ومن أنواعه - أي الشرك - طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم . وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى

---

[١] الوصية الكبرى ضمن مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ، ج٣ ، ص ٣٩٥ .

[٢] كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ، ص ٢٠ - ٢١ ومؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، الرسائل الشخصية ، ج٥ ، ص ٦٧ ، ١٧٧ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٢٨ .

[٤] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٢ .

[٥] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

[٦] انظر : الواسطة بين الحق والخلق ، ص ١٣ .

[٧] رسالة للإمام محمد ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، الرسائل الشخصية ، ج٥ ، ص ١٧٧ .

[٨] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٣٩ ، والفواكه العذاب ، ص ٤٢

[٩] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٢٩ .

[١٠] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٤٩ .

[١١] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

[١٢] البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية ، ص ٥٤ .

الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده " [١] .

أورد هذا النص الإمام محمد [٢] والشيخ سليمان بن عبدالله [٣] والشيخ عبدالله بن محمد [٤] والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٥] .

٥ - وقال الحافظ محمد بن عبدالهادي [٦] في رده على السبكي [٧] في قوله : إن المبالغة في تعظيمه - أي الرسول ﷺ - واجبة : " إن أريد بها المبالغة بحسب ما يراه كلُّ أحد تعظيماً ، حتى الحج إلى قبره ، والسجود له والطواف به ، واعتقاد أنه يعلم الغيب ، وأنه يعطي ويمنع ، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع ، وأنه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج كربات المكروبين ، وأنه يشفع فيمن شاء ، ويدخل الجنة من يشاء .

فدعوى وجوب المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك ، وانسلاخ من جملة الدين " [٨] .

وقد أورد هذا النص الشيخ سليمان بن عبدالله [٩] والشيخ عبدالرحمن بن حسن [١٠]

---

[١] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج١ ، ص ٣٥٣ .

[٢] كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ، ص ٢٧ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣٠ .

[٤] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ١٦ .

[٥] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٥ ، والقول الفصل النفيس ، ص ٤٨ .

[٦] محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد بن عبدالهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي ، أبوعبدالله ، شمس الدين ، المقريء ، الفقيه ، المحدث ، الحافظ ، الناقد ، النحوي ، المتقن ، لازم شيخ الإسلام ابن تيمية مدة ، صنف مصنفات كثيرة ، منها : الصارم المنكي في الرد على السبكي ، توفى سنة ٧٤٤ هـ .
انظر في ترجمته : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص ٤٣٦ ، شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ١٤١ ، الأعلام ، ج٥ ، ص ٣٢٦ .

[٧] عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي ، مؤرخ أصولي ، انتهت إليه رياسة القضاء في الشام ، وهو من تلاميذ الذهبي ، وأحد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو أشعري المذهب ، من مصنفاته : طبقات الشافعية ، توفي سنة ٧٧١هـ .
انظر في ترجمته : الدرر الكامنة ، ج٢ ، ص ٢٥٨ ، الأعلام ، ج٤ ، ص ١٨٤ .

[٨] الصارم المنكي في الرد على السبكي ، ص ٣٤٦ .

[٩] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣١ .

[١٠] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، والقول الفصل النفيس ، ص ٤٨ .

والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [١] .

٦ - وفي " الفتاوى البزازية " [٢] - من كتب الحنفية - " قال علماؤنا : " من قال : أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر " [٣] وقد أورد هذا النص الشيخ سليمان بن عبدالله [٤] والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٥] والشيخ عبداللطيف [٦] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله معلقاً على هذا النص : " فإن أراد بالعلماء علماء الشريعة فهو حكاية للإجماع على كفر معتقد ذلك ، وإن أراد علماء الحنفيةخاصة فهو حكاية لاتفاقهم على كفر معتقد ذلك ، وعلى التقديرين تأمله تجده صريحاً في كفر من دعا أهل القبور ، لأنه ما دعاهم حتى اعتقد أنهم يعلمون ذلك ، ويقدرون على إجابة سؤاله ، وقضاء مأموله " [٧] .

٧ - وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي [٨] في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة : " هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدّعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات ...

قال : وهذا كلامٌ فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السَّرمدي ، لما

---

(١) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية ، ص ٥٤ .

(٢) نسبة إلى البزازي . وقد تقدمت ترجمته ، ص ١٧٨ .

(٣) الفتاوى البزازية ، ج٣ ، ص ٣٢٦ ، بهامش الفتاوى الهندية الجزء السادس .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣١ .

(٥) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٦ ، والقول الفصل النفيس ، ص ٤٨ .

(٦) البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية ، ص ٥٦ .

(٧) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣٢ .

(٨) صنع الله بن صنع الله الحلبي ، المكي ، الحنفي ، واعظ ، فقيه ، محدث ، أديب ، له مؤلفات منها : أرجوزة في الحديث ، وسيف الله على من كذب على أولياء الله ، وأكسير التقى في شرح الملتقى ، توفي سنة ١١٢٠هـ ،
انظر في ترجمته : معجم المؤلفين ، ج١ ، ص ٨٤٣ .

فيه من روائح الشرك المحقق ، ومُصادرة الكتاب العزيز المُصدَّق ، ومخالفةٍ لعقائد الأئمة ، وما اجتمعت عليه الأمة ... " [١] ثم فند رحمه الله هذه الدعوى .

وقد أورد هذا النص الشيخ سليمان بن عبدالله [٢] والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٣] والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [٤] .

---

[١] سيف الله على من كذب على أولياء الله

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٣٢ .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، والقول الفصل النفيس ، ص ٤٨ - ٤٩ .

[٤] البراهين الإسلامية في رد الشهبة الفارسية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

المطلب الرابع

السحر والكهانة والنشرة

أولاً : السحر :

تحدث علماء الدعوة عن السحر ، وكان حديثهم عنه على النحو التالي :

تعريفه :

السحر في اللغة : ما خفي ولطف سببه .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في هذا : " السحر في اللغة : عبارة عما خفي ولطف سببه ، ولهذا جاء في الحديث « إن من البيان لسحراً » [١] وسمي السَّحَرُ سَحراً ؛ لأنه يقع خفياً آخر الليل " [٢] .

السحر في الاصطلاح :

نقل الشيخ سليمان بن عبدالله تعريف السحر عن أبي محمد المقدسي فقال : " قال أبومحمد المقدسي في (الكافي) : السحر : عزائم ورقى وعُقد يؤثر في الأبدان ، والقلوب ، فيمرض ، ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه " [٣] .

أنواع السحر :

بيَّن علماء الدعوة أن السحر كما دلّت نصوص القرآن والسنة نوعان : حقيقي ، وتخييلي :

النوع الأول : سحر حقيقي : يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه ، لا كما يزعمه المعتزلة وغيرهم أنه لا تأثير

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١١١٧ ، رقم ٥١٤٦ ، في كتاب النكاح ، باب الخطبة ، من حديث ابن عمر رضي الله عنه ، ومسلم في صحيحه ، ج٢ ، ص ٥٩٤ ، رقم ٨٦٩ ، في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة من حديث عمار بن ياسر .

[٢] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٦٣ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٢ ، وانظر كلام أبي محمد المقدسي في كتابه " الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل " ج٤ ، ص ١٦٤ ، وقد نقل هذا التعريف أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٦٣ ، ونقله أيضاً في قرة عيون الموحدين ، ص ١٣٦ ، ونقله الشيخ حمد بن عتيق في إبطال التنديد ، ص ١٢٣ .

للسحر ، لا في قتل ولا مرض ولا حل ولا عقد، وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك [١] .

وقد استدل علماء الدعوة على أن السحر له حقيقة بأدلة منها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [٢] .

٢ - وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [٣] .

قال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب : " وقد دل قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ على تأثير السحر ، وأن له حقيقةً " [٤] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله نقلاً عن ابن قدامة المقدسي : " ولولا أن للسحر حقيقةً ، لم يأمر بالاستعاذة منه " [٥] .

٣ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق . يقال له : لبيد بن الأعصم . قالت : حتى كان رسول الله ﷺ يخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ، حتى إذا كان ذات يوم ، أو ذات ليلة ، دعا رسول الله ﷺ . ثم دعا . ثم دعا . ثم قال : « يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي . فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي ، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة . قال : وجب طلعة ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذي أروان » [٦] .

النوع الثاني : سحر تخييلي ، بأن يعمل الساحر أشياء يخيل إلى الناس أن لها

---

[١] انظر : تفسير سورة الفلق ، ص ٢١ ، ٢٢ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

[٢] سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

[٣] سورة الفلق الآيات : ١ - ٤ .

[٤] تفسير سورة الفلق ، ص ٢١ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٢ ، وكلام ابن قدامة في الكافي ، ج٤ ، ص ١٦٤ .

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧١٩ ، رقم ٢١٨٩ ، كتاب السلام ، باب السحر ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

حقيقة في الواقع ، وليست كذلك ، وإنما هي شيء تخييلي لأعين الناظرين ، وذلك بسبب التعاون مع الجن .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله مشيراً إلى ذلك : " وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له ، وهذا ليس بصحيح على إطلاقه ، بل منه ما هو تخييل ، ومنه ماله حقيقة كما يفهم مما تقدم " [١] .

حكم السحر والساحر :

حذر علماء نجد رحمهم الله من السحر ، وقرروا أنه حرام ، بل محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام . وقرروا كفر من فعله أو رضي به .

ولهذا عدّه الإمام محمد بن عبدالوهاب من نواقض الإسلام العشرة فقال : " السابع : السحر ، ومنه الصرف [٢] والعطف [٣] ، فمن فعله أو رضي به كفر " [٤] .

وقرر الشيخ سليمان بن عبدالله أن السحر من أنواع الشرك فقال : " السحر من أنواع الشرك إذا لا يتأتى السحر بدونه " [٥] .

وبيّن الشيخ حمد بن عتيق أن السحر كفر فقال : " إنه كفر مناف للإيمان والتوحيد " [٦] .

وقد وقع خلاف بين أهل العلم في الساحر هل يكفر أو لا ؟ وقد ساق الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى هذا الخلاف فقال : " واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا ؟ فذهب

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٣ .

[٢] الصرف : هو صرف الرجل عما يهواه ، كصرفه عن محبة زوجته إلى بغضها .

[٣] العطف : هو ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرق شيطانية .

[٤] الرسالة التاسعة ، نواقض الإسلام ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد ، ج١ ، ص ٣٨٦ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٢ ، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في كتابة القول السديد في مقاصد التوحيد ، ص ٩٤ - ٩٥ ، " والسحر يدخل في الشرك من جهتين : من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم ، وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه .
ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ، ودعوى مشاركة الله في علمه ، وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك ، وذلك من شعب الشرك والكفر " .

[٦] إبطال التنديد ، ص ١٢٣ .

طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد ، قال أصحابه : إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر .

وقيل : لا يكفر إلا أن يكون في سحره شرك فيكفر ، وهذا قول الشافعي وجماعته . قال الشافعي رحمه الله : إذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر ، مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر " [١] .

ثم حقق الشيخ سليمان الخلاف في المسألة فقال : " وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف ، فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب ، ولهذا سماه الله كفراً في قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ ﴾ [٢] .

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر ، وإن سمي سحراً فعلى سبيل المجاز ، كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً ، ولكنه يكون حراماً لمضرته ، يعزر من يفعله تعزيراً بليغاً " [٣] .

الأدلة :

أورد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد ، تحت باب ما جاء في السحر ، الأدلة على تحريم السحر ، وأنه نوع من أنواع الشرك ، وأنه كفر مناف للإيمان والتوحيد ، وأن الساحر كافر ، وهذه الأدلة هي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ [٤] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآية : " أي : ولقد علم اليهود والذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله ، ﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ أي

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٤ .

[٢] سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٤ ، وانظر : هذه الأقوال في تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

[٤] سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

: استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله ومتابعة رسله ، ﴿ ما لهُ في الآخرة منْ خلاقٍ ﴾ قال ابن عباس : من نصيب . قال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة . وقال الحسن : ليس له دين " [١] .

وجه الدلالة : يقول الشيخ سليمان بن عبدالله مبيناً وجه الدلالة من الآية : " فدلت الآية على تحريم السحر وهو كذلك ، بل هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام كما قال تعالى : ﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [٢] واستدل بها بعضهم على كفر الساحر لعموم قوله : ﴿ لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ [٣] يدل عليه قوله : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [٤] وقد نص أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه .

وروى عبدالرزاق [٥] عن صفوان بن سليم [٦] قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله » [٧] " [٨] .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [٩] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٣ ، وانظر : هذه الأقوال في تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ١٤٣، ١٤٤ .

[٢] سورة طه الآية : ٧٠ .

[٣] سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

[٤] سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

[٥] عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني ، الحميري ، مولاهم ، أبوبكر ، ثقة ، حافظ مصنف شهير ، روى عنه أئمة الإسلام في ذلك العصر منهم سفيان بن عيينه وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، توفي سنة ٢٢١هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢١٦ ، سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص ٥٦٣ ، تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص ٣١٠ .

[٦] صفوان بن سليم المدني القرشي الزهري مولاهم ، أبوعبدالله ، وقيل : أبوالحارث ، الفقيه ، القدوة ، توفي سنة ١٣٢هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص ٣٦٤ ، تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص ٤٢٥ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٨٩ .

[٧] أخرجه عبدالرزاق في المصنف ، ج١٠ ، ص ١٨٤ ، قال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٣ " هذا مرسل " .

[٨] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٣ .

[٩] سورة النساء الآية : ٥١ .

قال عمر بن الخطاب : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان [١] .

وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد [٢] .
والاستدلال بهذه الآية من وجهين :

الأول : أن السحر من الجبت ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " ووجه إيرادها هنا ظاهر ، لأن السحر من الجبت ، كما قال عمر بن الخطاب " [٣] .

الثاني : أن الساحر طاغوت من الطواغيت ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " ومطابقة هذا للترجمة ظاهرة من جهة أن الساحر طاغوت من الطواغيت ، إذ كان هذا الاسم يطلق على الكاهن فالساحر أولى ، لأنه أشر وأخبث " [٤] .

٣ - عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » [٥] .

الشاهد من هذا الحديث قوله : " والسحر " [٦] .

---

[١] ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً ، ص ٩٤٩ ، ووصله عبد بن حميد في تفسيره ومسدد في مسنده ، وعبدالرحمن بن رسته في كتاب الإيمان كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي ، كما في فتح الباري ، ج٨ ، ص ١٠٠ .

[٢] ذكره البخاري في صحيحه معلقاً ، ص ٩٤٩ ، ووصله ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه كما في فتح الباري ، ج٨ ، ص ١٠٠ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٥ .

[٤] المصدر السابق ، ص ٣٨٦ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٥٦٢ ، رقم ٢٧٦٦ ، كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ ، وص ١٢٣٧ ، رقم ٥٧٦٤ ، كتاب الطب ، باب الشرك والسحر من الموبقات ، وص ١٤٣٩ ، رقم ٦٨٥٧ ، كتاب الحدود ، باب رمي المحصنات ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٩٢ ، رقم ٨٩ ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٨٨ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٧٠ ، وإبطال التنديد ، ص ١٢٥ .

وجه الدلالة : أن السحر من السبع الموبقات المخصوصات بالنهي [١] .

عقوبة الساحر :

اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذه المسألة على قولين ، وقد حكى هذا الخلاف علماء الدعوة ، واختاروا القول الذي تعضده الأدلة ، والخلاف على النحو التالي :

القول الأول : عقوبة الساحر القتل روي ذلك عن عمر ، وعثمان ، وابن عمر ، وحفصة ، وجندب بن عبدالله ، وجندب بن كعب [٢] ، وقيس بن سعد [٣] ، وعمر بن عبدالعزيز ، وهو قول أبي حنيفة ، ومالك ، ورواية عن أحمد [٤] .

واستدلوا بما يلي :

١ - عن جندب مرفوعاً : « حَدّ الساحر ضربة بالسيف » [٥] .

٢ - عن بجالة بن عبدة [٦] قال : كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة [٧] .

---

[١] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٠٠ .

[٢] جندب بن كعب بن عبدالله الأزدي الغامدي ، أبوعبدالله ، يقال له : جندب الخير ، صحابي ، وهو قاتل الساحر ، قال أبوعبيد : قتل بصفين .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج١ ، ص ٥٦٨ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ١٧٥ ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ١١٨ ، تقريب التهذيب ، ص ٢٠٤ .

[٣] قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، أبوعبدالله ويقال : أبوعبدالملك ، صحابي جليل ، كان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، توفي سنة ٦٠ تقريباً .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٣٥٠ ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٤٠٤ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ١٠٢ ، تهذيب التهذيب ، ج٨ ، ص ٣٩٥ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩١ ، وانظر : هذا الكلام في المغني ، ج ١٢ ، ص ٣٠٢ .

[٥] أخرجه الترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٤٩ ، رقم ١٤٦٠ ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في حد الساحر . قال الترمذي : " هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث ، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري ، قال وكيع هو ثقة ، ويروى عن الحسن أيضاً ، والصحيح عن جندب موقوف " والطبراني في الكبير ، ج٢ ، ص ١٦١ ، رقم ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ .

[٦] بجاله بن عبدة التميمي العنبري البصري ، كاتب جزء بن معاوية ، ثقة ،
انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ٤١٧ ، وتقريب التهذيب ، ص ١٦٣ .

[٧] أخرجه أحمد في مسنده ، ج١ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، وأبوداود في سننه ، ج٣ ، ص ٤٣١ ، رقم ٣٠٤٣ ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في أخذ الجزية من المجوس .

قال : فقتلنا ثلاث سواحر .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وعمل به الناس في خلافته من غير نكير فكان إجماعاً " [١] .

وبين الشيخ سليمان أن هذا الأثر : " صريح في قتل الساحر والساحرة " [٢] .

٣ - وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها [٣] .

٤ - وكذا صح عن جندب بن كعب أنه قتل ساحراً كان يسحر بين يدي الوليد [٤] بن عقبة [٥] .

القول الثاني : أنه لا يقتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر ، وهذا رأي الشافعي ، وبه قال ابن المنذر [٦] ، وهو رواية عن أحمد [٧] .

وقد قرر علماء الدعوة القول الأول ، وبه قال الإمام محمد بن عبدالوهاب [٨] ،

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩١ ، وانظر هذا الكلام في المغني لابن قدامة ، ج١٢ ، ص ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ، ج٢ ، ص ٦٦٣ ، بلاغاً ، كتاب العقول ، باب ما جاء في الغيلة والسحر ، والبيهقي ، ج٨ ، ص ١٣٦ ، من حديث عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره عنها ، وصحح هذا الأثر الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، ص ١٠٠.

(٤) الوليد بن عقبه بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أميه القرشي الأموي أخو عثمان لأمه ، له صحبه ، ولي الكوفه لعثمان ، وعاش إلى خلافة معاوية .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ١١٤ ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٤٢٠ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٤١٢ ، تقريب التهذيب ، ص ١٠٤٠ .

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ، ج٢ ، ص ١٧٧ ، رقم ١٧٢٥ .

(٦) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، أبو بكر ، نزيل مكة ، مجتهد ، وله تصانيف كثيرة منها : " المبسوط " و" الإجماع " توفي بمكة سنة ٣٠٩هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٤ ، ص ٤٩٠ - ٤٩٢ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٨٠ ، الرسالة المستطرفة ، ص ٧٧ .

(٧) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩١ ، وانظر : هذا الكلام في المغني لابن قدامة ، ج١٢ ، ص ٣٠٢ .

(٨) انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٠١ .

واختاره الشيخ سليمان بن عبدالله [١] والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٢] ، وصححه الشيخ حمد بن عتيق [٣]، للأدلة السابقة ، وقد ذكرها الإمام محمد في كتاب التوحيد [٤] .

هل يستتاب الساحر ؟

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : أنه لا يستتاب ، وهو المشهور عن أحمد وبه قال مالك . لأن الصحابة لم يستتيبوهم ، ولأن علم السحر لا يزول بالتوبة .

القول الثاني : أنه يستتاب ، فإن تاب قبلت توبته وخلي سبيله ، وهو الرواية الثانية عن أحمد وبه قال الشافعي .

لأن ذنبه لا يزيد على الشرك ، والمشرك يستتاب ، وتقبل توبته ، فكذلك الساحر ، وعلمه بالسحر لا يمنع توبته بدليل ساحر أهل الكتاب إذا أسلم ، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم [٥] .

رأي أئمة الدعوة : أخذ الإمام محمد بالقول الأول فيرى أن الساحر يقتل ولا يستتاب قال رحمه الله عن هذه المسألة : " إنه يقتل ولا يستتاب " [٦] .

وصححه الشيخ سليمان بن عبدالله [٧] والشيخ حمد بن عتيق [٨] .

يقول الشيخ سليمان في بيان صحة القول الأول : " قلت : الأول أصح لظاهر عمل الصحابة ، فلو كانت الاستتابة واجبة لفعلوها أو بينوها ، وأما قياسه على المشرك فلا

---

[١] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩١ .

[٢] انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٣٧٤ .

[٣] انظر : إبطال التنديد ، ص ١٢٦ .

[٤] انظر : كتاب التوحيد ، ص ٩٧ - ١٠١ .

[٥] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩٢ ، وانظر : هذا الكلام في المغني لابن قدامة ، ج١٢ ، ص ٣٠٣ .

[٦] كتاب التوحيد ، ص ١٠١ .

[٧] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩٣ .

[٨] انظر : إبطال التنديد ، ص ١٢٦ .

يصح ، لأنه أكثر فساداً وتشويهاً من المشرك ، وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب ، لأن الإسلام يجب ما قبله .

وهذا الخلاف إنما هو في إسقاط الحدّ عنه بالتوبة ، أما فيما بينه وبين الله ، فإن كان صادقاً قبلت توبته " [١] .

ثانياً : الكهانة :

تحدث علماء الدعوة عن الكهانة وما يلحق بها ، وبينوا المراد بها ، وحكمها في الشرع ، كما بينوا حكم إتيان الكهان أو تصديقهم ، وأوردوا ما جاء في التحذير من ذلك من النصوص .

تعريف الكهانة :

تحدث الشيخ سليمان بن عبدالله عن ذلك بقوله : " الكهانة : ادعاء علم الغيب ، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب . والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة ، فتلقيه في أذن الكاهن " [٢] .

أما الكاهن فقد عرفه الإمام محمد بقوله :" الكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل .

وقيل : الذي يخبر عما في الضمير " [٣] .

وأوضح الشيخ سليمان بن عبدالله أن الكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب الحصى والمنجم [٤] .

وتحدث الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى عن حال الكهان فقال : " الكاهن : هو الذي يأخذ عن مسترق السمع ، وكانوا قبل المبعث كثيراً .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩٣ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠٦ .

[٣] كتاب التوحيد ، ص ١٠٨ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠٦ .

وأما بعد المبعث فإنهم قليل ، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب .

وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس ، عن الأشياء الغائبة ما يقع في الأرض من الأخبار ، فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة . وقد اغترَّ بذلك كثير من الناس ، يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن ولياً لله ، وهو من أولياء الشيطان ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جميعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قد استَكْثَرْتُم مِّنَ الإنس وقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإنس ربَنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا ببعْضٍ وبَلَغْنَا أَجلَنَا الَّذي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالدين فيهَا إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] " [2] .

ومما يلحق بالكاهن : العراف

يقول الإمام محمد رحمه الله : " قال البغوي : العَرّافُ : الذي يَدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك [3] .

وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل .

وقيل : الذي يخبر عما في الضمير [4] " .

وساق الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن طرفاً من كلام العلماء في معنى العراف فقالا واللفظ للثاني : " قال شيخ الإسلام : إنَّ العراف اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمَّال ونحوهم ، كالحازر الذي يدعي علم الغيب أو يدعي الكشف .

وقال أيضاً : والمنجم يدخل في اسم العراف وعند بعضهم هو في معناه .

وقال أيضاً : والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء وحكي ذلك عن العرب .

وعند آخرين : هو من جنس الكاهن ، وأسوأ حالاً منه ، فيلحق به من جهة المعنى [5] .

---

[1] سورة الأنعام ، الآية : ١٢٨ .

[2] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٨٧ ، وانظر : هذا المعنى في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠٥ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ١٤٥ .

[3] انظر : شرح السنة للإمام البغوي ، ج ١٢ ، ص ١٨٢ .

[4] كتاب التوحيد ، ص ١٠٨ .

[5] مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، ج٣٥ ، ص ١٧٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

وقال الإمام أحمد : **العراف** : طرف من السحر ، والساحر أخبث .

وقال أبو السعادات : **العراف** : المنجم ، والحازر الذي يدعي علم الغيب ، وقد استأثر الله تعالى به [١] .

وقال ابن القيم : " من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سمُّوه عائفاً ، وعرَّافاً " [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله معلقاً على هذه التعريفات بكلام جامع : " والمقصود من هذا معرفة أن من يدعي علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن ، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به " [٣] .

حكم الكهانة :

من المعلوم أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها ، أو صدّق من ادعى ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه ، وكذب الله ورسوله .

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية ، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به ، ومن جهة التقرب إلى غير الله [٤] .

ولهذا حذر علماء الدعوة من الكهانة والكهان ونحوهم كالعرافين والمنجمين والرمالين ، وحذروا من الإتيان إليهم ، أو تصديقهم ، وقرروا تحريمه .

وقرروا أن الكهانة كفر ، وأن الكاهن كافر لما تقدم .

وبينوا أيضاً كفر المصدق لهم بدعواهم علم الغيب ؛ لأنه يعتقد ذلك ويرضى به ، وذلك كفر .

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٣ ، ص ٢١٨ .

[٢] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٩٣ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٢ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٢ ، ونقله عنه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٩٤ .

[٤] انظر : القول السديد في مقاصد التوحيد ، ص ٩٧ - ٩٩ .

وقد عدّ الإمام محمد الكهانة من خصال الجاهلية [(١)] .

الأدلة :

أورد علماء الدعوة رحمهم الله ما جاء في أحكام الكهان ونحوهم من النصوص ، وما جاء في التحذير منهم ، ومن الإتيان إليهم ، أو تصديقهم .

وهذه النصوص هي :

١ - عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » [(٢)] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : " وظاهر الحديث أن هذا الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك في خبره ، لأن إتيان الكهان منهي عنه كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي [(٣)] قلت : يا رسول الله إن منا رجالاً يأتون الكهان قال : « فلا تأتهم » [(٤)] . ولأنه إذا شك في خبره ، فقد شك في أنه لا يعلم الغيب ، وذلك موجب للوعيد ، بل يجب عليه أن يقطع ويعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله " [(٥)] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قوله : (لم تقبل له صلاة) إذا كانت هذه حال السائل ، فكيف بالمسؤول ؟ قال النووي وغيره : معناه أنه لا ثواب له فيها ، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ولا بدّ من هذا التأويل في هذا الحديث ، فإن

---

(١) انظر : مسائل الجاهلية ، ص ٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧٥١ ، رقم ٢٢٣٠ ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، وإتيان الكهان ، من حديث صفية رضي الله عنها .

(٣) معاوية بن الحكم السلمي ، صحابي ، كان ينزل المدينة ، ويسكن في بني سليم .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج٥ ، ص ١٩٩ ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٤٦١ ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ٢٠٥ ، تقريب التهذيب ، ص ٩٥٤ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧٤٨ ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العرّاف إعادة صلاة أربعين ليلة . انتهى ملخصاً " [١] .

٢ - وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » [٢] .

٣ - وعن أبي هريرة مرفوعاً : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » [٣] .

قال الشيخ سليمان معلقاً على هذا الحديث : " وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان ، لاعتقاده أنه يعلم الغيب " [٤] .

ووضح رحمه الله تعالى أنه لا تعارض بين هذا الحديث وحديث : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » فإن الحديث الذي فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه ، والأحاديث التي فيها إطلاق الكفر مقيدة بتصديقه [٥] .

قال الشيخ حمد بن عتيق : " وهل الكفر في هذا كفر دون كفر أو يجب التوقف ؟ فلا يقال : ينقل عن الملة ؟ روايتان عن أحمد " [٦] .

قال الإمام محمد في المسائل : " الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر " [٧] .

---

[١] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٨٨ ، وكلام الإمام النووي في كتابه " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج١٤ ، ص ٤٧٨ باختصار .

[٢] أخرجه أحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٤٠٨ ، ٤٧٦ ، وأبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٢٢٥ ، رقم ٣٩٠٤ ، والترمذي في سننه ، ج١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، رقم ١٣٥ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٤٢٩ ، والحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص ٨ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠٩ .

[٥] انظر : المصدر السابق ، ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

[٦] إبطال التنديد ، ص ١٣٤ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٠ .

[٧] كتاب التوحيد ، ص ١٠٨ .

- ولأبي يعلى [(١)] بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً [(٢)] .
- روراه أيضاً البزار [(٣)] وإسناده على شرط مسلم ولفظه : « من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » [(٤)] .

قال الشيخ سليمان رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الأثر : " وفيه : دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما ، لأنهما يدعيان علم الغيب ، وذلك كفر ، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضاً " [(٥)] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في قرة عيون الموحدين : " وفي هذه الأحاديث التصريح بكفره " [(٦)] .

وفي هذه الأحاديث الشريفة النهي عن إتيان الكهنة والعرافين وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم والوعيد على ذلك .

وفيها كذلك دليلٌ على أن الكهانة والعرافة كفر، لأنه إذا كان هذا حكم من أتى الكاهن والعراف وصدقهما بما يقولانه فلأن يكون حكم الكاهن والعراف نفسهما من باب أولى .

---

(١) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ، أبويعلي ، صاحب المسند والمعجم ، محدث حافظ من أهل الصدق والأمانة ، كان كثير الرحلة في طلب العلم ، توفي سنة ٣٠٧هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٤ ، ص ١٧٤ - ١٨٢ ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ١٣٠ ، الرسالة المستطرفه ، ص ٧١ .

(٢) أخرجه أبويعلي في المسند ، رقم ٥٤٠٨ ، قال المنذري في الترغيب والترهيب ، ج٤ ، ص ٣٦ ، " رواه البزار وأبويعلي بإسناد جيد موقوفاً " .

(٣) أحمد بن عمرو البصري البزار ، أبوبكر ، الإمام الحافظ ، صاحب المسند الكبير ، ثقة ، ارتحل في الشيخوخة ناشراً لحديثه ، توفي سنة ٢٩٢هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٧ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٠٩ ، تقريب التهذيب ، ص ١٢٧٦ .

(٤) أخرجه البزار في المسند ، ج٢ ، ص ٤٤٣ ، رقم ٢٠٦٧ (كشف) ، والطبراني في الكبير ، ج١٠ ، ص ٧٦ ، رقم ١٠٠٠٥ ، قال ابن حجر في الفتح ، ج١٠ ، ص ٢٢٧ : " إسناده جيد " .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٠ .

(٦) قرة عيون الموحدين ، ص ١٤٦ .

٦ - عن عمران بن حصين [١] ، مرفوعاً : « ليس منا من تطير أو تُطير له ، أو تكهن أو تُكهن له ، أو سحر ، أو سُحر له . ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قوله : (ليس منا) فيه : وعيد شديد ، يدل على أن هذه الأمور من الكبائر ، وتقدم : أن الكهانة والسحر كفر .

قوله : (من تطير) أي فعل الطيرة ، (أو تُطير له) أي قَبِل قولَ المُتطيرِّ له وتابعه ، وكذا معنى (أو تكهن أو تكهن له) كالذي يأتي الكاهن ويصدِّقُه ويتابعه ، وكذلك من عمل الساحرُ له السحر .

فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد بريء منه رسول الله ﷺ ، لكونها إما شرك كالطيرة ، أو كفر كالكهانة والسحر . فمن رضي بذلك وتابع فهو كالفاعل ، لقبوله الباطل واتباعه " [٣] .

ثالثاً : النشرة :

تعريفها :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " قال أبو السعادات : النشرة ضرب من العلاج والرقية ، يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن ، سميت نشرة ، لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أي : يكشف ويزال .

وقال الحسن [٤] : النشرة من السحر [٥] ، وقد نشرت عنه تنشيراً ، ومنه الحديث :

---

[١] عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي ، أبو نجيد ، كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، أسلم عام خيبر ، وغزا مع النبي ﷺ غير مرة ، وكان مجاب الدعوة ، مات سنة ٥٢ هـ .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٢٦٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ٥٠٨ ، تهذيب التهذيب ، ج٨ ، ص ١٢٥ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٦٢ .

[٢] أخرجه البزار في المسند ، ج٣ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ، رقم ٣٠٤٤ (كشف) قال المنذري في الترغيب والترهيب ، ج٤ ، ص ٣٣ ، " إسناده جيد " ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص ١١٧ : " ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة " .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

[٤] المراد الحسن البصري

[٥] أخرجه الخطابي في معالم السنن ، ج٥ ، ص ٣٥٣ .

" فلعل طباً أصابه " ثم نشره بـ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [١] أي : رقاه [٢] .

وقال غيره : ونشره أيضاً إذا كتب له النشرة ، وهي كالتعويذ والرقية .

وقال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف لسحر [٣] " [٤] .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى : " قال ابن القيم : هي حل السحر عن المسحور " [٥] .

أنواع النشرة وحكمها :

بين علماء الدعوة رحمهم الله أنواع النشرة ، وحكم كل نوع ، وأوردوا الأدلة على ذلك . وسأوضح ذلك على النحو التالي :

النوع الأول : النشرة الممنوعة : وهي حل السحر عن المسحور بسحر مثله . وهذا محرم ، وهو الذي من عمل الشيطان ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور [٦] ، يقول الحسن البصري رحمه الله : « لا يحل السحر إلا ساحر » [٧] .

وقد أورد علماء الدعوة الأدلة التي تحرم هذا النوع من النشرة وهي :

١ - عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة ، فقال : « هي من عمل الشيطان » [٨] .

---

[١] سورة الناس ، الآية : ١ .

[٢] النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٥ ، ص ٥٤ .

[٣] غريب الحديث لابن الجوزي ، ج٢ ، ص ٤٠٨ ، ونقله ابن مفلح في الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٦٤ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٦ .

[٥] إبطال التنديد ، ص ١٣٥ ، وقول ابن القيم هذا في زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٤ ، ص ١٢٤ .

[٦] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١١٠ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٩ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٥٠٢ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ١٥٠ .

[٧] أخرجه ابن جرير الطبري في التهذيب كما في فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٢٣٣ ، وذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد كما في الآداب الشرعية لابن مفلح ، ج٣ ، ص ٦٤ .

[٨] أخرجه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ٩٤ ، وأبو داود في سننه ، ج٤ ، ص ٢٠١ ، رقم ٣٨٦٨ ، كتاب الطب ، باب في النشرة ، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٦٣ ، " إسناده جيد " .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله معلقاً على هذا الحديث :" قوله : سئل عن النشرة . الألف واللام في النشرة للعهد ، أي : النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها ، هي من عمل الشيطان ، لا النشرة بالرقى والتعوذات الشرعية ، والأدوية المباحة فإن ذلك جائز " [١] .

٢ - سئل أحمد عنها ، فقال : ابن مسعود يكره هذا كله [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله معلقاً على هذا : " مراد أحمد - والله أعلم - أن ابن مسعود يكره النشرة التي من عمل الشيطان ، والنشرة التي بكتابة وتعليق كالتمائم ، فإن ابن مسعود كان يكره التمائم كلها من القرآن وغير القرآن ، أما النشرة بالتعويذ ، والرقى بأسماء الله وكلامه من غير تعليق ، فلا أعلم أحداً كرهه ، وكذلك ما رواه ابن أبي شيبة [٣] عن إبراهيم [٤] : كانوا يكرهون التمائم والرقى والنشر . محمول على ما ذكرنا " [٥] .

النوع الثاني : النشرة الجائزة : وهي حل السحر بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة ، فهذا جائز [٦] .

وعلى هذا النوع يحمل كلام من أجاز النشرة من العلماء [٧] .

كما روي ذلك عن ابن المسيب رحمه الله .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٧ .

[٢] نقله ابن مفلح في الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٦٣ .

[٣] عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي شيبة العبسي مولاهم الكوفي ، أبو بكر ، الحافظ الكبير ، الحجة ، صاحب المسند ، والمصنف ، والتفسير ، توفى سنة ٢٣٥ هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ج ١١ ، ص ١٢٢ . ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص ٤٩ ، تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص ٢٠ . الرسالة المستطرفة ، ص ٤٠ .

[٤] ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي ، الكوفي ، أبو عمران ، الحافظ ، فقيه العراق ، أحد الأئمة المشاهير ، تابعي ، توفي سنة ٩٦هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ٢٥ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٥٢٠ ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ١٧٧ ، تقريب التهذيب ، ص ١٢٩٠ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١١١ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٧ .

[٦] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١١٠ .

[٧] انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٠٣ .

فعن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طب أو يُؤخَّذُ عن امرأته ، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه [١] .

فقد أوضح الشيخ سليمان بن عبدالله أن كلام ابن المسيب محمول على النوع الثاني وهو الحل بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة ، أو يحمل على نوع من النشرة ، لا يدرى هل هو من السحر أم لا ؟ [٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة ، لا يُعلم أنه سحر " [٣] .

---

[١] ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً ، ص ١٢٣٧ ، ووصله ابن جرير في التهذيب ، والأثرم في السنن ، كما في تغليق التعليق ، ج٥ ، ص ٤٩ ، وكما في فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٢٤٤ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٠١ .

المطلب الخامس

الشرك في المحبة والخوف والرجاء

ولاً : الشرك في المحبة :

محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه ، فبكمالها بكمل ، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان ، والإشراك في المحبة أصل كل إشراك [١] ، فأصل لشرك في المشركين إنما هو اتخاذ أنداد يحبونهم كحب الله [٢] .

وأصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده ، وهي أصل التأله والتعبد له ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه [٣] .

ولهذا اهتم علماء الدعوة ببيان الشرك في المحبة ، وعدوه نوعاً من أنواع الشرك الأكبر [٤] .

أقسام المحبة :

قسم الشيخ الإمام محمد المحبة إلى أربعة أنواع فقال : " المحبة تنقسم على أربعة أنواع :

محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[٥] .

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله وبغض الحق وأهله ، وهذه صفة المنافقين ،

المحبة الثالثة : طبيعية وهي محبة المال والولد ، إذا لم تشغل عن طاعة الله ، ولم تعن على محارم الله فهي مباحة .

---

(١) انظر : قاعدة في المحبة ، ص ٦٩ ، ٨٧ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج١٠ ، ص ٧٥٤ .

(٣) انظر : القول السديد في مقاصد التوحيد ، ص ١١٠ .

(٤) انظر : رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٧٠ .

(٥) سورة البقرة الآيات : ١٦٥ - ١٦٧ .

المحبة الرابعة : حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك وهي أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربَّه " [١] .

ومما يزيد هذا التقسيم وضوحاً :

ما ذكره الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله بقوله : " اعلم أن المحبة قسمان : مشتركة ومختصة ؛ فالمشتركة ثلاثة أنواع :

محبة طبيعية : كمحبة الجائع للطعام ، ومحبة إشفاق ورحمة : كمحبة الوالد لولده ، ومحبة أنس وألف : كمحبة شريك في صناعة أو تجارة أو سفر .

فهذه الثلاثة لا تستلزم التعظيم ، فلا يكون وجودها شركاً في محبة الله .

وأما المختصة فهي : محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم والطاعة والإيثار على مراد النفس ، فهذه لا تصلح إلا لله ؛ ومتى أحب العبد بها غيره فقد أشرك الشرك الأكبر " [٢] .

والمراد بالمحبة هنا المحبة الخاصة ؛ وهي محبة العبودية ، وقد عني علماء الدعوة بهذه المحبة ، وبينوا أنه لا يجوز صرفها لغير الله ، وأن من صرفها لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر .

والدليل على هذا ما أورده الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد [٣] .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية نقلاً عن ابن

---

[١] الرسالة الثامنة ، بعض فوائد سورة الفاتحة ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٨٢ .

[٢] إبطال التنديد ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦٨ ، ورسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، والرسالة الثانية والستون ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٣٢٤ ، وأصل هذا الكلام للإمام ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

[٣] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٢٠ .

[٤] سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

القيم رحمه الله : " قال في شرح المنازل : أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى ، فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً ، فهذا ندٌ في المحبة ، لا في الخلق والربوبية ؛ فإن أحداً من أهل الأرض لا يُثبت هذا الند ، بخلاف ند المحبة ، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم " [١] .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : " قال ابن كثير : يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الآخرة من العذاب والنكال حيث جعلوا لله أنداداً ، أي : أمثالاً ونظراء [٢] ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله ﴾ أي : يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم ، وهذا اختيار شيخ الإسلام في الآية .

وقيل : يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله ، قال شيخ الإسلام : وهذا متناقض ، وهو باطل ، فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله " [٣] .

وجه الدلالة من الآية :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة من الآية : " دلت الآية على أن من أحب شيئاً كحب الله ، فقد اتخذه نداً لله وذلك هو الشرك الأكبر ، قاله المصنف [٤] .

وعلى وجوب إفراد الله بالمحبة الخاصة التي هي توحيد الإلهية ... ودلت أيضاً : على أن المشركين يعرفون الله ويحبونه ، وإنما الذي أوجب كفرهم مساواتهم به الأنداد في المحبة ، فكيف بمن أحب الأنداد أكثر من حب الله ، فكيف بمن لم يحب الله أصلاً ، ولم يحب إلا الند وحده ، فالله المستعان " [٥] .

---

[١] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٥٣ ، وانظر : كلام ابن القيم في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج٣ ، ص ٢١ .

[٢] تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٢٠٢ .

[٣] إبطال التنديد ، ص ١٥٢ ، وقد نقل ابن القيم اختيار شيخ الإسلام في كتابه مدارج السالكين ، ج٣ ، ص ٢١ .

[٤] أي الإمام محمد بن عبدالوهاب ، انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٢٤ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

ثانياً : الشرك في الخوف :

تناول علماء الدعوة هذ النوع من الشرك بالبيان والإيضاح ، فبينوا منزلة الخوف ، ووجوب إخلاصه لله عز وجل ، وأنواع الخوف ، وما يتعلق به من الأحكام ، وأوردوا ما جاء في ذلك من النصوص .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً منزلة الخوف ، ووجوب إخلاصه لله عز وجل : " الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها ، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [1] . وقال ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [3] . وقال تعالى : ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [5] . وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة " [6] .

أقسام الخوف :

قسم الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمهما الله تعالى الخوف من حيث هو إلى ثلاثة أقسام ، يقول الشيخ عبدالرحمن : " والخوف من حيث هو ، ثلاثة أقسام :

أحدها : خوف السر ، وهو أن يخاف غير الله ، من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ؛ كما قال تعالى عن قوم هود إنهم قالوا له : ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا

---

[1] سورة النحل الآية : ٥٠ .

[2] سورة الرحمن الآية : ٤٦ .

[3] سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

[4] سورة البقرة الآية : ٤٠ .

[5] سورة المائدة الآية : ٤٤ .

[6] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٧٣ ، وانظر : هذا المعنى في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٦ .

تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [2] وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان ، يخافونها ويخوِّفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله ، وهذا ينافي التوحيد .

الثاني : أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من بعض الناس ، فهذا محرم ، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد ، وهذا هو سبب نزول هذه الآية ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[3] .

وفي الحديث : « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره ؟ فيقول : ربِّ خشيت الناس . فيقول : إياي كنت أحق أن تخشى » [4] .

الثالث : الخوف الطبيعي ، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك ، فهذا لا يذم ؛ كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [5] " [6] .

قال الشيخ سليمان مبيناً معنى خوف السر : " ومعنى خوف السر هو بأن يخاف العبد غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره ، فهذا شرك أكبر ، لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله " [7] .

---

[1] سورة هود الآيتين : ٥٤ - ٥٥ .

[2] سورة الزمر الآية : ٣٦ .

[3] سورة آل عمران الآيات : ١٧٣ - ١٧٥ .

[4] أخرجه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٧٧ ، وابن حبان في صحيحه ، ج٩ ، ص ٢٣٠ ، وأخرجه بلفظ آخر ابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٨ ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال البوصيري في مصباح الزجاجة ، ج٣ ، ص ٢٤٢ : " هذا إسناد صحيح " من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[5] سورة القصص الآية : ٢١ .

[6] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٧٤ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٨٤ - ٤٨٦ .

[7] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٩ .

يتضح على ضوء هذا التقسيم أن الشرك في الخوف على مرتبتين أكبر وأصغر :

المرتبة الأولى : الشرك الأكبر في الخوف ، وهو النوع الأول من أنواع الخوف السابقة ، وهو خوف السر بأن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته ، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة ، أو على سبيل الاستقلال ، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً ، لأنه من لوازم الإلهية ، فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذ الخوف فهو مشرك شركاً أكبر ينافي التوحيد [١] .

المرتبة الثانية : الشرك الأصغر في الخوف ، وهو النوع الثاني من أنواع الخوف السابقة ، وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغير عذر خوفاً من بعض الناس ، فهذا محرم ، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد [٢] .

فالمقصود أن علماء الدعوة قرروا وجوب إخلاص الخوف لله ، وأنه لا يخاف خوف السر إلا من الله ، ولا يخاف خوف الله إلا من الله ، وأن من صرف منه شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر [٣] ، والدليل على هذا ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية :" ومعنى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ أي : يخوِّفكم أولياءه ﴿ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا

---

[١] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٨٤ .

[٢] انظر : جواب للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، الفتاوى ، ج٣ ، ص ٣٨ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٧٤ .

[٣] انظر : الأصول الثلاثة ، ص٦ ، ورسالة لعالم من أهل المدينة ضمن مؤلفات الإمام محمد ، ج٥ ، ص ٤٤ ، ٤٧ ، ورسالة للإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ضمن الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠ .

[٤] سورة آل عمران ، الآية : ١٧٥ .

غيره ، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله تعالى ، فلا يخافون إلا إياه .

وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده ، ورضيه منهم . فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة ، أعطاهم ما يرجون ، وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [(١)] .

قال العلامة ابن القيم : ومن كيد عدو الله : أن يخوِّف المؤمنين من جنده وأوليائهم ؛ لئلا يجاهدوهم ، ولا يأمروهم بمعروف ، ولا ينهوهم عن منكر . وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه ، ونهانا أن نخافه .

قال : والمعنى عند جميع المفسرين : يخوفكم بأوليائه . قال قتادة : يعظمهم في صدوركم . فكلما قوي إيمان العبد زال عن قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم " [(٢)] .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ [(٣)] .

الشاهد قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إلا الله ﴾ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن عند قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إلا الله ﴾ : " قال ابن عطية [(٤)] : يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة .. ، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية . وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه [(٥)] .

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٣٦ .

(٢) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٧٤ - ٥٧٥ . وانظر : كلام ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ج١ ، ص ١١٠ .

(٣) سورة التوبة الآية : ١٨ .

(٤) عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن غالب بن تمام المحاربي الأندلسي الغرناطي ، أبوبكر ، أحد علماء الأندلس الحائزين قصب السبق في ميادين الفقه والحديث والتفسير والأدب توفي سنة ٥٤١هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ٥٨٧ - ٥٨٨ ، كشف الظنون ، ج٢ ، ص ١٦١٣ ، هدية العارفين ، ج٥ ، ص ٥٠٢ .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج٨ ، ص ١٤٨ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الخوف عبودية القلب ، فلا يصلح إلا لله ، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء ، وغيرها من عبودية القلب [١] " [٢] .

ثالثاً : الشرك في الرجاء :

قرر علماء نجد أن من أنواع الشرك الأكبر شرك الرجاء وهو : رجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، فمن رجا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر .

وقد نصَّ على هذا عدد من علماء الدعوة .

يقول الإمام محمد بعد أن عدد أنواع العبادة ومنها الرجاء : " فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر " [٣] .

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر أن الرجاء من أنواع العبادة : " فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذه رباً وإلهاً وأشرك مع الله غيره " [٤] .

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله وهو يعدد أنواع العبادة : " ومنها : الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله ، كمن يدعو الأموات أو غيرهم راجياً حصول مطلوب من جهتهم ، فهذا شرك أكبر " [٥] .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين وهو يقرر أنواع العبادة : " فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك ، وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر ، وكذلك التوكل والخوف والرجاء " [٦] . فنصَّ رحمه الله على الرجاء .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بعد أن ذكر بعض أنواع العبادة " ومنه :

---

[١] طريق الهجرتين ، وباب السعادتين ، ص ٢٩٢ .

[٢] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٧٦ .

[٣] الأصول الثلاثة ، ص ٦ .

[٤] الرسالة السابعة ، الأصل الجامع لعبادة الله وحده ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج١ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٠ .

[٦] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٠٣ .

الرجاء : " فمن صرفه لغير الله فقد أشركه في حق الله الذي لا يصلح لغيره وجعل له نداً " [١] .

وأكد هذا المعنى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في معرض بيانه لمعنى إخلاص الدين فقال : " وإخلاص الدين هو : صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له ، وذلك : بأن لا يُدعى إلا الله ، ولا يستغاث إلا بالله ، ولا يذبح إلا لله ، ولا يخشى ، ولا يرجى سواه ... " [٢] فنص على الرجاء .

وبيَّن رحمه الله في موضع آخر وتابعه الشيخ عبدالعزيز الحصين : أن الرجاء حق من حقوق الله المختصة بجلال الله وعظمته ، ليس للخلق منه شيء البتة ، لا ملك ، ولا نبي ، ولا ولي ، بل حق الله تعالى غير جنس حق المخلوق .

وأوضحا أن هذا من تحقيق معنى شهادة أن لا إله الله [٣] .

فالرجاء إذاً لا يكون إلا لله وحده ، ومن يفعل شيئاً من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة [٤] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشرك في الرجاء قد يكون شركاً أصغر .

سئل الإمام محمد بن عبدالوهاب عن معنى قول العلماء : من الشرك التصنع للمخلوق وخوفه ورجاؤه ؟ وهل المراد به : الشرك الأكبر أو الأصغر ؟ فكان من جوابه : " وأما الرجاء فلعل المراد : الذي يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده . وكل هذه الأمور كثيرة جداً .

---

[١] الرسالة الثانية ، للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٥ - ١٦ .

[٢] رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٢٦٦ .

[٣] انظر : رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٥ - ١٦ ، ورسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٧٤ - ١٧٩ .

[٤] رسالة تنزيه الذات والصفات من درن الإلحاد والشبهات لبعض علماء نجد الأعلام ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٦٧٣ .

وأما قولك : هل المراد به الشرك الأصغر أو الأكبر ؟ فهذا يختلف باختلاف الأحوال ، وقد يتصنع لمخلوق فيخافه أو يرجوه فيدخل في الشرك الأصغر ، وقد يتزايد ذلك ويتوغل فيه حتى يصل إلى الشرك الأكبر "[1] .

الأدلة :

تضافرت الأدلة الشرعية على أن الرجاء عبادة ، وأن صرفه لغير الله شرك أكبر ، ومما ذكره علماء الدعوة من هذه الأدلة ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[2] .

٢ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] .

٣ - وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[4] .

٤ - وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[5] .

ففي هذه الآيات دليل على أن الرجاء من أجلِّ العبادات، وأن صرفه لغير الله شرك أكبر .

---

[1] جواب للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، الفتاوى ، ج٣ ، ص ٣٨ .

[2] سورة الكهف الآية : ١١٠ .

[3] سورة البقرة الآية : ٢١٨ .

[4] سورة العنكبوت الآية : ٥ .

[5] سورة يونس الآيتين : ٧ - ٨ .

المطلب السادس

الشرك في التوكل

اهتم علماء الدعوة ببيان الشرك في التوكل كما اهتموا ببيان غيره من أنواع الشرك ليحذرها الناس .

فقد بينوا حقيقة التوكل ، وأهميته ، وبينوا أقسام التوكل على غير الله ، وحكم كل قسم ، وأوردوا على ذلك الأدلة :

١ - تعريف التوكل :

أ - المعنى اللغوي :

نقل الشيخ سليمان بن عبدالله [١] والشيخ عبدالرحمن بن حسن [٢] تعريف التوكل اللغوي عن ابن الأثير : قال ابن الأثير : " يقال : توكل بالأمر : إذا ضمن القيام به . ووكلت أمري إلى فلان : أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه . ووكل فلان فلاناً : إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته ، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه " [٣] .

ب - المعنى الشرعي :

قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في بيان المعنى الشرعي للتوكل : " هو : إسناد العبد أمره إلى الله وحده لا شريك له في جميع أموره الدينية والدنيوية " [٤] .

وقال ابنه الشيخ سليمان بن عبدالله فيما نقله عن ابن القيم في بيان حقيقة التوكل : " حقيقته : اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع ما يضره في دينه ودنياه . ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب ، وإلا كان معطلاً للأمر والحكمة والشرع ، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ، ولا توكله عجزاً " [٥] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩٥ .

[٢] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٨٧ .

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٥ ، ص ٢٢١ .

[٤] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٨ - ٩ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ١١١ ، وكلام ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٤ ، ص ١٥ .

٢ - حكم التوكل على غير الله :

التوكل عبادة قلبية ، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك [١] ، وقد صرح بهذا علماء الدعوة .

يقول الشيخ عبدالله بن محمد : " من توكل على غير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره " [٢] .

وأوضح الشيخ سليمان بن عبدالله أن التوكل على غير الله ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة ، فهذا شرك أكبر [٣] .

الثاني : التوكل على غير الله فيما يقدر عليه ، وهو التوكل في الأسباب الظاهرة العادية ، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه وجعله بيده : من رزق ، أو دفع أذى ونحو ذلك ، فهذا شرك أصغر [٤] .

ومما ينبغي أن يعلم أن هناك فرقاً بين هذا النوع من الشرك وبين الوكالة الجائزة ، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في هذا : " الوكالة الجائزة : هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه ، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكّله عليه ، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه ، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ، ولا يعتمد عليها ، بل يعتمد على المسبِّب الذي أوجد السبب والمسبَّب " [٥] .

وهذه الوكالة جائزة بالإجماع ، لكن لا يقول : توكلت عليه بل يقول : وكلته ، فإنه

---

[١] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٨ .

[٢] الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة ، ص ٩ .

[٣] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

[٤] انظر : المصدر السابق ، ص ٤٠ ، ٤٩٨ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٨٩ .

[٥] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٨٩ .

ولو وكله فلابد أن يتوكل في ذلك على الله [1] . فهناك فرق بين التوكيل والتوكل ، فالأول جائز والثاني ممنوع .

٣ - الأدلة :

ساق علماء الدعوة رحمهم الله الأدلة على أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى ، وأن من توكل على غير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره ، ومن هذه الأدلة :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

وقد ترجم الإمام محمد بهذه الآية في كتاب التوحيد فقال : " باب قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ " [3] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " أراد المصنف بهذه الترجمة بالآية : بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى ؛ فإن تقديم المعمول يفيد الحصر ، أي : على الله فتوكلوا لا على غيره ...

قال ابن القيم في معنى الآية المترجم بها : فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه " [4] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وفي الآية دليل على أن التوكل على الله عبادة ، وأنه فرض ، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك " [5] .

وأكد هذه الدلالة الشيخ حمد بن عتيق فقال بعد أن ساق قول ابن القيم المتقدم : " وفي الآية : أن التوكل على غيره شرك " [6] .

---

[1] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ١٧٣ .

[2] سورة المائدة ، الآية : ٢٣ .

[3] كتاب التوحيد ، ص ١٢٦ .

[4] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٨٧ - ٥٨٨ باختصار ، وكلام ابن القيم في طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص ٢٥٥ .

[5] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩٧ .

[6] إبطال التنديد ، ص ١٦٠ .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [١].

الشاهد من الآية الكريمة قوله : ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لهذه الآية : " أي : يعتمدون عليه بقلوبهم ، مفوضين إليه أمورهم وحده لا شريك له ، فلا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يرغبون إلا إليه ، يعلمون أن ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له .

وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان ، وهي : الخوف ، وزيادة الإيمان ، والتوكل على الله وحده " . [٢]

٣ - قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في شرحه لهذه الآية الكريمة : " قال ابن القيم : أي : الله وحده كافيك وكافي أتباعك ، فلا تحتاجون معه إلى أحد ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية " . [٤]

وأما وجه الدلالة من الآية الكريمة فكما يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن : " فإذا كان هو الكافي لعبده ، وجب ألاً يتوكل إلاً عليه . ومتى التفت بقلبه إلى سواه ، وُكِل إلى من التَفَتَ إليه " . [٥]

---

[١] سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩٩ ، وانظر : هذا المعنى في فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

[٣] سورة الأنفال الآية : ٦٤ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٩١ ، وكلام ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج١ ، ص ٣٥، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ١٥٤ .

[٥] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٩٢ .

المطلب السابع

الشرك في الطاعة

تكلم علماء الدعوة رحمهم الله على هذا النوع من الشرك ، فبينوا أهمية الطاعة ، وحكمها ، وحكم صرفها لغير الله ، وساقوا الأدلة والآثار المؤيدة لما قالوا ، واعتنوا بشرحها وإبراز دلالتها .

أهمية الطاعة وحكمها :

أشار الشيخ سليمان بن عبدالله إلى أهمية الطاعة بقوله :

" الطاعة من أنواع العبادة ، بل هي العبادة ، فإنها طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام " (١) .

وأما حكمها فقد نص الشيخ سليمان بن عبدالله " على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها ، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله ، وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً .

والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام " (٢) .

حكم صرف الطاعة الخاصة لغير الله :

حذر علماء الدعوة من صرف الطاعة الخاصة - في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله - لغير الله ، وقرروا وجوب صرفها لله وحده ، وأن من صرفها لغيره فقد أشرك الشرك الأكبر .

وقد نص على هذا الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد فقال : " باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله " (٣) .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : " فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول ﷺ - فإنه لا ينطق عن الهوى - فهو مشرك " (٤) .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤٣ .

(٣) كتاب التوحيد ، ص ١٣٥ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٤٣ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " من أطاع غير الله ورسوله ، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحله الله ، وأطاعه في معصية الله ، واتبعه فيما لم يأذن الله ، فقد اتخذه رباً ومعبوداً ، وجعله لله شريكاً . وذلك ينافي التوحيد "[١] .

ولهذا كله عده علماء الدعوة من أنواع الشرك الأكبر[٢] .

الأدلة :

ساق علماء الدعوة الأدلة من الكتاب والسنة والآثار الدالة على وجوب صرف الطاعة الخاصة لله عز وجل ، وأن من أطاع غير الله في تحريم الحلال أو تحليل الحرام فقد أتخذه معبوداً من دون الله ، وأشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة ، وهذه الأدلة هي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن : " الأحبار : هم العلماء ، والرهبان : هم العباد "[٤] .

وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم[٥] ، كما سيأتي ، ومعنى هذه الآية كما يقول الشيخ حمد بن عتيق : " أي : اتخذوا علماءهم وعبادهم أرباباً من دون

---

[١] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

[٢] رسالة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٧٠ .

[٣] سورة التوبة الآية : ٣١ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٤ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢١٠ .

[٥] عدي بن حاتم بن عبدالله الطائي ، قدم على النبي ﷺ في شعبان سنة سبع ، روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، ولما توفي رسول الله ﷺ قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في وقت الردة بصدقة قومه ، وثبت على الإسلام ولم يرتد ، وثبت قومه معه ، كان سيداً شريفاً في قومه ، خطيباً حاضر الجواب فاضلاً كريماً ، شهد فتوح العراق وغيرها ، مات بالكوفة سنة ٦٧هـ وقيل غير ذلك .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ١٦٨ ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٧ ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ، ص ١٦٦ .

الله ، في اتباعهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم " [(١)] .

ووجه الدلالة من الآية الكريمة : أن الطاعة في تحريم الحلال وتحليل الحرام من العبادة المنفية عن غير الله ، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك فقد عبده ، ووقع في الشرك الأكبر المنافي للتوحيد [(٢)] .

٢ - عن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [(٣)] .

فقلت : إنا لسنا نعبدهم ، قال : « أليس يحرمون ما أحلّ الله فتحرّمونه ، ويحلّون ما حرّم الله فتحلونه » ، فقلت : بلى ، قال : « فتلك عبادتهم » [(٤)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لهذا الحديث : " صرح ﷺ في هذا الحديث بأن عبادة الأحبار والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام ، وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله " [(٥)] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " وفي الحديث : دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله ، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[(٦)] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في المسائل على هذه الآية : " الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ،

---

(١) إبطال التنديد ، ص ٤٩ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٥ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٢٨ ، وإبطال التنديد ، ص ٤٩ .

(٣) سورة التوبة الآية ٣١ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننة ، ج٥ ، ص ٢٥٩ ، رقم ٣٠٩٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة التوبة . وقال الترمذي : " هذا حديث غريب " ونقل الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، ص ١٣٦ ، والمباركفوري في تحفته ، ج٨ ، ص ٤٩٤ ، تحسين الترمذي له ، فلعله وقع في بعض النسخ الخطية .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٥٢ .

(٦) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٥٣ .

وتسمى الولاية ، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه . ثم تغيرت الحال إلى أن عُبِدَ من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين "[١] .

٣ - وقال الله تعالى : ﴿ولا تأكلوا مما لم يُذكر اسمُ الله عليه وإنه لفسقٌ وإنَّ الشياطين ليُوحون إلى أوليائهم ليُجادلوكم وإنْ أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن عند هذه الآية : " وهذا قد وقع في كثير من الناس مع من قلدوهم ، لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلَّد ، وهو من هذا الشرك .

ومنهم من يغلو في ذلك ، واعتقد أن الأخذ بالدليل - والحالة هذه - يُكره ، أو يحرم ، فعظمت الفتنة . ويقول : هم أعلم منا بالأدلة ، ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد . وربما تفوَّهوا بذم من يعمل بالدليل ، ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام " .

إلى أن قال : " وأما طاعة الأمراء ، ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله ، فقد عمت به البلوى قديماً وحديثاً في أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلُمَّ جرا .

وقد قال تعالى : ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضلُّ ممن اتبع هواه بغير هدًى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٣] "[٤] .

ومن الآثار الواردة عن الصحابة ما قاله ابن عباس : « يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبوبكر وعمر »[٥] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله معلقاً على هذا الأثر : " هذا الكلام قاله ابن عباس لمن ناظره في متعة الحج . وكان ابن عباس يأمر بها ، فاحتج عليه المناظر بنهي أبي بكر وعمر عنها ..

---

[١] كتاب التوحيد ، ص ١٣٧ .

[٢] سورة الأنعام الآية : ١٢١ .

[٣] سورة القصص الآية : ٥٠ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٥٣ - ٦٥٤ .

[٥] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٣٣٧ بنحوه .

فإذا كان هذا كلام ابن عباس لمن عارضه بأبي بكر وعمر وهما هما ، فماذا تظنه يقول لمن يعارض سنن الرسول ﷺ بإمامه وصاحب مذهبه الذي ينتسب إليه ؟ ويجعل قوله عياراً على الكتاب والسنة ، فما وافقه قبله ، وما خالفه رده ، أو تأوله ، فالله المستعان ...

ولا ريب أن هذا داخل في قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ ﴾ [١] " [٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معقباً على قول ابن عباس رضي الله عنهما : " وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما ، ما يدل على أن من بلغه الدليل فلم يأخذ به تقليداً لإمامه فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ ؛ لمخالفته الدليل ...

وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء ، كائناً من كان . ونصوص الأئمة على هذا ، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة . فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله : لا إنكار في مسائل الاجتهاد .

وأما ما خالف الكتاب والسنة فيجب الردُّ عليه ، كما قال ابن عباس ، والشافعي ، ومالك ، وأحمد . وذلك مجمع عليه " [٣] .

ومن الآثار الواردة عن الأئمة والتي ساقها علماء الدعوة [٤] ما يلي :

١ - قال الإمام أبوحنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ، فاتركوا قولي لكتاب الله . قيل : إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر الرسول ﷺ . وقيل : إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة [٥] .

---

[١] سورة التوبة الآية : ٣١ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٤٤ - ٥٤٥ باختصار .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٤٦ باختصار .

[٤] انظر تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٤٥ ، ٦٥١ .

[٥] ذكره الفلاني في كتابه إيقاظ همم أولى الأبصار ، ص ٥٠ .

٢ - وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : مامنا إلا رادٌ ومردود عليه ، إلا صاحب هذا القبر ﷺ [١] .

٣ - وقال : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ [٢] .

٤ - وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد [٣] .

٥ - وقال الربيع [٤] : سمعت الشافعي يقول : إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فخذوا سنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت [٥] .

٦ - وقال : إذا صح الحديث بما يخالف قولي ، فاضربوا بقولي الحائط [٦] .

٧ - وقال الإمام أحمد رحمه الله : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان [٧] ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٨] .

---

[١] انظر : الجامع لابن عبدالبر ، ج٢ ، ص ٣٢ .

[٢] قال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ ، ص ٢٤ ، في تخريجه لهذا الأثر : " نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين ، وصححه عنه ابن عبدالهادي في " إرشاد السالك " ، ج١ ، ص ٢٢٧ ، وقد رواه ابن عبدالبر في " الجامع " ، ج٢ ، ص ٩١ ، وابن حزم في " أصول الأحكام " ، ج٦ ، ص ١٤٥ ، ١٧٩ ، من قول الحكم بن عتبة ومجاهد " .

[٣] نقله ابن القيم في إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ٢٦٣ ، والفلاني في إيقاظ همم أولى الأبصار ، ص ٦٣ .

[٤] الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المرادي مولاهم المصري ، أبو محمد تلميذ الشافعي وصاحبه ، وراوي كتبه ، توفي سنة ٢٧٠هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص ٥٨٧ - ٥٩١ ، تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٥٩ .

[٥] أخرجه الهروي في ذم الكلام ، ص ١٠٨ ، وذكره ابن القيم في إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ٢٦٦ ، وذكره الفلاني في كتابه إيقاظ همم أولي الأبصار ، ص ١٠٠ .

[٦] أخرجه البيهقي في المناقب ، ج١ ، ص ٤٧١ ، وذكره ابن القيم في إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ٢٦٣ .

[٧] المراد سفيان الثوري .

[٨] سورة النور الآية : ٦٣ .

أتدري ما الفتنة ، الفتنة الشرك ، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك [١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على قول الإمام أحمد : " فقول الإمام أحمد رحمه الله ... إنكار منه لذلك ، وأنه يؤول إلى زيغ القلوب ، الذي يكون به المرء كافراً . وقد عمت البلوى بهذا المنكر ، خصوصاً ممن ينتسب إلى العلم ، نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة ، وصدوا الناس عن متابعة النبي ﷺ وتعظيم أمره ونهيه .

فمن ذلك قولهم : لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد ، والاجتهاد قد انقطع . ويقول : هذا الذي قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه ، ونحو ذلك من الأقوال ، التي غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ ، الذي لا ينطق عن الهوى ، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ ، وغيره من الأئمة يخالفه ويمنع قوله بدليله ، فما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لا كله .

فالواجب على كل مكلف ، إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك : أن ينتهي إليه ويعمل به ، وإن خالفه من خالفه ... "

إلى أن قال : " فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها ، وعرف أقوالهم ، فليعرضها على ما في الكتاب والسنة ، فإن كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه ، لا بد أن يذكر دليله .

والحق في المسألة واحد ، والأئمة مثابون على اجتهادهم . فالمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقاً إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهناً ، وتمييزاً للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون ، ويتعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء فيتبعه " [٢] .

---

[١] أخرجه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، ومجانبة الفرق المذمومة ، ج١ ، ص ٢٦٠ ، رقم ٩٧ .

[٢] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٤٨ - ٦٥٠ باختصار ، وانظر : هذا المعنى في تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٤٦ - ٥٤٨ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

المبحث الثاني

أنواع الشرك الأصغر

وفيه مطالب :

المطلب الأول : اتخاذ الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه .

المطلب الثاني : الرقى غير المشروعة والتمائم .

المطلب الثالث : التطير .

المطلب الرابع : التنجيم والاستسقاء بالأنواء .

المطلب الخامس : الرياء .

المطلب السادس : إرادة الإنسان بعمله الدنيا .

المطلب السابع : الحلف بغير الله .

المطلب الثامن : قول ما شاء الله وشئت ونحوها .

المطلب التاسع : سب الدهر ونحوه .

المطلب العاشر : نسبة النعم إلى غير الله .

المطلب الأول

اتخاذ الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

من الأمور الشركية التي حذر منها علماء الدعوة رحمهم الله لبس الحلقة [1] والخيط ونحوهما كالودعة والخرز والمسمار ، لرفع البلاء أي : إزالته بعد نزوله ، أو دفعه أي : منعه قبل نزوله .

وقد تناول علماء الدعوة رحمهم الله هذا النوع من الشرك بالبيان والإيضاح ، فبينوا حكمه العقدي ، وأوردوا الأدلة المحذرة منه ، وأبرزوا وجه الدلالة منها .

حكمه :

لبس الحلقه والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه شرك أصغر ، وقد يترقى إلى درجة الشرك الأكبر بحسب ما يقوم بقلب لابسها من الاعتقاد بها .

فلبسها على قسمين :

١ - اعتقاد أن اللبس سبب فهذا شرك أصغر .

٢ - اعتقاد أن اللبس يدفع أو ينفع بذاته من دون الله فهذا شرك أكبر [2] .

وفي بيان هذا يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد : " باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه " [3] .

ونبَّه رحمه الله في مسائل هذا الباب على أنه شرك أصغر [4] .

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله أن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه من الشرك الأصغر الاعتقادي [5] .

وبيَّن الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله بأن الأحاديث قد صرحت بأن هذا من

---

[1] الحلقة : كل ما كان يبين بعضه من بعض كحلقة الذكر ووسط الصف ونحو ذلك فهو حلقه ، وما كان مصمتاً لا يبين بعضه من بعض كحلقة الباب ونحوها ، ووسط الدار والرأس والراحة فهو حلقة . انظر : التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٦٧ .

[2] انظر : حاشية كتاب التوحيد ، ص ٧٤ .

[3] كتاب التوحيد ، ص ٣٦ .

[4] انظر : المصدر السابق ، ص ٣٨ .

[5] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٥٢ .

الشرك بالله [١] ، وأوضح رحمه الله أنه من الشرك الأصغر [٢] .

وقرر هذا أيضاً الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله [٣] .

وهذا الحكم إذا اعتقد أن اللبس سبب ، ولم يعتقد تأثيره من دون الله .

أما إذا اعتقد أن لبس الحلقة والخيط ونحوهما يدفع أو ينفع بذاته من دون الله فهذا شرك أكبر يقول صاحب التوضيح :

" لا ريب أن لبسهما أو تعلق الخيط أو الخرزة أو العظم ونحوهما من التمايم لدفع البلاء أو رفعه أن ذلك من شرك تعطيل المعاملة التي تجب على العبيد المتعلقة بمعنى ألوهية الخالق تعالى وتقدس ... فإذا اعتقد دفع البلاء والشر ودفعهما في لبس الحلقة والخيط وتعليق العظم والتميمة فقد أشرك في اعتقاده ، وعطل معاملة الله المأمور بها ، فوضعها في غير موضعها بجعلها لغيره ، ولذلك قال النبي ﷺ للرجل الحامل في عضده الحلقة من الصفر عن الواهنة : « انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، ولومت وهي عليك ما أفلحت أبداً » [٤] ... ونفي الفلاح في الأبد يقتضي الشرك الأكبر غير المغفور ، بل المخلد في النار للاعتقاد المذكور " [٥] .

الأدلة :

استدل علماء الدعوة رحمهم الله على أن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه من الشرك الأصغر بأدلة من الكتاب والسنة والأثر ، فمن هذه الأدلة :

١ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [٦] .

---

[١] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٦٣ .

[٢] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٨ .

[٣] انظر : إبطال التنديد ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

[٤] تقدم تخريجه ، ص ٣٩٣ .

[٥] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ باختصار .

[٦] سورة الزمر ، الآية : ٣٨ .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " : فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر ، وأن ذلك شرك بالله " [(١)] .

قال صاحب التوضيح في تعليقه على هذه الآية : " وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله ... ﴾ الآية ، دليل على أن كشف الضر وإمساك الرحمة عند الله خاصة لا عند غيره من سائر الخلق الأنبياء والملائكة وتماثيلهم ، ولا الحلقة والخرزة والخيط والعظم ، والتميمة بالأولى ولذلك قال عقبها : ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .. ولا يخفى ما في الاستدلال بهذه الآية ، بل القرآن كله والسنة على من علق الخيط والخرزة ، وعلق العظم والتميمة لدفع البلاء أو رفعه أو حصول خير أو نفعه من كمال مناسبة معناها بمن اعتقد في شيء أعظم مما اعتقد فيه الأولون فعلقه ولبسه وتعلقه ليدفع عنه سوءاً وبلاء أو لرفعه ، أو ليكون سبباً في دفعه ورفعه ، إذ الأسباب لا يجوز أن يتعاطى منها إلا ما شرعه الله ورسوله ، فلا يجعل الشرك أو المحرم سبباً في حصول غرض من الأغراض الدنيوية أو الأخروية ، ولا يتخذ سبباً من الأسباب إلا بعد علمه بحكمه ، وحيث جاز فلا يركن إليه ولا يتكل عليه ... ولقد زاد هؤلاء على أولئك بأشياء كثيرة لو لم يكن منها إلا اعتقاد كشف الضر وجلب الخير فيما تعلقوا فيه وعلقوه على أنفسهم ودوابهم وحروثهم لكفى ، فإنهم يتوكلون على ما علقوه وتعلقوه ، ويسندون كشف الضر وجلب الخير إليه ، وأنه لولاه لنزل به البلاء ، أو لوجدت الشدة ، أو لضرته العين ، أو لنزلت به ، لكن هي التي رفعت ذلك كله ، أو هي الدافعة له ، أو هي التي رفعته ، ونحو ذلك من المعتقدات التي لم توجد إلا عند هؤلاء المعتقدين المفتونين في عبادة الشياطين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ولو لم يعتقدوا فيهم ما اعتقدوه من هذا الاعتقاد الباطل لما علقوه وتعلقوه ، ومعلوم أن من لم يعتقد ذلك لم يكن ليفعله ولا ليرضى به ، ومع تقدير فعله من غير اعتقاد فيه ولا رضى به لا يكفر ولا نكفره ... بل حمله ذلك وتعليقه حرام والفاعل آثم ، فنحن ننهى عن ذلك ونغلظ فيه " [(٢)] .

٢ - عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقه من صفر ،

[(١)] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٣٠ ، وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

[(٢)] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٦٨ - ٢٧٠ باختصار .

فقال : (ما هذه ؟) قال : من الواهنة . فقال : « انزعها ؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً ؛ فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً »[١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في شرحه لهذا الحديث : " قوله : (ما هذه ؟) يحتمل أن الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها ، ويحتمل أن يكون للإنكار ، وهو أظهره "[٢] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في شرحه لهذا الحديث : " قوله : من الواهنة . قال أبوالسعادات : الواهنة : عرق يأخذ في المنكب ، وفي اليد كلها ، فيرقى منها . وقيل : هو مرض يأخذ في العضد ، وربما علق جنس من الخرز يقال له : خرز الواهنة .

وهي تأخذ الرجال دون النساء . قال : وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم . فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها "[٣] .

قال الشيخ سليمان : " وفيه اعتبار المقاصد "[٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قوله : « انزعها ؛ فإنها لا تزيدك إلاَّ وهناً » النزع : هو الجذب بقوة ، أخبر أنها لا تنفعه ، بل تضره وتزيده ضعفاً ، وكذلك كل أمرٍ نُهي عنه فإنه لا ينفع غالباً ، وإن نفع بعضه فضَرُّه أكبر من نفعه .

قوله : « فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً » لأنه شرك "[٥] .

ومما ذكره الإمام محمد بن عبدالوهاب على هذا الحديث من المسائل ما يلي :

١ - أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح .

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٤٤٥ ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١١٦٧ ، رقم ٣٥٣١ ، كتاب الطب ، باب تعليق التمائم ، وابن حبان في صحيحه كما في الموارد ، ج١ ، ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، رقم ١٤١٠ ، ١٤١١ . والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢١٦ ، وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي ، وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، ص ٣٦ " رواه أحمد بسند لا بأس به " .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٣١ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٥٧ ، وكلام أبي السعادات في النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٥ ، ص ٢٣٤ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٥٧ .

[٥] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٣٢ .

٢ - فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

٣ - أنه لم يُعذر بالجهالة .

٤ - أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك إلا وهناً » .

٥ - الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك [١] .

٣ - عن حذيفة [٢] : أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمّى ، فقطعه وتلا قوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على هذا الأثر : " فيه : إنكار مثل هذا ، وإن كان يعتقد أنه سبب فالأسباب لا يجوز منها إلاَّ ما أباحه الله تعالى ورسوله ، مع عدم الاعتماد عليها . وأما التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك ، مما يعلّقه الجهال فهو شرك ، يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل ، وإن لم يأذن فيه صاحبه " [٤] .

وقال أيضاً في موضع آخر : " فيه دليل على أن هذا شرك ، وأن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر؛ لدخوله في الشرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عموماً وخصوصاً ... " [٥] .

---

[١] انظر : كتاب التوحيد ، ص ٣٨ .

[٢] حذيفة بن اليمان ، واسم اليمان حسيل ، ويقال : حسل بن جابر العبسي ، يكنى أبا عبدالله ، صحابي جليل من السابقين وكان صاحب سر رسول الله ﷺ ، ومناقبه كثيرة مشهورة مات سنة ٣٦هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج١ ، ص ٣٩٣ ، الإصابة ، ج٢ ، ص ٤٤ ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ٢١٩ .

[٣] سورة يوسف الآية : ١٠٦ ، والأثر ذكره ابن كثير في التفسير ، ج٢ ، ص ٤٩٤ .

[٤] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٣٧ ، وانظر : هذا المعنى في تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦١ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ٦٧ ، وانظر : هذا المعنى في كتاب التوحيد ، ص ٣٩ ، وتيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٢ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٣٨ .

المطلب الثاني

الرقى غير المشروعة والتمائم

أ - الرقى غير المشروعة :

تعريف الرقى[١] :

عرفها إمام الدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب بقوله : " الرُّقى : هي التي تسمى العزائم "[٢] .

حكم الرقى :

الرقى نوعان :

النوع الأول : الرقى المشروعة وهي ما اجتمعت فيها شروط الرقية الشرعية وهي ثلاثة :

١ - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته .

٢ - أن تكون باللسان العربي وبما يعرف معناه .

٣ - أن يعتقد أن الرقية لا توثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى .

وقد حكى الشيخ سليمان بن عبدالله عن السيوطي[٣] إجماع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع هذه الشروط[٤] .

وفي بيان مشروعية هذا النوع من الرقى يقول علماء الدعوة :

١ - قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : " الرقى هي التي تسمى العزائم ، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العَيْن والحُمَة "[٥] .

٢ - وقال الشيخ سليمان بن عبدالله : " أما الرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه

---

[١] الرقى : جمع الرُّقْيَة وهي : العُوذة التي يُرْقَى بها صاحب الآفة كالحمَّى والصَّرع وغير ذلك من الآفات ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٢ ، ص ٢٥٤ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ٤٢ .

[٣] عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ، جلال الدين ، الحافظ ، المسند ، حفظ القرآن وهو دون الثامنة ، وصنف مصنفات كثيرة ، توفي سنة ٩١١هـ .
انظر في ترجمته : شذرات الذهب ، ج٨ ، ص ٥١ ، الأعلام ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٧ .

[٥] كتاب التوحيد ، ص ٤٢ ، وانظر : هذا المعنى في المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

والاستعاذة به وحده لا شريك له ، فليست شركاً ، بل ولا ممنوعة ، بل مستحبة ، أو جائزة " [(١)] .

٣ - وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في حديثه عن الرقى : " وأما إذا لم يُذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته ، والمأثور عن النبي ﷺ ، فهذا حسن : جائزٌ ، أو مُستحب " [(٢)] .

ومما استدل به علماء الدعوة على جواز الرقى الشرعية ، ما يلي :

١ - عن عوف بن مالك [(٣)] رضي الله عنه قال : كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ؟ قال : « اعرضوا عليّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » [(٤)] .

٢ - عن أنس رضي الله عنه قال : « رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة » [(٥)] .

٣ - عن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً : « لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم » [(٦)] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٥ .

(٢) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٤١ .

(٣) عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني ، من نبلاء الصحابة ، شهد فتح مكة ، وله عدة أحاديث ، مات سنة ٧٣هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧٢٧ ، رقم ٢٢٠٠ ، كتاب السلام ، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧٢٥ ، رقم ٢١٩٦ ، كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

(٦) أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٤٣٦ ، وأبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٢١٣ ، رقم ٣٨٨٤ ، كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم ، والترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٣٤٥ ، رقم ٢٠٥٧ ، كتاب الطب ، باب ما جاء في الرخصة في ذلك ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ، ج٢ ، ص ١٢٤٧ ، رقم ٧٤٩٦ ، وليس فيه عندهم " أو دم " وهي موجودة في الجامع الصغير ، كما في صحيح الجامع ، ج٢ ، ص ١٢٤٧ ، رقم ٧٤٩٦ .

٤ - عن بريدة بن الحُصَيْب [١] رضي الله عنه أنه قــال : « لا رقــيــة إلا من عين أو حمة » [٢] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في المسائل : " فيه الرخصة في الرقية من العين والحمة " [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " هذا والله أعلم في أول الأمر ثم رخص في الرقى إذا كانت بحق والله أعلم " [٤] .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله : " والمعنى : لا رقية أنفع وأولى من رقية المعيون أي : المصاب بالعين ، ورقية من لدغة ذي حمة " [٥] .

النوع الثاني : الرقى غير المشروعة وهي : ما اختل منها شرطٌ من الشروط الثلاثة السابقة ، فهذه الرقى محرمة وهي :

١ - إذا اشتملت على الشرك ، كالتي يستعان فيها بغير الله ، ويدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره ، فهذا شرك أكبر [٦] .

٢ - إذا كانت بغير العربية أو بما لا يفهم معناه ، فهذه محرمة خشية أن تكون شركاً .

٣ - إذا اعتقد أن الرقى تؤثر بذاتها ، وأنها تنفع وتضر فهذا شرك أكبر ، وإن اعتقد أنها سبب من الأسباب فهذا شرك أصغر ..

---

[١] بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي ، أبوعبدالله ، وقيل : اسمه عامر وبريدة لقبه ، صحابي شهير ، أسلم قبل بدر ، توفي سنة ٦٣هـ .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج١ ، ص ٣٦٧ ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ٤٣٢ ، تقريب التهذيب ، ص ١٦٦ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٩٩ ، رقم ٢٢٠ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب ، عن بريدة موقوفاً ، وأحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢٧١ ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١١٦١ ، رقم ٣٥١٣ ، كتاب الطب ، باب ما رخص فيه من الرقى ، عن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً .

[٣] كتاب التوحيد ، ص ٢٤ .

[٤] قرة عيون الموحدين ، ص ٣٨ .

[٥] إبطال التنديد ، ص ٣٥ .

[٦] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٥ ، ١٦٨ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٤١ .

وفي بيان الرقى غير المشروعة الموصوفة بالشرك يقول علماء الدعوة :

١ - قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " الرقى الموصوفة بكونها شركاً هي الرقى التي منها شرك ، من دعاء غير الله ، والاستغاثة به ، كالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والجن ونحو ذلك " [١] .

٢ - وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " الرقى الموصوفة بكونها شركاً ، هي التي يستعان فيها بغير الله " [٢] .

ومما أورده علماء الدعوة في التحذير من الرقى غير المشروعة ما يلي :

١ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرُّقى والتمَّائم والتِّوَلَةَ شِرْكٌ » [٣] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : " هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن على هذا الحديث : " والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله ﷺ وأصحابه ؛ لكمال علمهم بما دلت عليه " لا إله إلا الله " من نفي الشرك قليله وكثيره ؛ لتعلق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع - إلى أن قال - وفيه ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره ، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر " [٥] .

٢ - وقال رسول الله ﷺ : " لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك " [٦] .

وقد أورد علماء الدعوة بعض نصوص العلماء في التحذير من الرقى غير المشروعة ، ومن هذه النصوص التي أوردوها :

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٥ .

(٢) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٤١ .

(٣) سيأتي تخريجه ، ص ٥٢٣ .

(٤) كتاب التوحيد ، ص ٤٣ .

(٥) قرة عيون الموحدين ، ص ٦٩ .

(٦) تقدم تخريجه ، ص ٥١٢ .

١ – قال الخطابي : " وكان عليه السلام قد رَقى ورُقي ، وأمر بها وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى ، فهي مباحة أو مأمور بها ، وإنما جاءت الكراهية والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب ، فإنه ربما كان كفراً ، أو قولاً يدخله الشرك "[١] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على هذا القول : " قلت : من ذلك ما كان على مذهب الجاهلية التي يتعاطونها ، وأنها تدفع عنهم الآفات ، ويعتقدون أن ذلك من قبل الجن ومعونتهم "[٢] .

٢ – وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به ، فضلاً عن أن يدعو به ولو عرف معناه ، لأنه يكره الدعاء بغير العربية ، وإنما يرخص لمن لا يعرف العربية ، فأما جعل الألفاظ العجمية شعاراً ، فليس من الإسلام "[٣] .

مسألة : هل تنافي الرقى التوكل أو تقدح فيه ؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

الأول : ذهب بعض العلماء إلى كراهية الرقى ، وزعموا أنها تقدح في التوكل ، وعمدتهم في ذلك حديث ابن عباس في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حيث جاء في وصفهم « هم الذين لايسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »[٤].

الثاني : وذهب آخرون إلى أن الرقى لا تنافي التوكل ولا تقدح فيه .

الثالث : وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلى التفريق بين الراقي

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٥ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٤٢ ، وإبطال التنديد ، ص ٥٥ – ٥٦ .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، وفتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٤٣ ، وإبطال التنديد ، ص ٥٦ ، وانظر: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ومجموع الفتاوى ، ج١ ، ص ٣٦٢ .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه مطولاً ، ص ١٢٢٦ ، رقم ٥٧٠٥ ، كتاب الطب ، باب من اكتوى أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو ، وص ١٢٣٤ رقم ٥٧٥٢ ، كتاب الطب ، باب من لم يرق ، وأخرجه مختصراً برقم ٣٤١٠ ، ٦٤٧٢ ، ٦٥٤١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، رقم ٢٢٠ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

والمسترقي ، فالذي يقدح في التوكل هو طلب الرقية ، لا أن الإنسان يرقي نفسه أو غيره ، ففرق بين الراقي والمسترقي ، فالرقية إذا فعلها الإنسان بنفسه أو بغيره فإنها لا تنافي التوكل ، لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ ، وأما إذا طلبها من الناس فإنها تنافي تمام التوكل [١] .

وممن نصر هذا القول من علماء الدعوة الشيخ سليمان بن عبدالله [٢] ، وكأن الإمام محمد بن عبدالوهاب يختار هذا القول ؛ حيث إنه في كتاب التوحيد ساق رواية مسلم لحديث ابن عباس المتقدم - التي فيها زيادة (ولا يرقون) [٣]، ولم يذكر هذه الزيادة ؛ فلعله اختصرها كغيرها لما قيل إنها معلولة [٤] . وهو ظاهر اختيار الشيخ عبدالرحمن بن حسن والشيخ حمد بن عتيق ، حيث ذكرا هذا القول - قول شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - ولم يذكرا غيره [٥] .

وحجة هذا القول حديث ابن عباس - المتقدم - حيث ورد بلفظ (ولا يسترقون) .

أما ما جاء في رواية سعيد بن منصور عند مسلم بلفظ (ولا يرقون) فقد أجاب عنها الشيخ سليمان بن عبدالله نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية : فقال : " قال شيخ الإسلام : هذه الزيادة وَهْمٌ من الراوي ، لم يقل النبي ﷺ : (لا يرقون) ، لأن الراقي محسن إلى أخيه . وقد قال ﷺ وقد سئل عن الرقى قال : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » [٦] وقال : « لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً » [٧] . قال : وأيضاً فقد رقى

---

[١] انظر : مجموع الفتاوى ، ج١ ، ص ١٨٢ ، ٣٢٨ ، ومفتاح دار السعادة ، ج٢ ، ص ٥٥٥ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، رقم ٢٢٠ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب .

[٤] انظر : كتاب التوحيد ، ص ٢٠ - ٢٢ ، وتنبيه الشيخ سليمان بن عبدالله على ذلك في تيسير العزيز الحميد ، ص ١٠٨ .

[٥] فتح المجيد ، ج١ ، ص ١٦٥ ، وإبطال التنديد ، ص ٣٦ .

[٦] أخرجه مسلم ، ج٤ ، ص ١٧٢٦ - ١٧٢٧ ، رقم ٢١٩٩ ، كتاب السلام ، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ، وفي لفظ (فليفعل) من حديث جابر رضي الله عنه .

[٧] سبق تخريجه ، ص٥١٢.

جبريل النبي ﷺ [(١)] ، ورقى النبي ﷺ أصحابه [(٢)] .

قال : والفرق بين الراقي والمسترقي في أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه ، والراقي محسن .

قال : وإنما المراد وصف السبعين ألفاً بتمام التوكل ، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم ولا يتطيرون " [(٣)] .

وقد اعترض بعضهم على هذا الجواب كما ذكر ذلك الشيخ سليمان بن عبدالله بقوله : " ولكن اعترض بعضهم بأن قال : تغليط الراوي مع إمكان تصحيح الزيادة لا يصار إليه .

والمعنى الذي حمله على التغليط موجود في المرقي ، لأنه اعتل بأن الذي لا يطلب من غيره أن يرقيه تام التوكل ، فكذا يقال : والذي يفعل به غيره ذلك ينبغي أن لا يمكنه منه لأجل تمام التوكل .

وليس في وقوع ذلك من جبريل عليه السلام دلالة على المدعي ، ولا في فعل النبي ﷺ له أيضاً دلالة في مقام التشريع وتبيين الأحكام " [(٤)] .

وقد أجاب على هذا الاعتراض الشيخ سليمان بن عبدالله بقوله : " كذا قال : هذا القائل ، وهو خطأ من وجوه :

الأول : أن هذه الزيادة لا يمكن تصحيحها إلا بحملها على وجوه لا يصح حملها عليه ، كقول بعضهم : المراد لا يرقون بما كان شركاً أو احتمله ، فإنه ليس في الحديث ما يدل على هذا أصلاً ، وأيضاً فعلى هذا لا يكون للسبعين مزية على غيرهم ؛ فإن جملة المؤمنين لا يرقون بما كان شركاً .

الثاني : قوله : فكذا يقال ... الخ لا يصح هذا القياس ، فإنه من أفسد القياس ، وكيف

---

(١) كما ثبت ذلك في صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٧١٨ ، رقم ٢١٨٥ ، كتاب السلام ، باب الطب والمرض والرقى ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، ورقم ٢١٨٦ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) كما ثبت ذلك في صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٧٢١ - ١٧٢٣ ، رقم ٢١٩١ ، كتاب السلام ، باب استحباب رقية المريض من حديث عائشة رضي الله عنها ، وج٤ ، ص ١٧٢٣ - ١٧٢٤ ، رقم ٢١٩٢ ، كتاب السلام ، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٠٨ ، وانظر : كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ، ج١ ، ص ١٨٢ ، ٣٢٨ ، واقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٨٢٨ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٠٨ .

يقـاس من سـأل وطلب على من لم يسـأل ؟! مع أنه قـيـاس مع وجـود الفـارق الشرعي ، فـهو فـاسد الاعتبار ، لأنه تسوية بين ما فرق الشارع بينهما بقوله : « من اكـتوى أو اسـترقى فـقـد برئ من التـوكل » [١] ... ، وكـيف يجـعل ترك الإحسان إلى الخلق سبباً للسبق إلى الجنان ؟! وهذا بخلاف من رقى أو رقي من غير سؤال، فقد رقى جبريل النبي ﷺ ، ولا يجوز أن يقال : إنه عليه السلام لم يكن متوكلاً في تلك الحال .

الثالث : قوله : ليس في وقوع ذلك من جبريل عليه السلام ... الخ ، كلام غير صحيح بل هما سيدا المتوكلين ، فإذا وقع ذلك منهما ، دل على أنه لا ينافي التوكل ، فاعلم ذلك " [٢] .

مسألة حكم أخذ الأجرة على الرقى ؟

أخذ الأجرة على الرقى جائز ومباح ، ودليل هذا حديث ابن عباس أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ ، مروا بماء فيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء ، فقال : هل فيكم من راق إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً ؟ فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرأ ، فجاء بالشاء إلى الصحابة فكرهوا ذلك ، وقالوا : أخذت على كتاب الله أجراً حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجراً فقال : رسول الله ﷺ : « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » [٣] .

وقد أشار إلى هذه المسألة الإمام محمد بن عبدالوهاب في ردّه على من أجاز رشوة الحاكم إذا أخذ الرشوة من صاحب الحق إذا حكم له به مستدلاً بهذا الحديث ، يقول رحمه الله : " وأما استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله : « أحقُّ ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله » فجوابه من وجوه " وذكر منها " الوجه الرابع : أن حمل الحديث على هذا من الفرية الظاهرة والكذب البحت على رسول الله ﷺ ، فإن معنى ذلك في الإنسان الذي يداوي المريض

---

[١] أخرجه أحمد ، ج٤ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، وابن ماجة ، ج٢ ، ص ١١٥٤ ، رقم ٣٤٨٩ ، كتاب الطب ، باب الكي ، والترمذي ، ج٤ ، ص ٣٤٤ ، رقم ٢٠٥٥ ، كتاب الطب ، باب ما جاء في كراهية الرقية وقال : "حسن صحيح" ، من حديث المغيرة بن شعبة .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٤٤٦ ، كتاب الإجارة ، باب ما يعُطي في الرقية .. عن ابن عباس مرسلاً .

بالقرآن فيأخذ على الطب والدواء ، لا على الحكم وإيصال الحق إلى مستحقه " [(١)] .

ب - التمائم :

تعريف التمائم :

ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله تعريف التمائم عن بعض العلماء فقال : " قال المنذري [(٢)] : يقال : إنها خرزة كانوا يعلقونها ، يرون أنها تدفع عنهم الآفات ، واعتقاد هذا الرأي جهل وضلالة ؛ إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى .

وقال أبوالسعادات : التمائم : جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم ، يتقون بها العين في زعمهم ، فأبطله الإسلام " [(٣)] .

وقال أيضاً في موضع آخر : " وقال الخلخالي [(٤)] : التمائم جمع تميمة ، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين ، وهذا منهي عنه ، لأنه لا دافع إلا الله ، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته " [(٥)] .

قال الشيخ سليمان معلقاً على قول الخلخالي : " وظاهره أن ما علق لدفع العين

---

(١) جواب للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، الفتاوى ، ج٣ ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله المنذري الشافعي ، المصري ، أبومحمد ، زكي الدين ، الحافظ الإمام العلامة ، كان بارعاً في الحديث على اختلاف فنونه ، ثبتاً ورعاً ، له عدة مصنفات منها : الترغيب والترهيب ، توفي سنة ٦٥٦هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٢٣ ، ص ٣١٩ - ٣٢٤ ، التاج المكلل ، ص ١٦١ ، الرسالة المستطرفة ، ص ١٨١ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٠ ، وكلام أبي السعادات في كتابه النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص ١٩٧ .

(٤) محمد بن مظفر الخطيبي الشافعي ، المعروف بالخلخالي ، كان إماماً في العلوم النقلية والعقلية ، وصنف التصانيف المشهورة ، كشرح المصابيح ، توفي سنة ٧٤٥هـ .
انظر في ترجمته : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ١٦٠ ، وشذرات الذهب ، ج٦ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ . ومعجم المؤلفين ، ج٣ ، ص ٧٢٦ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٧ .

وغيرها ، فهو تميمة من أي شيء كان ، وهذا هو الصحيح وقد يقال : إن كلام المنذري وابن الأثير وغيرهما لا يخالفه "[1] .

وعرفها الإمام محمد بن عبدالوهاب بقوله : " التمائم : شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين "[2] .

حكم التمائم :

التمائم نوعان :

النوع الأول : أن تكون من غير القرآن ، من خرزات أو حلقات أو مسامير أو عظام أو غير ذلك مما كانت تعمله الجاهلية ، فهذه محرمة شرعاً وهي من الشرك الأصغر ، إلا أن يعتقد من علقها أنها تدفع الشر عنه بنفسها دون الله عز وجل فإنها في هذه الحالة تكون من الشرك الأكبر .

أما من علقها معتقداً أنها سبب لدفع الأذى ، أو دفع الجن أو نحو ذلك فهذا من المحرمات الشركية شركاً أصغر وليس ذلك من الشرك الأكبر .

النوع الثاني : التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته ، ففي جوازها خلاف بين السلف من الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، فبعض السلف أجازها ، والبعض منهم منع ذلك وكرهه ولم يره جائزاً .

يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب مبيناً ذلك : " لكن إذا كان المعلق من القرآن ، فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود "[3] .

وقد بسط الخلاف في هذه المسألة الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في تيسير العزيز الحميد ، يقول رحمه الله : " اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته .

---

[1] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٧ .

[2] كتاب التوحيد ، ص ٤١ .

[3] كتاب التوحيد ، ص ٤١ .

فقالت طائفة : يجوز ذلك ، وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره ، وهو ما روي عن عائشة ، وبه قال أبوجعفر الباقر [١] وأحمد في رواية .

وقالت طائفة : لا يجوز ذلك ، وبه قال ابن مسعود ، وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة ، وعقبة بن عامر ، وابن عكيم رضي الله عنهم ، وبه قال جماعة من التابعين ، منهم أصحاب ابن مسعود ، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه . وجزم بها المتأخرون " [٢] .

وقد اختار الشيخ سليمان بن عبدالله والشيخ عبدالرحمن بن حسن قول من منع ذلك ، يقول الشيخ عبدالرحمن : " قلت : وهذا هو الصحيح ، لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل :

الأول : عموم النهي ، ولا مخصص للعموم .

الثاني : سد الذريعة ، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك .

الثالث : أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنة المعلّق ، بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك ... " [٣] .

وهذا القول والله أعلم هو الصواب ، لا سيما وأن القول بالجواز يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن ، كأسماء الجن والشياطين والحجب والطلاسم الشيطانية ونحوها من الأمور الشركية ، كما حدث ذلك يقول الشيخ سليمان بن عبدالله حاكياً ذلك : " هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته ، فما ظنك بما حدث بعدهم من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها ؟! بل والتعلق عليهم ، والاستعاذة بهم ، والذبح لهم ، وسؤالهم كشف الضر ، وجلب الخير مما هو شرك محض ... " [٤] .

---

[١] محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبوجعفر الباقر ، ثقة فاضل ، كان من فقهاء المدينة ، قيل له : الباقر لأنه بقر العلم أي : شقه وعرف أصله وخفيه وتوسع فيه ، توفي سنة ١١٤هـ وقيل ١١٧هـ . انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٤٠١ ، وتهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص ٣٥٠ ، وتقريب التهذيب ، ص ٨٧٩ ، وشذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٤٩ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٧ - ١٦٨ باختصار .

[٣] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٤٤ ، وانظر : هذه الوجوه الثلاثة في قرة عيون الموحدين ، ص ٧٣ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٨ .

الأدلة :

أورد علماء الدعوة أدلة النهي عن التمائم مطلقاً سواء من القرآن أو من غيره ، ومنها :

١ - عن أبي بشير الأنصاري [١] : أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً : « أن لا يَبقينَّ في رقبة بعير قلادةٌ من وتَر - أو قلادةٌ - إلا قطعت » [٢] .

(الوَتَر) كما يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن هو : " واحد أوتار القوس ، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره ، وقلّدوا به الدواب ؛ اعتقاداً منهم أنه بهذا يدفع عن الدّابة العين ، ولهذا أمر ﷺ بقطع الأوتار التي علقت على الإبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها " [٣] .

قوله : (أو قلادة) شك الراوي هل قال شيخه : قلادة من وتر ، أو قال : قلادة . وأطلق ولم يُقيّد ؟ .

وقد اختار الشيخ سليمان الأول ، وذكر أن تقييدها بالوتر أصح ، لاتفاق الشيخين عليها ، ولثبوت الترخيص في القلائد إلا الأوتار [٤] .

ووجه الدلالة من الحديث : أن تقليد الإبل وغيرها الأوتار وما في معناها حرام ، بل شرك ، لأنه من تعليق التمائم المحرمة ، ومن تعلق تميمة فقد أشرك [٥] .

---

[١] أبوبشير الأنصاري الساعدي المازني ، قيل : واسمه قيس بن عبيد ، صحابي ممن شهد الخندق ، توفي بعد الستين ، وقد جاوز المائة .
انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ٢١ - ٢٢ ، تقريب التهذيب ، ص ١١١٤ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٦٠٨ ، رقم ٣٠٠٥ ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ، ومسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٦٧٢ ، رقم ٢١١٥ ، كتاب اللباس والزينة ، باب كراهية قلادة الوتر في رقبة البعير .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ٦٨ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٣ .

[٥] المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

٢ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك » [(١)] .

فدل الحديث على أن هذه الثلاثة من الشرك من غير استثناء .

ومنها التمائم ، وإنما كان ذلك من الشرك ، لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة ، وطلبوا دفع الأذى من غير الله فأبطله الإسلام .

وفي هذا الحديث دليل على منع تعليق التمائم مطلقاً من القرآن وأسماء الله وصفاته أو من غيرها .

وقد احتج بهذا الحديث من منع تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته ؛ لأن ظاهره العموم لم يفرق بين التي من القرآن وغيرها [(٢)] .

٣ - عن عبدالله بن عكيم [(٣)] ، مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وُكِل إليه » [(٤)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " التعلق يكون بالقلب ويكون بالفعل ، ويكون بهما جميعاً ، أي : من تعلق شيئاً بقلبه ، أو تعلقه بقلبه وفعله ، وُكِل إليه ، أي : وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه ، فمن تعلقت نفسه بالله ، وأنزل حوائجه بالله ، والتجأ إليه ، وفوض أمره كله إليه ، كفاه كل مؤنة ، وقرب إليه كل بعيد ، ويسر له كل عسير ، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى علمه وعقله ودوائه وتمائمه ، واعتمد على حوله وقوته ، وكله الله إلى ذلك وخذله ، وهذا معروف بالنصوص والتجارب . قال

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٣٨١ ، وأبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٢١٢ ، رقم ٣٨٨٣ ، كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١١٦٦ ، رقم ٣٥٣٠ ، كتاب الطب ، باب تعليق التمائم ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٨ ، فتح المجد ، ج١ ، ص ٢٤٤ .

(٣) عبدالله بن عكيم الجهني ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، وقيل : له صحبة ، سمع كتاب النبي ﷺ إلى جهينه ، مات في إمرة الحجاج .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٧٩ - ٨٠ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٥١٠ - ٥١٢ ، تقريب التهذيب ، ص ٥٢٧ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٣١١ ، والترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٣٥٢ ، رقم ٢٠٧٢ ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢١٦ ، والحديث رمز لحسنه السيوطي كما في فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج٦ ، ص ١٣٨ ، رقم ٨٥٩٩ .

الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [١] " [٢] .

٤ - عن عقبه بن عامر ، مرفوعاً : « من تعلّق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلّق وَدْعةً [٣] فلا ودَع الله له » [٤] .

وقد بيَّن علماء الدعوة معنى هذا الحديث .

فقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن على قوله : « من تعلّق تميمة » " أي : علّقها متعلقاً بها قلبه ، في طلب خير أو دفع شر " [٥] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله على قوله : « فلا أتم الله له » " دعاء عليه بأن الله لا يتم له أموره " [٦] .

وقال الشيخ حمد بن عتيق على قوله : « فلا ودَع الله له » " أي : لا جعله في دعة وسكون ، وقيل : أي لا خفف الله عنه ما يخافه " [٧] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وهذا دعاء عليه ، فيه وعيد شديد لمن فعل ذلك ، فإنه مع كونه شركاً ، فقد دعا عليه رسول الله ﷺ بنقيض مقصوده " [٨] .

---

[١] سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٩ - ١٧٠

[٣] الودعة : هو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم ، وإنما نهي عنها لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين ، (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير ، ج٥ ، ص ١٦٨ .

[٤] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ١٥٤ ، وأبويعلى في المسند ، ج٣ ، ص ٢٩٦ ، رقم ١٧٥٩ ، والطبراني في الكبير ، ج١٧ ، ص ٢٩٧ ، رقم ٨٢٠ ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢١٦ ، ٤١٧ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد وأقرّه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص ١٠٣ ، " رواه أحمد وأبويعلى والطبراني ورجالهم ثقات " . وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة ، ص ٧٨ ، رقم ٢٦٢ : " رجال حديثه موثوقون " .

[٥] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٢٣٥ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٠ .

[٧] إبطال التنديد ، ص ٥٣ .

[٨] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٦٠ .

٥ - وعنه أيضاً : أن رسول الله ﷺ قال : « من تعلّق تميمة فقد أشرك »[1] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن معلقاً على هذا الحديث : " وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه ، وهذا أيضاً ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله ، لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله ... كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[2] فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك ، وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم "[3] .

٦ - عن رويفع[4] قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا رويفع ، لعل الحياة ستطول بك ، فأخبر الناس : أن من عقد لحيته ، أو تقلد وتراً ، أو استنجى برجيع دابة أو عظم ، فإن محمداً بريء منه »[5] .

الشاهد من الحديث : « أو تقلد وتراً »[6] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً معنى ذلك : " أي : جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته ونحو ذلك . وفي رواية محمد بن الربيع : « أو تقلد

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ١٥٦ ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢١٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص ١٠٣ : " ورجال أحمد ثقات " وقال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد ، ص ١٥٩ : " ورواه الحاكم بنحوه ، ورواته ثقات " .

(٢) سورة النساء الاية : ١٢٥ .

(٣) قرة عيون الموحدين ، ص ٦٦ .

(٤) رويفع بن ثابت بن السكن بن عدي بن حارثة الأنصاري ، المدني ، صحابي جليل ، شهد فتح مصر ، وله آثار جيدة في فتح بلاد المغرب ، سكن مصر ، وولي إمرة برقة ، وتوفي بها سنة ٥٦هـ .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج٢ ، ص ٢٩٨ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٣٦ ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٦١ ، تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص ٢٩٩ ، تقريب التهذيب ، ص ٣٣٠ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٥٥ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، وأبوداود في سننه ، ج١ ، ص ٣٤ ، رقم ٣٦ ، كتاب الطهارة ، باب ما ينهى أن يستنجى به ، والنسائي في سننه ، ج٨ ، ص ١٣٥ ، رقم ٥٠٦٧ ، كتاب الزينة ، باب عقد اللحية ، والطبراني في الكبير ، ج٥ ، ص ٢٨ ، رقم ٤٤٩١ ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ، ج١ ، ص ١٠ .

(٦) انظر : إبطال التنديد ، ص ٥٧ .

وتراً ، يريد : تميمة » فهذا يدل على أنهم كانوا يتقلدون الأوتار من أجل العين ، إذ فسره بالتميمة وهي تجعل لذلك " [١] .

وهذا يدل على أن تعليق الوتر شرك لما كانوا يقصدونه بتعليقه على الدواب وغيرها [٢] .

٧ - عن سعيد بن جبير [٣] ، قال : « من قطع تميمة من إنسان ، كان كعدل رقبة » [٤] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة من هذا الأثر : " فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم والترغيب في قطعها وأن ذلك مما يجب " [٥] .

وقال الإمام محمد رحمه الله تعالى في المسائل مبيناً فضل ذلك : " الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان " [٦] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مقرراً فضل قطع التميمة " وفيه فضل قطع التمائم ، لأنها من الشرك " [٧] .

٨ - عن إبراهيم [٨] قال : « كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن » [٩] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " أراد أصحاب عبدالله بن

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

[٢] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٧١ .

[٣] سعيد بن جبير الأسدي ، مولاهم ، الكوفي ، أبوعبدالله ، وقيل : أبومحمد ، الإمام ، الحافظ ، المقرىء ، المفسر ، الفقيه ، المحدث ، أحد أعلام التابعين ، قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٧١ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٣٢١ ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٩٦ - ٩٨ ، تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص ١١ ، تقريب التهذيب ، ص ٣٧٤ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٠٨ .

[٤] أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف ، ج٥ ، ص ٣٥ ، رقم ٢٣٤٦٣ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ٧٢ .

[٦] كتاب التوحيد ، ص ٤٤ .

[٧] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٧٣ .

[٨] المراد إبراهيم النخعي .

[٩] أخرجه أبن أبي شيبة في المصنف ، ج٥ ، ص ٣٥ ، رقم ٢٣٤٥٧ .

مسعود .. كانوا يطلقون الكراهة على المحرم ، وهذا القول الصحيح ؛ لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب . وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لأمور ثلاثة : منها : دخوله في عموم المنهي عنه ، ومنها : كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن فيفضي إلى عدم إنكارها ، والثالث أن تعليق القرآن يكون سبباً في امتهانه ، فإنه من علقه فلا بد أن يدخل به الخلاء ونحوه " [1] .

قرة عيون الموحدين ، ص ٧٢ - ٧٣ .

المطلب الثالث

التطير

عالج علماء الدعوة موضوع التطير في كتاباتهم ، فبينوا حقيقة التطير والطيرة ، وبينوا شدة خطره على المعتقد ، ومرتبته من الشرك ، وأفاضوا في ذكر الأدلة المحذرة منه ، وأجابوا عن الأحاديث التي ظن بعض الناس أنها تدل على جواز التطير .

أ - تعريفه :

عرف الشيخ سليمان بن عبدالله التطير بقوله :

" مصدر تطير يتطير [١] ، والطِّيرةُ أيضاً - بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن - مصدر تطير ، يقال : تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما ، وأصله فيما يقال : التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم ، فإذا أرادوا أمراً فإن رأو الطير مثلاً طار يمنة تيمنوا به ، وإن طار يسرة تشاءموا به ، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر .

قال المدائني [٢] : سألت رؤبة بن العجاج ما السانح ؟ قال : ما ولاك ميامنه . قلت : فما البارح ؟ قال : ماولاك مياسره . قال والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح ، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد " [٣] .

وقد ذكر هذا التعريف الشيخ عبدالرحمن بن حسن [٤] ، وعرفه الشيخ سليمان في موضع آخر بقوله : " التطير : هو التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع " [٥] .

---

(١) في فتح المجيد : " اسم مصدر من تطير طيرة " ، ج٢ ، ص ٥٠٥ .

(٢) علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف المدائني الأخباري ، أبو الحسن ، كان عجباً في معرفة السير والمغازي ، والأنساب وأيام العرب ، مصدقاً فيما ينقله ، عالي الاسناد ، صنف التصانيف ، منها كتاب الزجر والفأل ، توفي سنة ٢٢٥هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص ٤٠٠ ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٢٥٩ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٥٤ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

(٤) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٠٥ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٩ .

ب - حكمه :

بين علماء الدعوة أن التطير محرم شرعاً ، وأنه من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب .

وقد عقد الإمام محمد في كتاب التوحيد باباً سماه : " باب ما جاء في التطير "[١] أورد فيه جملة من الأدلة المحذرة من التطير .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله معلقاً على هذا الباب :

" لما كانت الطيره باباً من الشرك منافياً للتوحيد أو لكماله ، لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ، ذكره المصنف في كتاب التوحيد تحذيراً منها ، وإرشاداً إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله "[٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن مبيناً حكم الطيرة وشدة خطرها على المعتقد :

" الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب ، لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته بتعلُّق القلب بها خوفاً وطمعاً ، ومنافاتها للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره ، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد ، فهذا وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك وهذا كاعتقاد المنجِّمين في النجوم التي سخرها الله تعالى ، اعتقدوا أن لها تأثيراً في الكون ، وهي خلقٌ مسخر لا تنفع ولا تضر "[٣] .

وبين علماء الدعوة أن التطير قد يكون شركاً أكبر منافياً للتوحيد وذلك إن اعتقد أن المتطير به فاعل من دون الله ، يفعل ويحدث الشر بنفسه .

أو اعتقد أن الطير تخبره عما هو صائر إليه في المستقبل ، ونحو هذا الاعتقاد ، كما قرر هذا الشيخ حمد بن معمر يقول رحمه الله في جواب له :

" فإن أراد السائل : أن المتطير إذا زجر الطير ، أو تطير بما يراه من علم النجوم

---

[١] كتاب التوحيد ، ص ١١١ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢١ .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٠٦ .

وغيره ، أو بما يسمعه من الكلام ، يعتقد أن ذلك من علم الغيب [١] ، وأن الطير تخبره عما هو صائر إليه في المستقبل ، أو أن الأفلاك تدبر أمر الخلائق ، فليس هذا من الشرك الأصغر ، بل هذا من الشرك الأكبر ، نظير شرك عباد الكواكب " [٢] .

وأشار الشيخ سليمان بن عبدالله إلى أثر الطيرة على نفسية المسلم وعقيدته فقال : " واعلم أن ما [٣] كان معتنياً بها قابلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره ، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه ، وينكد عليه عيشه ، فالواجب على العبدَ التوكل على الله ومتابعة رسول الله ﷺ ، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك " [٤] .

ج - الأدلة :

جاءت آيات وأحاديث كثيرة فيها النهي والتحذير عن التطير ، أوردها علماء الدعوة وهذه الآيات والأحاديث هي :

١- قال تعالى : ﴿ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥] .

٢ - قال تعالى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [٦] .

ووجه الدلالة من الآيتين كما قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين ، وقد ذمهم الله به ومقتهم " [٧] .

---

[١] في الدرر السنية ، ج١١ ، ص ٤١ : " يعتقد في ذلك علم الغيب " .

[٢] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٦٩ - ٧٠ .

[٣] كذا في الأصل ، ولعل الصواب من .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢١ .

[٥] سورة الأعراف الآية : ١٣١.

[٦] سورة يس الآية : ١٩ .

[٧] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٠٨ .

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »[١] .

الشاهد قوله : « ولا طيرة »

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى نقلاً عن ابن القيم : « هذا يحتمل أن يكون نفياً أو يكون نهياً ، أي : لا تتطيروا ، ولكن قوله في الحديث : « ولا عدوى ولا صفر ولا هامة » يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها ، والنفي في هذا أبلغ من النهي ، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ، والنهي إنما يدل على المنع منه ... "[٢]

وهذا ما قرره الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في المسائل . قال رحمه الله : " الثالثة : نفي الطيرة "[٣] .

٤ - عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل » قالوا : وما الفأل ؟ قال (الكلمة الطيبة)[٤] .

وقد تناول علماء الدعوة تعريف الفأل والفرق بينه وبين الطيرة ، فقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن موضحاً ذلك في تعليقه على هذا الحديث : " قال أبوالسعادات : الفأل مهموز فيما يسر ويسوء ، والطيرة لا تستعمل إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر[٥] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٣٥ ، رقم ٥٧٥٧ ، كتاب الطب ، باب لا هامة ، ومسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧٤٤ ، رقم ٢٢٢٠ ، كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢٧ ، وكلام ابن القيم ذكره في كتابه مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ج٢ ، ص ٥٥٦ .

(٣) كتاب التوحيد ، ص ٨٢ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٣٥ ، رقم ٥٧٥٦ ، كتاب الطب ، باب الفأل ، ومسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧٤٦ ، رقم ٢٢٢٤ ، كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ابن الأثير ، ج٣ ، ص ٤٠٥ .

قوله : « قالوا : وما الفأل » ؟ قال « الكلمة الطيبة » بين ﷺ أن الفأل يعجبه ، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها .

قال ابن القيم : ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك ، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها ، والله تعالى جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه ، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك فإذا سمعت الأسماع أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنتها ، وأثار ذلك لها خوفاً وتطيراً وانكماشاً وانقباضاً عما قصدته وعزمت عليه ، فأورث لها ضرراً في الدنيا ، ونقصاً في الإيمان ، ومقارفة للشرك " [١] .

وقال الحليمي [٢] : " وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل ، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال " [٣] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في المسائل : " السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب " [٤] .

٥ - عن عروة بن عامر [٥] قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ ، فقال « أحسنها

---

(١) قرة عيون الموحدين ، ص ١٥٣ - ١٥٤ ، وكلام ابن القيم في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ج٢ ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .

(٢) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي المعروف بالحليمي ، أبوعبدالله ، له مصنفات نفيسة منها : المنهاج في شعب الإيمان ، انتهت إليه رياسة المحدثين في عصره ، توفي سنة ٤٠٣هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ١٣٧ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٧ ، ص ٢٣٢ ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٣٤٩ ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ١٦٧ ، الرسالة المستطرفة ، ص ٥٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٥ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥١٩ ، وكلام الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان ، ج٢ ، ص ٢٥ .

(٤) كتاب التوحيد ، ص ١١٤ .

(٥) عروة بن عامر القرشي ويقال الجهني المكي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، قال ابن حجر في التهذيب : " اثبت غير واحد له صحبة وشك فيه بعضهم وروايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابياً " .
انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٢٦ ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ، ص ١٨٥ .

الفأل ، ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك »[١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث : " قال ابن القيم ... : أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها ، فأبطل الطيرة ، وأخبر أن الفال منها ، ولكنه خير منها ، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ، ونفع أحدهما ومضرة الآخر ، ونظير هذا منعه من الرقى بالشرك ، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة "[٢] .

٦ - عن ابن مسعود مرفوعاً : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك » وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل[٣] .

أوضح شراح كتاب التوحيد أن هذا الحديث صريح في تحريم الطيرة ، وأنها من الشرك ، لما فيها من تعلق القلب بغير الله تعالى[٤] .

وقد استنبط الإمام محمد من كلام ابن مسعود " وما منا إلا " ... " أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر ، بل يذهبه الله بالتوكل "[٥] .

٧ - عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً : « من ردته الطيرة عن حاجته فقد

---

[١] أخرجه أبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٢٣٥ ، رقم ٣٩١٩ ، كتاب الطب ، باب في الطيرة ، قال النووي في رياض الصالحين ، ص ٤٧٧ : " حديث صحيح رواه أبوداود بإسناد صحيح " وصحح الإمام محمد بن عبدالوهاب إسناده كما في كتاب التوحيد ، ص ١١٢ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٦ ، وكلام ابن القيم في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ج٢ ، ص ٥٦٧ .

[٣] أخرجه أبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٢٣٠ ، رقم ٣٩١٠ ، كتاب الطب ، باب في الطيرة ، والترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ١٣٨ ، رقم ١٦١٤ ، كتاب السير ، باب ما جاء في الطيرة ، وقال : "هذا حديث حسن صحيح" ، وابن حبان في صحيحه ، ج١ ، ص ٦١٦ ، رقم ١٤٢٧ " موارد " ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١١٧٠ ، رقم ٣٥٣٨ ، كتاب الطب ، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة . والحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص ١٧ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في الصحيحة ، ج١ ، ص ٧٩١ ، رقم ٤٢٩ ، وقال الحافظ في الفتح ، ج١٠ ، ص ٢٢٤ : ... « وما منا إلا » من كلام ابن مسعود أدرج في الخبر ، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه " .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٨ ، وفتح المجيد ، ص ٥٢٣ ، وإبطال التنديد ، ص ١٥٥.

[٥] كتاب التوحيد ، ص ١١٥ .

أشرك » ، قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك » [١] .

قال الشيخ الإمام محمد رحمه الله في المسائل : " العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك " [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وذلك أن التطير هو التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها عن سفره ، وامتنع بها عما عزم عليه ، فقد قرع باب الشرك ، بل ولجه وبرىء من التوكل على الله ، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله ، وذلك قاطع له عن مقام إياك نعبد وإياك نستعين ، فيصير قلبه متعلقاً بغير الله ، وذلك شرك ، فيفسد عليه إيمانه ، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة . ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه ، وكم ممن هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة " [٣] .

وفي الحديث من الفوائد : ذكر كفارة ما يقع من الطيرة . فإذا قال ذلك الدعاء « اللهم ... » الخ ، وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلاً على الله وتفويضاً إليه ، كفر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك [٤] .

قال الشيخ الإمام محمد رحمه الله : " الطيرة تعم أنواعاً ، منها مالا إثم فيه كما قال عبدالله : وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل ، فإذا وقع في القلب شيء وكرهه ولم يعمل به بل خالفه وقال ذلك لم يضره شيء ، فإن عمل من الحسنات شيئاً فهو أبلغ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٢٢٠ ، والطبراني كما في المجمع ، ج٥ ، ص ١٠٥ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص ١٠٥ ، : " رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن ، وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات " ، وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٩ : " وفي إسناده ابن لهيعة وفيه اختلاف ، وبقية رجاله ثقات " ، ورمز لحسنه السيوطي كما في فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج٦ ، ص ١٧٦ ، رقم ٨٧٠١ ، وقال أحمد شاكر في شرح المسند ، ج١٢ ، ص ١٠ ، رقم ٧٠٤٥ : " اسناده صحيح " ، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ، ج٣ ، ص ٥٤ ، رقم ١٠٦٥ .

(٢) كتاب التوحيد ، ص ١١٥ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٩

(٤) انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ١٥٦ .

وأتم في الكفارة ، ولو قدرنا أن تلك الطيرة من الشرك الخفي أو الظاهر ثم تاب وقال هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك " [١] .

٨ - عن الفضل بن عباس [٢] : « إنما الطيرة ما أمضاك أوردك » [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " هذا حد الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراد ، أو يمنعه من المضي فيه كذلك .

وأما الفأل الذي كان يحبه ﷺ ففيه نوع بشارة ، فيسر به العبد ولا يعتمد عليه ، بخلاف الطيرة ، فافهم الفرق " [٤]

هذه بعض الآيات والأحاديث في النهي عن التطير وأنه شرك والأدلة في هذا كثيرة .

د - موقف علماء الدعوة من الأحاديث التي ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة :

أورد علماء الدعوة بعض الأحاديث التي ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة ، وأجابوا عنها ، وهي على النحو التالي :

الحديث الأول : عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة ، والشؤم في ثلاث : في المرأة ، والدار ، والدابة » [٥] .

---

[١] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الثالث، الفتاوي ، ص ٥٤ .

[٢] الفضل بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ يكنى أباعبدالله ، وقيل : أبومحمد ، وكان أسن ولد العباس ، استشهد في خلافه عمر .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٣٣٣ ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص ٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٤٤٤ ، تهذيب التهذيب ، ج٨ ، ص ٢٨٠ ، تقريب التهذيب ، ص ٧٨٣ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢١٣ ، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ،ج٣ ، ص ٣٥٨ : " رواه أحمد من رواية محمد بن عبدالله بن علاثة وهو مختلف فيه ، وفيه انقطاع " ، وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤٠ : " هكذا رواه أحمد وفي إسناده نظر . وقرأت بخط المصنف : فيه رجل مختلف فيه ، وفيه انقطاع أي : بين مسلم وبين الفضل " وقال الساعاتي في بلوغ الأماني ، شرح الفتح الرباني ، ج١٧ ، ص ١٩٩ : " لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وسنده ضعيف لانقطاعه ، فإن مسلمة الجهني لم يدرك الفضل بن عباس والله أعلم " .

[٤] قرة عيون الموحدين ، ص ١٥٧ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٢٣٥ ، رقم ٥٧٥٣ ، كتاب الطب ، باب الطيرة ، من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

وقد تكلم العلماء رحمهم الله تعالى على هذا الحديث ، وأجابوا عنه بعدة أجوبة ، ذكر بعض هذه الأجوبة الشيخ سليمان بن عبدالله [1] ، وهذه الإجوبة هي :

١ - إنكار ذلك وأن الرسول ﷺ لم يقله وهو قول عائشة رضي الله عنها .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " أنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت : كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم من حدث بها ، ولكن رسول الله ﷺ كان يقول : " كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في المرأة والدار والدابة ، ثم قرأت عائشة : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [2] " [3] .

٢ - وقال الخطابي وابن قتيبة [4] : هذا مستثنى من الطيرة ، أي : الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع والطلاق ونحوه ، ولا يقيم على الكراهة والتأذي به فإنه شؤم [5] .

٣ - وقالت طائفة : لم يجزم النبي ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ، بل علقه على الشرط كما ثبت ذلك في الصحيح ، ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد بمفردها ، قالوا : والراوي غلط .

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢٨ - ٤٣٢ .

(٢) سورة الحديد الآية : ٢٢ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، والأثر رواه الإمام أحمد في المسند بنحوه ، ج٦ ، ص ٢٤٦ ، والحاكم في المستدرك ، ج٢ ، ص ٤٧٩ ، مختصراً وقال : " صحيح الاسناد " ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص ١٠٤ : " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح " وصححه الألباني كما في الصحيحة ، ج٢ ، ص ٦٨٩ ، رقم ٩٩٣ ، وقال المعلمي في الأنوار الكاشفة ، ص ١٧١ : " رواه الإمام أحمد في المسند من طريق قتادة عن أبي حسان ، وليس بالصحيح عن عائشة ، لأن قتادة مدلس .. ، وليس في شيء من روايات أحمد لفظ (كذب) ولو صحت لكانت بمعنى أخطأ كما يدل عليه آخر الحديث " .

(٤) عبدالله بن مسلم بن قتيبه ، أبومحمد ، العلامة الكبير ، ذو الفنون ، الكاتب ، صاحب التصانيف ، مات سنة ٢٧٦هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٤٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص ٢٩٦ ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص ٥٠٣ ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص ٤٨ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٥) انظر : معالم السنن للخطابي ، ج٥ ، ص ٣٨٠ ، وفتح الباري ، ج٦ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

علق الشيخ سليمان بن عبدالله على هذا الكلام بقوله : " قلت : لا يصح تغليطه مع إمكان حمله على الصحة ، ورواية تعليقه بالشرط لا تدل على نفي رواية الجزم "[1] .

٤ - وقالت طائفة أخرى : الشؤم بهذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها فيكون شؤمها عليه ، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه ، قالوا : ويدل عليه حديث أنس : « الطيرة على من تطير »[2] ، وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه ، كما يجعل الثقة به والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر .

٥ - وقال ابن القيم : إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق أعياناً منها مشؤومة على من قاربها وسكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه ، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها ، فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليُمْن والبركة له ، ويخلق بعضها نحوساً يتنحس بها من قاربها ، وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ، ولذذ بها من قاربها من الناس ، وخلق ضدها وجعلها سبباً لألم من قاربها من الناس ، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل ، فهذا لون والطيرة الشركية لون "[3] .

وقد نقل قول ابن القيم الشيخ عبدالرحمن بن حسن[4] والشيخ حمد بن عتيق[5] ولم ينقلا غيره .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٢٩ .

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ، ج١ ، ص ٦١٦ - ٦١٧ ، رقم ١٤٢٨ " الموارد " .

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ج٢ ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(٤) انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥١٤ .

(٥) انظر : إبطال التنديد ، ص ١٤٠ .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله معلقاً على قول ابن القيم : " قلت : ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة ، أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه ، ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه ، وكذلك ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك " [١] .

أما وجه تخصيص هذه الثلاثة بالذكر فلأن أكثر ما يقع التطير في هذه الثلاث .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله موضحاً هذا بعد تعليقه علي قول ابن القيم : " لكن يبقى على هذا أن يقال : هذا جار في كل مشؤوم فما وجه خصوصية هذه الثلاث بالذكر ؟ وجوابه : أن أكثر ما يقع التطير في هذه الثلاثة فخصت بالذكر لذلك " [٢] .

الحديث الثاني : روى مالك عن يحيى بن سعيد [٣] قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقلَّ العدد وذهب المال ، فقال النبي ﷺ : « دعوها ذميمة » [٤] .

وقد أجاب عن هذا الشيخ سليمان بن عبدالله بقوله : " وجوابه : أن هذا ليس من الطيرة المنهي عنها ، بل أمرهم بالانتقال لأنهم استثقلوها واستوحشوا منها ،لمالحقهم فيها ليتعجلوا الراحة مما دخلهم من الجزع ، لأن الله قد جعل في غرائز الناس استثقال ما نالهم الشر فيه ، وإن كان لا سبب له في ذلك ، وحب من جرى على يديه الخير لهم ، وإن لم يردهم به ، ولأن مقامهم فيها قد يقودهم إلى الطيرة ، فيوقعهم ذلك في

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٠ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٠

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصاري البخاري المدني ، أبوسعيد ، عالم المدينة في زمانه ، وشيخ عالم المدينة الإمام مالك، مات سنة ١٤٣هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص ٤٦٨ ، تهذيب التهذيب ، ج١١ ، ص ٢٢١ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٢١٢.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ، ج٢ ، ص ٧٤١ ، كتاب الاستئذان ، باب ما يتقى من الشؤم ، عن يحيى بن سعيد معضلاً ، والبخاري في الأدب المفرد ، ص ٣١٦ ، رقم ٩١٨ ، وأبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٢٣٨ ، رقم ٣٩٢٤ ، كتاب الطب ، باب في الطيرة ، وعبدالرزاق في المصنف ، ج١٠ ، ص ٤١١ ، رقم ١٩٥٢٦ ، عن شداد بن الهاد مرسلاً ، وصحح الحافظ ابن الحجر سند عبدالرزاق ، انظر : فتح الباري ، ج٦ ، ص ٧٣ ، والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، ص ٣٤١ ، رقم ٧٠٥ .

الشرك ، والشر الذي يلحق المتطير بسبب طيرته ، وهذا بمنزلة الخارج من بلد الطاعون غير فار منه ، ولو منع الناس الرحلة من الدار التي تتوالى عليهم فيها المصائب والمحن ، وتعذر الأرزاق مع سلامة التوحيد في الرحلة ، للزم كل من ضاق عليه رزق في بلد أو قلة فائدة صناعته أو تجارته فيها أن لا ينتقل عنها إلى غيرها " [١] .

الحديث الثالث : روى مالك عن يحيى بن سعيد ، أن رسول الله ﷺ قال للقحة [٢] تُحلب : « من يحلب هذه ؟ » فقام رجل ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما أسمك » فقال له الرجل : مُرَّةُ . فقال له رسول الله ﷺ : « اجلس » ، ثم قال : « من يحلب هذه ؟ » فقام رجل ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما اسمك » فقال : حرب ، فقال له رسول الله ﷺ : « اجلس » ، ثم قال : « من يحلب هذه ؟ » فقام رجل . فقال له رسول الله ﷺ : « ما اسمك » فقال : يعيش ، فقال له رسول الله ﷺ : « احلب » [٣] .

وقد أجاب عن هذا الحديث الشيخ سليمان بن عبدالله نقلاً عن ابن عبدالبر فقال : " وجوابه : أن ابن عبدالبر قال : ليس هذا عندي من باب الطيرة لأنه محال أن ينهى عن شيء ويفعله ، وإنما هو من طلب الفأل الحسن وقد كان أخبرهم عن أقبح الأسماء أنه حرب ومرة ، فالمراد بذلك حتى لا يتسمى بها أحد ... " [٤] .

قال الشيخ سليمان : " وعلى هذا تجرى بقية الأحاديث التي توهم بعضهم أنها من باب الطيرة " [٥] .

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ ، وأصله للإمام ابن القيم في مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ج٢ ، ص ٥٨٠ - ٥٨١ .

(٢) اللقحة : بالكسر والفتح : الناقة القريبة العهد بالنتاج ، والجمع لقح ، وناقة لقوح ، إذا كانت غزيرة اللبن ، وناقة لاقح ، إذا كانت حاملاً ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، ج٤ ، ص ٢٦٢ .

(٣) رواه مالك في الموطأ ، ج٢ ، ص ٧٤١ ، كتاب الاستئذان ، باب ما يكره من الأسماء ، عن يحيى بن سعيد معضلاً ، ووصله ابن عبدالبر ، ورواه الطبراني في الكبير ، ج٢٢ ، ص ٢٧٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٨ ، ص ٤٧ : " اسناده حسن " ، ورواه الحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٢٧٦ ، بمعناه عن أبي حدرد . وقال الحاكم : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي .

(٤) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٣١ - ٤٣٢ .

المطلب الرابع

التنجيم والاستسقاء بالأنواء

أ - التنجيم :

تعريف التنجيم :

نقل الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى تعريف التنجيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن الإمام الخطابي فقال : " قال شيخ الإسلام : التنجيم : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية .

وقال الخطابي : علم النجوم المنهي عنه : هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان ، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر ، وظهور الحر والبرد ، وتغير الأسعار ، وما كان في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ، ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات ، وأنها تجري على قضايا موجباتها ، وهذا منهم تحكم على الغيب ، وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب [1] سواه " [2] .

حكمه :

ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله أن التنجيم على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما هو كفر بإجماع المسلمين ، وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات ، وأن الكواكب فاعلة مختارة .

الثاني : الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك ، ويقول : إن ذلك بتقدير الله ومشيئته ، فلا ريب في تحريم ذلك ، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك ، ثم رجح رحمه الله كفر من قال بذلك ، وعلل ذلك بأنه دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه .

الثالث : تعلم منازل الشمس والقمر ، للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول .

---

(١) في معالم السنن ، ج٥ ، ص ٣٧٢ ، " لا يعلم الغيب أحد سواه " .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤١١ ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ، ج٣٥ ، ص ١٩٢ ، وكلام الخطابي في معالم السنن ، ج٥ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

فهذا القسم اختلف فيه السلف فكره قتادة وسفيان بن عيينة تعلم المنازل ، وأجازه أحمد وإسحاق [١] وغيرهما .

ورجح الشيخ سليمان جوازه لورود الأدلة بذلك . ونقل عن بعض الأئمة ما يؤيد ذلك [٢] ، ومما نقله :

١ - عن مجاهد أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل منازل القمر [٣] .

٢ - عن إبراهيم [٤] أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به [٥] .

٣ - قال الخطابي : أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر [٦] الذي يعرف به الزوال ، وتُعَلم به جهة القبلة ، فإنه غير داخل فيما نهي عنه .. [٧] .

٤ - قال ابن رجب : والمأذون في تعلمه علم التسيير ، لا علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره ، أما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ، ومعرفة القبلة والطرق ، وهو جائز عند الجمهور [٨] .

وقد عقد الإمام محمد بن عبدالوهاب باباً في كتاب التوحيد ، بعنوان : " باب ما جاء في التنجيم " [٩] ومما أورده فيه ما قاله قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ،

---

[١] إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو يعقوب ، وقيل : أبو محمد المعروف بابن راهوية ، عالم المشرق ، صاحب التصانيف ، ثقة ، حافظ مجتهد ، قرين أحمد بن حنبل ، قال أحمد : لا أعلم بالعراق له نظيراً وما عبر الجسر مثل إسحاق ، مات سنة ٢٣٨هـ .
انظر في ترجمته : طبقات الحنابله ، ج١ ، ص ١٠٩ ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص١٩٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج١١ ، ص ٣٥٨ ، ميزان الإعتدال ، ج١ ، ص ١٨٢ ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ٢١٦ ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٨٩ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ ، ٤٤٧ - ٤٤٩ .

[٣] أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ، ج٥ ، ص ١١٩ .

[٤] المراد : إبراهيم النخعي .

[٥] أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور ، ج٥ ، ص ١١٩ .

[٦] في معالم السنن ، ج٥ ، ص ٣٧٢ : " المشاهدة والحس ، كالذي يعرف به الزوال ، ويعلم به جهة القبلة " .

[٧] معالم السنن ، ج٥ ، ص ٣٧٢ .

[٨] فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ، ص ٣٤ - ٣٥ باختصار .

[٩] كتاب التوحيد ، ص ١١٥ .

ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به . "[١] .

قال الشيخ الإمام محمد رحمه الله في المسائل :

" الأولى : الحكمة في خلق النجوم .

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك "[٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الأثر : " وتأمل ما أنكره هذا الإمام ، مما حدث من هذه المنكرات في عصر التابعين . وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم ، حتى بلغ الغاية في هذه الأعصار ، وعمت به البلوى في جميع الأمصار ، فمقل ومستكثر . وعز في الناس من ينكره ، وعظمت المصيبة في الدين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون "[٣] .

وقال : " وقول قتادة رحمه الله تعالى يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له انكاره على من اعتقده وتعلق به ، وهذا العلم مما ينافي التوحيد ، ويوقع في الشرك ، لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته ... "[٤] .

وقد حذر علماء نجد رحمهم الله تعالى من التنجيم وأوردوا الأدلة في إبطال التنجيم وذمه والتحذير منه[٥] فمنها :

١ - قال النبي ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد »[٦] .

---

[١] رواه البخاري في صحيحه معلقاً ، ص ٦٥٤ ، كتاب بدء الخلق ، باب في النجوم ، ووصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه ، كما قاله ابن حجر في الفتح ، ج٦ ، ص ٣٤١ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ١١٦ .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

[٤] قرة عيون الموحدين ، ص ١٥٨ .

[٥] انظر : هذه الأدلة في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

[٦] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٣١١ ، وأبوداود في سننه ، ج٤ ، ص ٢٢٦ ، رقم ٣٩٠٥ ، كتاب الطب ، باب في النجوم ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٢٢٨ ، رقم ٣٧٢٦ ، كتاب الأدب ، باب تعلم النجوم ، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، ص ١٠٣ : " رواه أبوداود ، وإسناده صحيح " . من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

٢ - وعن رجاء بن حيوة [١] أن النبي ﷺ قال : « مما أخاف على أمتي : التصديق بالنجوم ، والتكذيب بالقدر ، وحيف الأئمة » [٢] .

٣ - وعن أبي محجن [٣] ، مرفوعاً : « أخاف على أمتي ثلاثاً : حيف الأئمة ، وإيماناً بالنجوم ، وتكذيباً بالقدر » [٤] .

٤ - وعن أنس ، مرفوعاً : « أخاف على أمتي بعدي خصلتين : تكذيباً بالقدر وإيماناً بالنجوم » [٥] .

٥ - وعن أبي موسى [٦] ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يدخلون الجنة : مدمن

---

[١] رجاء بن حيوة بن جرول الكندي الشامي ، أبوالمقدام ، الفقيه ، من جلة التابعين ، كان شريفاً نبيلاً كامل السؤدد ، مات سنة ١١٢هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٠١ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٥٥٧ ، تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص ٢٦٥ ، تقريب التهذيب ، ص ٣٢٤ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٤٥ .

[٢] أخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ، ج٨ ، ص ٣١ .

[٣] أبومحجن الثقفي اختلف في اسمه فقيل : مالك ، وقيل : عمرو ، وقيل : عبدالله ، بن حبيب بن عمرو الثقفي ، أسلم حين أسلمت ثقيف ، وكان شاعراً حسن الشعر ، ومن الشجعان المشهورين ، كان منهمكاً في الشرب ، لكنه تاب منه .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٤ ، ص ٣٠٩ ، أسد الغابة ، ج٦ ، ص ٢٧١

[٤] أخرجه ابن عساكر في التاريخ كما في الجامع الصغير ، انظر : فيض القدير ، ج١ ، ص ٢٦٣ ، رقم ٢٧٩ ، قال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤٥ : " رواه ابن عساكر وحسنه السيوطي " وكذا قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٣١ ، لكن المناوي قال في فيض القدير ، ج١ ، ص ٢٦٤ : " لم يرمز المؤلف رحمه الله له بشيء ، ووهم من زعم أنه رمز لحسنه لكنه أشار بتعدد طرقه إلى تقويته " وقال أيضاً : " قال الحافظ العراقي : إسناده ضعيف " وصحح الحديث الألباني كما في صحيح الجامع ، ج١ ، ص ١٠٣ ، رقم ٢١٤ .

[٥] أخرجه أبويعلى في المسند ، ج٧ ، ص ١٦٢ ، رقم ٤١٣٥ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٧ ، ص ٢٠٣ : " رواه أبويعلى مقتصراً على اثنتين من الخمس وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف ووثقه ابن عدي " ، وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ، ج٣ ، ص ٣٣٠ ، والخطيب في كتاب النجوم كما في الجامع الصغير ، انظر : فيض القدير ، ج١ ، ص ٢٦٤ ، رقم ٢٨٠ ، قال المناوي في فيض القدير ، ج١ ، ص ٢٦٤ : " وهو حسن لغيره " وصححه الألباني في صحيح الجامع ، ج١ ، ص ١٠٣ ، رقم ٢١٥ .

[٦] عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضّارالأشعري ، المقرئ الأمير ، أبو موسى ، صحابي جليل ، كان من أهل السابقة والسبق للإسلام ، من الشجعان الولاة الفاتحين ، وهو أحد الحكمين بصفين ، كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، مات سنة ٥٠هـ ، وقيل غير ذلك .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ١٠٣ ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص ٣٦٤ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ٣٨٠ ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص ٣٦٢ ، تقريب التهذيب ، ص ٥٣٦ .

الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر »[١] .

الشاهد من هذا الحديث : «ومصدق بالسحر » أي : مطلقاً ، ويدخل فيه التنجيم[٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن هذا الحديث : " هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها ، وقالوا : أمِرُّوها كما جاءت ، ومن تأوَّلها فهو على خطر من القول على الله بلا علم .

وأحسن ما يقال : إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام فإنه يرجع إلى مشيئة الله ، فإن عذَّبه به فقد استوجب العذاب ، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته "[٣] .

هذه بعض الأحاديث في ذم التنجيم ، والتحذير منه وإبطاله ، والأحاديث في هذا كثيرة .

بعض شبهات المنجمين ، والرد عليها :

للمنجمين شبه يتمسكون بها على صحة التنجيم ، وقد استدل بعض المنجمين بآيات من كتاب الله على صحة التنجيم ، وسأكتفي بآيتين ذكرها الشيخ سليمان بن عبدالله وسأسوق جوابه عليها ، وهما :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٤] .

أجاب الشيخ سليمان بن عبدالله عن هذه الآية بقوله : " الجواب : أنه ليس المراد بهذه الآية أن النجوم علامات على الغيب يهتدي بها الناس في علم الغيب ، وإنما المعنى : (وعلامات) . أي : دلالات على قدرة الله وتوحيده . وعن قتادة ومجاهد :

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٣٩٩ ، وابن حبان في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ ، رقم ١٣٨٠ ، ١٣٨١ " موارد " وأبويعلى في المسند ، ج١٣ ، ص ٢٢٣ ، رقم ٧٢٤٨ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص ٧٤ : " رجال أحمد وأبي يعلى ثقات " ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ١٤٦ ، وقال : " صحيح الإسناد " ، ووافقه الذهبي .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥٠ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٣٤ .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٣٤ .

[٤] سورة النحل الآية : ١٦ .

أن من النجوم ما يكون علامة لا يهتدى إلا بها [١] ، وقيل : إن هذا من تمام الكلام الأول وهو قوله : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ﴾ [٢] أي : وألقى لكم معالم يعلم بها الطريق والأراضي من الجبال الكبار والصغار يستدل بها المسافرون في طرقهم ، وقوله : ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ قال ابن عباس في الآية ﴿ وَعَلَامَاتٍ ﴾ يعني : معالم الطرق بالنهار ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ قال : يهتدون في البحر في أسفارهم [٣] ، فهذا القول ونحوه هو معنى الآية ، فالاستدلال بها على صحة علم التنجيم استدلال على ما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام بما لا يدل عليه لا نصاً ولا ظاهراً ، وذلك أفسد أنواع الاستدلال " [٤] ، ثم ذكر الشيخ سليمان الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم وذمه ، وقد تقدم بعضها .

٢ - قوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [٥] .

أجاب الشيخ سليمان عن هذا الاستدلال بقوله : " الجواب : أن هذا من جنس استدلاله بالآية الأولى في الفساد ، فأين فيها ما يدل على صحة أحكام النجوم بوجه من وجوه الدلالات ؟! وهل إذا رفع إنسان بصره إلى النجوم فنظر إليها ، دل ذلك على صحة علم النجوم عنده ؟! وكل الناس ينظرون إلى النجوم ، فلا يدل ذلك على صحة علم أحكامها ، وكأن هذا ما شعر أن إبراهيم عليه السلام إنما بعث إلى الصابئة المنجمين مبطلاً لقولهم مناظراً لهم على ذلك " [٦] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " فإن قيل : المنجِّمُ قد يصدق !! قيل : صدقُه

---

[١] ذكره ابن جرير الطبري في التفسير بمعناه ، ج٧ ، ص ٥٧١ - ٥٧٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير ، ج٤ ، ص ٤٣٦ بمعناه أيضاً .

[٢] سورة النحل الآيتين : ١٥ - ١٦ .

[٣] رواه ابن جرير الطبري في التفسير ، ج٧ ، ص ٥٧١ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

[٥] سورة الصافات الآيتين : ٨٨ - ٨٩ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤٦ .

كصدق الكاهن ، يصدقُ في كلمةٍ ويكذب في مائة ، وصدقُه ليس عن علم ، بل قد يوافق قدراً فيكون فتنةً في حق من صدَّقه " [(١)] .

ب - الاستسقاء بالأنواء :

ويلحق بالتنجيم المنهي عنه الاستسقاء بالأنواء ، وقد تناول علماء الدعوة تعريفه ، وحكمه ، وأوردوا ما جاء في النهي عنه من الأدلة .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً المراد بالاستسقاء بالأنواء :

" المراد : نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء " [(٢)] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " والأنواء جمع نوء وهي منازل القمر " [(٣)] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى : " سميت أنواء لأنه إذا غرب واحد ناء مقابله ، أي : نهض وطلع " [(٤)] .

حكم الاستسقاء بالأنواء :

ذكر علماء الدعوة أن الاستسقاء بالأنواء على نوعين :

أحدهما : أن يعتقد أن المنزل للمطر هو النجم أو أن له تأثيراً في نزول المطر ، فهذا شرك وكفر ظاهر .

الثاني : أن ينسب إنزال المطر إلى النجم ، مع اعتقاده أن الله تعالى هو الفاعل لذلك وحده ، ولكن أجرى الله العادة بنزول المطر عند ظهور ذلك النجم [(٥)] ، ففي هذا خلاف ،

---

(١) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٣٠ ، وانظر : هذا المعنى في تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٤٤ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥١ .

(٣) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٣٥ .

(٤) إبطال التنديد ، ص ١٤٨ .

(٥) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥٤ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ، وإبطال التنديد ، ص ١٥٠ .

صحح الشيخ سليمان بن عبدالله ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن القول بالتحريم .

يقول الشيخ سليمان : " والصحيح أنه محرم ، لأنه من الشرك الخفي ، وهو الذي أراده لنبي ﷺ ، وأخبر أنه من أمر الجاهلية ، ونفاه وأبطله ، ... حماية لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك ولو بالعبادات[1] الموهمة التي لا يقصدها الإنسان " [2] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " والصحيح أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ، ولو على طريق المجاز ، فقد صرح ابن مفلح [3] في الفروع بأنه يحرم قول مطرنا بنوء كذا [4] ، وجزم في الإنصاف بتحريمه ، ولم يذكر خلافاً [5] " [6] .

لأن الباء في لفظ " مطرنا بنوء كذا وكذا " تحتمل عدة معان كلها فاسدة ، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في بيان ذلك : " وأيضاً ، الباء تحتمل معاني ، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ ، فليست للسببية ولا للاستعانة ؛ لما عرفت من أنَّ هذا باطل ، ولا تصدقُ أيضاً على أنها للمصاحبة ؛ لأن المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه ، وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه ، برحمته وحكمته وفضله ، فكلُّ معنى تُحمل عليه الباءُ في هذا اللفظ المنهي عنه فاسدٌ .

فيظهر على هذا : تحريمُ هذه اللفظة مطلقاً ؛ لفساد المعنى ، وقد تقدَّم القطع بتحريمه في كلام صاحب (الفروع) و (الإنصاف) " [7] .

(١) هكذا في الأصل والصواب " ولو بالعبارات "

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥٥ .

(٣) محمد بن مفلح بن محمد المقدسي ثم الصالحي الراميني ، أبوعبدالله ، شمس الدين ، شيخ الحنابلة في وقته ، سمع من عيسى المطعم ، وله مشايخ كثيرون منهم المزي والذهبي وكانا يعظمانه وتفقه حتى برع في الفروع على مذهب الإمام أحمد ، حضر عند شيخ الإسلام ابن تيمية ونقل عنه كثيراً ، له المصنفات النافعة ومنها : الفروع ، والآداب الشرعية ، وغيرها ، توفي سنة ٧٦٣هـ .
انظر في ترجمته : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ١٦١ ، شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ١٩٩ .

(٤) الفروع ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

(٥) الإنصاف ، ج٢ ، ص ٤٦١ .

(٦) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٤٠ .

(٧) فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ ، قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم في حاشية كتاب التوحيد ، ص ٢٣١ : " وهذا بخلاف ما لو قال : مطرنا في نوء كذا ، فكما لو قال : مطرنا في شهر كذا فلا بأس بذلك " .

الأدلة :

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم الاستسقاء بالأنواء ، وقد أورد علماء الدعوة ما جاء في ذلك من الآيات والأحاديث التي فيها النهي والوعيد الشديد عن الاستسقاء بالأنواء ، ومنها :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [١] .

فهذه الآية نزلت في الذين يقولون : لقد صدق نوء كذا وكذا ، ودل على هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : مطر الناس على عهد النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ « أصبح من الناس شاكر ، ومنهم كافر » . قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ " عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ يقول : شكركم . ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا » [٣] وهذا أولى ما فسرت به الآية ... وهو قول جمهور المفسرين .

فالمعنى على هذا : وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغيث والمطر والرحمة أنكم تكذبون ، أي : تنسبونه إلى غيره " [٤] .

---

[١] سورة الواقعة الآية : ٨٢ .

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٨٤ ، رقم ٧٣ ، كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ، والآيات : ٧٥ - ٨٢ من سورة الواقعة .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٨٩ . ١٠٨ ، والترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٣٧٤ ، رقم ٣٢٩٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الواقعة ، وقال الترمذي : " حسن غريب صحيح " ، وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ج١١ ، ص ٦٦٢ ، وأخرجه ابن منيع وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي في مساوئ الأخلاق وابن مردويه ، والضياء في المختارة عن علي كما في الدر المنثور ، ج٨ ، ص ٢٩ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ باختصار .

٢ - عن زيد بن خالد [١] رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في تعليقه على حديث زيد بن خالد : " معنى الحديث : هو نسبة السقيا إلى الأنواء لفظاً ، وإن كان القائل لذلك يعتقد أن الله هو المنزل للمطر ، فهذا من باب الشرك الخفي في الألفاظ " [٣] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " قوله : « مؤمن بي وكافر » إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر ، لأنه شرك في الربوبية ، والمشرك كافر ، وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر ، لكونه نسب نعمة الله إلى غيره ، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه ، وإنما هو فضل من الله ورحمة يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء " [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " المراد بالكفر هنا هو الأصغر بنسبة ذلك إلى غير الله وكفران نعمته ، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق للمطر المنزل له " [٥] .

---

[١] زيد بن خالد الجهني ، المدني ، أبوعبدالرحمن ، ويقال : أبوطلحه ، صحابي مشهور ، سكن المدينة ، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، وكان صاحب لواء جهينة يوم الفتح ، مات سنة ٦٨هـ وقيل : غير ذلك . انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٢ ، ص ١١٩ ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص ٣٥٥ ، تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص ٤١٠ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٦٨ ، رقم ٨٤٦ ، كتاب الأذان ، بابٌ يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، وص ٢٠٥ ، رقم ١٠٣٨ ، كتاب الاستسقاء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ ، وص ٨٥٧ ، رقم ٤١٤٧ ، كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، وص ١٥٧٣ ، رقم ٧٥٠٣ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٨٣ ، رقم ٧١ ، كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥٩ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٤٣ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٥٨ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ودل الحديث : أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره ، ولو على سبيل المجاز " [١] .

٣ - عن أبي مالك الأشعري [٢] ، أن رسول اله ﷺ قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » [٣] .

الشاهد قوله : « والاستسقاء بالنجوم » . وقد تقدم معنى الاستسقاء بالنجوم ، وحكمه ، فأغنى عن إعادته .

---

[١] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٤٣ .

[٢] هو الحارث بن الحارث الأشعري ، الشامي ، صحابي ، يكنى أبا مالك ، تفرد بالرواية عنه أبوسلام ، وفي الصحابة أبومالك الأشعري اثنان غير هذا .
انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص ١٣٧ ، تقريب التهذيب ، ص ٢٠٩ .

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٢ ، ص ٦٤٤ ، رقم ٩٣٤ ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة .

المطلب الخامس

الرياء

تناول علماء الدعوة هذا المطلب على النحو التالي :

١ - تعريف الرياء :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " الرياء : مصدر راءى يرائي مراءاة ورياء ، وهو أن يري الناس أنه يعمل عملاً على صفة وهو يضمر في قلبه صفة أخرى .

وقال الحافظ : هو مشتق من الرؤية ، والمراد به : إظهار العبادة ، لقصد رؤية الناس لها ، فيحمدوا صاحبها "[١] .

٢ - الفرق بين الرياء والسمعة :

بين الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى الفرق بينهما بقوله : " والفرق بينه وبين السمعة : أن الرياء هو العمل لرؤية الناس ، والسمعة العمل لأجل سماعهم ، فالرياء يتعلق بحاسة البصر ، والسمعة بحاسة السمع ، ويدخل فيه أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس "[٢] .

وكذا قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في الفرق بينهما : " أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة ، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله "[٣] .

٣ - حكمه :

سأتحدث عن حكمه في مقامين ، المقام الأول : حكمه العقدي ، المقام الثاني : حكم العمل إذا خالطه الرياء .

المقام الأول : حكمه العقدي :

قرر علماء نجد رحمهم الله تعالى أن الرياء شرك أصغر .

وقد وردت في مصنفاتهم نصوص تنص على هذا .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٢٤ - ٥٢٥ ، وكلام الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ج١١ ، ص ٣٤٤ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٢٥ .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦١٧ .

يقول الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في حديثه عن أنواع الشرك " النوع الثاني : شرك أصغر ، وهو الرياء ... " [١]

ففسر رحمه الله الشرك الأصغر بالرياء ، فدل على أن الرياء نوع من أنواع الشرك الأصغر .

وقال رحمه الله في مسائل : " باب الخوف من الشرك » .

" الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر " [٢] .

فبين رحمه الله أن الرياء من الشرك الأصغر .

وقال صاحب التوضيح : " القسم الثاني : من قسمي تعطيل معاملته تعالى وتقدس ما لا يخرج عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار ، بل ينهى فاعله ويؤدب عليه ، وهوالشرك الأصغر ، فمنه الرياء والسمعة بقطع النظر عن صحة العبادة إذ اخلاص النية شرط لصحتها ، وهو يصدر ممن يعتقد ويقول لا إله إلا الله، وأنه لا يضر وينفع ويعطي ويمنع إلا الله وحده ، ولكن لا يخلص في معاملته وعبوديته بل يعمل لحظ نفسه تارة ، ولطلب الدنيا تارة ، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة ، فلله من عمله وسعيه نصيب ، ولنفسه وحظه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب ، وهذا حال أكثر الناس ... فالرياء كله شرك ... " [٣] .

فقرر رحمه الله أن من أنواع الشرك الأصغر الرياء والسمعة ، وأن الرياء كله شرك .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى معلقاً على حديث شداد بن أوس [٤] : " فظاهره أنه من الأصغر مطلقاً ، وهو ظاهر قول الجمهور .

وقال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر ، فكيسير الرياء .. انتهى . ففسر الشرك

---

[١] رسالة للإمام محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٧٠ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ٢٧ .

[٣] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

[٤] شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، ابن أخي حسان بن ثابت ، يكنى أبا يعلى ، صحابي ، مات بالشام سنة ٥٨هـ وقيل : ٦٤هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٢ ، ص ٢٥١ ، تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص ٣١٥ .

الأصغر باليسير من الرياء ، فدل على أن كثيره أكبر "[1] .

وقال الشيخ عبدالعزيز بن حمد - سبط الإمام محمد بن عبدالوهاب - وأبناء الإمام محمد ، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمهم الله : " وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ... وهذا الذي ذكرنا متفق عليه عند العلماء أنه من الشرك الأصغر "[2] .

فمثلوا رحمهم الله تعالى للشرك الأصغر بيسير الرياء ، وذكروا اتفاق العلماء على أنه من الشرك الأصغر .

وكذا ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله تعالى : أن من أنواع وأمثلة الشرك الأصغر يسير الرياء[3] .

المقام الثاني : حكم العمل إذا خالطه الرياء :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " قال ابن رجب : واعلم أن العمل لغير الله أقسام : فتارة يكون رياء محضاً ... وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة ... وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء ، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه ...

وأما إن كان أصل العمل لله ، ثم طرأ عليه نية الرياء ، فإن كان خاطراً ودفعه ، فلا يضره بغير خلاف ، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف ، حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري ، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك ، وأنه يجازى بنيته الأولى ، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره ... "[4] .

---

[1] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٣٢ - ٥٣٣ ، وكلام ابن القيم في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج١ ، ص ٣٥٢ .

[2] المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٥٦٧ - ٥٦٨ ، وضمن الدرر السنية ، ج١ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ باختصار

[3] رسالة للشيخ عبدالله أبابطين إلى إبراهيم العجلان ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٦٧ .

[4] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٣٠ باختصار ، وكلام ابن رجب في جامع العلوم والحكم ، ص١٣ .

٤ - الأدلة :

أورد علماء نجد رحمهم الله تعالى الأدلة من الكتاب والسنة في النهي والتحذير من الرياء ، وبيان أنه من الشرك الأصغر .

أ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فمن كان يرجو لقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [(١)] .

" أي : كما أنه إله واحد لا إله سواه ، كذلك ينبغي أن تكون العبادة كلها له وحده فكما تفرد بالألوهية يجب أن ينفرد بالعبودية ، ... فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة " [(٢)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون صواباً خالصاً ، فالصواب أن يكون على السنة ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ والخالص : أن يخلص من الشرك الجلي والخفي ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ " [(٣)] .

ب - عن أبي هريرة مرفوعاً : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » [(٤)] ، وفي رواية « فأنا منه بريء وهو للذي أشرك » [(٥)] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في معنى قوله : « من عمل

---

(١) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٧٣ باختصار ، وأصل الكلام للإمام ابن القيم في كتاب الجواب الكافي ، ص ١٩٥ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٢٥ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢٢٨٩ ، رقم ٢٩٨٥ ، كتاب الزهد ، باب من أشرك في عمله غير الله (وفي نسخة : باب تحريم الرياء) .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٣٠١ ، ٤٣٥ ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٤٠٥ ، رقم ٤٢٠٢ ، كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة ، وابن خزيمة في صحيحه ، ج٢ ، ص ٦٧ ، رقم ٩٣٨ ، قال المنذري في الترغيب والترهيب ، ج١ ، ص ٦٩ : " رواه ابن ماجة ورجاله ثقات " ، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ، ج٣ ، ص ٢٩٥ : " هذا إسناد صحيح " .

عملاً أشرك معي فيه غيري » " أي : من قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه " [١] .

قال صاحب التوضيح : " وهذا الشرك يبطل الثواب من أصله أو العمل أيضاً لما تقدم ، فمن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته ، والإخلاص هو أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته " [٢] .

ج - وعن أبي سعيد ، مرفوعاً : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ » قالوا : بلى ، قال : « الشرك الخفي : يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته ؛ لما يرى من نظر رجل » [٣] .

وجه الدلالة : دل الحديث على التحذير من الرياء لأن النبي ﷺ أخبر أصحابه أن الشرك الخفي - وهو الرياء - أشد خوف خافه على أصحابه أكثر مما خافه عليهم من فتنة المسيح الدجال ، وإنما كان الرياء كذلك لخفائه وقوة الداعي إليه ، وعسر التخلص منه لما يزينه الشيطان والنفس الأمارة في قلب صاحبه [٤] .

وسماه خفياً لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله ، ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله ، وهذا شرك أصغر ، ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله ، وكذا المتابعة [٥] .

---

[١] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦١٩ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٧٣ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ٣٠ ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٤٠٦ ، رقم ٤٢٠٤ ، كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة ، والحاكم في المستدرك ، ج٤ ، ص ٣٢٩ ، وصححه ووافقه الذهبي ، قال البوصيري في مصباح الزجاجة ، ج٣ ، ص ٢٩٦ : " هذا إسناد حسن " .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٣٢ .

[٥] انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ١٨٢ .

د - عن محمود بن لبيد [١] أن رسول الله ﷺ قال : « أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر ، فسئل عنه فقال : الرياء » [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " ولما كانت النفوس مجبولة على محبة الرياسة والمنزلة في قلوب الخلق إلا من سَلَّمَ الله ، كان هذا أخوف ما يخاف على الصالحين ، لقوة الداعي إلى ذلك " [٣] .

قال الشيخ الإمام محمد في المسائل :

" الأولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر " [٤] .

---

[١] محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي ، أبو نعيم ، صحابي صغير ، ولد في عهد النبي ﷺ ، وحدث عنه ، وجُلّ روايته عن الصحابه ، مات سنة ٩٦هـ وقيل : ٩٧هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ٤٣٥ ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص ١١٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٤٨٥ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص١١٢ .

[٢] أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج١ ، ص ١٠٢ : " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح " ، والطبراني في الكبير، ج٤ ، ص ٢٥٣ ، رقم ٤٣٠١ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج١٠ ، ص ٢٢٢ : " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن شبيب ابن خالد وهو ثقة " وحسن ابن حجر اسناد أحمد كما في بلوغ المرام ، ص ٤٤٠ ، رقم ١٤٨٥ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ١١٨ - ١١٩ .

[٤] كتاب التوحيد ، ص ٢٧ .

المطلب السادس

إرادة الإنسان بعمله الدنيا

تحدث علماء الدعوة عن هذا النوع من الشرك في النقاط التالية :

- المراد به :

المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً مما يتقرب به إلى الله يريد به الدنيا ، كالذي اهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى في هذا : " قد ظن بعض الناس أن الباب داخل في الرياء ، وأن هذا مجرد تكرير فأخطأ ، بل المراد بهذا أن يعمل الإنسان لاً صالحاً يريد به الدنيا ، كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك ، ولهذا سماه النبي ﷺ عبداً لذلك " [1]

- الفرق بينه وبين الرياء :

ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى في الفرق بينهما : " أن هذا إنما أراد عمل الصالح الذي يتقرب به إلى الله عرضاً من الدنيا بخلاف المرائي ، فإنه إنما يعمل إه الناس ويعظموه ويمدحوه " [2] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في الفرق بينهما : " فإن قيل : فما رق بين هذه الترجمة ، وبين ترجمة الباب قبله ؟ .

قلت : بينهما عموم وخصوص مطلق ، يجتمعان في مادة ، وهو إذا أراد الإنسان مله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء ، فهذا رياء .. وهو أيضاً إرادة للدنيا بالتصنع د الناس ، وطلب المدحة منهم والإكرام .

ويفارقه [3] الرياء ، بكونه عمل عملاً صالحاً أراد به عرضاً من الدنيا ، كمن يجاهد خذ مالاً ، أو يجاهد للمغنم ، أو غير ذلك " [4] .

تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٤٣ .

المصدر السابق ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

في نسخة أخرى " ويفارق " انظر : فتح المجيد ، طبعة دار الخير ، ص ٣٢٧ .

فتح المجيد ، ج١ ، ص ٦٢٥ باختصار .

- **حكمه**

قرر علماء نجد رحمهم الله تعالى : " أن إرادة الإنسان بعمله الدنيا ، شرك أصغر ي كمال التوحيد الواجب ، ويحبط الأعمال .

قال الشيخ الإمام محمد رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد مبيناً حكمه : " باب من ك إرادة الإنسان بعمله الدنيا " [١] فحكم عليه بأنه شرك .

قال صاحب التوضيح مبيناً مقصود الشيخ الإمام محمد رحمه الله بهذه الترجمة : د عُقِدَتْ الترجمة .. مقصوداً بها الشرك الأصغر " [٢] .

وقال أيضاً مبيناً حكم إرادة الإنسان بعمله الدنيا : " لا شك أنه شرك أصغر وهو كبيرة د الوعيد والعقوبة على فاعله بنص التنزيل والأحاديث الصحيحة المتواترة المشهورة ىونة عن الأباطيل " [٣] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " العمل لأجل الدنيا شرك ينافي ل التوحيد الواجب ، ويحبط الأعمال . وهو أعظم من الرياء ، لأن مريد الدنيا قد تغلب ته تلك على كثير من عمله ، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ، ولا رسل معه ... " [٤] .

وقال أيضاً مبيناً حكم العمل لأجل الدنيا من حيث القبول : " العمل لأجل الدنيا ياء في بطلان العمل إن استرسل معه ، كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم ، ال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح أمر دنيا ، وقع ذلك كثيراً حتى إن منهم من يحرص على سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهة الجيش واجتماعه به وأمره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك " [٥] .

كتاب التوحيد ، ص ١٣٣ .

التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٣١٥ باختصار .

المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٢٦ .

قرة عيون الموحدين ، ص ١٨٣ .

- الأدلة :

أورد الشيخ الإمام محمد رحمه الله تعالى دليلين على هذا من الكتاب والسنة :

- قال الله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [١] .

وقد سئل الشيخ الإمام محمد رحمه الله تعالى عن معنى هذه الآية ؟ فأجاب بما حاصله : " ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس اليوم ولا يعرفون معناه :

الأول : من ذلك العمل الصالح الذي يفعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس ونحو ذلك ، وكذلك ترك ظلم أو كلام في عرض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله ، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن الله يجازيه بحفظ ماله وتنميته ، وحفظ أهله وعياله وإدامة النعمة عليهم ، ونحو ذلك ، ولا همة له في طلب الجنة ولا الهرب من النار ، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا ، وليس له في الآخرة نصيب ، وهذا النوع ذكر عن ابن عباس في تفسير الآية [٢] .

النوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه [٣] ، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رئاء الناس لا طلب ثواب الآخرة .

النوع الثالث : أن يعمل الأعمال الصالحة ومقصده بها مالاً ، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله ، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينحكها ، أو يجاهد لأجل المغنم ، فقد ذكر هذا النوع أيضاً في تفسير هذه الآية [٤] .. وكما يتعلم العلم لأجل

---

[١] سورة هود الآيتين : ١٥ - ١٦ .

[٢] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ، ج٧ ، ص ١٣ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ، ج٤ ، ص٤٠٧ .

[٣] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ، ج ٧ ، ص ١٣ .

[٤] كما روي ذلك عن مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم كما في تفسير ابن جرير الطبري ، ج٧ ، ص ١٣ - ١٤ .

مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم ، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد ، كما هو واقع كثيراً ...

النوع الرابع : أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له ، لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله ، وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة ، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم ، فهذا النوع أيضاً قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك [1] وغيره ، وكان السلف يخافون منه ... ثم قال : لكن بقي أن يقال : إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة ، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً كثيرة أو قليلة قاصداً بها الدنيا ، مثل أن يحج فرضه لله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع كثيراً ، فالجواب : أن هذا عمل للدنيا والآخرة ولا ندري ما يفعل الله في خلقه ، والظاهر أن الحسنات والسيئات تدافعا وهو لما عليه منهما .

وقد قال بعضهم : القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين ، وهو هذا وأمثاله " [2] .

ب - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن

---

[1] رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ، ج٧ ، ص ١٤ ، وابن أبي حاتم وأبوالشيخ وابن مردويه كما الدر المنثور ، ج٤ ، ص ٤٠٦ .

[2] مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ١٢٠ - ١٢٣ باختصار .

كان في السَّاقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يُشفَّع "[١] .

قال صاحب التوضيح : " فسماه النبي ﷺ عبد الدرهم وعبد الدينار وعبد القطيفة وعبد الخميصة وذكر مافيه دعاء وخبر [٢] ، والانتقاش إخراج الشوكة مما هي فيه ، وهذه حال من عبد المال وامتعة الدنيا فرغب فيها ومال إليها وأعرض عن الله لم يفلح وإذا أصابه شر لم يخرج منه ، لكونه تعس وانتكس هلك وخاب ، فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه ، وقد وصف ذلك بأنه إذا أعطي رضي وإذا منع سخط ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [٣] ، فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله ، وهذا حال عبد ما يهواه من ذلك فهو رقيق له ، والرق عبودية ، وكلما استرق القلب واستعبده من الأمور فالقلب عبده ورقيقه ، ... وما العبودية إلا ما استعبد القلب واسترقه وأسره ، وهذا هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب .

والأمور الدنيوية نوعان :

منها : ما يحتاج إليه العبد ، كاحتياجه إلى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك ، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ [٤] ويكون المال عنده بهذا النوع يستعمله في حاجته بمنزلة دابته التي يركب عليها وبساطه الذي يجلس عليه ... فلا هو عبده بذلك ولا رقيقه .

ومنها : مالا يحتاج إليه ، فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه بها ، لأنه إذا تعلق قلبه بها أقبل بكليته عليها وأعرض عن الله فصار عبداً لها ، وربما يكون معتمداً على غير الله فيها ، فلا تبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله ، فهذا من أحق

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٥٨٥ ، رقم ٢٨٨٦ ، ٢٨٨٧ ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، وص ١٣٦٠ ، رقم ٦٤٣٥ ، كتاب الرقاق ، باب ما يتقى من فتنة النار .

[٢] في التوضيح " ما هو بصيغته وخبر بمعناه " والتصحيح من مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج١٠ ، ص ١٨٠ .

[٣] سورة التوبة الاية : ٥٨ .

[٤] سورة العنكبوت الآية : ١٧ .

الناس بقوله ﷺ : « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة » [١] ، وهذا هو عبد هذه الأمور وإن طلبها من الله [٢] وهو يسخط إن منعها ، ويعتمد فيها على غيره لعدم إقباله على الله ورضاه ما رضيه له ، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما يحب الله ورسوله ويبغض ما يبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ، وهذا هو الذي يستكمل الإيمان " [٣] .

---

[١] سبق تخريجه ، ص ٥٦٥ .

[٢] في التوضيح " وإن طلبها من غير الله " والتصحيح من مجموع الفتاوى لابن تيمية، ج١٠ ، ص ١٩٠ .

[٣] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٣١٧ - ٣٢٠ ، باختصار وأصله لشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ، ج١٠ ، ص ١٨٠ - ١٩٠ ، وقد نقله الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٤٠ - ٥٤١ ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٣١ - ٦٣٢ .

المطلب السابع

الحلف بغير الله

تناول علماء الدعوة موضوع الحلف بغير الله بالبيان والإيضاح ، فبينوا حكمه وأوردوا ما جاء في النهي عنه من الأدلة ، وسأبين جهود علماء الدعوة في هذا الموضوع في النقاط التالية :

أ - حكم الحلف بغير الله :

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : جواز الحلف بغير الله .

القول الثاني : كراهة الحلف بغير الله .

القول الثالث : تحريم الحلف بغير الله .

وقد ساق الإمام محمد بن عبد الوهاب هذه الأقوال في " مختصر الإنصاف والشرح الكبير " واختار القول بالتحريم وقرر أدلته ، ونقل عن ابن عبدالبر حكاية الإجماع على التحريم ، وحكى القول بالجواز بصيغة التمريض ، وأجاب عن أدلة المجيزين [١] .

ونص رحمه الله في كتاب التوحيد على أن الحلف بغير الله شرك [٢] .

ومن علماء الدعوة من لم يعتبر الخلاف في هذه المسألة ، بل حكى الإجماع على المنع من الحلف بغير الله .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : " أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله ، أو بصفاته ، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره ، قال ابن عبدالبر : لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع . انتهى ، ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين : إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه ، فإن هذا القول باطل ، وكيف يقال ذلك لمن أطلق عليه الرسول ﷺ أنه كفر أو شرك ، بل ذلك محرم " [٣] .

وممن أشار إلى الخلاف في هذه المسألة واختار القول بالتحريم وأنه هو قول الجمهور

---

[١] انظر : مختصر الإنصاف والشرح الكبير ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج٢ ، ص ٧٤٤ .

[٢] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٤٥ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٠ ، وكلام ابن عبدالبر في التمهيد ، ج١٤ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

لشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله : فكان مما قال : " ومسألة الحلف بغير الله ، جاء فيها الحديث النبوي وأنها من الشرك ، والذي عليه الجمهور أن الحلف بغير الله محرم لا يجوز ، سواء كان بالأنبياء أو غيرهم ، والنصوص المانعة من ذلك أكثرها صيغ عموم ، لا يجوز تخصيصها إلا بما يساويها في الظهور والدلالة والصحة من الأحاديث لنبوية "[١] .

وقال في رده على العراقي : " ومما ينبغي أن يعلم أن القائلين بالتحريم من الأئمة وأهل لعلم لا يشق غبارهم ...

ونحن لا ننكر أن بعض الناس قال بالكراهة ، وإنما النزاع في تصويب أحد القولين ، وأيهما تشهد له الأحاديث النبوية ؟ ... ولا يعرف عن الشارع ﷺ إطلاق الشرك والكفر على مكروه من المكروهات ، ومن أطلق الكراهة من الأئمة فالأولى حمل كلامه على كراهة لتحريم ، إحساناً للظن بالعلماء ... "[٢] .

جواب علماء الدعوة عن أدلة المجيزين :

أبرز أدلة المجيزين : ثلاثة أدلة :

الدليل الأول :

أن الله أقسم ببعض المخلوقات في القرآن .

وقد أجاب عن هذا الإمام محمد في " مختصر الإنصاف والشرح الكبير " فقال : " فأما قسم الله فله أن يقسم بما شاء ولا وجه للقياس "[٣] .

وأجاب عنه الشيخ سليمان بن عبدالله بقوله :

" ذلك يختص بالله تبارك وتعالى ، فهو يقسم بما شاء من خلقه ، لما في ذلك من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته وإلهيته وعلمه وحكمته وغير ذلك من صفات كماله .

---

[١] منهاج التأسيس ، ص ١٠٥ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

[٣] مختصر الإنصاف والشرح الكبير ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج٢ ، ص ٧٤٥ .

وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق تعالى ، فالله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه . وقد نهانا عن الحلف بغيره فيجب على العبد التسليم والإذعان لما جاء من عند الله .

قال الشعبي [١] : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق ، وقال : لأن أقسم بالله فأحنث أحب إليَّ من أن أقسم بغيره فأبر . وقال مطرف بن عبدالله [٢] : إنما أقسم الله بهذه الأشياء ليعجب بها المخلوقين ، ويعرفهم قدرته لعظم شأنها عندهم ، ولدلالتها على خالقها [٣] .

الدليل الثاني :

جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي سأله عن أمور الإسلام فأخبره ، فقال النبي ﷺ : « أفلح وأبيه إن صدق » [٤] ، وقال للذي سأله : أي الصدقة أفضل ؟ « أما وأبيك لتنبأنه » [٥] ونحو ذلك من الأحاديث .

الجواب : للعلماء عن هذين الحديثين ونحوهما أجوبة معروفة في محلها .

وقد ذكر علماء الدعوة رحمهم الله بعض هذه الأجوبة ، وهي :

١ - قال ابن عبدالبر في قوله ﷺ : « أفلح وأبيه إن صدق » .

---

[١] عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الهمداني الشعبي ، أبو عمر ، الإمام علامة عصره تابعي جليل القدر وافر العلم ، اختلف في سنة وفاته ما بين ١٠٣هـ إلى ١١٠هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ١٢١ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٢٩٤ ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص٧٩ ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٢٣٠ ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص ٦٥ .

[٢] مطرف عبدالله بن الشخير الحرشي العامري البصري أبو عبدالله ، الإمام القدوة الحجة ، كان ثقة ذا فضل وورع وأدب ، من كبار التابعين ، وكان مجاب الدعوة ، توفي سنة ٩٥هـ وقيل : ٨٦هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ١٨٧ ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص ٦٤ ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٦٩ ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ١٧٣ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ١١٠ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٠ ، وكلام الشعبي ومطرف بن عبدالله في فتح الباري ، ج١١ ، ص ٥٤٤ .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٣ ، رقم٤٦ ، كتاب الإيمان ، باب : الزكاة من الإسلام ، وليست عنده لفظة " وأبيه " ،عن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في صحيحه ج١ ، ص ٤١ ، رقم ١١ ، كتاب الإيمان ، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام .

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٢ ، ص ٧١٦ ، رقم ١٠٣٢ كتاب الزكاة ، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه .

" هذه اللفظة غير محفوظة ، وقد جاءت عن راويها إسماعيل بن جعفر [(١)] « أفلح والله إن صدق » قال : وهذا أولى من رواية من روى عنه بلفظ « أفلح وأبيه » لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح ، ولم تقع في رواية مالك أصلاً ، وزعم بعضهم أن بعض الرواة عنه صحف قوله : « وأبيه » من قوله « والله » " [(٢)].

٢ - أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غيرقصد للقسم به ، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف ، وإلى هذا جنح البيهقي [(٣)] ، وقال النووي : إنه الجواب المرضي [(٤)] .

وتعقب الشيخ سليمان بن عبدالله هذا الجواب بقوله :" هذا جواب فاسد ، بل أحاديث النهي عامة مطلقة ليس فيها تفريق بين من قصد القسم وبين من لم يقصد ، ويؤيد ذلك أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حلف مرة باللات والعزى ، ويبعد أن يكون أراد حقيقة الحلف بهما ولكنه جرى على لسانه من غير قصد على ما كانوا يعتادونه قبل ذلك ، ومع هذا نهاه النبي ﷺ [(٥)] ، غاية ما يقال : إن من جرى ذلك على لسانه من غير قصد معفو عنه ، أما أن يكون ذلك أمراً جائزاً للمسلم أن يعتاده

---

(١) إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري ، مولاهم المدني ، الإمام الحافظ الثقة قاريء أهل المدينة ، توفى سنة ١٨٠هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، ص ٢٢٨ ، البداية والنهاية ج١٠ ، ص ١٧٥ ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ٢٨٧ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩١ ، وكلام ابن عبدالبر في التمهيد ج١٤ ، ص ٣٦٧ .

(٣) أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي الخسروجردي ، أبو بكر الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور ، واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون ، صنف التصانيف النافعة كـ السنن الكبرى ، ومعرفة السنن والآثار ، وكتاب الأسماء والصفات ، وغيرها توفي سنة ٤٥٨هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ٧٥ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص ١٦٣ ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ٧٧ ، شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ٣٠٤ ، الرسالة المستطرفة ، ص ٣٣ .

(٤) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩١ ، وانظر : هذا الجواب في فتح الباري ، ج١١ ، ص ٥٤٢ ، وكلام النووي في شرح صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٢٨٢ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ١٨٣ ، والنسائي في سننه ، ج٧ ، ص٧ - ٨ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف باللات والعزى ، وابن ماجة في سننه ، ج١ ، ص ٦٧٨ ، رقم ٢٠٩٧ ، كتاب الكفارات ، باب النهي أن يحلف بغير الله ، ولفظه عند أحمد : " عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : حلفت باللات والعزى فقال أصحابي قلت : هجراً ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن العهد كان قريباً وإني حلفت باللات والعزى ، فقال : رسول الله ﷺ : « قل لا إله إلا الله وحده ثلاثاً ، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً ، وتعوذ ولا تعد » . قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ، ج٣ ، ص ٩٠ - ٩١ :" إسناده صحيح " .

فكلا ، وأيضاً فهذا يحتاج إلى نقل أن ذلك كان يجري على ألسنتهم من غير قصد للقسم ، وأن النهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف وأنى يوجد ذلك ؟ " [١] .

٣ - أن مثل ذلك يقصد به التأكيد لا التعظيم ، وإنما وقع النهي عما يقصد به التعظيم [٢] . ، وتعقب الشيخ سليمان بن عبدالله هذا الجواب فقال : " وهذا أفسد من الذي قبله ، وكأن من قال ذلك لم يتصور ما قال ، فهل يراد بالحلف إلا تأكيد المحلوف عليه بذكر من يعظمه الحالف والمحلوف له ؟ فتأكيد المحلوف عليه بذكر المحلوف به مستلزم لتعظيمه .

وأيضاً فالأحاديث مطلقة ليس فيها تفريق ، وأيضاً فهذا يحتاج إلى نقل أن ذلك جائز للتأكيد دون التعظيم وذلك معلوم [٣] " [٤] .

٤ - أن هذا كان في أول الأمر ثم نسخ فما جاء من الأحاديث فيه ذكر شيء من الحلف بغير الله فهو قبل النسخ ثم نسخ ذلك ، ونهى عن الحلف بغير الله ، ذكر هذا الجواب الماوردي [٥] ، وحكاه البيهقي ، قال السبكي [٦] : أكثر الشراح عليه [٧] .

واختار هذا الجواب الشيخ سليمان بن عبدالله فقال : " وهذا الجواب هو الحق ، ويؤيده أن ذلك كان مستعملاً شائعاً ، حتى ورد النهي عن ذلك " [٨] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩١ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٢ .

[٣] كذا في الأصل ولعل الصواب " غير معلوم " .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٢ .

[٥] علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، أبو الحسن ، الفقيه الشافعي صاحب التصانيف ومنها : الأحكام السلطانية ، ولي القضاء ببلدان شتى ، اتهم بالاعتزال ، توفي سنة ٤٥٠هـ .
انظر في ترجمته : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢٨٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص ٦٤ ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٨٠ ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص ١٥٥ .

[٦] علي بن عبدالكافي بن علي السبكي الشافعي ، أبو الحسن ، أحد الحفاظ المفسرين المناظرين ، له عدة مصنفات ، مات سنة ٧٥٦هـ .
انظر في ترجمته : الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٦٣ ، شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٨٠ ، الأعلام ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ .

[٧] انظر : فتح الباري ، ج١١ ، ص ٥٤٣ .

[٨] تسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٢ .

لدليل الثالث :

استدلوا بما روي عن النبي ﷺ في حديث أبي العشراء [١] : « وأبيك لو طعنت في خذها أجزأك » [٢] .

الجواب : أن هذا حديث ضعيف وقد ذكر الإمام محمد أن الإمام أحمد لم يثبت حديث بي العشراء ، يقول رحمه الله : " وحديث أبي العشراء قال أحمد : لو كان يثبت ، يعني أنه م يثبت " [٣] .

ولو ثبت فالجواب عنه كالجواب عن الحديث السابق أن هذا كان جائزاً ثم نسخ .

فالقول الراجح إذاً هو القول بأن الحلف بغير الله أمر محرم وشرك ، وعلماء الدعوة وإن حكوا الخلاف في هذه المسألة فقد ضعفوه ، واختاروا القول الراجح الذي دلت عليه السنة لمستفيضة .

مسألة هل الحلف بغير الله شرك أكبر أو أصغر ؟

بعد أن تبين أن علماء الدعوة يقررون القول بالتحريم وأن الحلف بغير الله شرك ، بقي سألة ، وهي هل الحلف بغير الله من الشرك الأكبر أو الأصغر ؟

اختلف علماء الدعوة في هذه المسألة على قولين :

لقول الأول :

قالوا يكفر من حلف بغير الله كفر شرك . وقال به طائفة من أهل العلم ، واستدلوا

---

[١] أبو العشراء الدارمي يقال اسمه : أسامة بن مالك ، ويقال : عطارد ابن مجلز وقيل : غير ذلك ، قال البخاري : في حديثه واسمه وسماعه من أبيه نظر ، قال الذهبي : " ولا يدري من هو ولا من أبوه انفرد عنه حماد بن سلمة " ، وقال ابن سعد : " مجهول " .
انظر في ترجمته : ميزان الاعتدال ، ج٤ ، ص ٥٥١ ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ١٦٧ .

[٢] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ٣٣٤ .

[٣] مختصر الإنصاف والشرح الكبير ، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج٢ ، ص ٧٤٥ ، وانظر :كلام الإمام أحمد في تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ١٦٧.

حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو شرك »[١] .

وقالوا : ولهذا أمره النبي ﷺ بتجديد إسلامه بقول لا إله إلا الله[٢]، فلولا أنه كفر ينقل عن الملة لم يؤمر بذلك .

القول الثاني :

قال الجمهور : لا يكفر كفراً ينقل عن الملة ، لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره[٣] ، وهذا هو اختيار أئمة الدعوة ، كالشيخ سليمان بن عبدالله[٤] والشيخ عبدالرحمن بن حسن[٥] وابنه الشيخ عبداللطيف[٦] والشيخ حمد بن عتيق[٧] إذ هو أبرز ما يمثلون به .

وقد أجاب الشيخ سليمان عن استدلال أهل القول الأول فقال : " أما كونه أمر من حلف باللات والعزى أن يقول : لا إله إلا الله ، فلأن هذا كفارة له مع استغفاره ، كما قال في الحديث الصحيح : « ومن حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله »[٨] وفي رواية : « فليستغفر » فهذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم

---

[١] أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ، ج٨ ، ص ٢٥٧ ، رقم ١٨٩٦ ، وأحمد في المسند ، ج٢ ، ص ٣٤ ، ٨٦ ، وأبو داود في سننه ، ج٣ ، ص ٥٧٠ ، رقم ٣٢٥١ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالآباء ، والترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٩٣ ، رقم ١٥٣٥ ، كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، قال الترمذي : " هذا حديث حسن " وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، ج١ ، ص ٥٠٣ ، رقم ١١٧٧ " موارد " ، والحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص ١٨ ، ٥٢ ، وج٤ ، ص ٢٩٧ وصححه .

[٢] سبق تخريجه ، ص ٥٧١ .

[٣] انظر : تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٥٧ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٣ .

[٥] انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩١ .

[٦] انظر : منهاج التأسيس ، ص ٣١٠ .

[٧] انظر : إبطال التنديد ، ص ١٩٠ .

[٨] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٣٩٩ ، رقم ٦٦٥٠ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب لا يحلف باللات والعزى ، ولا بالطاغوت ، ومسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٢٦٧ ، رقم ١٦٤٧ ، كتاب الأيمان ، باب من حلف باللات والعزى ، فليقل : لا إله إلا الله . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

صنم ، حيث حلف به لا أنه لتجديد إسلامه ، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه لك لا لكفره "[١] .

ولكن ينبغي أن يعلم أن الحلف بغير الله قد يصل إلى درجة الكفر والشرك الأكبر ، لك بحسب حال قائله ومقصده ، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله منبهاً على هذا : " لكن ذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً كاذباً ، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته ونحو ذلك ، لم يقدم على يمين به إن كان كاذباً . ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ قًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٢] .

فهذا شرك أكبر بلا ريب ، لأن المحلوف به عنده أخوف وأجلُّ وأعظم من الله ، وهذا ما غ إليه شرك عباد الأصنام ، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال تعالى : وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو حياته أو تربته فهو أكبر شركاً منهم ، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة "[٣] .

وكذا قرر الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله أن الحلف بغير الله شرك أصغر ، نه يكون كفراً إن فعله مستحلاً ، أو كان المخلوق المقسم به في قلبه أعظم من الخالق[٤] ، قل رحمه الله تعالى عن ابن القيم رحمه الله تعالى ما يؤيد ذلك[٥] .

وبين رحمه الله تعالى في موضع آخر : أن العلماء جعلوا الحلف بغير الله من الشرك أصغر[٦] .

ووضح رحمه الله في موضع آخر : أن الحالف لو اعتقد تعظيم المخلوق أكثر من الخالق

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٣ .

(٢) سورة النحل الآية : ٣٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .

(٤) انظر : النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٥) انظر : المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٦) انظر : المصدر السابق ، ص ٦٥ .

ار شركاً أكبر ، يقول رحمه الله : " بل لو اعتقد الحالف تعظيم المخلوق على الخالق لصار كاً أكبر " . [١]

وسئل الشيخ سعيد بن حجي رحمه الله تعالى : عن الإنسان إذا قال في كلامه وأبي صادق أو وأبي إنك كاذب ونحو ذلك هل هذا شرك لأنه أدخل عليه واو القسم ، وينكر ى قائله أم لا ؟ : فأجاب : " الجواب وبالله التوفيق : هو شرك وينكر عليه ، قال في قناع وشرحه : ويحرم الحلف بغير الله ولو كان الحلف بنبي ، لأنه إشراك في تعظيم الله الى ... " [٢] .

وسئل الشيخان حسين وعبدالله ابنا الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى عن لف بغير الله مثل الحلف بالنبي أو الولي ، أو رأس فلان ، أو تربة فلان ، هل يكون كاً ؟ أو مكروهاً ؟ فأجابا : "الجواب : الحلف بغير الله من أنواع الشرك الأصغر ، وقد ون شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده ..." [٣] .

وقرر الشيخ حسين بن غنام رحمه الله هذه المسألة في كتابه : " العقد الثمين في شرح اديث أصول الدين " يقول رحمه الله :

" ومن ذلك الحلف بغيره ، فمن حلف بغيره معظماً له تعظيم العبادة ، فقد أجمع أهل سلام على كفره ، وإن لم يقصد ذلك صار كفراً دون كفر ... " [٤] .

وسئل الشيخ عبدالله بن الإمام محمد رحمهم الله عن الحلف بغير الله ... ؟ فأجاب : الحلف بغير الله شرك كما في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله دأشرك ... » [٥] .

---

[١] المصدر السابق ، ص ٦٣ .

[٢] رسالة للشيخ سعيد بن حجي إلى رشيد السري ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٢٠

[٣] جواب للشيخين حسين وعبدالله ابني محمد بن عبدالوهاب ، المسألة الثامنة ضمن مجموعة الرسائل النجدية ، ج١ ، ص ٣٧ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ١٤٨ .

[٤] العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين ، ص ١٥٥ .

[٥] جواب للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٢٠١ ، والحديث سبق تخريجه ، ص

وكذا قرر الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه أن الحلف بغير الله نوع من نواع الشرك الأصغر [١] .

وأيضاً الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله قرر أن الحلف بغير الله من الشرك لأصغر [٢] .

وقرر ذلك أيضاً ابنه الشيخ عبداللطيف ، وأشار إلى أن الحلف بغير الله قد يكون ركاً أكبر بحسب ما قام بقلب فاعله ، فكان مما قال : " ولا شك أنه إذا قام بقلبه تعظيمه الحلف كتعظيم الله فهو شرك أكبر ، وأكثر عباد القبور يعظمونهم ويحبونهم أشد من تعظيم لله وحبه ، ولا ينكر هذا إلا مكابر ، وبعضهم يحلف بالله كاذباً مائة مرة ولا يحلف بشيخه من يعتقده كاذباً ولا مرة واحدة ، ومن قال : إن هذا شرك أصغر فهو من أضل الورى ، أجهلهم بأصول الإيمان والهدى ، وما يجب لله على عباده من التعظيم والحب والخوف الرجاء " [٣] .

وصفوة القول : أن علماء الدعوة يرون أن الحلف بغير الله أمر محرم ولا يجوز ، وأنه شرك أصغر .

وقد يصل إلى درجة الشرك الأكبر بحسب حال قائله ومقصده ، كمن قام بقلبه تعظيم لمحلوف به كتعظيم الله أو أشد ، كما هو فعل عباد القبور ، أو فعله مستحلاً له ، فلا شك لا ريب أنه شرك أكبر .

٢ - الأدلة الواردة في النهي عن الحلف بغير الله :

تواترت النصوص الشرعية بالنهي عن الحلف بغير الله ، ودلت على أنه شرك ، لكنه لا يخرج عن الملة وقد أورد علماء نجد رحمهم الله بعض هذه الأدلة ، وأولهم الشيخ الإمام محمد في كتاب التوحيد استدل على هذه المسألة وترجم عليها بقول الله تعالى

---

[١] انظر : رسالة للشيخ عبد الله أبابطين بعثها إلى ابراهيم العجلان ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٦٧ .

[٢] انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩١ - ٦٩٢ ، ٧٠١ .

[٣] منهاج التأسيس ، ص ٢٩٩ ، وانظر : معناه في المصدر نفسه ، ص ٣١٠ .

: ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] وذكر قول ابن عباس في معنى الآية ، ومنه : والله وحياتك [٢] .

هذه الأدلة هي :

- عن ابن عمر مرفوعاً : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » [٣] .

ب - عن بريدة مرفوعاً : « من حلف بالأمانة فليس منا » [٤] .

ج - عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك » [٥] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث :" قوله : (فقد كفر أو أشرك) يحتمل أن يكون شكاً من الرواي ، ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو ، فيكون قد كفر وأشرك ، ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر ، كما هو من الشرك الأصغر " [٦] .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله في " إبطال التنديد " : " قوله : (فقد كفر أو أشرك) أخذ به طائفة فذهبوا إلى كفر الحالف بغير الله ، وقال الأكثرون : لا يكفر

---

[١] سورة البقرة الآية : ٢٢ .

[٢] انظر : كتاب التوحيد ، ص ١٤٣ ، وسيأتي تمام هذا الأثر وتخريجه في موضعه ، ص ٥٨٦

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٣٩٨ ، رقم ٦٦٤٦ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب : لا تحلفوا بآبائكم ، ومسلم في صحيحه ، ج٣ ، ص ١٢٦٦ ، رقم ١٦٤٦، كتاب الأيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله . عن ابن عمر رضي الله عنه .

[٤] أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٣٥٢ ، وأبو داود في سننه ج٣ ، ص ٥٧١ ، رقم ٣٢٥٣ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب كراهية الحلف بالأمانة ، وابن حبان في صحيحه ج ١ ، ص ٥٦٦ ، رقم ١٣١٨ ، والحاكم في المستدرك ج٤ ، ص ٢٩٨ ، وصححه ووافقه الذهبي ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٤ ، ص ٣٣٢ : " رجال أحمد رجال الصحيح خلا الوليد بن ثعلبة وهو ثقة " . وقال النووي في رياض الصالحين ، ص ٤٨٣ : " حديث صحيح ، ورواه أبو داود بإسناد صحيح " ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة : ج١ ، ١٩٦ ، رقم ٩٤ .

[٥] سبق تخريجه ، ص ٥٧٤ .

[٦] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩١ .

كفراً ينقله عن الملة ، لكنه شرك أصغر فهو حرام بل هو أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر " [١] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عن هذا الحديث : " وحديث ابن عمر صريح في إطلاق الكفر والشرك بالحلف بغير الله ، فمن منع هذا الإطلاق فهو مشاق لله ولرسوله ، ولكن ساق البخاري في صحيحه قول ابن عباس : كفر دون كفر ، وشرك دون شرك ، وظلم دون ظلم " [٢] .

- قال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً [٣] .

قال صاحب التوضيح : " وإنما قال ذلك لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق ، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك " [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : بعد إيراده هذا الأثر : " فهذا يدل على أن الحلف بغير الله أكبر من الكذب ، مع أن الكذب من المحرمات في جميع الملل ، فدل ذلك أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات " [٥] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً من الكبائر ، لكن الشرك أكبرُ من الكبائر وإن كان أصغرها ... " [٦] .

ومن المسائل التي استنبطها الشيخ الإمام محمد رحمه الله من هذا الأثر : " أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس " [٧] .

---

[١] إبطال التنديد ، ص ١٩٠ .

[٢] منهاج التأسيس ، ص ٣١٠ ،

[٣] أخرجه عبد الرزاق في المصنف ، ج٨ ، ص ٤٦٩ ، رقم ١٥٩٢٩ . والطبراني في الكبير ، ج٩ ، ص ١٨٣ ، رقم ٨٩٠٢ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج٤ ، ص ١٧٧ : " رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح " .

[٤] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٧٤ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٠ .

[٦] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩٢ .

[٧] كتاب التوحيد ،ص ١٤٥ .

وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله أن هذا الأثر فيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر [١] .

- عن قتيلة [٢] : أن يهوديا أتى النبي ﷺ ، فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت [٣] .

ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى من فوائد الحديث : " أن الحلف بغير الله من الشرك الأصغر ، لا يمرق به الإنسان من الإسلام " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " فيه : بيان النهي عن الحلف بالكعبة ، مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة .

وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام ، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه ... " [٥] .

وقال : " وفيه : بيان أن الحلف بالكعبة شرك ؛ فإن النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله : إنكم تشركون " [٦] .

هذه بعض الأحاديث في التحذير من الحلف بغير الله وأنه من الشرك ، والأحاديث في لك كثيرة والله أعلم .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

[٢] قتيلة بنت صيفي الأنصارية ، ويقال الجهنية ، صحابية ، من المهاجرات الأول ، لها حديث ، وهو المذكور هنا .
انظر في ترجمتها : الإستيعاب ، ج٤ ، ص ٤٥٧ ، تهذيب التهذيب ، ج١٢ ، ص ٤٤٥ ، تقريب التهذيب ، ص ١٣٦٩ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج٦ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ ، والنسائي في سننه ، ج٧ ، ص ٦ ، رقم ٣٧٧٣ ، كتاب الأيمان والنذر ، باب الحلف بالكعبة ، قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد ، ص ١٤٦ : " رواه النسائي وصححه " .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٠١ .

[٥] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩٩ .

[٦] المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٧٠١ .

المطلب الثامن

قول : ما شاء الله وشئت ونحوها

حذر علماء نجد رحمهم الله تعالى من قول ما شاء الله وشئت ونحوها من الألفاظ لشركية ، لأن من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك بالله في الألفاظ ، وإن لم يقصد لمتكلم بها معنى لا يجوز ، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد ، كمن يجري على لسانه لفاظ من أنواع الشرك الأصغر لا يقصدها ، وسأتحدث عن هذا الموضوع على النحو لتالي :

١ - حكم قول ما شاء الله وشئت ونحوها .

٢ - أدلة النهي عن قول ما شاء الله وشئت ونحوها .

١ - حكم قول ما شاء الله وشئت ونحوها :

قرر علماء نجد رحمهم الله تعالى أن قول ما شاء الله وشئت ونحوها من الألفاظ مثل : أعوذ بالله وبك ، لولا الله وفلان ، مالي إلا الله وأنت .. أن هذا ونحوه من الشرك لأصغر .

وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة ، لأنها إنما وضعت لمطلق الجمع [(١)] ، وهذه بعض نصوص علماء الدعوة في هذا الشأن :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً حكم هذه الأمور ونحوها : " هذه الأمور ونحوها من الألفاظ الشركية الخفية .. " [(٢)] .

وقرر في موضع آخر : أنها من أنواع الشرك الأصغر [(٣)] .

وقال صاحب التوضيح مبيناً حكم قول ما شاء الله وشئت : " وقول القائل : ما شاء الله وشئت معصية بعد النهي الوارد عن هذه الصيغة بالواو ، ولا يكفر مرتكبها إلا أنه مشرك شركاً أصغر يجب الكف عنه والتوبة منه ... " [(٤)] .

---

(١) انظر : قرة عيون الموحدين ، ص ٢٠٦ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٨٩ .

(٣) انظر : المصدر السابق ، ص ٥٨٦ .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٣٢٣ .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً حكم مثل هذه الألفاظ شركية : " وهذا ونحوه من الشرك الأصغر " [١] .

أ - أدلة النهي عن قول : ما شاء الله وشئت ونحوها :

أورد علماء نجد رحمهم الله تعالى ما جاء في النهي عن قول ما شاء الله وشئت نحوها من الأدلة .

وهذه الأدلة هي :

- عن حذيفة رضيَ الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » [٢] .

قال صاحب التوضيح : " ونهي الشارع ﷺ عن التشريك في مشيئة الخالق والمخلوق بالواو دليل على الحضرية " [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث : " وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه ؛ لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً .

وتسوية المخلوق بالخالق شرك ، إن كان في الأصغر مثل هذا - فهو أصغر - ، وإن كان في الأكبر فهو أكبر ؛ كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٤] . بخلاف المعطوف بـ : ثم . فإن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور ، لكونه صار تابعاً " [٥] .

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٠٦ .

[٢] أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، وأبوداود في سننه ، ج٥ ، ص ٢٥٩ ، رقم ٤٩٨٠ ، كتاب الأدب ، باب لا يقال خبثت نفسي ، قال النووي في رياض الصالحين ، ص ٤٩٠ : " رواه أبوداود بإسناد صحيح " .

[٣] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٣٢٢ .

[٤] سورة الشعراء الآيتين : ٩٧ - ٩٨ .

[٥] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩٤ .

١ - عن قتيلة : أن يهودياً أتى النبي ﷺ ، فقال : إنكم تشركون ؛ تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت [١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " قوله : (إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت) . هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك ، لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديداً أو شركاً ، ونهى عن ذلك ، وأرشد إلى استعمال اللفظ البعيد من الشرك ، وهو قول : ما شاء الله ثم شئت ، وإن كان الأولى قول : ما شاء الله وحده ، كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره " [٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " والعبد وإن كان له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله ، ولا قدرة له على أن يشاء شيئاً إلا إذا كان الله قد شاءه ؛ كما قال تعالى : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٣] ... " [٤] .

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده » [٥] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " هذا يبين ما تقدم من أن هذا شرك ، لأن المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه ، لأن الواو وضعت لمطلق الجمع ، فلا يجوز أن يجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلهية والربوبية ولو في أقل شيء " [٦] .

---

[١] سبق تخريجه ، ص ٥٨٠ .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٩ ، وإبطال التنديد ، ص ١٩٢ .

[٣] سورة التكوير ، الآيتين : ٢٨ - ٢٩ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٧٠٠ .

[٥] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧ ، والبخاري في الأدب المفرد ، ص ٢٧٤ ، رقم ٧٨٣ ، وابن ماجة في سننه ، ج١ ، ص ٦٨٤ ، رقم ٢١١٧ ، كتاب الكفارات ، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ، ص ٢٩٢ ، رقم ٦٠١ ، ٧٨٣ ، والصحيحة ، ج١ ، ص ٢٦٦ ، رقم ١٣٩ .

[٦] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٠٩ .

وقال : " فيه : بيان أن من سوى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله نداً لله ... " [١] .

- عن الطفيل [٢] - أخي عائشة لأمها - قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله ، قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله ، قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : « هل أخبرت بها أحداً ؟ » قلت : نعم ، قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث : " وهذه الرؤيا حق ، أقرّها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها ، فنهاهم أن يقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، وأمرهم أن يقولوا : ما شاء الله وحده .

وهذا الحديث والذي قبله : أمرهم فيه أن يقولوا : ما شاء الله وحده ، ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك ، من أن يقولوا : ثم شاء فلان ؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه ، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص " [٤] .

---

[١] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٧٠١ .

[٢] الطفيل بن عبدالله بن سخبرة ، أخو عائشة لأمها ، صحابي له حديث .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٢ ، ص ٣١٠ ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص ١٤ .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٧٢ ، وابن ماجة في سننه ، ج١ ، ص ٦٨٥ ، رقم ٢١١٨ ، كتاب الكفارات ، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت ، وصححه الألباني كما في الصحيحة ، ج١ ، ص ٢٦٥ ، رقم ٣٨ .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٧٠٢ .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله على هذا الحديث : " فيه دليل على أنها من الشرك الأصغر ، إذا لو كانت من الأكبر لأنكرها من أول مرة قالوها " [١] .

- عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢] قال : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلانة ، وحياتي ، وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلاناً . هذا كله به شرك " [٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى : " يبين ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا كله من الشرك ، وهو الواقع اليوم على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك .

فتنبه لهذه الأمور ، فإنها من المنكر العظيم ، الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه ؛ لكونه أكبر من الكبائر ، وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى " [٤] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى : " فتبين أن هذه الأمور ونحوها من الألفاظ الشركية الخفية كما نص عليه ابن عباس رضي الله عنه " [٥] .

- عن إبراهيم النخعي : أنه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ، قال : ويقول : لولا الله ثم فلان ، ولا يقول : لولا الله وفلان [٦] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٠٦ ، وانظر : هذا المعنى في كتاب التوحيد ، ص ١٤٩ .

[٢] سورة البقرة الآية : ٢٢ .

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٥٧ ، قال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٨٧ : " سنده جيد " .

[٤] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩١ .

[٥] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٨٩ .

[٦] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، رقم ٣٤٧ ، وعبدالرزاق كما في تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٥ .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى في كلامه على هذا الأثر مبيناً سبب المنع : " وذلك - والله أعلم - لأن (الواو) تقتضي مطلق الجمع ؛ فمنع منها للجمع ، لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره ، كما منع من جمع اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد ، و (ثم) إنما تقتضي الترتيب فقط ، فجاز ذلك لعدم المانع " [1] .

وبين الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى أن مسألة الجواز مقتصرة على الحي الحاضر فيما يقدر عليه بخلاف من ليس كذلك كالأموات والغائبين ، فكان مما قال : " وهذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء ، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك ، وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم ، ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر ، فلا يقال في حقهم شيء من ذلك ؛ فلا يجوز التعلق عليه بشيء ما ، بوجه من الوجوه ... " [2] .

فهذا اللفظ كما ورد في الأحاديث على ثلاث مراتب :

رتبة الأولى :

أن يقال : ما شاء الله وحده ، وهذه المرتبة هي الأكمل والأولى ، لقوله ﷺ : « لا ولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده » [3] . ولا ريب أن هذا مل في الإخلاص وأبعد عن الشرك ، كما تقدم ذلك في كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن لى هذا الحديث .

رتبة الثانية :

العطف " بثم " ، فيقال : ما شاء الله ثم شئت أو ثم شاء فلان ، فهذه المرتبة جائزة ديث حذيفة وحديث قتيلة المتقدمين ، وذلك لأن " ثم " تقتضي الترتيب ، والمعطوف بها كون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور ، لكونه تابعاً ، فجاز ذلك لعدم المانع ، د تقدم ذلك في كلام الشيخ سليمان والشيخ عبدالرحمن لكن لو أتى " بثم " وأراد أنه

---

[1] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٥ .

[2] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٩٤ - ٦٩٥ . وانظر : هذا المعنى في قرة عيون الموحدين ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

[3] سبق تخريجه ، ص ٥٨٥ .

ـريك لله تعـالى في المشـئـية فـالنهي باق بحاله ، بل يكون في هذه الصـورة أشد ممن أتى لواو مع عدم هذا الإعتقاد [١] .

لرتبة الثالثة :

العطف " بالواو " فيـقال : ما شاء الله وشئت ، فهذه المرتبة ممنوعة وهي شرك أصغر أحاديث المتقدمة .

وذلك لأن " الواو " تقـتضي مطلق الجمع ، والمعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف لميه .

وعلى النهي عن قول : ما شاء الله وشئت جمهور العلماء .

وقد أشـار الشـيخ سليمـان بن عـبدالله إلى أنه حكي عن أبي جعـفـر الداودي [٢] ـا يقتـضي جواز ذلك احتجاجاً بقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِه ﴾ [٣] وقوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ [٤] ونحو ذلك .

قال الشيخ سليمان : " والصواب القول الأول ، فإن النبي ﷺ أنكر ذلك وقال لمن قال ، ذلك : « أجعلتني لله نداً » ، وأقر اليهودي على تسميته تنديداً وشركاً ، ومن المحال أن يكون هذا أمراً جائزاً " [٥] .

وأجاب الشيخ سليمان عما احتج به الداودي فقال : " وأما ما احتج به من القرآن ، قد ذكروا عن ذلك جوابين :

حدهما : أن ذلك لله وحده لا شريك له ، كما أنه تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته فكذلك هذا .

ثاني : أن قوله : ما شاء الله وشئت ، تشريك في مشيئة الله ، وأما الآية فإنما أخبر بها

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٠٠ .

(٢) لم أعرفه .

(٣) سورة التوبة الآية : ٧٤ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٧ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٠ .

عن فعلين متغايرين ، فأخبر تعالى أنه أغناهم وأن رسوله أغناهم ، وهو من الله حقيقة لأنه الذي قدر ذلك ، ومن الرسول ﷺ حقيقة باعتبار تعاطي الفعل ، وكذا الإنعام أنعم الله على زيد بالإسلام ، والنبي ﷺ أنعم عليه بالعتق ، وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد ، فالكلام إنما هو فيه ، والمنع إنما هو منه " . [١] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٩٩ - ٦٠٠ .

المطلب التاسع

سب الدهر ونحوه

لرق علماء الدعوة رحمهم الله لهذا الموضوع فبينوا حكم سب الدهر ، والريح وأوردوا في النهي عنه من النصوص .

أما سب الدهر فقد عقد الإمام محمد بن عبدالوهاب باباً في كتاب التوحيد " باب من سب الدهر فقد آذى الله " [1] . أورد فيه الأدلة الناهية عنه والمحذرة منه .

عده الإمام محمد في مسائل الجاهلية من خصالها [2] .

ساب الدهر على نوعين :

: أن يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه لذلك ، فهذا شرك أكبر .

: أن يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له ، ولكن يسب الدهر لما يجرى عليه فيه من المصائب والحوادث ، فيضيف ذلك إليه من إضافة الشيء إلى محله ، لا لأنه عنده فاعل لذلك ، فهذا محرم منهي عنه [3] .

وليس من سب الدهر - كما يقول الشيخ عبدالرحمن رحمه الله - وصف السنين بالشدة ذلك ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ [4] [5] .

ء :

أورد الإمام محمد رحمه الله تعالى على تحريم سب الدهر دليلين أحدهما من الكتاب من السنة وهما :

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ [6] .

ووجه الاستدلال من الآية ظاهر كما بين ذلك الشيخ سليمان بن عبدالله ، وذلك لأن من

تاب التوحيد ، ص ١٤٩ .

ظر : مسائل الجاهلية ، ص ١٨ .

ظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٠٩ .

سورة يوسف الآية : ٤٨ .

ظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٧٠٩ .

سورة الجاثية الآية : ٢٤ .

سب الدهر فقد شارك الدهرية [١] المشركين في سبه ، وإن لم يشاركهم في الاعتقاد [٢] .

٢ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » [٣] .

وفي رواية : « لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر » [٤] .

وضح الشيخ سليمان بن عبدالله وجه الدلالة من هذا الحديث فقال : " الحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقاً ، سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك ، كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام " [٥] .

والنهي يقتضي التحريم فالحديث كما يقول الشيخ حمد بن عتيق : " صريح في تحريم سب الدهر " [٦] .

ويلحق بسب الدهر سب الريح فإنه يشبهه ، وقد ورد النهي عنه بخصوصه " لأنها - كما يقول الشيخ حمد بن عتيق - من تدبير مدبر فسبها اعتراض عليه ، وهو قادح في التوحيد " [٧] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد : " باب النهي عن سب

---

(١) الدهرية : طائفة ينفون الربوبية ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى ويقولون هذا مستحيل في العقول ويجعلون الطينة قديمة وينكرون الثواب والعقاب ولا يفرقون بين الحلال والحرام وينفون أن يكون في العالم دليل يدل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق ويضيفون النوازل بهم إلى الدهر فيسبونه .
انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، ص ٨٨ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٠٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٠٣٣ ، رقم ٤٨٢٦ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة حم الجاثية ، و ص ١٣١٠ ، ورقم ٦١٨١ ، كتاب الأدب ، باب : لا تسبوا الدهر ، وص ١٥٧١ ، رقم ٧٤٩١ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، ومسلم في صحيحه ج٤ ، ص ١٧٦٢ ، رقم ٢٢٤٦ ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب النهي عن سب الدهر .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ١٧٦٣ ، رقم ٢٤٤٦ ، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب النهي عن سب الدهر .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٠٩ .

(٦) إبطال التنديد ، ص ١٩٥ .

(٧) إبطال التنديد ، ص ٢٢٥ .

الريح " [١] ثم أورد هذا الحديث التالي : عن أبي كعب ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون ، فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » [٢] .

علق الشيخ عبدالرحمن بن حسن على هذا الحديث مبيناً سبب النهي : " لأنها إنما تهبُّ عن إيجاد الله تعالى ، وخلقه لها وأمره ، لأنه هو الذي أوجدها وأمرها . فمسبتها مسبة للفاعل ، وهو الله سبحانه ؛ كما تقدم في النهي عن سب الدهر . وهذا يشبهه ، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله وبدينه وبما شرعه لعباده . فنهى ﷺ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء ، وأرشدهم إلى ما يُحب أن يقال عند هبوب الريح ، فقال : « إذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به » يعني : إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت ، فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد ، وقولوا : « اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » .

ففي هذا عبودية لله ، وطاعة له ولرسوله ، واستدفاع للشرور به ، وتعرُّض لفضله ونعمته ، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان ، خلافاً لحال أهل الفسوق والعصيان ، الذين حُرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان " [٣] .

---

[١] كتاب التوحيد ، ص ١٦٧ .

[٢] أخرجه الترمذي في سننه ، ج٤ ، ص ٤٥١ ، رقم ٢٢٥٢ ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح ، قال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " ، وأحمد في المسند ، ج٥ ، ص ١٢٣ بنحوه .

[٣] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٧٧٦ .

المطلب العاشر

نسبة النعم إلى غير الله

حذر علماء الدعوة رحمهم الله من نسبة النعم إلى غير الله تعالى تأدباً مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية ، لأن نسبة النعم إلى غير الله باب من أبواب الشرك الخفي ، وضده باب من أبواب الشكر [(١)] .

وقد ترجم لهذه المسألة الإمام محمد في كتاب التوحيد بترجمتين :

الأولى : " باب قول الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ "[(٢)] .

الثانية : " باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ "[(٣)] .

وعدها في مسائل الجاهلية من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية [(٤)] .

وقد أشار علماء الدعوة إلى أن من نسب شيئاً من النعم إلى غير الله ، مع اعتقاده أنها ليست من الله فهذا شرك أكبر .

وإن اعتقد أنها من الله ولكن نسبها إلى غيره فشرك أصغر ، لكونه نسب نعمة الله إلى غيره [(٥)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في هذا الأمر : " يجب على الإنسان أن لا يضيف نعم الله إلى غيره ولا يحمدهم عليها ، بل يضيفها إلى خالقها ومقدرها الذي أنعم بها على العبد بفضله ورحمته ، ولا ينافي ذلك الدعاء لمن أحسن بها إليك ، وذكر ما أولاكم من المعروف إذا سلم لك دينك ، والسر في ذلك - والله أعلم - أن العبد يتعلق قلبه بمن ظن حصول الخير له من جهته وإن كان صنع له في ذلك ، وذلك نوع شرك خفي فمنع من ذلك " [(٦)] .

---

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٨٢ .

(٢) كتاب التوحيد ، ص ١٤٢ ، سورة النحل الآية : ٨٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، سورة فصلت الآية : ٥٠ .

(٤) انظر : مسائل الجاهلية ، ص ١٨ .

(٥) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦٠ ، ٥٨٥ ، وفتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٤٣ . وقد قرر هذا الإمام ابن رجب في لطائف المعارف ، ص ١٤٢ ، فقال : " من أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقاده أنه ليس من الله فهو مشرك حقيقة ، ومع اعتقاد أنه من الله فهو نوع شرك خفي " .

(٦) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦٠ .

الأدلة :

أورد علماء نجد رحمهم الله تعالى ما جاء في التحذير من نسبة النعم إلى غير الله من الأدلة ، وهذه الأدلة هي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [(١)] .

قال الإمام محمد معلقاً على هذه الآية : " قال مجاهد - ما معناه - : هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن أبائي [(٢)] .

وقال عون بن عبدالله [(٣)] : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا [(٤)] ، وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا [(٥)] " [(٦)] .

وحكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها ، وأسند أسبابها إلى غيره ، كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك [(٧)] .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [(٨)] .

قال الإمام محمد معلقاً على هذه الآية : " وقال مجاهد : هذا بعلمي ، وأنا

---

(١) سورة النحل الآية : ٨٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير بنحوه ، ج٧ ، ص ٦٣٠ .

(٣) عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي ، أبو عبدالله ، الإمام القدوة العابد الزاهد الثقة ، مات سنة بضع عشرة ومائة .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ج٥ ، ص ١٠٣ ، تهذيب التهذيب ، ج٨ ، ص ١٧١ ، تقريب التهذيب ، ص ٤٣٤ ، الأعلام ، ج٥ ، ص ٩٨ .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير، ج٧ ، ص ٦٣٠ .

(٥) ذكره ابن جرير الطبري في التفسير ولم يعزه لقائل ، ج٧ ، ص ٦٣٠ .

(٦) كتاب التوحيد ، ص ١٤٢ .

(٧) انظر : فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٦٨٥ ، وقرة عيون الموحدين ، ص ٢٠٣ .

(٨) سورة فصلت الآية : ٥٠ .

محقوق به [١] ، وقال ابن عباس : يريد : من عندي " [٢] .

٣ - وقال الله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [٣]

قال الإمام محمد في تعليقه على هذه الآية : " قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب [٤] ، وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل [٥] ، وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف [٦] " [٧] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " وليس فيما ذكروه اختلاف ، وإنما هي أفراد المعنى " [٨] .

٤ - عن أبي هريرة ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى .... الخ » .

وعن أبي هريرة ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع ، وأعمى . فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكاً . فأتى الأبرص ، فقال : أيُّ شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به . قال فمسحه فذهب عنه قذرُه ، فأعطي لونا حسنا ، وجلدا حسنا . قال : أي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر - شك إسحاق - فأعطي ناقةً عُشراء [٩] فقال : بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع فقال : أيُّ شيء أحب إليك ؟ قال : شعرٌ حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به . فمسحه ، فذهب

---

[١] أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ، ج١١ ، ص ١٢٤ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ١٥٥ .

[٣] سورة القصص الآية : ٧٨ .

[٤] أخرجه عبدبن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ، ج٦ ، ص ٤٤٠ .

[٥] أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي ، كما في الدر المنثور ، ج٦ ، ص ١٤٤ .

[٦] أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ، ج١١ ، ص ١٣ ، والفريابي وعبدبن حميد وابن المنذر ، كما في الدر المنثور ، ج٧ ، ص ٢٣٤ .

[٧] كتاب التوحيد ، ص ١٥٥ .

[٨] تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٢٤ .

[٩] العشراء : الحامل القريبة الولادة ، انظر شرح صحيح مسلم ، ج١٨ ، ص ٣١٠ .

عنه ، وأعطى شعرا حسنا . قال : أي المال أحبُّ إليك ؟ قال : البقر أو الإبل ، فأعطي بقرة حاملاً . فقال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله عليَّ بصري ، فأبصر به الناس . فمسحه ، فرد الله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأعطى شاة واحدا ، فأنتج هذان ، وولدٌ هذا [1] . فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين وابنُ سبيل ، قد انقطعت بي الحبالُ في سفري هذا ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة !؟ فقال له : كأني اعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً ، فأعطاك الله المال ؟ فقال : إنما ورثتُ هذا المال كابراعن كابر ، قال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت . قال : وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال له : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت ، قال : فأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين ، وابن سبيل . قد انقطعت بي الحبال في سفري . فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك . أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فردٌ الله علَّ بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتُليتم ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك » [2] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في شرحه لهذا الحديث : " هذا الحديث عظيم ، وفيه معتبر ، فإن الأولين جحدا نعمة الله ، فما أقرا لله بنعمة ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها ، ولا أديا حق الله فيها بنعمه ، فحل عليهما السخط .

---

[1] (فأنتج هذان) أي : تولى الولادة وهي النتج والنتاج ، ومعنى (ولَّد هذا) أي تولى ولادتها ، وهو بمعنى أنتج ، والناتج للأبل والمولد للغنم وغيرها هو كالقابلة للنساء . انظر شرح صحيح مسلم ، ج١٨ ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٧١٢ - ٧١٣ ، رقم ٣٤٦٤ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، بابٌ: حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل ، وص ١٣٩٩ ، رقم ٦٦٥٣ ، كتاب الأيمان والنذوز ، بابٌ : لا يقول : ما شاء الله وشئت ، وهل يقول : أنا بالله ثم بك ؟ ، ومسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢٢٧٥ - ٢٢٧٧ ، رقم ٢٩٦٤ ، كتاب الزهد والرقائق ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأما الأعمى : فاعترف بنعمة الله ، ونسبها إلى من أنعم عليه بها ، وأدى حق الله فيها فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة ، لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها ، وهي : الإقرار بالنعمة ، ونسبتها إلى المنعم ، وبذلها فيما يحب " [١] .

٥ - وفي حديث زيد بن خالد ، - الذي تقدم - أن الله تعالى قال : (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) [٢] .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بعد هذا الحديث : " المراد بالكفر هنا هو نسبة النعمة إلى غير الله كالنوء ونحوه على ما تقدم ، ولما كان إنزال الغيث من أعظم نعم الله وإحسانه إلى عباده لما اشتمل عليه من منافعهم فلا يستغنون عنه أبداً كان من شكره الواجب عليهم أن يضيفوه إلى البر الرحيم المنعم ويشكروه ، فإن النفوس قد جبلت على حب من أحسن إليها ، والله تعالى هو المحسن المنعم على الإطلاق الذي ما بالعباد من نعمة فمنه وحده ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [٣] " [٤] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " وفي هذا الحديث : أن نعم الله لا يجوز أن تُضاف إلاَّ إليه وحده ، وهو الذي يُحمد عليها ، وهذه حالُ أهل التوحيد " [٥] .

---

[١] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٧٢٨ - ٧٢٩ .

[٢] سبق تخريجه ، ص ٥٥١ .

[٣] سورة النحل الآية : ٥٣ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٦١ . وانظر : هذا المعنى فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٤٤ .

[٥] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٥٤٤ ، وانظر : حول هذا المعنى تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٨٥ - ٥٨٦ .

الفصل الثالث

جهودهم في نقض شبهات المشركين في العبادة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : شبهة دعوى أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة .

المبحث الثاني : دعوى أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك .

المبحث الثالث : تعلقهم بقضية الشفاعة .

المبحث الرابع : دعوى التوسل .

المبحث الأول

شبهة دعوى

أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة

من شبهات المشركين دعوى أن مجرد النطق بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة و النجاة من النار ، ولوفعل الإنسان ما فعل من الكفريات والشركيات [١] ، متمسكين بظواهر الأحاديث التي فيها أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وحرم على النار [٢] ، وأحاديث الكف عن قتال من قال لا إله إلا الله ، كحديث أسامة الذي فيه إنكار الرسول ﷺ قتل من قال لا إله إلا الله فقال : « أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله » ؟ [٣] وكذلك قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » [٤] .

وقد أجاب علماء الدعوة عن هذه الشبهة ، وبينوا المراد من هذه الأحاديث ، وسأبين ذلك في الوجوه التالية :

الوجه الأول :

أن المراد بالأحاديث الآمرة بالكف عمن قال لا إله إلا الله ، هو أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه ، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك .

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب عن حديث أسامة :« فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [٥] أي : فتثبتوا ، فالآية تدل على وجوب الكف عنه والتثبت ، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى : ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى .

---

[١] ممن أورد هذه الشبهة عبداللطيف بن عبدالمحسن الصحاف ، انظر : الاتحاف في الرد على الصحاف ، ص ٤٤ .

[٢] تقدم بعض هذه الأحاديث في فضائل لا إله إلا الله ، ص ٢٦٩ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٨٧٨ ، رقم ٤٢٦٩ ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد ، وص ١٤٤١ - ١٤٤٢ ، رقم ٦٨٧٢ ، كتاب الديات ، باب : (ومن أحياها) .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٢٧٧ ، رقم ١٣٩٩ ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، وكرره برقم ٦٩٢٤ ، ٧٢٨٤ ، ومسلم في صحيحه ، ج ١ ، ص ٥٢ ، رقم ٢١ ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتي يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[٥] سورة النساء الآية : ٩٤ .

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه : أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك . والدليل على هذا أن الرسول ﷺ الذي قال : « أقتلته بعد أن قال : لا إله إلا الله ؟ » [1] وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » [2] هو الذي قال في الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » [3] ، مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً ، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا إدعاء الإسلام ، لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود ، وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[4] وكان الرجل كاذباً عليهم ، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه " [5] .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله على حديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » [6] الحديث : " فهذا الحديث كآية براءة بيّن فيه ما يقاتل عليه الناس ابتداء ، فإذا فعلوه وجب الكف عنهم إلا بحقه ، فإن فعلوا بعد ذلك ما يناقض هذا الإقرار والدخول في الإسلام ، وجب القتال حتى يكون الدين كله لله ، بل لو أقروا بالأركان الخمسة وفعلوها وأبو عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه أو عن تحريم بعض محرمات الإسلام كالربا أو الزنا أو نحو ذلك وجب قتالهم إجماعاً ، ولم تعصمهم لا إله إلا الله ولا ما فعلوه من الأركان ، وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، وأنه ليس المراد منها مجرد النطق ، فإذا كانت لا تعصم من استباح محرماً ، أو أبى عن فعل الوضوء مثلاً بل يقاتل على ذلك حتى يفعله ،

---

[1] سبق تخريجه ، ص ٦٠٢ .

[2] سبق تخريجه ، ص ٦٠٢ .

[3] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٤٥٤ ، رقم ٦٩٣٠ ، كتاب لفتح ، باب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم .

[4] سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

[5] كشف الشبهات ، ص ٢٧ - ٢٩ .

[6] سبق تخرجه ، ص .

فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله وأحبه ومدحه ، وأثنى على أهله ، ووالى عليه ، وعادى عليه ، وأبغض التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله ، وتبرأ منه ، وحارب أهله وكفرهم ، وصد عن سبيل الله كما هو شأن عباد القبور ، وقد أجمع العلماء على أن من قال : لا إله إلا الله وهو مشرك أنه يقاتل حتى يأتي بالتوحيد " [١] .

الوجه الثاني :

أن المراد بالأحاديث التي ظاهرها أن من أتى بالشهادتين حرم على النار ودخل الجنة ، من قالها وأتى بشروطها [٢] وسلم من موانعها ومات على ذلك .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله في بيان هذا الوجه : " اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث ، وحديث أنس قال : كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل ، فقال : « يا معاذ » . قال لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إلا حرمه الله على النار » ، قال : يا رسول الله ألا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : « إذاً يتكلوا » فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً [٣] ...

ولمسلم عن عبادة مرفوعاً : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، حرم الله عليه النار » [٤] .

ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ، وليس فيها أنه يحرم على النار منها حديث عبادة الذي تقدم ... [٥] ، وحديث أبي هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ... الحديث ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » [٦] ...

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

[٢] وقد تقدمت شروط لا إله إلا الله ، ص ٢٨٠ .

[٣] سبق تخريجه ، ص ٢٦٩ .

[٤] سبق تخريجه ، ص ٢٦٩ .

[٥] سبق تخريجه ، ص ١١٢ .

[٦] سبق تخريجه ، ص ٢٨٥ .

وحديث أبي ذر في " الصحيحين " مرفوعاً : « ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ... » [1] .

وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام وغيره : إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة ، وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه ، غير شاك فيها بصدق ويقين ، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة ، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة ، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً ، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، وما يزن خردلة وما يزن ذرة ، وتواترت بأن من يقول : لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها ، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم ، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون ، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله ، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال ، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت ، فيحال بينه وبينها ، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة ، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث : « سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته » [2] وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [3] ، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث ، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام ، لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً ، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء ، فإذاً لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله ، وهذا هو الذي يحرم من النار ، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك ، فإن

---

[1] سبق تخريجه ، ص ٢٧٠ .

[2] أخرجه بنحوه البخاري في صحيحه ، ص ٢٦٢ ، رقم ١٣٣٨ ، كتاب الجنائز ، باب الميت يسمع خفق النعال ، من حديث أنس رضي الله عنه ، وأخرجه بنحوه ابن حبان في صحيحه ، ج١ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ٧٨٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه " موارد " .

[3] سورة الزخرف ، الآية : ٢٣ .

هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا يتركون له ذنباً إلا يُمحى كما يُمحى الليل بالنهار " [١] .

وقال الشيخ سليمان في بيان المراد من هذه الأحاديث : " وحاصله أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك ، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه ، وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ، ولهذا قيل للحسن إن ناساً يقولون : من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، فقال : من قال : لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة .

وقال وهب بن منبه ، لمن سأله : « أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح » [٢] .. " [٣] .

الوجه الثالث :

أن هناك وقائع في تاريخ الإسلام تبين بطلان هذه الشبهة منها :

١ - أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله .

٢ - أن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا المرتدين وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ويدعون الإسلام .

٣ - أن علياً رضي الله عنه حرق أناساً من أصحابه بالنار لما غلو فيه ، وقد أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم .

وهم مع ذلك يقولون لا إله إلا الله ويدعون الإسلام .

٤ - أن بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب والشام وغيرها ، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة ، فلما أظهروا

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٨٧ - ٨٨ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً ، ص ٢٤٣ ، كتاب الجنائز ، باب ومن كان آخر كلامه : لا إله إلا الله . ووصله في التاريخ ، ج١ ، ص ٩٥ ، رقم ٢٦١ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٩٠ - ٩١ .

من الأقوال والأفعال ما أظهروا أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين [١] .

الوجه الرابع :

إن قائل هذا القول لا بد أن يتناقض ولا يمكنه طرد قوله في مثل من أنكر البعث أو شك فيه مع إتيانه بالشهادتين ونحو هذا .

يقول الشيخ عبدالله بن محمد في بيان هذا الوجه : " وأما قول ، من يقول : إن من تكلم بالشهادتين ما يجوز تكفيره ، فقائل هذا القول لا بد أن يتناقض ، ولا يمكنه طرد قوله في مثل من أنكر البعث أو شك فيه مع إتيانه بالشهادتين ، أو أنكر نبوة أحد من الأنبياء ، الذين سماهم الله في كتابه ، أو قال : الزنا حلال ، أو نحو ذلك ، فلا أظن يتوقف في كفر هؤلاء وأمثالهم ، إلا من يكابر ويعاند .

فإن كابر وعاند ، وقال : لا يضر شيء من ذلك ، ولا يكفر به من أتى بالشهادتين ، فلا شك في كفره ولا كفر من شك في كفره ، لأنه بقوله هذا مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين ، والأدلة على ذلك ظاهرة بالكتاب والسنة والإجماع " [٢] .

وقد ذكر هذا الجواب الشيخ عبدالله أبابطين [٣] .

الوجه الخامس :

أن العلماء من كل مذهب عقدوا في كتب الفقه باباً مستقلاً سموه باب حكم المرتد ، وذكروا فيه أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله .

قال الشيخ عبدالله أبابطين في بيان هذا الوجه : " ويقال لمن قال إن من أتى بالشهادتين

---

[١] انظر : كشف الشبهات ، ص ٢٣ - ٢٤ ، ٢٧ ، ومفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الثالث ، ص ٣٩ - ٥٠ ، وشرح ستة مواضع من السيرة النبوية ، ص ٦٩ - ٧٥ ، والاتحاف في الرد على الصحاف ، ص ٤٧ .

[٢] جواب للشيخ عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٥٠ بتصرف يسير .

[٣] انظر : جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٥٩ .

لا يتصور كفره ، ما معنى الباب الذي يذكره الفقهاء في كتب الفقه وهو (باب حكم المرتد) والمرتد هو : الذي يكفر بعد إسلامه بكلام أو اعتقاد أو فعل أو شك وهو قبل ذلك يتلفظ بالشهادتين ويصلي ويصوم ، فإذا أتى بشيء مما ذكر صار مرتداً مع كونه يتكلم بالشهادتين ويصلي ويصوم ولا يمنعه تكلمه بالشهادتين وصلاته وصومه على الحكم عليه بالردة ، وهذا ظاهر بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع ، وأول ما يذكرون في هذا الباب الشرك بالله فمن أشرك بالله فهو مرتد " [١] .

وقد ذكر هذا الوجه الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب [٢] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٣] ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [٤] .

---

[١] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٦٥٩ .

[٢] انظر : كشف الشبهات ، ص ٢٤ .

[٣] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

[٤] انظر : الاتحاف في الرد على الصحاف ، ص ٤٦ - ٤٧ .

المبحث الثاني

دعوى أنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك

هذه الشبهة أوردها بعض أهل نجد المناوئون للشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه لله تعالى لما دعاهم إلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، ويتركوا عبادة ما كانوا يعبدونه من الأوثان والطواغيت كتاج [(١)] وشمسان [(٢)] ، ويخلعوا عبادة الأوثان ، مثل عبادتهم لزيد ابن الخطاب وغيره من أرباب القبور والأشجار والأحجار .

وممن أورد هذه الشبهة عليه عبدالله المويس [(٣)] راعي حرمة ، وسليمان بن عبدالوهاب [(٤)] في العارض ، وغيرهما وزعموا أن الأمة لا يقع فيها شرك [(٥)] .

وقد أظهر هذه الشبهة المشار إليها ، وأوردها رجل من الأحساء - زمن الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى - فقال حاكياً عنه أنه قال : " أيها الرجل الجاهل المعجب بنفسه ، لقد غويت وجهلت باعتقادك في هذه الأمة المحمدية التي قال الله فيها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [(٦)] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [(٧)] أي عدلاً خياراً " [(٨)] .

---

(١) تاج ، كان بعض الناس في تلك الفترة يعتقدون فيه الولاية وكانوا يأتونه لقضاء حوائجهم ، وكان يأتيهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لاستلام ما تجمع من النذور ، واعتقد الناس فيه اعتقادات باطلة ورووا عنه حكايات كاذبة حتى خافه الحكام ، وهاب الناس أعوانه وحاشيته ، ومن حكاياتهم زعمهم أنه أعمى وأنه يأتي من بلده من غير قائد ، انظر : تاريخ نجد لابن غنام ، ص ١٥ .

(٢) شمسان هو محمد بن شمسان ، كان له أولاد يأمرون الناس ويندبونهم لينذروا له ، ويعتقدوا فيه الولاية والشفاعة ، انظر : تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد ، ص ٤٣ .

(٣) عبدالله بن عيسى ، الشهير بالمويس ، ولد في بلدة حرمة إحدى بلدان سدير قرأ على مشايخ نجد ثم ارتحل لطلب العلم في الشام ، ثم رجع إلى نجد فصادف رجوعه ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فعاداه ، ووقف في وجه الدعوة السلفية حتى صار من أكبر المعادين لها ، توفي سنة ١١٧٥هـ .
انظر في ترجمته : علماء نجد لابن بسام ، ج٢ ، ص ٦٠٤ - ٦٠٦ .

(٤) سليمان بن عبدالوهاب أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ولي قضاء حريملاء بعد والده ، كان عالماً فقيهاً ، وكان من المخالفين للشيخ محمد ولدعوته ، وقد أورد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في كتابه مصباح الظلام ، ص ١٠٥ - ١٠٨ . رسالة تدل على رجوع الشيخ سليمان إلى دعوة التوحيد ، وقد توفي في الدرعية سنة ١٢٠٨هـ .
انظر في ترجمته : علماء نجد لابن بسام ، ج١ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٦ .

(٥) انظر : رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، الرسالة الخامسة ضمن مجموعة الرسائل المسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٥٣ .

(٦) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٧) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

(٨) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، الرسالة الخامسة ضمن مجموعة الرسائل المسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٥٤ .

وأوردها أيضاً بعض المعاصرين للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله تعالى ، وهو عثمان بن منصور ، وقد أشار إلى ذلك الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بقوله : " وقد رأيت لبعض المعاصرين كتاباً يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدين ، ويجادل بمنع تضليل عباد الأولياء والصالحين ، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين ، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين . وأكثر التشبيه بأنهم من الأمة ، وأنهم يقولون لا إله إلا الله ، وأنهم يصلون ويصومون .. " [١] .

الجواب عن هذه الشبهة : " تصدى علماء الدعوة لهذه الشبهة ونقضوها ، وردوا على من أوردها بالكتاب والسنة ، وأول من نقضها منهم الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى ، فقد عقد في كتاب التوحيد باباً للرد على هذه الشبهة سماه : (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان) [٢] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى في شرحه لهذه الترجمة : " أراد المصنف بهذه الترجمة الرد على عباد القبور ، الذين يفعلون الشرك ويقولون : إنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فبين في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة ، ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان ، وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى " [٣] .

وقد أجاب عنها أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن كما سيأتي :

وسأبين جواب علماء الدعوة عن هذه الشبهة في الوجوه التاليه :

---

[١] مصباح الظلام ، ص ١٥ .

[٢] كتاب التوحيد ، ص ٩١ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٦٢ .

الوجه الأول :

أنه جاءت أدلة من الكتاب والسنة تدل على وقوع الشرك في هذه الأمة ، ومن هذه الأدلة ما أورده الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد تحت (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان) .

وهذه الأدلة كما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [(١)] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة : " وجه الدلالة : أنه إذا كان في أهل الكتاب من يؤمن بالجبت والطاغوت فالرسول ﷺ قد أخبر أن أمته ستفعل مثل ذلك " [(٢)] .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [(٣)] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة من الآية : " ووجه الدلالة من الآية : إذا كان في اليهود من عبد الطاغوت فكذلك يكون في هذه الأمة " [(٤)] .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [(٥)] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة من الآية : " ووجه الدلالة : أنه إذا كان أهل الكتاب يتخذون على القبور مساجد فكذلك هذه الأمة " [(٦)].

---

(١) سورة النساء الآية : ٥١ .

(٢) إبطال التنديد ، ص ١١٢ .

(٣) سورة المائدة الآية : ٦٠ .

(٤) إبطال التنديد ، ص ١١٣ .

(٥) سورة الكهف الآية : ٢١ .

(٦) إبطال التنديد ، ص ١١٣ .

٤ - عن أبي سعيد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » [١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة من الحديث : " ووجه مطابقة الحديث للترجمة واضح ؛ لأن الأمم قبلنا وجد فيها الشرك ، فكذلك يوجد في هذه الأمة كما هو الواقع " [٢]

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً وجه الدلالة أيضاً : " فبين ﷺ في هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بدّ أن يقع جميعه في هذه الأمة وهو الشاهد للترجمة " [٣] .

وبهذا أيضاً تظهر مناسبة الآيات للترجمة [٤] .

قال الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في المسائل : " السادسة : - وهي المقصود بالترجمة - أن هذه لابد أن يوجد في هذه الأمة ، كما تقرر في حديث أبي سعيد " [٥] .

٥ - عن ثوبان [٦] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ولا تقوم الساعة حتى يلحق

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٧١١ ، رقم ٣٤٥٦ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، بابٌ : ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم في صحيحه ، ج ٤ ، ص ٢٠٥٤ ، رقم ٢٦٦٩ ، كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[٢] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٦٩ .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ١٣٠ .

[٤] انظر : فتح المجيد ، ج١ ، ص ٤٤٣ .

[٥] كتاب التوحيد ، ج١ ، ص ٩١ .

[٦] ثوبان بن بجدد ، أبو عبدالله ، مولى رسول الله ﷺ ، اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه ، فلم يزل معه في السفر والحضر إلى توفي رسول الله ﷺ ، فخرج إلى الشام وتوفي بها سنة ٥٤ هـ .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج١ ، ص ٢٩٠ ، أسد الغابة ، ج١ ، ص ٤٨١ ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ١٥ .

حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان »[١] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث : " وفي رواية أبي داود : « وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان »[٢] ومعناه ظاهر . وهذا هو شاهد الترجمة ، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك وعبادة الأوثان في هذه الأمة "[٣] .

وهناك أدلة أخرى في معنى هذا الحديث أوردها الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد[٤] وهي :

٧ - عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة »[٥] .

٨ - عن عائشة مرفوعاً : « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى »[٦] .

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى بعد أن ذكر أحاديث وآثاراً تتعلق بهذا الباب : " وفي الباب أحاديث وآثار لا تحصى كثرة تدل على ما هو الواقع من أزمنة متطاولة من الشرك والبدع وسائر أنواع المعاصي "[٧] .

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، وأبو داود في سننه ، ج٤ ، ص ٤٥١ ، رقم ٤٢٥٢ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٣٠٤ ، رقم ٣٩٥٢ ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ، وقد رواه البرقاني في صحيحه كما في كتاب التوحيد ، ص ٩٤ .

[٢] أخرجه أحمد في المسند ، ج٥ ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، وأبو داود في سننه ، ج٤ ، ص ٤٥٠ - ٤٥٢ ، رقم ٤٢٥٢ ، كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، وابن ماجة في سننه ، ج٢ ، ص ١٣٠٤ ، رقم ٣٩٥٢ ، كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٧٧ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٧٧ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٤٩٣ ، رقم ٧١١٦ ، كتاب الفتن ، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان ، ومسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢٢٣٠ ، رقم ٢٩٠٦ كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢٢٣٠ ، رقم ٢٩٠٧ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة .

[٧] إبطال التنديد ، ص ١٢١ .

الوجه الثاني :

أنه وردت أدلة من الكتاب والسنة تبين خطر الشرك والخوف منه ، وتحذر من الوقوع فيه ، فكيف يقال بعد هذا إن الشرك لا يقع في هذه الأمة .

ومن هذه الأدلة قول الله تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام : ﴿ واجْنُبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [(١)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في تفسيره لهذه الآية : " قوله ﴿ وَاجْنُبْني ﴾ أي : اجعلني وبني في جانب عن عبادة الأصنام ، وباعد بيننا وبينها . وقد استجاب الله دعاءه وجعل بنيه أنبياء وجنبهم عبادة الأصنام ... وإنما دعا إبراهيم عليه السلام بذلك ، لأن كثيراً من الناس افتتنوا بها كما قال : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ﴾ [(٢)] فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها ، فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام ، فما ظنك بغيره ؟ كما قال إبراهيم التيمي [(٣)] : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟! [(٤)] . وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك ، لا كما يقول الجهال : إن الشرك لا يقع في هذه الأمة ، ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه " [(٥)] .

الوجه الثالث :

أن هناك شواهد تاريخية تدل على وقوع الشرك في هذه الأمة ذكر علماء الدعوة بعضاً منها وهي :

١ - أن العرب لما سمعوا بوفاة النبي ﷺ ارتد أكثرهم عن الإسلام ، وكثير منهم رجع إلى الكفر وعبادة الأوثان ، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه بالصحابة حتى دخلوا من الباب الذي خرجوا منه ، وقتل منهم من قتل على ردته .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٦ .

(٣) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي ، أحد العلماء العباد ، كان من الثقات ، قتله الحجاج ، وقيل بل مات في حبسه ولم يبلغ الأربعين .
انظر في ترجمته : تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص ٧٣ ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص ١٧٦ .

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ، ج٧ ، ص ٤٦٠ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ، ج٥ ، ص ٤٦ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ١١٧ باختصار وتصرف يسير .

٢ - وكذلك بنو حنيفة صدقوا مسيلمة لما ادعى النبوة وكفروا ، فقاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا ريب أن بني حنيفة كفار ومن قتل منهم قتل كافراً .

٣ - وكذلك الذين اعتقدوا الإلهية في علي بن أبي طالب ، فخدَّ لهم الأخاديد ، وأحرقهم بالنار لشركهم بالله .

٤ - وكذلك ظهرت دولة القرامطة في المشرق وصار لهم صولة ، وأظهروا الكفر ، وقتلوا الحجاج بمكة وألقوهم في بئر زمزم ، وقلعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى بلادهم .

٥ - وكذلك ظهرت دولة بني بوية في أوائل القرن الرابع ، فأظهروا الغلو في أهل البيت ، وبنوا المساجد على قبورهم ، وبنوا المشاهد وعبدوها من دون الله .

٦ - وكذلك بنو عبيد القداح تغلبوا على مصر وبعض المغرب ، وبنوا المساجد على القبور والمشاهد بزعمهم أنها قبور أناس من أهل البيت وهي موجودة تعبد إلى الآن [(١)] .

جواب علماء الدعوة عن أدلة الخصوم في تقرير هذه الشبهة :

مما استدل به الخصوم قوله ﷺ : « إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب » [(٢)] استدلوا به على استحالة وقوع شيء من الشرك في جزيرة العرب [(٣)] .

وقد أجاب علماء الدعوة عن هذا الحديث من عدة أوجه :

الوجه الأول :

أن معنى الحديث : أنه يئس أن يجتمعوا كلهم على الكفر .

يقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله تعالى في بيان هذا الوجه : " ليس في الحديث حجة لهم ولا شبهة ، وإنما معنى الحديث : أنه يئس أن يجتمعوا كلهم على الكفر .

---

(١) انظر : رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن الرسالة الخامسة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ص ٦٤ - ٧٠ ، ودحض شبهات على التوحيد ، ص ٣٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج٤ ، ص ٢١٦٦ ، رقم ٢٨١٢ ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قريناً ، وأحمد في المسند ، ج٣ ، ص ٣١٣ ، ٣٥٤ ، من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) انظر : دحض شبهات على التوحيد ، ص ٢٢ - ٢٣ .

قال ابن رجب على الحديث : المراد أنه يئس أن تجتمع الأمة كلها على الشرك الأكبر ، وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ ﴾ [١] قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني يئسوا أن تراجعوا دينهم ، وكذا قال عطاء [٢] والسدي ومقاتل [٣] . قال : وعلى هذا يرد الحديث الصحيح « إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب » [٤] اهـ فأشار إلى أن معنى الحديث موافق لمعنى الآية ، وأن معنى الحديث أنه يئس أن يرجع المسلمون عن دينهم إلى الكفر . قال غير واحد من المفسرين : إن المشركين كانوا يطمعون في عودة المسلمين إلى دينهم . فلما قوي الإسلام وانتشر يئسوا من رجوعهم عن الإسلام إلى الكفر ، وهذا معنى إياس الشيطان لما رأى من ظهور الإسلام وانتشاره وتمكنه من القلوب ورسوخه فيها ، وعلى هذا فلا يدل الحديث : أن الشيطان يئس من وجود الشرك في جزيرة العرب أبد الآبدين " [٥] .

الوجه الثاني :

أن لفظ الحديث فيه نسبة اليأس إلى الشيطان مبنياً للفاعل ، ولم يقل : (أُيِسَ) بالبناء للمفعول ، ولو قدر أنه يئس من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فإنما ذلك ظن منه وتخمين ، لا عن علم لأنه لا يعلم الغيب ، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله ، فلا مانع من عبادته ولو بعد حين .

يقول صاحب التوضيح في بيان هذا الوجه : " إن لفظ الحديث بـ (يئس) لا (يُئِسَ) ، وإذا كان اليأس جاء من قبل نفسه لأمر رآه من أمور النبوة وانتشار الدعوة

---

[١] سورة المائدة الآية :٣ .

[٢] عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي ، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما وعنه مجاهد والزهري والأوزاعي وغيرهم ، كان ثقة عالماً فقيهاً من كبار التابعين ، انتهت إليه الفتوى بمكة ، توفى سنة ١١٤هـ . انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص ٧٨ ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٣٠٦ ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ، ص ١٩٩ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٤٧ .

[٣] مقاتل بن حيان النبطي البلخي ، أبوبسطام الخزار ، كان إماماً صادقاً ناسكاً فاضلاً كبير القدر صاحب سنة واتباع ، خرَّج له الجماعة إلا البخاري ، مات قبيل الخمسين ومائة .
انظر في ترجمته : تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص ١٧٤ ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ٢٧٧ .

[٤] تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ١٢ .

[٥] دحض شبهات على التوحيد ، ص ٢٩ - ٣٠ .

وإنزال التنزيل مع كثرة الإجابة في تلك المواطن فلا مانع من عبادته ولو بعد حين ، وإنما يئس لما قام في ذهنه مما رأى مع حرصه على إغواء بني آدم " [١] .

ويقول الشيخ عبدالله أبابطين في بيان هذا الوجه : " وأيضاً ففي الحديث نسبة اليأس إلى الشيطان مبنياً للفاعل لم يقل (أُيِّسَ) بالبناء للمفعول ، ولو قدر أنه يئس من عبادته في أرض العرب إياساً مستمراً فإنما ذلك ظن منه وتخمين ، لا عن علم لأنه لا يعلم الغيب ، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله ... فكيف يقال : إن الشيطان يعلم ما تستمر عليه الأمة من خير وشر وكفر وإسلام ، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله ومن يطلعه عليه من رسله .

فتبين بما ذكرنا أنه لا دلالة في الحديث على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب " [٢] ،

وقال في موضع آخر : " إن النبي ﷺ نسب الإياس إلى الشيطان ولم يقل إن الله آيسه فالإياس الصائر من الشيطان لا يلزم تحققه واستمراره ، ولكن عدو الله لما رأى ما ساءه من ظهور الإسلام في جزيرة العرب وعلوه ، أيس من ترك المسلمين دينهم الذي أكرمهم الله به ورجوعهم إلى الشرك الأكبر .

وقول النبي ﷺ : « إن الشيطان يئس أن يعبده المصلون » معناه : أنه يئس أن يطيعه المصلون في الكفر بجميع أنواعه ؛ لأن طاعته في ذلك هي عبادته ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ [٣] ... " [٤] .

الوجه الثالث :

" أن اللعين كان يداخل الصور التي صورها المشركون ويكلمهم فيها كما قال جل ذكره : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ [٥] فلما نزل

---

[١] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٤٨ .

[٢] دحض شبهات على التوحيد ، ص ٣١ - ٣٣ باختصار .

[٣] سورة يس الآية : ٦٠ .

[٤] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

[٥] سورة النساء الآيتين : ١١٧ - ١١٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [١] وكسرت تلك الصور التي يكلمهم فيها يئس في نفسه أن يعبد كذلك " [٢] .

الوجه الرابع :

" أنه يئس أن يعبد ظاهراً بلا واسطة قبر أو تمثال كما عبد في غير الجزيرة كذلك فإنه قد وجد من عبد صورته استقلالاً " [٣] .

وأجاب الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عن استدلال صاحب الأحساء بالآيتين السابقتين فقال : " وأما ما استدل به من الآيتين فهما حجة عليه ، وذلك أن الله وصف خير أمة أخرجت للناس بثلاث صفات وهي لأهل الإيمان خاصة ، وليس لأهل الكفر والشرك والنفاق والبدع والفسوق فيها نصيب فقال : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [٤] .. " [٥] .

وقال أيضاً : " وأما ما استدل به على شبهته الواهية والباطلة من الآيتين آية البقرة وآية آل عمران فهما من أظهر الحجة عليه في إبطال شبهته فأن قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [٦] إنما خاطب بها رسول الله ﷺ وأصحابه ، فالخطاب بها متوجه إليهم ، فإنهم هم الموصوفون بهذه الصفات ، فهو مؤمن من خير أمة أخرجت للناس ، وهم الموعودون في كتاب الله وسنة رسوله بالفوز بالجنة والنجاة من النار بخلاف الكفار والمشركين .. " [٧] .

"وأما آية البقرة فهي أيضاً حجة على هذا في إبطال شبهته وبيان جهله وضلاله ، فإن

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨١ .

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٥) رسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ، الرسالة الخامسة ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٥٩ .

(٦) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٧) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦١ .

الله تعالى قال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1] أي : عدلاً خياراً والخطاب للنبي ﷺ وأصحابه وهم المعنيون بهذه الآية أيضاً ، ومن كان مثلهم من أهل الإيمان لحق بهم ، وأما الكفار والمشركون والمنافقون فهم أعداء الأمة الوسط في كل زمان ومكان ، ولا يمكن لأحد أن يزعم أنهم من الأمة الوسط إلا مثل هذا الجاهل الذي يقول : ليس في الأمة كافر ولا مشرك ولا مبتدع ولا فاسق .. "[2] .

وأجاب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله عن هذه الدعوى وعما استدلوا به بأجوبة قوية ، منها ما قاله رداً على عثمان بن منصور : " وبالجملة فهذا المعترض مموه بلفظ الأمة ملبس ... والأمة تطلق ويراد بها عموم أهل الدعوة ويدخل فيها من لم يستجيب لله ورسوله . وتطلق أيضاً ويراد بها أهل الاستجابة المنقادون لما جاءت به الرسل ..."[3] .

وقال في موضع آخر : " ليس كل من وصف بأنه من الأمة يكون من أهل الإجابة والقبلة ...

والأمة في مقام المدح والوعد يراد بها أهل القبلة وأهل الإجابة . وتطلق في مقام التفرق والذم ويراد بها غيرهم . فلكل مقام مقال "[4] .

وقال في موضع آخر : " وهذه الشبه يعرف فسادها كل من كانت له ممارسة في العلم . وإن قلت . فإن لفظ الأمة مفرداً ومضافاً يقع على المستجيب المهتدي ، ويقع أيضاً على المكذب المعاند ، فالأول كقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[5] وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[6] وقوله : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ

---

[1] سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

[2] الرسالة الخامسة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٦١ - ٦٢ .

[3] مصباح الظلام ، ص ٣٠ .

[4] المصدر السابق ، ص ٣٤١ .

[5] سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

[6] سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

يَعْدِلُونَ ﴾ [١] ... فهذا ونحوه يطلق ويراد به المؤمنون والمسلمون . وقد يطلق هذا اللفظ ويتناول المكذبين والضالين كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ [٢] فأطلق الأمة على الفريقين ، وتناول لفظها الحزبين . وكذلك قوله : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [٣] وقع الاسم على من أجاب النذير ومن عصاه ، وقوله في خصوص هذه الأمة : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [٤] فالإشارة في الآية إلى هذه الأمة ، وقد نصّ على أن منهم منْ كفر وعصى الرسول ...

إذا عرفت هذا فاعلم أن نفس الآية التي يوردها المبطل وهي قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [٥] فيها الدليل الكافي والبرهان الشافي على إبطال قول المشبه المرتاب ورد شبهته ، فإن الخطاب في هذه الآية مخصوص بأهل الإيمان الذي أصله ورأسه معرفة الله وتوحيده وإخلاص العبادة له ، وهو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص ، ومن عدا هؤلاء ليس بداخل في أصل الخطاب ، بل هو ساقط من أول رتب الأعداد ، كما لا يخفى إلا على من طبع الله قلبه .

الثاني : أنه ذكر العلة والمقتضي بقوله : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [٦] وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلة ، وأحق الناس بهذا الوصف وأولاهم به من دعا إلى توحيد الله وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة ...

الثالث : قوله تعالى : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [٧] وأصل الإيمان بالله هو عبادته

---

[١] سورة الأعراف ، الآية : ١٨١ .

[٢] سورة النحل ، الآية : ٣٦ .

[٣] سورة فاطر ، الآية : ٢٤ .

[٤] سورة النساء ، الآيتين : ٤١ - ٤٢ .

[٥] سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

[٦] سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

[٧] سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

وحده لا شريك له ، وقد فسره النبي ﷺ بذلك في حديث وفد عبد القيس [(١)] ، هذا هو الإيمان الذي اختص به المؤمنون ، وجحده المشركون ، وفيه وقع النزاع ، وله شرع الجهاد ، وانقسم العباد ... " [(٢)] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ٤٦ ، رقم ١٧ ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين ، والدعاء إليه ، والسؤال عنه ، وحفظه ، وتبليغه من لم يبلغه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) الرسالة التاسعة والثلاثون ، للشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٣ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٦ باختصار .

المبحث الثالث

تعلقهم بقضية الشفاعة

من شبه المشركين تعلقهم بقضية الشفاعة حيث يقولون نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيره ، ولكن نحن مذنبون ، والصالحون لهم جاه عند الله ، فنحن نطلب من الله بهم ، فهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ويقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده [١] .

وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها ، والدعوة إلى إفراد الله بالعبادة وحدة لا شريك له [٢] .

وقد تحدث علماء الدعوة عن تعلق المشركين بقضية الشفاعة وكشوفها ونقضوها .

وسأبرز كلام علماء الدعوة حول هذه القضية في النقاط التالية :

١ - معنى الشفاعة في اللغة والشرع :

الشفاعة في اللغة :

قال صاحب التوضيح : " أما الشفاعة فقد قال أهل المعاني أنها مأخوذة من الشفع المقابل للوتر ، فاستعملت في الشفع باعتبارين :

الأول : كونه شافعاً لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة .

الثاني : كونه شافعاً للمسئول منه قضاء الحاجة في قضائها ، إذ هي لم تقض إلا بسبب شفاعته ، فكأنه شاركه وشفعه فيها .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [٣] .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

---

[١] انظر : كشف الشبهات ، ص ٣ .

[٢] انظر : الفواكه العذاب ، ص ٤٥ .

[٣] سورة النساء الآية : ٨٥ .

هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١] ..." [٢] .

الشفاعة في الشرع :

بيَّن الشيخ الإمام محمد رحمه الله تعالى حقيقة الشفاعة فقال نقلاً عن شيخ الإسلام : " وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود " [٣] .

وقال صاحب التوضيح مبيناً معنى الشفاعة في الشرع : " وأما معناها : فإنها تكون في الخير كالإصلاح بين الناس في الدنيا قال تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [٤] وفي الآخرة هي توجه المأذون له فيها لمن ارتضى الله عنه ، إما برفع درجاته ، وإما بدخوله الجنة أول وهلة بلا حساب ، وإما بعدم دخوله النار التي قد استحق دخولها بأعمال سيئة كانت قد صدرت منه ، وإما بإخراجه منها بعد أن دخلها ، وكما تكون في الخير تكون في الشر ، كالمشي في الغيبة والنميمة وإساءة القول في الناس . قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ [٥] .. " [٦] .

وبيّن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن حقيقتها فقال : " وحقيقتها : أن الله تعالى إذا أراد رحمة عبده ونجاته أذن لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه ، وكرامة للشافع " [٧] .

---

[١] سورة يونس الآية : ١٨ .

[٢] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٧٥ - ٧٦ ، ٣٥٢ .

[٣] كتاب التوحيد ، ص ٧٠ ، ونقله أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتابه القول الفصل النفيس ، ص ٢٢٧ ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في " الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان " ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

[٤] سورة النساء الآية : ٨٥ .

[٥] سورة النساء الآية : ٨٥ .

[٦] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٣٥٢ .

[٧] تحفة الطالب والجليس ، ص ١٠٤ ، وانظر : ما نقله الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن ابن القيم في بيان حقيقة الشفاعة في كتاب المحجة ، ص ٦٦ .

٢ - أنواع الشفاعة :

قال الشيخ الإمام محمد رحمه الله تعالى في رسالة القواعد الأربع : " والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية ، وشفاعة مثبتة .

فالشفاعة المنفية : ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .

والدليل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [١] .

والشفاعة المثبتة : هي التي تطلب من الله ، والشافع مُكْرَمٌ بالشفاعة ، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن ، كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [٢] ... " [٣] .

وقرر الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى أنواع الشفاعة فقال : " الشفاعة نوعان :

شفاعة منفية في القرآن ، وهي الشفاعة للكافر والمشرك . قال تعالى : ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [٤] .

النوع الثاني : الشفاعة التي أثبتها القرآن ، وهي خالصة لأهل الإخلاص وقيدها تعالى بأمرين : الأول إذنه للشافع أن يشفع ، كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [٥] وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب ، فإذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له . الأمر الثاني : رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى :

---

[١] سورة البقرة الآية : ٢٥٤ .

[٢] سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

[٣] رسالة القواعد الأربع ، ج١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤ - ٢٥ .

[٤] سورة البقرة الآية : ٢٥٤ .

[٥] سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [١] فالإذن بالشفاعة له بعد الرضا كما في هذه الآية ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد " [٢] .

وبين الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله المراد بهذين النوعين فقال : " والحاصل : أن الشفاعة الثابتة هي التي تطلب من الله بإذنه لمن يرضى قوله وعمله ، والله لا يرضى إلا التوحيد ، والمنفية هي التي تطلب من غير الله ، أو بغير إذنه ، أو لأهل الشرك به " [٣] .

وسئل الشيخ حمد بن معمر رحمه الله تعالى عن الفرق بين الشفاعة المثبتة والمنفية . فأجاب رحمه الله : " أما الفرق بين الشفاعة المثبتة والمنفية فهي مسألة عظيمة ، ومن لم يعرفها لم يعرف حقيقة التوحيد والشرك " ثم ذكر الآيات في ذلك ثم قال : " فالشفاعة : التي نفاها القرآن ، هي التي يطلبها المشركون من غير الله ، فيأتون إلى قبر النبي ﷺ أو إلى قبر من يظنونه من الأولياء والصالحين ، فيستغيث به ، ويستشفع به إلى الله ، لظنه أنه إذا فعل ذلك ، شفع له عند الله ، وقضى الله حاجته ، سواء أراد حاجة دنيوية ، أو حاجة أخروية ، كما حكى الله عن المشركين في قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [٤] لكن كان الكفار الأولون يستشفعون بهم في قضاء الحاجات الدنيوية ، وأما المعاد فكانوا مكذبين به جاحدين له ، وأما المشركون اليوم فيطلبون من غير الله حوائج الدنيا والآخرة ، ويتقربون بذلك إلى الله ، ويستدلون عليه بالأدلة الباطلة و ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [٥] .

وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فقيدها سبحانه بإذنه للشافع ، ورضاه عن المشفوع له ، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا إلا لمن رضي قوله ، وعمله ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد .

وأخبر الرسول ﷺ أن أسعد الناس بشفاعته أهل التوحيد والإخلاص ، فمن طلبها منه

---

[١] سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

[٢] قرة عيون الموحدين ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

[٣] إبطال التنديد ، ص ٩١ .

[٤] سورة يونس الآية : ١٨ .

[٥] سورة الشورى الآية : ١٦ .

اليوم حرمها يوم القيامة ، والله سبحانه قد أخبر أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، وإنما تنفع من جرد توحيده بحيث يكون الله وحده هو إلهه ومعبوده ، وهو سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، كما قال تعالى : ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِص ﴾ [(١)] .

فإذا تأملت الآيات ، تبين لك : أن الشفاعة المنفية هي التي يظنها المشركون ، ويطلبونها اليوم من غير الله ، وأما الشفاعة المثبتة فهي التي لأهل التوحيد والإخلاص ، كما أخبر الرسول ﷺ أن شفاعته نائلة من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً [(٢)] ، والله أعلم " [(٣)] .

٣ - شروط الشفاعة :

قرر علماء نجد رحمهم الله تعالى أن الشفاعة لها شرطان :

الشرط الأول : إذن الله للشافع أن يشفع .

الشرط الثاني : رضى الله عن المشفوع ، وهو سبحانه لا يرضي إلا التوحيد .

وقد تحدث علماء الدعوة عن هذين الشرطين واستدلوا لهما ، ومن نصوصهم في ذلك ما يلي :

١ - يقول الشيخ الإمام محمد رحمه الله مبيناً شروط الشفاعة : " الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [(٤)] .

فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ﴾ [(٥)] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ

---

(١) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٢) سبق تخريجه ، ص ٣٣٨ .

(٣) جواب للشيخ حمد بن معمر ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٩ ، والرسالة العاشرة للشيخ حمد بن معمر ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٦٥ - ٦٦ . وانظر : ما كتبه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في الفرق بين الشفاعة المثبتة والمنفية في كتاب المحجة ، ص ١٩ ، وما نقله عن ابن القيم في ذلك ، ص ٦٤ - ٧٠ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٤٤ .

(٥) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

قَوْلاً ﴾ [١] . وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى : ﴿ ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[٣] ... " [٤] .

١ - وقرر الشيخ حمد بن معمر رحمه الله هذه القيود فقال : " وأخبر سبحانه أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وأنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، وأنه لا يرضى إلا التوحيد ، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود " [٥] .

٢ - وقرر هذين الشرطين أيضاً صاحب التوضيح فقال في حديثه عن الشفاعة : " فإنه سبحانه علقها بأمرين :

أحدهما : رضاه عن المشفوع له .

الثاني : إذنه للشافع ، فمتى لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة " [٦] .

٤ - وذكر الشرطين الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عند شرحه لقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [٧] فقال : " فبين أنها لا تقع لأحد إلا بشرطين : إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع ، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه . وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، إلا ما أريد به وجهه ، ولقي العبدُ به مخلصاً

---

[١] سورة طه الآية : ١٠٩ .

[٢] سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

[٣] سورة سبأ الآيتين : ٢٢ ، ٢٣ .

[٤] رسالة للإمام محمد إلى أهل المغرب ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج ٥ ، ص ١١٢ .

[٥] الفواكه العذاب ، ص ٤٧ .

[٦] التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٢٣٦ ، وانظر : الكلام على هذين الشرطين في الكتاب نفسه ، ص ٧٧ ، وص ٣٢٤ - ٣٢٥ ، وانظر : تقرير الشيخ سليمان بن عبدالله لهذين الشرطين في كتابه تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ .

[٧] سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

غير شاك في ذلك ، كما دل على ذلك الحديث الصحيح[١] "[٢] .

٥ - وقرر هذين الأمرين الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله تعالى فقال : " ونصوص القرآن صريحة في أنه لا يشفع عنده أحد إلا بوجود أمرين : إذنه للشافع ، ورضاه عن المشفوع فيه ، فمتى فقد الأمران أو أحدهما لم يوجد شفاعة "[٣] .

٦ - وبين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله أن الشفاعة المثبتة قيدت بقيود فقال : " وقيدت الشفاعة المثبتة بقيود منها : إذنه تعالى للشافع . ونكتة هذا القيد وسره : صرف الوجوه إلى الله ، وإسلامها له ، وعدم التعلق على غيره لأجل الشفاعة ، ولذلك يساق هذا بعد ذكر التوحيد ، وما يدل على وجوب عبادة الله وحده ..

ومنها : أنه لا يشفع أحد إلا فيمن رضي قوله وعمله . قال تعالى : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾[٤] .. "[٥] .

٤ - أنواع شفاعة النبي ﷺ :

لخص الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى أنواع شفاعة النبي ﷺ في يوم القيامة فقال : " إذا تبين هذا فشفاعة النبي ﷺ في القيامة ستة أنواع :

الأول : الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم حتى تنتهي إليه للإراحة من الموقف .

---

[١] ورد هذا المعنى في عدة أحاديث صحيحة منها : حديث أبي هريرة في مسلم ، ج٤ ، ص ٢٢٨٩ ، رقم ٢٩٨٥ ، كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله ، ولفظه : " قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " .

[٢] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٥٥ ، وانظر : تقرير الشيخ عبدالرحمن لهذين الشرطين في رسالة المحجة ، ص ١٩ ، وكذا جواب للشيخ عبدالرحمن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

[٣] تأسيس التقديس ، ص ٨٠ .

[٤] سورة النجم الآية : ٢٦ .

[٥] تحفة الطالب والجليس ، ص ١٠٥ ، وانظر : ما كتبه الشيخ عبداللطيف عن هذين الشرطين في مصباح الظلام ، ص ٢٢٢ ، ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

لثاني : شفاعته لأهل الجنة في دخولها.

الثالث : شفاعته لقوم من العصاة من أمته أن لا يدخلوا النار .

الرابع : شفاعته في إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار .

الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم .

السادس : شفاعته في تخفيف العذاب عن أبي طالب "[١] .

٥ - أسباب حصول الشفاعة :

أشار علماء نجد رحمهم الله تعالى إلى أسباب نيل الشفاعة وحصولها ، ومن ذلك ما يلي :

أ - قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً الوسيلة إلى نيل شفاعة النبي ﷺ : " فلا وسيلة للعبد إلى نيل شفاعة النبي ﷺ إلا بالإيمان به ، وبما جاء به من توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، ومحبته واتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، والدعوة إلى ما بعث به من دين الله ، والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع ، وإلا فلا . فعكس الملحدون الأمر، فطلبوا الشفاعة الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه وإنكاره وقتال أهله وإحلال دمائهم وأموالهم ، وأضافوا إلى ذلك إنكار التوحيد ، وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ "[٢] .

ب - وقرر رحمه الله في موضع آخر أسباب حصول شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة فقال : " وقد أرشدنا الله تعالى في كتابه إلى ما يجب علينا من حق نبيه ﷺ ، من محبته واتباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، والصلاة عليه في نفس الصلاة ، وبعد الأذان ، وعند ذكره ، وأن نسأل له الوسيلة والفضيلة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وإكثار الصلاة عليه والتسليم عند كل حديث يرفع إليه . فهذه هي أسباب حصول شفاعته يوم القيامة ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله

---

[١] إبطال التنديد ، ص ٩١ ، وانظر : هذه الأنواع فيما نقله الشيخ سليمان بن عبدالله عن ابن القيم في تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، وكذا ما نقله الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن ابن القيم في فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٦١ .

[٢] المحجة ، ص ١٧ .

وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين "[١] .

٦ - أقسام الناس في الشفاعة :

افترق الناس في الشفاعة ثلاث فرق ، طرفان ، ووسط بين مثبت ما نفاه الله ورسوله ، وبين ناف ما أثبته الله ورسوله ، وبين مثبت ما أثبته الله ورسوله وناف ما نفاه الله ورسوله .

يقول صاحب التوضيح : " ثم إن الشفاعة من حيث هي قد افترق الناس فيها ثلاث فرق : طرفان ووسط .

فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة قد أثبتوا الشفاعة التي نفاها الله ...

وأما الخوارج والمعتزلة[٢] فقد أنكروا شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر من أمته .

وأما سلف الأمة وخيارها وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي ﷺ .. ، فأهل السنة والجماعة أثبتوا ما أثبت الله ورسوله ، ونفوا ما نفى الله ورسوله "[٣] .

٧ - جواب علماء الدعوة عن تعلق المشركين بقضية الشفاعة :

وبعد الحديث عن حقيقة الشفاعة وأنواعها وشروطها بقي الحديث عن دعوى المشركين في تبرير شركهم بدعوى طلب الشفاعة .

وقد اعتنى علماء الدعوة ببيان حقيقة هذه الدعوى ، ودحضها ، وبيان عوارها ، فذكر

---

(١) القول الفصل النفيس ، ص ١٥٨ .

(٢) المعتزله هم أتباع واصل بن عطاء الغزالي ، وهم فرق كثيرة ، لكل فرقة آراء تميزت بها ، وقد اجمعوا على أصول خمسة هي : العدل ، والتوحيد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزليتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، انظر : مقالات الإسلاميين ، ج١ ، ص ٢٣٥ ، التنبيه والرد ، ص ٤٩ ، الفرق بين الفرق ، ص ١١٤ ، الملل والنحل ، ص ٤٧٩ .

(٣) التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٧٦ - ٧٨ باختصار ، وانظر : ما نقله الشيخ عبدالله أبابطين عن شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أقسام الناس في الشفاعة في كتابه تأسيس التقديس ، ص ٨١ ، وما نقله الشيخ حمد بن عتيق عن شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك أيضاً في كتابه إبطال التنديد ، ص ٩٠ .

لشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كتاب كشف الشبهات بعض عتراضات أعداء الله على دين الرسل التي يصدون بها الناس عنه ، ومما ذكره : تعلقهم بقضية الشفاعة ، ثم بين أن هذا هو بعينه ما حكاه الله عن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يقول رحمه الله : " إن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة عل دين الرسل يصدون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبدالقادر أو غيره ، ولكن أنا مذنب ، والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم .

فجاوبه بما تقدم : وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة . واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه .

فإن قال : هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ! كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً فجاوبه بما تقدم .

فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة - ولكن أراد أن يفرق بين فعله وفعلهم بما ذكر - .

فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء ... ويدعون عيسى ابن مريم وأمه ..

فقل له : أعرفت أن الله كفَّر من قصد الأصنام ، وكفَّر أيضاً من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله ﷺ .

فإن قال : الكفار يريدون منهم . وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر ، لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ

---

[1] سورة الزمر الآية : ٣ .

شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ [(١)] واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم " [(٢)] .

وبيّن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب معتقده في الشفاعة ،وأنها كلها لله وحده لا شريك له ، ووضح - رحمه الله - شرطي الشفاعة ، فقال : " فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها ؟

فقل لا أنكرها . ولا أتبرأ منها بل هو ﷺ الشافع المشفع وأرجو شفاعته . ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [(٣)] ، ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال عز وجل : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [(٤)] وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال عز وجل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [(٥)] .

فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد ، تبين لك أن الشفاعة كلها لله وأطلبها منه وأقول اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه فيَّ ، وأمثال هذا " [(٦)] .

ثم رد رحمه الله على من قال : إن النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله ، فقال رحمه الله : " أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا . فقال : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ

---

(١) سورة يونس الآية : ١٨ .

(٢) كشف الشبهات ، ص ١١ - ١٤ ، وانظر : ما كتبه علماء الدعوة في بيان أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ما دعوا الأصنام والصالحين إلا لطلب القربة والشفاعة . القواعد الأربع ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، القسم الأول العقيدة ، ص ٢٠٠ ، ورسالة في توحيد العبادة ضمن المصدر السابق ، ص ٣٩٨ ، ورسائل وأجوبة للإمام محمد بن عبدالوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١٢١ ، وما كتبه الشيخ حمد بن معمر في النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٢٩ - ٣٠ ، وما كتبه الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد ، ص ٧٩ ، وما كتبه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٢٤ ، ٣٦٩ ، ومصباح الظلام ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ ، والبراهين الإسلامية ، ص ١١٨ ، وتحفة الطالب والجليس ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٤٤ .

(٤) سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

(٦) كشف الشبهات ، ص ١٥ - ١٦ .

اللَّه أحَدًا ﴾ (١) . فإذا كنت تدعو الله أن يشفع فيك فأطعه في قوله : ﴿ فلا تدْعُوا معَ اللَّه أَحَدًا ﴾ .

وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأولياء يشفعون ، والأفراط يشفعون ، أتقول : إن الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم ، فإن قلت : هذا ، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه ، وإن قلت : لا ، بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة ، وأنا أطلبه مما أعطاه الله " (٢) .

ويقرر الشيخ الإمام محمد رحمه الله معتقده في الشفاعة ويبين شروطها فيقول : " وأومن بشفاعة النبيّ ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى كما قال تعالى : ﴿ ولا يَشْفَعُونَ إلاَّ لمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذي يَشْفَعُ عندَهُ إلاَّ بإذْنه ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وكَم مِّن مَّلَكٍ في السَّمَوَات لا تُغْني شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلاَّ من بَعْد أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لمَن يَشَاءُ ويَرْضَىٰ ﴾ (٥) . وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٦) .. " (٧) .

ويرد رحمه الله على من يتهمه بإنكار شفاعة الرسول ﷺ فيقول : " يزعمون أننا ننكر شفاعة الرسول ﷺ فنقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشافع المشفع صاحب المقام المحمود ، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفعه فينا ، وأن يحشرنا تحت لوائه ، هذا اعتقادنا ، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والتابعين وتابعي التابعين والأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين ، وهم أحب

---

(١) سورة الجن الآية : ١٨ .

(٢) كشف الشبهات ، ص ١٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

(٥) سورة النجم الآية : ٢٦ .

(٦) سورة المدثر الاية : ٤٨ .

(٧) رسالة للإمام محمد إلي أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج٥ ، ص ٩ - ١٠ ، والدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١ ، ص ٣١ .

لناس لنبيهم وأعظمهم في اتباعه وشرعه .. "[1] .

ويقرر أيضاً الإمام محمد رحمه الله تعالى في رسالته إلى أهل المغرب ، أن الشفاعة حق ، وأنها لا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى فلا تطلب من الأنبياء والأولياء ، يقول رحمه الله : " فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [2] . وقال : ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [3] . فإذا كان الرسول ﷺ وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجداً فيحمده بمحاميد يعلمه إياها ثم يقال : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة [4] فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟ وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم " [5] .

وحذر رحمه الله في رسالة مسائل الجاهلية مما وقع فيه أهل الجاهلية من عبادة غير الله طلباً للشفاعة ، وأخبر أن هذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ ، يقول رحمه الله : " هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية ...

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه ، كما قال تعالى :

---

(١) رسالة للإمام محمد إلى عالم من أهل المدينة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ج٥ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) سورة الجن الآية : ١٨ .

(٣) سورة يونس الآية : ١٠٦ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٣٨٣ ، رقم ٦٥٦٥ ، في الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٨٠ ، رقم ١٩٣ ، في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، من حديث أنس مرفوعاً ، وأخرجه البخاري في صحيحه ، ص ١٥٦٠ ، رقم ٧٤٤٠ معلقاً .

(٥) رسالة للإمام محمد إلى أهل المغرب ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد ، ج٥ ، ص ١١٣ .

﴿ ويَعْبُدُونَ من دُون اللَّه مَا لا يَضُرُّهُمْ ولا ينفعُهُمْ ويَقُولُون هؤُلاء شُفَعاؤُنا عند اللَّه ﴾ [١]
قال تعالى : ﴿ والَّذين اتَّخذُوا من دُونه أَوْلياء ما نعْبُدُهُمْ إلاَّ ليُقرِّبُونا إلى اللَّه زُلْفَىٰ ﴾ [٢] وهذه
عظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ ، فأتى بالإخلاص ، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل
ه جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما استحسنوا
فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ... " [٣] .

وقد عقد الشيخ الإمام محمد رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد باباً ، سماه (باب
لشفاعة) ، أورد فيه عدة آيات تبين حقيقة الشفاعة :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله مبيناً مناسبة إيراد الإمام محمد لهذا الباب
ضمن أبواب (كتاب التوحيد) " لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في
الشرك لتعلقهم بأذيال الشفاعة ، ... أراد المصنف في هذا الباب إقامة الحجج على أن ذلك
هو عين الشرك ، وأن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله ليشفع له كما يشفع الوزير عند
الملك منتفية دنيا وأخرى ، وأنما الله هو الذي يأذن للشافع ابتداء ، لا يشفع ابتداء كما يظنه
أعداء الله " [٤] .

والآيات التي أوردها الإمام محمد في هذا الباب هي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وأَنذرْ به الَّذين يخافُون أن يُحْشرُوا إلَىٰ ربِّهمْ ليْس لهُم مِّن دُونه ولِيٌّ ولا شَفيع ﴾ [٥] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في شرحه لهذه الآية : " نفى الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين أن يكون لهم ولي أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين ، فمن اتخذ من دون الله شفيعاً فليس من المؤمنين ، ولا تحصل له الشفاعة " [٦] .

---

[١] سورة يونس الآية : ١٨ .

[٢] سورة الزمر الآية : ٣ .

[٣] مسائل الجاهلية ، ص ٤ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

[٥] سورة الأنعام الآية : ٥١ .

[٦] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٧٧ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : " فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك ... " [١] .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [٢] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى مبيناً معنى الآية : " أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره ، وهو الذي له ملك السماوات والأرض ... " [٣] .

وقال رحمه الله في موضع آخر مبيناً وجه الدلالة : " دلت الآية على أن الشفاعة له سبحانه ، لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سبحانه وتعالى ... " [٤] .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [٥] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في شرحه لهذه الاية : " قد تبين مما تقدم من الآيات : أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله .

وفي هذه الآية : بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه ... " [٦] .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [٧] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في شرحه لهذه الآية نقلاً عن ابن كثير رحمه الله : " فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله ، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها ... " [٨] .

---

[١] المحجة ، ص ١٩ .

[٢] سورة الزمر الآية : ٤٤ .

[٣] المحجة ، ص ١٨ .

[٤] قرة عيون الموحدين ، ص ١٠٦ .

[٥] سورة البقرة الاية : ٢٥٥ .

[٦] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٥٥ .

[٧] سورة النجم الآية : ٢٦ .

[٨] فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٥٦ ، وكلام ابن كثير في تفسيره ، ج٤ ، ص ٢٥٥ .

وبين رحمه الله وجه الدلالة فقال : " فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبين حقيقة الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره ، وقيد حصولها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها ... إذنه للشافع أن يشفع .. ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين ، فاختصت الشفاعة بأهل الإخلاص خاصة ، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات "[١] .

٥ - قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[٢] .

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد : " قال أبوالعباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة . فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[٣] .

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة ، كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ : أنه يأتي فيسجد لربه فيحمده - لا يبدأ بالشفاعة أولاً - ، ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع[٤] .

وقال له أبوهريرة : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه »[٥] فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

---

[١] قرة عيون الموحدين ، ص ١٠٧ .

[٢] سورة سبأ الآيتين : ٢٢ ، ٢٣ .

[٣] سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

[٤] قطعة من حديث الشفاعة الطويل : أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٦٧٩ ، رقم ٣٣٤٠ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ ، وص ٦٨٦ ، رقم ٣٣٦١ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (يرزقون) ، وص ٩٨٧ ، رقم ٤٧١٢ ، كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل ، باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٨٤ ، رقم ١٩٤ ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٢٧ ، رقم ٩٩ ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، وص ١٣٨٤ ، رقم ٦٥٧٠ ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود . فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص "[1] .

وممن أجاب عن دعوى الشفاعة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، فقد قرر في رسالة له أنه ليس للخلق من دون الله ولي ولا نصير . وجميع الشفعاء سيدهم وأفضلهم محمد ﷺ فمن دونه لا يشفعون لأحد إلا بإذنه ، ثم ذكر الأدلة على ذلك .

ثم قال : " وإذاً كان كذلك فحقيقة الشفاعة كلها لله ، ولا تسأل في هذه الدار إلا منه سبحانه وتعالى .

فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق لجلب الخير أو دفع الشر ، ولا يجعل لهم من حقه شيء ، لأن حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم ... "[2] .

إلى أن قال : " وما حجتهم علينا إلا أن المدعو يكون شفيعاً ووسيلة . ونحن نقول : إن هؤلاء الداعين الهاتفين بذكر الأموات والأحياء الغائبين يطلبون كشف شدتهم ، وتفريج كربتهم ، وإبراء مريضهم ، ومعافاة سقيمهم ، وتكثير رزقهم ، وإيجاده من العدم ، ونصرهم على عدوهم براً وبحراً ، ولم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة . وحقيقة قولنا إن الشفاعة وإن كانت حقاً في الآخرة ، فلها أنواع مذكورة في محلها ، ويجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ بل وغيره من الشفعاء ، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة وليس منها ما يقصدون ، فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً . كما في حديث أبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل نبي دعوة مستجابة ، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات

---

[1] كتاب التوحيد ، ص ٧٠ ، وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية في " الكلام على حقيقة الإسلام والإيمان " ، ص ١٢٨ - ١٣٠ .

[2] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٧ .

لا يشرك بالله شيئاً » [١] ... " [٢] فبين رحمه الله أن من مات لا يشرك بالله شيئاً فهو من ذوي الوصف ، ثم قال : " وإذا كانت بالوصف فرجاؤه أن يشفع فيه نبيه هو المطلوب " [٣] .

ثم بين رحمه الله أن عبادة غير الله لأجل الشفاعة هو بعينه فعل المشركين واعتقادهم ، ولم تنشأ فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد ، ثم قال : " ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذنه وحده ، فلا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، لا ملك ولا نبي ولا غيرهما ، لأن من شفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه بشفاعته ، ولا سيما إن كانت من غير إذنه ، فجعله يفعل ما طلب منه ، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه ، وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه ، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه .. فمن طلبها من غير الله فقد زعم أنها مشروعة بغير إذن الله ورضاه عن المشفوع له " [٤].

وبين الشيخ حمد بن معمر ما يزعمه المشركون في شأن الشفاعة ، وقرر أن الله أبطل هذا الزعم، وبين رحمه الله أن من اعتقد اعتقادهم فهو كافر مشرك فقال : " والمشركون يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم بالسؤال عند الله والطلب منه ، فيقضي الله لهم تلك الحاجات .

فأبطل الله هذه الشفاعة التي يظنها المشركون ، وبين أنه لا يشفع عنده إلا بإذنه . فقال : ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [٥] . وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ﴾ [٦] .

فمن جعل الأنبياء والملائكة وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين يكونون بين الملك ورعيته ، بحيث يزعم أنهم يدفعون الحوائج إلى الله ، وأن الله يرزق عباده وينصرهم

---

[١] سبق تخريجه ، ص ٣٣٨ .

[٢] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ١٩ .

[٣] المصدر السابق ، ص ٢٠ ، وانظر : هذا المعنى في كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٣٣٥ .

[٤] المصدر السابق ، ص ٢١ - ٢٢ ، وانظر : هذا المعنى في التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٧٨ ، ٣٢٥ .

[٥] سورة سبأ الآية : ٢٣ .

[٦] سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

توسطهم ، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله . فمن اعتقد هذا فهو كافر شرك " [١] .

وبين الشيخ سليمان بن عبدالله العلة في كون اتخاذ الشفعاء من دون الله شركاً فقال :

فإن قلت : إذا كان من اتخذ شفيعاً عند الله إنما قصده تعظيم الرب تعالى وتقدس أن يتوصل إليه إلا بالشفعاء ، فلم كان هذا القدر شركاً ؟! قيل : قصده التعظيم لا يدل على أن ذلك تعظيم لله تعالى ، فكم من يقصد التعظيم لشخص ينقصه بتعظيمه ، .. فإن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله هضم لحق الربوبية ، وتنقص للعظمة الإلهية ، وسوء ظن برب العالمين ، .. وإنما كان كذلك .. لأن المتخذ للشفعاء والأنداد ، إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير أو ظهير أو معين ، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه بذاته ، وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع ، وإما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع ، أو لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم ، أو لا يكفي وحده ، أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق ، أو لا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجتهم إليه ، كما هو حال ملوك الدنيا . وهذا أصل شرك الخلق ... وكل هذا تنقص للربوبية ، وهضم لحقها .. فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه وتعالى أن ذلك شرك ، ونزه نفسه عنه فقال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٢] .. " [٣] .

ويرد رحمه الله على من زعم أن اتخاذ الشفعاء ليس بشرك لأنه دعاهم للشفاعة فقط ، ولم يعبدهم فيقول : " فإن قلت : إنما حكم سبحانه وتعالى بالشرك على من عبد الشفعاء ، أما من دعاهم للشفاعة فقط ، فهو لم يعبدهم ، فلا يكون ذلك شركاً .

قيل : مجرد اتخاذ الشفعاء ملزوم للشرك ، والشرك لازم له ، كما أن الشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه وتعالى ، والتنقص لازم له ضرورة ، شاء المشرك أم أبى ، وعلى هذا

---

[١] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٣٠ - ٣١ .

[٢] سورة يونس الآية : ١٨ .

[٣] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ ، باختصار وتصرف يسير .

لسؤال باطل من أصله لا وجود له في الخارج ، وإنما هو شيء قدره المشركون في أذهانهم ، ن الدعاء عبادة ، بل هو مخ العبادة ، فإن دعاهم للشفاعة ، فقد عبدهم وأشرك في عبادة له شاء أم أبى "[١] .

ويبين الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب معتقد علماء الدعوة في الشفاعة يقول : " ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة حسب ما ورد ، وكذا نثبتها سائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسب ما ورد أيضاً ونسألهما من المالك لها لآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد ، بأن يقول أحدنا تضرعاً إلى الله تعالى : اللهم شفع نبينا محمداً ﷺ فينا يوم القيامة ، أو اللهم شفع فينا بادك الصالحين أو ملائكتك ، أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم ، فلا يقال : يا رسول له ، أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها ، كأدركني أو أغثني ، أو شفعني ، أو صرني على عدوي ، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، فإذا طلبت ذلك مما ذكر ي أيام البرزخ كان من أقسام الشرك ، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ، ولا أثر من سلف الصالح على ذلك ، بل ورد في الكتاب والسنة وإجماع السلف أن ذلك شرك أكبر اتل عليه رسول الله ﷺ "[٢] .

وبين الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله كذب من قال إن النبي ﷺ يشفع للمشركين يوم لقيامة فقال : " وأما من قال إن النبي ﷺ يشفع للمشركين يوم القيامة فهذا كذب يرده قول لنبي ﷺ لما سأله أبوهريرة رضي الله عنه من أحق الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[٣] فشفاعته ﷺ لأهل التوحيد ، لا لمشركين . قال النبي ﷺ : « إني خبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي فهي نائلة

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٧٦ .

[٢] الهدية السنية ، ص ٥١ - ٥٢ .

[٣] لم أقف على هذا اللفظ والذي وقفت عليه هو ما أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٢٧ ، رقم ٩٩ ، كتاب العلم ، باب : الحرص على الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قيل يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه ».

ن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً »[١] .. "[٢] .

وبين الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى أن اتخاذ الشفعاء ، ورجاء شفاعتهم طلبها منهم ، أنه شرك لا يغفره الله فقال : " إن اتخاذ الشفعاء ، ورجاء شفاعتهم بطلبها نهم : شرك بالله ... "[٣] .

وقال : " وقد بين تعالى ذلك في كتابه بياناً مفصلاً ، وأنكر على من اتخذ ن دون الله شفعاء ، وبين أن هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله كما قال تعالى : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[٤] ، وقال : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥] .. "[٦] .

وبين رحمه الله أن اتخاذ الشفعاء ينافي الإسلام والإيمان فقال : " إن اتخاذ الشفعاء الذين أنكر الله تعالى ، إنما هو بدعائهم ، والالتجاء إليهم ، والرغبة إليهم فيما أراده الراغب منهم من الشفاعة التي لا يقدر عليها إلا الله ، وذلك ينافي الإسلام والإيمان بلا ريب ، فإن طلبها من الأموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه إلا الله من غير الله ، وهو خلاف لما أمر به تعالى ، وارتكاب لما نهى عنه "[٧] .

وبين رحمه الله أن هذا ضد إفراد الله بالعبادة فقال : " والحاصل أن الله تعالى لم يأذن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه ، ج١ ، ص ١٨٩ ، رقم ١٩٩ ، كتاب الإيمان ، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظ مسلم : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة ، إن شاء الله ، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » .

(٢) رسالة للشيخ عبدالله أبابطين إلى محمد بن عبدالله بن سليم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) فتح المجيد ، ج١ ، ص ٣٧٥ بتصرف يسير .

(٤) سورة الزمر الآيتين : ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) سورة يونس الآية : ١٨ .

(٦) القول الفصل النفيس ، ص ٢٦ .

(٧) المحجة ، ص ٣١ بتصرف يسير .

أحد أن يتخذ شفيعاً من دونه ، يسأله ويرغب إليه ويلتجيء إليه ، وهذه هي العبادة ومن سرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره ، كما دلت عليه الآيات المحكمات ، هذا ضد إفراد الله بالعبادة ، وكيف يتصور إفراد الله بالعبادة ، وقد جعل العبد ملاذاً مفزعاً سواه ، فإن هذا ينافي الإفراد ... "[1] .

وبين رحمه الله أنه كفر فقال : " فنقول : من اتخذ معبوداً سوى الله يرجوه أو يخافه نقد كفر "[2] .

وبين الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله تعالى أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره بعد وفاته وبعده عن الداعي لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ، ولا رسول الله ﷺ[3] .

ويقرر رحمه الله أنه ممتنع من جهة السمع والعقل فيقول : " أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات سورتي الزمر ويونس وغيرها ... "[4] .

وأما دليله من العقل ، فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل ، بأن النجاة والسعادة والفلاح ، وأسباب ذلك كله ، لا تحصل إلا بالتوجه إلى الله تعالى وحده ، وإخلاص الدعاء والالتجاء له وإليه ، لأن الخير كله بيده وهو القادر عليه ، وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[5] ، فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[6] . فالذي له الخلق والأمر والنعم كلها منه ، وكل مخلوق فقير إليه لا يستغني عنه طرفة عين ، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجي ويرغب إليه ، ويرهب منه ،

---

[1] المحجة ، ص ٣٢ .

[2] المحجة ، ص ٣٣ .

[3] انظر : المحجة ، ص ٣١ .

[4] قال الله تعالى في سورة الزمر الآية : ٣ ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ الآية ، وقال الله تعالى في سورة يونس الآية : ١٨ ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ الآية .

[5] سورة فاطر الآية : ١٣ .

[6] سورة النحل الآية : ١٧ .

يتخذ معاذاً وملاذاً ، ويتوكل عليه ... "[١] .

ورد الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله ما افتراه ابن جرجيس من أن طلب الشفاعة ن النبي ﷺ بعد وفاته مجمع عليه فقال رحمه الله : " وأما ما يزعمه هذا العراقي من أن للب الشفاعة من النبي ﷺ بعد وفاته مجمع عليه .

فالجواب أن نقول : الله أكبر ما أعظمها من فرية على الله ، وعلى كتابه ، وعلى سوله ﷺ ، وعلى السلف ، وأئمة الدين ، فانظر إلى هذه الجرأة العظيمة جعل ما أجمع لليه الرسل ، والكتب ، والسلف ، والمسلمون من تحريم دعوة غير الله والنهي عنها ، اتخاذ الشفعاء ، جعل ذلك المحرم الذي هو دين أهل الجاهلية مجمعاً عليه ، ووضع الشرك موضع التوحيد ، والباطل موضع الحق ... "[٢] .

ثم ذكر رحمه الله وجوه بطلان الإجماع الذي زعمه العراقي[٣] .

وبين رحمه الله أن هذا العراقي عكس الإجماع ، والإجماع الصحيح هو ما ذكره شيخ لإسلام - رحمه الله تعالى - وتلقاه عنه الفقهاء في كتبهم ، فإنه قال : " من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً ... "[٤] .

ويفرق الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله بين الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته وبعد وفاته فيقول : " وأما الاستشفاع بالرسول في حياته فإنما هو بدعائه ﷺ ودعاؤه مستجاب ، وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به ... ، والله تعالى نهى عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرة من القرآن ، ونفاها في حق من سألها من غير الله "[٥] .

وقال في موضع آخر : " وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته ، فالمراد به : استجلاب دعائه ، وليس خاصاً به ﷺ ، بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له ، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة ...

---

[١] المحجة ، ص ٣٦ .

[٢] كشف ما ألقاه إبليس ، ص ١٥٤ .

[٣] انظر : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

[٤] المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

[٥] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٥٤ .

وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته ، وعلى قبره وفي غير ذلك ... وأما دعاؤه فلم يشرع ، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي عنه ، والوعيد عليه ...

والصحابة رضي الله عنهم ، .. لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيرهم أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته ، ... وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت ... "[1] .

وبين الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله خطأ داود بن جرجيس في إطلاق القول بأن الله ملك المؤمنين الشفاعة فقال : " إطلاق القول بأن الله ملك المؤمنين الشفاعة خطأ بل الشفاعة كلها لله وحده ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾[2] وأثبت سبحانه الشفاعة بإذنه ، وأخبر النبي ﷺأن الأنبياء يشفعون والصالحين يشفعون ، وعلى هذا فمن أذن الله له في الشفاعة يصح أن يقال : إنه ملك ما أذن له فيه فقط ، لا مالم يؤذن له فيه ، فهو تمليك معلق على الإذن والرضا لا تمليك مطلق كما زعمه هذا الضال ، وسيد الشفعاء صلوات الله وسلامه عليه لا يشفع حتى يقال له : ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع ... "[3] .

وبين الشيخ عبداللطيف رحمه الله أن الشفاعة ملك لله خاص : " وقد دل القرآن والسنة وإجماع علماء الأمة على أن الشفاعة بيده سبحانه ، ملكاً له خاصة ، لا يتقدم أحد فيها إلا بإذنه ، ولا تنال إلا من رضي قوله وعمله من أهل الإيمان والتوحيد ، والأحاديث صريحة في أنه ﷺ لا يشفع ابتداء، وأنه يحد له حد ويعين له من أراد الله رحمته ، وإكرام نبيه بالشفاعة فيه ، فهو عبد مأمور مدبر لا مالك متصرف "[4] .

وأوضح رحمه الله معنى إعطاء الرسول ﷺ الشفاعة فقال : " والرسول ﷺ أعطي الشفاعة بمعنى أن الله يشفعه ، ويحد له حداً يدخلهم الجنة ، ويريح الخلق من هول الموقف وكربه . وقد دلت الآيات والأحاديث أن المالك للشفاعة هو الله وحده ، وأنها لا تنال إلا بما ربطها الله به من الأسباب وهي التوحيد والإيمان والإخلاص ، كما دلت عليه الآيات

---

[1] فتح المجيد ، ج٢ ، ص ٨٣٢ - ٨٣٤ .

[2] سورة الزمر الآية : ٤٤ .

[3] تأسيس التقديس ، ص ٨٢ .

[4] مصباح الظلام ، ص ٢٢٤ ، وانظر : معناه في المصدر نفسه ، ص ١٩٩ .

لكريمات ، وكما دل عليه حديث أبي هريرة [(١)] ، وأنها متوقفة على الإذن والرضى منه عالى . وليس طلب الرسول سبباً لنيلها وتحصيلها . لا سيما بعد موته ﷺ ، ولم يدل دليل على مشروعية ذلك ، ولا فعله أحد يحتج به ، فهو من أضل البدع وأبعدها عن هديه ﷺ هدي من قبله من الأنبياء " [(٢)] .

ويؤكد الشيخ رحمه الله على معنى الإعطاء في موضع آخر فيقول : " فإن معنى لإعطاء ليس كما يظنه هؤلاء الضلال ، بل معناه : أن الله سبحانه وتعالى يأذن ه في الشفاعة ، ويعين له من يشفع فيهم ويحد له حداً معيناً . هذا ما دلت عليه لأحاديث " [(٣)] .

ويزيد الشيخ هذا المعنى وضوحاً فيقول : " وليس قولهم : إنه أعطي الشفاعة بمعنى ملكها وحازها كسائر العطايا والأملاك التي يعطاها البشر ، وأيضاً فإن الله يعطي رسله وأولياءه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أفيقال : إن الله أعطاهم ذلك ، وملكهم إياه فيطلب منهم ، ويرغب إليهم فيه ؟ فإن كان ذلك مشروعاً وسائغاً فالشفاعة من جنسه ، مع أن الشفاعة قيدت بقيود لم تقيد بها هذه العطايا والمواهب السنية ، وقد قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [(٤)] الآية ، وقال : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [(٥)] ، وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [(٦)] .. " [(٧)] .

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٦٤٠ .

(٢) مصباح الظلام ، ص ٢٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

(٤) سورة الزمر الآية : ٤٤ .

(٥) سورة الأنبياء الآية : ٢٨ .

(٦) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ .

(٧) مصباح الظلام ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ . وانظر : ما كتبه الشيخ عبداللطيف في بيان أن الشفاعة مملوكة لله وحده في كتابه مصباح الظلام ، ص ٢٥٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ .

المبحث الرابع

دعوى التوسل

من دعاوى المشركين وشبههم دعوى التوسل ، فهم يقولون إن الصالحين لهم جاه ومنزلة عند الله ، فنحن نسأل الله بجاههم وحقهم .

وجعلوا هذا ذريعة لتسويغ دعاء غير الله ، وإباحته والاستغاثة بالأموات والغائبين ، وسموا ذلك توسلاً .

وقد أجاب علماء الدعوة عن هذه الدعوى وكشفوها ، وسأبرز كلام علماء الدعوة عن هذه الدعوى في النقاط التالية :

أولاً : تعريف التوسل :

قال الإمام عبدالعزيز بن محمد ، والشيخ عبدالعزيز الحصين في بيان معنى الوسيلة : " معنى الوسيلة : ما يتقرب به من الأعمال إلى الله عز وجل " [(١)] .

وقال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [(٢)] " فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل به ، أي :يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه ، سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر ، أو كان على وجه السؤال له والاستعانة به ، رغبة إليه في طلب المنافع ودفع المضار " [(٣)] .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين معرفاً الوسيلة والتوسل : " الوسيلة هي القربة ، والتوسل إلى الله التقرب إليه بطاعته واتباع رسوله والاقتداء به " [(٤)] .

وعرف الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن الوسيلة فقال : " إن الوسيلة في شرع الله الذي شرعه على ألسن جميع رسله ، هي عبادته وحده لا شريك له ، والإيمان به ، وبرسله ، والأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها " [(٥)] .

---

(١) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٥١ ، ورسالة في توحيدالعبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٩٤ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣٥ .

(٣) جواب للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٣ .

(٤) تأسيس التقديس ، ص ١٠٧ .

(٥) تحفة الطالب والجليس ، ص ١٣٨ .

وقال رحمه الله : " الوسيلة : ما شرعه الله ورضيه من الأعمال والأقوال لصالحة " [١] .

ثانياً : أقسام التوسل :

ينقسم التوسل إلى قسمين : توسل مشروع ، وتوسل ممنوع .

وقد بين علماء الدعوة رحمهم الله هذين القسمين كما يلي :

أ - التوسل المشروع :

عرف الشيخ سليمان بن عبدالله التوسل المشروع فقال : " التوسل المشروع الذي جاء به الكتاب والسنة هو التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحات ، والأسماء والصفات اللائقة بجلال رب البريات " [٢] .

وعرفه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بقوله : " التوسل في العرف الشرعي : فعل ما يتوسل به إلى الله من الإيمان به ، والعمل الصالح الذي يشرعه ويرضاه " [٣] .

وهذا القسم من التوسل ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : التوسل إلى الله بالأسماء والصفات :

وقد ذكر هذا النوع جمع من علماء الدعوة رحمهم الله قال الإمام محمد بن عبدالوهاب : " وهو سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى ، فيسأل لكل مطلوب باسم يناسبه " [٤] .

وقال الشيخ حمد بن معمر : " والتوسل الذي جاءت به السنة ، وتواتر في الأحاديث هو التوسل والتوجه إلى الله بالأسماء والصفات ، وبالأعمال الصالحة ، كالأدعية الواردة في السنة " [٥] .

---

[١] مصباح الظلام ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

[٢] جواب للشيخ سليمان بن عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

[٣] منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٥٠ .

[٤] تفسير سورة الفلق الآية : ١٩ .

[٥] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٩٤ .

وقال في موضع آخر : " التوسل المشروع هو التوسل إلى الله بالأسماء والصفات والتوحيد ... " [١] .

وقال الشيخ عبدالله أبابطين في بيان هذا النوع : " المشروع إنما هو سؤاله سبحانه بأسمائه وصفاته ، كما في الأحاديث المشهورة " [٢] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في هذا : " ومن التوسل إليه التوسل بأسمائه وصفاته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ " [٣] .

وقد نص على هذا النوع أيضاً الإمام عبدالعزيز بن محمد [٤] والشيخ سليمان بن عبدالله [٥] ، والشيخ عبدالعزيز الحصين [٦] .

وقد دل على مشروعية هذا النوع أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، ومما أورده علماء الدعوة ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [٧] .

وقد ترجم الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد بهذه الآية :

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه لله مبيناً مراد الإمام محمد بهذه الترجمة : " أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الأموات ، وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة " [٨] .

---

[١] المصدر السابق ، ص ١١١ .

[٢] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٥ .

[٣] قرة عيون الموحدين ، ص ٥٦ ، وانظر : معناه في القول الفصل النفيس ، ص ٤١ .

[٤] انظر : رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٢ .

[٥] انظر : جواب للشيخ سليمان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦١ .

[٦] انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ، ج٢ ، ص ١٨٥ .

[٧] سورة الأعراف الآية : ١٨٠ .

[٨] قرة عيون الموحدين ، ص ٢٢٤ .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله مبيناً معنى قوله عز وجل : ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ . " أي : اسألوه ، وتوسلوا إليه بها كما تقول : اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، فإن ذلك من أقرب الوسائل وأحبها إليه " [١] .

٢ - وكقوله ﷺ : « اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » [٢] .

٣ - وقوله ﷺ في الحديث : « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » [٣] .

٤ - وفي الحديث : « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان ، بديع السماوات والأرض ، ياذ الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم » [٤] .

النوع الثاني : التوسل بالأعمال الصالحة :

من أنواع التوسل المشروع التوسل بالأعمال الصالحة كالصدقة وبر الوالدين ونحوهما من الأعمال الصالحة .

وقد نص على هذا النوع جمع من علماء الدعوة .

قال الإمام عبدالعزيز بن محمد ، والشيخ عبدالعزيز الحصين [٥] ، وصاحب التوضيح [٦] في حديثهم عن التوسل المشروع والممنوع ، واللفظ للأول : " فصل : فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة " [٧] .

---

[١] تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٣٩ .

[٢] أخرجه مسلم ، ج١ ، ص ٣٥٢ ، رقم ٤٨٦ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

[٣] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٣٩١ ، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

[٤] أخرجه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ٢٤٥ ، وأبوداود في سننه ، ج٢ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ ، رقم ١٤٩٥ ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، والنسائي في سننه ، ج٣ ، ص ٥٢ ، رقم ١٣٠٠ ، كتاب السهو ، باب الدعاء بعد الذكر .

[٥] انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٨٥ .

[٦] انظر : التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٤٣ .

[٧] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٢ .

وقال الشيخ حمد بن معمر وهو يعدد أنواع التوسل المشروع : " وكذلك التوسل بمحبة النبي ﷺ ، والإيمان به ، وطاعته " [١] ، وتقدم قوله : " والتوسل الذي جاءت به السنة ، وتواتر في الأحاديث هو التوسل والتوجه إلى الله بالأسماء والصفات ، وبالأعمال الصالحة " [٢] فعد رحمه الله من التوسل المشروع التوسل بالأعمال الصالحة .

وأعظم الوسائل إلى الله التوحيد ، كما قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " وأعظم الوسائل إخلاص العبادة لله تعالى وتجريد التوحيد ، ومخالفة ما كان يفعله المشركون من دعوة غير الله " [٣] .

وقال في موضع آخر وهو يعدد أنواع التوسل الشرعي : " وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يشبها شرك ، فالتوسل إلى الله بما يحبه ويرضاه ، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزه نفسه عنه " [٤] .

وقد ذكر هذا النوع الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في مواضع متعددة ، يقول رحمه الله : " التوسل في العرف الشرعي : فعل ما يتوسل به إلى الله من الإيمان به ، والعمل الصالح الذي يشرعه ويرضاه " [٥] وقد مر قريباً .

وقال في مكان آخر - وهو يبين الإطلاق الشرعي للتوسل - : " ويطلق أيضاً في عرف السنة والقرآن وعرف أهل العلم بالله ودينه ، على التوسل والتقرب إلى الله بما شرعه من الإيمان به وتوحيده وتصديق رسله ، وفعل ما شرعه من الأعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها ، كما توسل أهل الغار الثلاثة بالبر والعفة وأداء الأمانة [٦] " [٧] .

---

[١] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١١١ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٩٤ .

[٣] القول الفصل النفيس ، ص ٤١ .

[٤] قرة عيون الموحدين ، ص ٥٦ .

[٥] منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٥٠ .

[٦] يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي أخرجه البخاري ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ، رقم ٢٢٧٢ ، كتاب الإجارة ، باب من استأجر أجيراً .

[٧] مصباح الظلام ، ص ١٧٩ ، وانظر : معناه في تحفة الطالب والجليس ، ص ١٣٨ .

وقد دل على مشروعية هذا النوع أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، ومما أورده علماء لدعوة ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[١] .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عن هذه الآية : " الوسيلة : ما شرعه الله ورضيه من الأعمال والأقوال الصالحة "[٢] .

وقد تقدم الحديث على هذه الآية في تعريف التوسل ، وسيأتي مزيد من الكلام عليها في الجواب عن استدلال الخصوم بها .

٢ - وقال الله تعالى :﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[٣] .

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن هذه الآية : " وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله ، وخلق الخلق لأجله "[٤] .

٣ - قال الله سبحانه حاكياً عن عباده المؤمنين أنهم توسلوا إليه بصالح أعمالهم : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾[٥] الآيات .

٤ - ما ثبت في الصحيحين من قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار ، فانطبقت عليهم الصخرة ، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم[٦] .

النوع الثالث : التوسل بدعاء الصالحين .

يقول الشيخ حمد بن معمر في بيان هذا النوع من التوسل المشروع : " وكالتوسل بدعاء الأنبياء والصالحين ، وشفاعتهم في حياتهم ، كما ذكرنا من توسل الصحابة بالنبي ﷺ في

---

[١] سورة المائدة الآية : ٣٥ .

[٢] مصباح الظلام ، ص ١٧٨ .

[٣] سورة الإسراء الآية : ٥٧ .

[٤] قرة عيون الموحدين ، ص ٥٦ ، وانظر : هذا المعنى في المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

[٥] سورة آل عمران الآية : ١٩٣ .

[٦] تقدم تخريجه ، ص ٦٥٤ .

الاستسقاء [١] ، وتوسلهم بالعباس [٢] ، وبيزيد بن الأسود [٣] [٤] ، وتوسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ وشفاعته له [٥] ، فهذا كله مما لا نزاع فيه ، بل هو من الأمور المشروعة ، وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [٦] " [٧] .

وقال في موضع آخر - وهو يبين أنواع التوسل المشروع - : " وكذلك التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كله مشروع بلا ريب " [٨] ، يقصد بذلك : التوسل بطلب الدعاء من النبي ﷺ ، ويشترط في ذلك أن يكون حياً حاضراً يسمع كلام من يطلب منه الدعاء ، كما تقدم ذلك في كلام الشيخ حمد .

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في بيانه هذا النوع من التوسل المشروع : " وكذلك التوسل إلى الله بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته ، وبدعاء غيره من الأنبياء والصالحين

---

[١] أخرجه البخاري ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، رقم ١٠١٣ ، كتاب الاستسقاء ، باب الاستسقاء في المسجد الجامع ، والرقم ١٠١٤ ، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

[٢] أخرجه البخاري ، ص ١٩٩ ، رقم ١٠١٠ ، كتاب الاستسقاء ، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ، ص ٧٦٣ ، رقم ٣٧٣١ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ذكر العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

[٣] يزيد بن الأسود الجرشي من سادات التابعين بالشام ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، توفي سنة ٧٠هـ . انظر في ترجمته : أسد الغابة ، ج٥ ، ص ٤٤٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٣٢٤ .

[٤] رواه أبوزرعة الدمشقي في تاريخه ،ج١ ، ص ٦٠٢ ، رقم ١٧٠٢ - ١٧٠٤ ، وابن سعد في طبقاته ، ج٧ ، ص ٤٤٤ ، والبسوي في المعرفة والتاريخ ، ج٢ ، ٣٨٠ - ٣٨١ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ، ج١٨ ، ص ١٢٢ - ١٢٤ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، وابن حجر في الإصابة ، ج٦ ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، قال الألباني في كتاب التوسل أنواعه وأحكامه ، ص ٤٥ " إسناده صحيح " .

[٥] أخرجه أحمد في المسند ، ج٤ ، ص ١٣٨ ، والترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٥٣١ ، رقم ٣٥٧٨ ، كتاب الدعوات ، باب ١١٩ ، وابن ماجه في سننه ، ج١ ، ص ٤٤١ ، رقم ١٣٨٥ ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في صلاة الحاجة ، والحاكم في المستدرك ، ج١ ، ص ٣١٣ ، وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " وأقره الذهبي .

[٦] سورة المائدة الآية : ٣٥ .

[٧] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٩٩ .

[٨] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١١١ .

في حياتهم ، فهذا كله مستحب ، كما توسل الصحابة بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته ، وتوسلوا بدعاء العباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ ، وبدعاء يزيد بن الأسود الجرشي " [١] .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " أما سؤال الحي الحاضر أن يدعو لأخيه المسلم ، فليس من هذا الباب ، لأن الله تعالى أقدره على الدعاء وأرشد العباد إلى أن يدعو بعضهم لبعض ، لأن الله تعالى أقدرهم عليه ، وهذا من جنس أن يعطيه مما أعطاه الله من المال ما ينتفع به لقدرته على ذلك ، فهذا من باب الإحسان من بعض المسلمين لبعض " [٢] .

وقد دل على مشروعية هذا النوع من التوسل أدلة من الكتاب والسنة ، ومما أورده علماء الدعوة من ذلك ما يلي :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [٣] .

٢ - عن عمر رضي الله عنه قال : استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال : « لا تنسنا يا أخي من دعائك » فقال : كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا [٤] .

٣ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ، ثم قال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه . ثم قال : « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » [٥] ... الحديث .

٤ - عن أنس رض الله عنه ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى

---

[١] جواب للشيخ سليمان بن عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦١ .

[٢] القول الفصل النفيس ، ص ٢٥ - ٢٦ .

[٣] سورة النساء الآية : ٦٤ .

[٤] أخرجه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢٩ ، والترمذي في سننه ، ج٥ ، ص ٥٢٣ ، رقم ٣٥٦٢ ، كتاب الدعوات ، باب رقم ١١٠ ، وقال : " حديث حسن صحيح " .

[٥] تقدم تخريجه ، ص ٦٥٦ .

بالعباس بن عبدالمطلب فقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون » [(١)] .

ب - التوسل الممنوع :

التوسل الممنوع : هو التوسل الذي لم يأذن به الشرع ، فلم يدل عليه دليل من الكتاب ولا من السنة .

وهو ثلاثة أنواع :

النوع الأول : التوسل والتوجه بطلب الحوائج من الموتى ودعائهم

وهذا هو التوسل في عرف عباد القبور ، فالتوسل عندهم يطلق على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله ، وهذا هو عين الشرك الذي ذمه الله وعابه ، وإن سمي توسلاً .

وقد كان محور دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب هو التحذير من هذا النوع لأنه أصل الشرك .

وقد جلى علماء الدعوة حقيقة هذا النوع لكيلا يلتبس أمره على الناس ، وفرقوا بينه وبين أنواع التوسل الأخرى ، لأن دعاة التوسل الشركي خلطوا بينهما بقصد أو بغير قصد ، فجلى علماء الدعوة حقيقة كل نوع وحكمه في الشرع ، وبينوا أن هذا النوع لا يسمى توسلاً في الشرع وإن سماه عباد القبور توسلاً .

وقد جاءت نصوص علماء الدعوة صريحة في بيان ذلك ، فمنها ما يلي :

١ - يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد ، والشيخ عبدالعزيز الحصين [(٢)] واللفظ للأول : " وأما التوسل بمخلوق وجعله واسطة بين الله وبين عبده ، فهو عين ما نهى الله عنه في الآيات وأنزل بقبحه الكتب وأرسل الرسل ، ومنه ما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [(٣)] وكان قصدهم يتقربون به " [(٤)] .

---

(١) تقدم تخريجه ، ص ٦٥٦ .

(٢) انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ، ج٢ ، ص ١٨٦ .

(٣) سورة الأعراف الآية : ١٣٨ .

(٤) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٣ .

٢ - وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في رده على من احتج ببعض العبارات الفاسدة لمن يجوز التوسل بالصالحين :" فإن كانوا أرادوا بالتوسل دعاء الميت والاستشفاع به ، فهذا هو شرك المشركين بعينه ، والأدلة على بطلانه في القرآن كثيرة جداً " [١] .

وقال رحمه الله في مكان آخر : " وأما ما ادعاه المنحرفون عن الإيمان من أن الوسيلة هي التوسل إلى الله تعالى بذوات الأنبياء والصالحين فهذا باطل ... وهو بعينه دين المشركين المتخذين الشفعاء يسألونهم أن يشفعوا لهم عند الله ويقربوهم إليه زلفى .

والقرآن من أوله إلى آخره يبطل هذه الوسيلة ويبين أنها شرك وكفر " [٢] .

٣ - وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " والتوسل صار مشتركاً في عرف كثير ، فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله ، وهذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وأنصارهم ، وهو عند الله ورسوله وعند أولي العلم من خلقه : الشرك الأكبر والكفر البواح ، والأسماء لا تغير الحقائق " [٣] .

٤ - وقال أيضاً : " لفظ التوسل صار مشتركاً ، فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رغباً ورهباً ، والذبح والنذر والتعظيم له بما لم يشرع في حق مخلوق " [٤] .

النوع الثاني : التوسل بذوات الصالحين أحياءً أو أمواتاً :

من أنواع التوسل الممنوع التوسل بذات المتوسل به وشخصه في دعاء الله ، بأن يجعل ذات النبي ﷺ أو غيره وسيلة في دعاء الله ، مثل أن يقول في دعائه : اللهم إني أسألك بنبيك محمد ﷺ .

وقد بين عدد من علماء الدعوة أن هذا النوع بدعة لم يشرعه الله ولا رسوله ، ولم ينقل

---

[١] رسالة بعثها الشيخ عبدالرحمن بن حسن إلى عبداللطيف بن حامد ، الرسالة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٢ ، ص ٢٤ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٢٣٨ .

[٢] القول الفصل النفيس ، ص ٤٢ .

[٣] مصباح الظلام ، ص ١٧٨ ، وانظر : معناه في منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٧٦ .

[٤] منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٣٩ .

عن الصحابة ولا التابعين ، فليس له أصل في الشرع بل هو بدعة محدثة .

وهو من البدع المنكرة التي يجب تركها والتحذير منها ، وهو من الذرائع الموصلة إلى الشرك .

وقد وردت لهم نصوص في بيان ذلك ، فمنها ما يلي :

١ - بسط الشيخ حمد بن معمر الحديث عن هذه المسأله فقال : " وأما التوسل بالذات فيقال : ما الدليل على جواز سؤال الله بذوات المخلوقين ؟ ومن قال هذا من الصحابة والتابعين ؟

فالذي فعله الصحابة رضي الله عنهم هو التوسل إلى الله بالأسماء والصفات والتوحيد ، والتوسل بما أمر الله به من الإيمان بالرسل ، ومحبتهم ، وطاعتهم ، ونحو ذلك .

وكذلك توسلوا بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته ، وبدعاء العباس ويزيد .

وأما التوسل بالذات بعد الممات فلا دليل عليه ، ولا قاله أحد من السلف ، بل المنقول عنهم يناقض ذلك .

وقد نص غير واحد من العلماء على أن هذا لا يجوز ، ونقل عن بعضهم جوازه .

وهذه المسألة وغيرها من المسائل إذا وقع فيها النزاع بين العلماء فالواجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ ﴾ [٢] ، ومعلوم أن هذا لم يكن منقولاً عن النبي ﷺ ولا مشهوراً بين السلف ، وأكثر العلماء على النهي عنه .

ولا ريب أن الأنبياء والصالحين لهم الجاه عند الله تعالى ، لكن الذين لهم النفع عند الله تعالى من الجاه والمنازل والدرجات أمر يعود نفعه إليهم ونحن ننتفع [٣] من

---

[١] سورة النساء الآية : ٥٩ .

[٢] سورة الشورى الآية : ١٠ .

[٣] في النبذة " نتشفع " والتصحيح من الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ١١ ، ص ٦٠ .

ذلك باتباعنا لهم ومحبتنا ، فإذا توسلنا إلى الله بإيماننا بنبيه ﷺ ومحبته وطاعته واتباع سنته كان هذا من أعظم الوسائل .

وأما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالإيمان به وطاعته فلا يكون وسيلة .

فالمتوسل [١] بالمخلوق إذا لم يتوسل بما مَرّ من المتوسَّل به من الدعاء للمتوسِل أو بمحبته واتباعه ، فبأي شيء يتوسل به ؟

والإنسان إذا توسل إلى غيره بوسيله ، فإما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك ، مثل أن يقول لأبي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه : اشفع لنا عند فلان وهذا جائز .

وإما أن يقسم عليه ولا يجوز الإقسام على مخلوق بمخلوق ، كما أنه لا يجوز أن يقسم على الله بالمخلوقين .

فالتوسل إلى الله بذات خلقه بدعة مكروهة لم يفعلها السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان " [٢] .

٢ - وقال في موضع آخر : " وأما التوسل بنفس الذات ، فقد قدمنا أن أكثر العلماء نهوا عن ذلك وجعلوه من البدع المكروهة المحدثة ، وبعضهم رخص في ذلك وهو قول ضعيف مردود .

والعز بن عبدالسلام [٣] أنكر التوسل إلى الله بغير النبي ﷺ ، وأما التوسل بالنبي ﷺ فعلق القول بجوازه على صحة حديث الأعمى ، لأنه فهم من الحديث أن الأعمى توسل بذات النبي ﷺ ، وأما الجمهور فحملوا حديث الأعمى على أنه توسل بدعاء النبي ﷺ ، كما كان الصحابة يتوسلون به في الإستسقاء ، كما في حديث

---

(١) في النبذة " فالتوسل " والتصحيح من الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج ١١ ، ص ٦٠ .

(٢) النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٩٩ - ١٠١ ، وانظر : معناه في جواب الشيخ سليمان بن عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦٢ .

(٣) عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي الشافعي ، أبومحمد ، عز الدين ، الملقب بسلطان العلماء ، وذلك لقوته في قول الحق ، من مصنفاته ، " الإلمام في أدلة الأحكام " و " القواعد الكبرى والصغرى " توفي سنة ٦٦٠هـ .
انظر في ترجمته : فوات الوفيات ، ج٢ ، ص ٣٥٠ - ٣٥٢ ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، الأعلام ، ج٤ ، ص ٢١ .

أنس الذي رواه البخاري في صحيحه وقد تقدم [١].

وشيخنا رحمه الله نقل كلام العز بن عبدالسلام ليبين أن مسألة التوسل بغير النبي ﷺ بدعة مكروهة ، وأما التوسل بالنبي ﷺ فأجازه بعض العلماء كالعز بن عبدالسلام ، والسائل فهم من نقل الشيخ أنه اختاره وليس الأمر كذلك بل إختياره - رحمه الله - هو ما ذهب إليه الجمهور أن ذلك بدعة محدثة ، لم يفعلها الصحابة ولا التابعون ، فإنه لم ينقل عن أحدٍ منهم أنه توسل بالنبي ﷺ بعد موته كما قدمناه " [٢].

٣ - وقال الشيخ عبدالله بن محمد عن هذا النوع من التوسل : " وهذا يفعله كثير من المتأخرين ، وهو من البدع المحدثة في الإسلام لكن بعض العلماء يرخص فيه ، وبعضهم ينهى عنه ويكرهه ... ولا يصل إلى الشرك الأكبر عند من كرهه " [٣].

٤ - وقال أيضاً : " والتوسل إلى الله في الدعاء بغير نبينا ﷺ لا نعلم أحداً من السلف فعله ولا روى فيه أثراً " [٤].

٥ - وقال أيضاً : " ولفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به ، فيه إجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، فيراد به التسبب به ، لكونه داعياً وشافعاً مثلاً ، أو لكون الداعي مجيباً له مطيعاً لأمره مقتدياً به ، ويراد به الإقسام به والتوسل بذاته ، فهذا الثاني : هو الذي كرهه العلماء ونهو عنه " [٥].

٦ - وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن : " التوسل بذات الأموات من البدع المنكرة والذرائع الموصلة إلى الشرك ، ولذلك لم يفعله أحد من الخلفاء الراشدين ولا من الصحابة فلو كان حقاً لسبقوا إليه ، فإنهم أعظم الناس سبقاً إلى كل خير ، فتركهم ذلك في حق النبي ﷺ مع قربهم من قبره يدل على أنه من البدع التي يجب تركها ، يحقق ذلك أنهم لما أجدبوا في خلافة عمر لم يأتوا إلى قبره يستسقون به كما كانوا يستسقون به

---

[١] سبق تخريجه ص .

[٢] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ١١١ - ١١٢ .

[٣] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٥٩ .

[٤] المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٢٦٢ .

[٥] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٦٩ .

في حياته ، بل خرج عمر بالسابقين الأولين وغيرهم من الصحابة واستسقوا بعمه العباس ، وقال اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ، ففرقوا بين حال الحياة والوفاة خوفاً من الوقوع فيما نهوا عنه من الغلو في الأموات ، ولكون الاستسقاء بالشخص إنما هو بدعائه ، بخلاف حال الميت فإن الدعاء متعذر في حقه ، وهذا من غزارة علم الصحابة وقوة إيمانهم وتمسكهم بما شرع لهم وتركهم ما لم يشرع ، وهذا هو سبيل المؤمنين " [١] .

٧ - وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " وأما التوسل بذوات الأنبياء والصالحين بدون طاعتهم وبدون استغفارهم فهذا لم يشرع ولا أصل له ، فإن التوسل بالأنبياء مع معصيتهم ومخالفتهم في الدين والملة ، قد دلت آية سورة التحريم [٢] على المنع منه ، وعدم الانتفاع بالتعلق والقرابة والنسب والتوسل بذلك لمن لم يؤمن بما جاءوا به من الهدى ودين الحق .

وكذلك في الحديث لما أنزل عليه قوله : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [٣] قال : « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً » [٤] .

وأكبر من هذا من يدعوهم ويستغيث بهم ، ويتقرب إليهم بعبادتهم على أنها وسيلة له وشفعاء ، فإن هذا هو عين الشرك الذي ذمه القرآن وعابه ، وإن سمي توسلاً " [٥] .

النوع الثالث : التوسل إلى الله تعالى بجاه فلان أو حقه ونحو هذا :

من أنواع التوسل الممنوع التوسل بجاه المخلوقين أو بحقهم ، كأن يقول القائل : اللهم

---

[١] القول الفصل النفيس ، ص ٣٢٢ .

[٢] آية : ١٠ .

[٣] سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٥٥٨ ، رقم ٢٧٥٣ ، كتاب الوصايا ، باب: هل يدخل النساء والأقارب في الولد ، وص ١٠١٣ ، رقم ٤٧٧١ ، كتاب التفسير ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين ، ومسلم في صحيحه ، ج١ ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ، رقم ٢٠٦ ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ .

[٥] تحفة الطالب والجليس ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

إني أسألك بجاه نبيك ﷺ أو بحقه أن تقضي حاجتي ونحو هذا .

فهذا النوع من البدع المذمومة التي لا أصل لها في الشرع فلم ينقل عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة ، ولا عن السلف الصالح .

وقد نص على هذا علماء الدعوة في ردودهم وأجوبتهم فمن ذلك ما يلي :

١ - قال الشيخ سليمان بن عبدالله : " أما التوسل بجاه المخلوقين كمن يقول : اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ ونحو ذلك ، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ ، وأكثر العلماء على النهي عنه ، وحكى ابن القيم رحمه الله تعالى : أنه بدعة إجماعاً ، ولو كان الأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى فلا يقتضي ذلك جواز التوسل بذواتهم وجاههم .

لأن الذي لهم من الجاه والدرجات أمر يعود نفعه إليهم ، ولا ننتفع من ذلك إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم ، والله المجازي لنا على ذلك .

وأما التوسل بذواتهم مع عدم التوسل بالإيمان والطاعة فلا يكون وسيلة ، ولأن المتوسل بالمخلوق إن لم يتوسل بما يحصل من المتوسل به من الدعاء للمتوسل أو بمحبته واتباعه فبأي شيئ يتوسل ؟! " [١] .

٢ - وقال الشيخ عبدالله بن محمد : " وأما التوسل وهو أن يقول القائل : اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد ﷺ ، أو بحق نبيك ، أو بجاه عبادك الصالحين ، أو بحق عبدك فلان ، فهذا من أقسام البدعة المذمومة ، ولم يرد بذلك نص " [٢] .

٣ - وقال الشيخ عبداللطيف : " واعلم أن مسألة الله بجاه الخلق نوع ، ومسألة الخلق مالا يقدر عليه إلا الله نوع آخر ، فمسألة الله بجاه عباده منعها أهل العلم ولم يجزها أحد ممن يعتد به ويقتدى به كالأئمة الأربعة وأمثالهم من أهل العلم والحديث إلا ابن عبدالسلام أجاز ذلك بالنبي ﷺ خاصة وقيّده بثبوت صحة الحديث الذي جاء في ذلك ، وهو حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال : ادع الله يا محمد أن يردّ

---

[١] جواب للشيخ سليمان بن عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦٢ .

[٢] الهدية السنية ، ص ٥٢ - ٥٣ .

عليّ بصري فأمره أن يتوضأ ويصلي ويدعوا الله ، وفي دعائه أسألك بنبيك محمد ، قال ابن عبدالسلام : إن صح الحديث فيجوز بالنبي ﷺ خاصة ، والحديث في سنده من لا يحتج به عند أهل العلم ، كما لا يخفى على أهل الصناعة .

وجمهور الناس من أهل العلم يقولون : معنى الحديث إن صح ، التوسل بدعائه ﷺ في حياته ، كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء وفي غيره ، وأما بعد وفاته ﷺ فليس من هديهم وطريقتهم أن يسألوا الله به ، بل لما قحطوا زمن عمر استسقى وتوسل بدعاء العباس كما تقدم ، وبالجملة فهذه المسألة نوع ولا يخرج بها الإنسان عن مسألة الله ، وإنما الكلام في سؤال العباد وقصدهم من دون الله ، كما هو صريح كلام هذا المعترض ، وسؤال العباد والإستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي ، ولو قال : يا ولي الله اشفع لي فإن نفس السؤال محرم ، وطلب الشفاعة منهم يشبه قول النصاري : يا والدة الله اشفعي لنا إلى الإبن والإله .

وقد أجمع المسلمون على أن هذا شرك . وإذا سألهم معتقداً تأثيرهم من دون الله فهو أكبر وأطم " [١] .

وسئل الشيخ عبدالله أبابطين عن سؤال الله بحق الكعبة وطوافي عليك يارب ، وبحق محمد ومدينته عليك يارب ، وبحق القرآن عليك يارب ، وبحق جبرئيل ، والملائكة ، والجنة والنار ، والشمس ، والقمر ، والأقطاب ، والأبدال ، والأوتاد ، وغيرها ؟

فأجاب : السؤال بهذه الأشياء التي ذكرتم باطل لا أصل له ، والمشروع : إنما هو سؤاله سبحانه بأسمائه وصفاته كما في الأحاديث المشهورة ، والله أعلم " [٢] .

وفي جواب للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " وأما سؤال الله بحق نبيه أو وليه فلا تصدر إلا من جاهل بأحكام الشريعة وما يستحب وما يكره ، والأولى تنبيه هذا الخطيب على أن هذا قد منعه أئمة الإسلام وأهل الحل والعقد في الأحكام " [٣] .

---

[١] البراهين الإسلامية ، ص ١١٥ - ١١٦ .

[٢] جواب للشيخ عبدالله أبابطين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ٣١٥ .

[٣] جواب للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج٤ ، ص ٤٥٢ .

النوع الرابع : الإقسام على الله بمخلوق

منع علماء الدعوة هذا النوع من التوسل مثل أن يقول القائل : اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تقضي حاجتي ونحو هذا ، وقد نص على ذلك علماء الدعوة في أثناء حديثهم عن التوسل .

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في بيان هذا النوع : " أما الإقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق العلماء ، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه أو تحريم ؟ على قولين ، أصحهما أنه كراهة تحريم " [١] .

وذكر مثل هذا الكلام صاحب التوضيح [٢] ، والشيخ عبدالعزيز الحصين [٣] . والمقصود أن الإقسام على الله بمخلوق شرك - كما تقدم - فكيف بالحلف بالمخلوق على الخالق .

ثالثاً : جواب علماء الدعوة عن بعض شبهات أهل التوسل المحرم :

استدل خصوم الدعوة على جواز التوسل المحرم بأدلة من الكتاب والسنة وغيرهما ، وزعموا أنها تدل على دعواهم ، وقد أجاب علماء الدعوة رحمهم الله عن هذه الأدلة وردوا على الخصوم وبينوا ضلالهم فيما ذهبوا إليه .

وسأذكر هذه الأدلة ثم أعقبها بجواب علماء الدعوة عنها ، وهي كما يلي :

الدليل الأول :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [٤] استدل دعاة التوسل المحرم بهذه الآية على جواز التوسل بالأموات والغائبين ودعائهم والاستعانة بهم ، ومن هؤلاء الضلال الذين استدلوا بهذه الآية على جواز التوسل الشركي داود بن جرجيس [٥] .

---

[١] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٤ .

[٢] انظر : التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ٤٣ .

[٣] انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٨٦ .

[٤] سورة المائدة الآية : ٣٥ .

[٥] كما ذكر ذلك الشيخ عبدالله أبابطين في تأسيس التقديس ، ص ٦٧ ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في تحفة الطالب والجليس ، ص ١٣٨ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٤٨ .

وقد أجاب علماء الدعوة عن هذا الاستدلال .

قال الشيخ عبدالله أبابطين : " قوله والدليل على أن النداء والطلب من الأموات والغائبين ليس بعبادة ، بل هو مأمور به شرعاً آيات وأحاديث وآثار ، قال : الدليل الأول قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [(١)] .

فالعجب من هذا الملحد لم يقتصر على الجواز بل ادعى أن الله أمر عباده المؤمنين بذلك ، ولعله يرى أن الأمر فيما فهمه من الآية للوجوب لأن الأصل في الأمر الوجوب ما لم يوجد دليل يصرفه إلى الاستحباب ، وبكل حال فهو يقول : إن الله أمر عباده المؤمنين أن يفزعوا إلى الأموات في قضاء مآربهم وكشف شدائدهم ، سواء قال:إن الأمر للإيجاب أو للاستحباب ، ومقتضى كلامه العموم في جميع الأموات صالحهم وطالحهم ، ما أجرأ هذا على الكذب على الله والإلحاد في آيات الله بوضعها على غير ما أراد الله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [(٢)] .

قال ابن عباس : ﴿ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ يضعون الكلام على غير مواضعه [(٣)] ، وقال الله تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله الكذب ليضل الناس بغير علم ﴾ " [(٤)] إلى أن قال : " فإن قيل : ما معنى الوسيلة في قول الله سبحانه : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ قيل : المراد بالوسيلة التقرب إليه سبحانه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه " [(٥)] .

وممن أجاب عن هذا الدليل أيضاً الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن [(٦)] .

الدليل الثاني :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣٥ .

(٢) سورة فصلت الآية : ٤٠ .

(٣) انظر : قول ابن عباس في تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص ١٠٢ .

(٤) تأسيس التقديس ، ص ٦٧ بتصرف يسير .

(٥) المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٦) انظر : تحفة الطالب والجليس ، ص ١٣٨ - ١٤٠ ، ومنهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٤٨ - ٣٥١ .

(٧) سورة النساء الآية : ٦٤ .

استدل بهذه الآية بعض دعاة التوسل المحرم على جواز طلب الدعاء من الرسول ﷺ بعد موته [١] :

الجواب : أجاب الشيخ عبدالعزيز الحصين عن هذا الاستدلال بقوله : " فإتيانهم له ﷺ للإستغفار مخصوص بوجوده في الدنيا ، ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة احتياجهم وكثرة مدلهماتهم ، وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسوله وأحرص اتباعاً لملته من غيرهم ، بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده ، منهم الإمام مالك وأبوحنيفة وأحمد والشافعي وهم من خير القرون التي قد نص ﷺ عليها في قوله : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران [٢] : لا أدري أذكر أثنتين أو ثلاثاً بعد قرنه [٣] .. " [٤] .

الدليل الثالث :

قال الشيخ عبداللطيف في رده على داود بن جرجيس : " قال العراقي : الدليل الثالث : قوله تعالى في سيدنا عيسى : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ [٥] أي : ذا جاه ، لا يسأل شيئاً إلا أعطي . وكذلك قوله تعالى في سيدنا موسى : ﴿ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [٦] .. " [٧] .

---

(١) منهم داود بن جرجيس كما ذكر ذلك الشيخ عبدالله أبابطين في تأسيس التقديس ، ص ١٠٣ .

(٢) المراد : عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، ص ٥٢٧ ، رقم ٢٦٥١ ، كتاب الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، و ص ٧٤٧ ، رقم ٣٦٥٠ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه . و ص ١٣٥٩ ، رقم ٦٤٢٨ ، كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، و ص ١٤٠٧ ، رقم ٦٦٩٥ ، كتاب الأيمان والنذور ، باب إثم من لا يفي بالنذر .

(٤) رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٩٣ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ٤٥ .

(٦) سورة الأحزاب الآية : ٦٩ .

(٧) منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٦٧ .

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في الجواب عن هذا الدليل : " والجواب أن يقال : ما دلت عليه الآيات الكريمات هو الحق الذي لا ريب فيه ودعوى العراقي أجنبية عن هذا الدليل ، فإن الدعوى كون الوجيه من الرسل والملائكة والصالحين يدعى ويسأل ، على أنه واسطة بين الله وبين عباده ، ويعظم بالنحر والنذر ، وهذه دعوى المشركين القائلين : ﴿ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [١] فالمقصود : هو الجاه لكل مشرك ، والقرآن رد هذه الدعوى وأبطلها ، وأخبر أن ذا الجاه لا يملك كشف الضر ولا تحويله ، وأن الصالحين من الأنبياء والمقربين يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وكل ما عظم الجاه اشتد الخوف والخشية ، وليس الأمر كما ظن العراقي من أن أصحاب الجاه يكونون واسطة وشفعاء يقصدهم العباد للمهمات والحاجات ، فإن هذا عين الشرك . وحجة هؤلاء المشركين هي كون الأنبياء والصالحين لهم جاه . والقرآن كله يرد على هؤلاء الضلال ويكشف شبهتهم ، ويخبر أنه لا يلزم من وجود الجاه كونهم آلهة يقصدهم العباد ، ويصرفون لهم شيئاً من خالص حقه تبارك وتعالى ، قال تعالى : ﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [٢] ، وقال تعالى عن صاحب يس : ﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٣] وآلهة نكرة في سياق النفي ، فتعم كل من عبده مشرك وصرف له شيئاً من حق الله ، فإنه لا يشفع له ولا تغني شفاعته عنه شيئاً وإن قل ، كما يفيد التنكير ، فبطل قول العراقي في بعض رسائله : هذه في الأصنام " [٤] .

الدليل الرابع :

عن عثمان بن حنيف [٥] أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال : « إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال : فادعه ، قال :

---

(١) سورة الزمر الآية : ٣ .

(٢) سورة النحل الآية : ٨٩ .

(٣) سورة يس الآيتين : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) منهاج التأسيس والتقديس ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٥) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري من بني عوف بن مالك بن الأوس ، صحابي جليل ، توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه .
انظر في ترجمته : الاستيعاب ، ج٣ ، ص ١٥١ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ٣٢٠ ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ، ص ١١٢ .

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي ، اللهم فشفعه في » [١] .

وقد استدل بهذا الحديث بعض دعاة التوسل [٢] المحرم على جواز سؤال النبي ﷺ ودعائه بعد موته ، وكذا التوسل بذاته .

الجواب : أجاب علماء الدعوة عن استدلال الخصوم بهذا الحديث من وجوه :

الوجه الأول : أن هذا الحديث في ثبوته نظر :

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله في ذلك : " هذا الحديث من أصله وإن صححه الترمذي ، فإن في ثبوته نظراً ، لأن الترمذي يتساهل في التصحيح كالحاكم ، لكن الترمذي أحسن نقلاً ، كما نص على ذلك الأئمة ، ووجه عدم ثبوته أنه قد نص أن أبا جعفر الذي عليه مدار هذا الحديث هو غير الخطمي [٣] ، وإذا كان غيره ، فهو لا يعرف ... " [٤] .

وممن أشار إلى هذا الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن يقول رحمه الله : " حديث الأعمى قد تكلم فيه أهل الحديث ولم يصححوه .. لأن فيه من لا يحتج به ... " [٥] وعلى هذا فيتوقف الاحتجاج بهذا الحديث على ثبوت صحته .

الوجه الثاني : أن هذا الحديث في غير محل النزاع

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد في بيان هذا الوجه : " أنه في غير محل النزاع إذ

---

[١] تقدم تخريجه ، ص ٦٥٦ .

[٢] منهم داود بن جرجيس كما ذكر ذلك الشيخ عبدالله أبابطين في تأسيس التقديس ، ص ٩٣ ، ومنهم أيضاً عثمان بن منصور ، كما ذكر ذلك الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في مصباح الظلام ، ص ٢٠٦ .

[٣] عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري ، أبوجعفر الخطمي ، نزيل البصرة ، روى عن أبيه وخاله عبدالرحمن بن عقبة وغيرهما ، وروى عنه هشام الدستوائي وعدي بن الفضل وغيرهما ، قال عنه ابن حجر صدوق .
انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ، ج ٨ ، ص ١٥١ ، تقريب التهذيب ، ص ٧٥٤ .

[٤] تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤٤ .

[٥] مصباح الظلام ، ص ١٨١ .

ليس فيه سؤال النبي ﷺ نفسه ، وإنما فيه سؤال الله وحده أن يشفع فيه نبيه " [١] .

وقد ذكر هذا الوجه الشيخ سليمان بن عبدالله [٢] ، والشيخ عبدالعزيز الحصين [٣] .

الوجه الثالث :

أن الحديث دليل لعلماء الدعوة على أن لا يدعى غير الله عز وجل ، وليس فيه حجة لدعاة التوسل الشركي :

يقول الشيخ عبدالعزيز الحصين في بيان ذلك : " أن الحديث دليل للشيخ رحمه الله تعالى ، أنه لا يدعى غير الله عزّ وجلّ ، فإن مسألة : اللهم إني أتوجه إليك ، المسؤل : الله عزّ وجلّ ، وإنما توجه إليه بحبيبه المصطفى عنده ، ونهايته : سؤال الله عزّ وجلّ أن يشفعه ، فمستهله سؤال الله عزّ وجل ، ونهايته سؤاله سبحانه ، ووسطه : يا حبيبنا محمداً ، إنا نتوسل بك إلى ربك ، فاشفع لنا .

فهذا خطاب لخاص معين في قوله ، كقولنا في صلاتنا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وكاستحضار الإنسان محبه ومبغضه في قلبه ، فيخاطبه بما يهواه لسانه ، وهذا كثير في لسان الخاصة دون العامة ، ومعناه : أتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته المشتملة على الدعاء ، ولهذا قال في تمام الحديث : « اللهم شفعه في » ، وهذا متفق على جوازه .

وقد مضت السنّة : أن الحي يطلب منه الدعاء ، كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه ، سواء كان بلفظ الإستغاثه أم بغيرها ، ومنه ما قص الله عن الإسرائيلي المستغيث بموسى على القبطي ، في قوله : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ ﴾ [٤] .

وكاستشفاع الأمة من أهل الموقف بالأنبياء والطواف عليهم يسألونهم : أن يشفعوا إلى الله من أهل الموقف عامة .

---

[١] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٦ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤٥ .

[٣] انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٨٨ .

[٤] سورة القصص الآية : ١٥ .

وأما : المخلوق الغائب أو الميت فلا يستغاث به ، ولا يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله البتـه ، وهذا مـوافق لقـولـه تعـالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّه ﴾ [١] ، وإنما غـاية طلبه الشفاعة عند الله عزّ وجلّ أن يشفع نبيه فيه وهو ﷺ قد انتقل من هذه الدار إلى دار القرار بنصّ الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

ولهـذا استـسقى أصحـابه بعـمـه العباس بن عبدالمطلب ، وسألوه أن يدعو لهم في الإستسقاء عام القحط .

ولم يأتوا إلى قبره ولا وقفوا عنده ، مع أنه ﷺ حي في قبره حياة برزخية أعلى من حياة الشهداء .

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان على أن النبي ﷺ لا يسأل بعد موته لا استغفاراً ولا دعاءً ولا غيرهما ، فإن الدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتّباع لا على الهوى والابتداع ، ولو كان هذا من العبادة لسنّه رسول الله ﷺ ، ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع له " [٢] .

وقد ذكر هذا الوجه الإمام عبدالعزيز بن محمد [٣] ، والشيخ سليمان بن عبدالله [٤] ، والشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب [٥] والشيخ عبدالله أبابطين [٦] ، والشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن [٧] رحمهم الله .

---

[١] سورة آل عمران الآية : ١٥٤ .

[٢] رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

[٣] انظر : رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٧ .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٤٥ ، وجواب للشيخ سليمان ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦٥ .

[٥] انظر : جواب للشيخ عبد الله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٤ - ٧٥ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

[٦] انظر : تأسيس التقديس ، ص ٩٤ .

[٧] انظر : مصباح الظلام ، ص ٢٠٨ ، والبراهين الإسلامية ، ص ١١٧ .

الوجه الرابع :

أن قوله : يا محمد إني أتوجه ... الخ لم تثبت في أكثر الروايات .

يقول الشيخ حمد بن معمر في بيان هذا الوجه : " أن يقال : هذا الحديث قد رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي وابن شاهين [١] في دلائلهما ، كلهم عن عثمان بن حنيف ، ولم يذكروا فيه هذه اللفظة أعني " يا محمد " .

ولفظ الحديث عندهم عن عثمان بن حنيف أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله إني قد أصبت في بصري ، فادع الله لي . فقال له النبي ﷺ : " توضأ وصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة ، إني أتشفع به إليك في رد بصري ، اللهم شفّع نبيي فيّ » ففعل ذلك فرد الله عليه بصره ، وقال له : « إذا كانت لك حاجة فبمثل ذلك فافعل » .

فهذا الحديث بهذا اللفظ لا حجة فيه لمبطل ، لأن غايته أنه توسل بالنبي ﷺ " [٢] .

وقد ذكر هذا الوجه الشيخ سليمان بن عبدالله [٣] ، والشيخ عبدالله بن محمد [٤] رحمهما الله .

الوجه الخامس :

أن يقال : على تقدير ثبوت هذه اللفظة فليس فيها دليل على جواز دعاء غير الله ، كما يدعيه أهل التوسل الشركي .

يقول الشيخ حمد بن معمر في بيان هذا الوجه : " أن يقال : على تقدير صحة هذه

---

[١] عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي ، أبوحفص ، الواعظ صاحب التصانيف الكثيرة ، ثقة أمين زاهد ، مات سنة ٣٨٥هـ .
انظر في ترجمته : طبقات علماء المحدثين ، ج٣ ، ص ١٧٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٦ ، ص ٤٣١ ، الرسالة المستطرفة ، ص ٣٨ .

[٢] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٨٤ - ٨٥ .

[٣] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤٦ .

[٤] انظر : جواب للشيخ عبدالله ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، ج١ ، ص ٧٥ ، وضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٦٨ .

اللفظة ، فليس فيها ما يدل على دعاء النبي ﷺ بعد موته ، ولو كان فيها ما يدل على ذلك لفعله الصحابة رضي الله عنهم ، فلما ثبت أن الصحابة لم يفعلوه بل ولا أجازوه ، علمنا أنه ليس في ذلك دلالة " [١] .

وقد ذكر هذا الوجه الشيخ سليمان بن عبدالله [٢] رحمه الله .

الوجه السادس :

ومن الوجوه أيضاً ما ذكره الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، والشيخ عبدالعزيز الحصين [٣] .

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود : " أنهم زعموا أنه دليل للوسيلة إلى الله بغير محمد ﷺ وخرجوا عن محل النزاع إلى شيء آخر ، وهو التوسل بغير رسول الله ﷺ ولا دليل فيه أصلاً ، لأنهم صرحوا بأنه لا يُقاس مع الفارق ، فلا يجوز لنا أن نقول : اللهم إنا نسألك ونتوجه إليك برسولك نوح ، يا رسول الله يا نوح .

ولا لنا أن نقول : إنا نسألك ونتوجه إليك بخليلك إبراهيم ولا بكليمك موسى ، ولا بروحك عيسى ، مع أن الجامع في نوح عليه السلام الرسالة ، وفي إبراهيم عليه السلام الخلة مع الرسالة ، وفي موسى عليه السلام الكلام مع الرسالة ، وفي عيسى روح الله وكلمته مع الرسالة ، فليس لنا أن نقول هذا لأنه لم يرد ، ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد ، والقياس إنما يباح عند من يقول به للحاجة في حكم لا يوجد فيه نص ، فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به ولا حاجة لنا إلى قول مخترع يجر إلى الشرك ، خصوصاً مع ما ورد فيه ، وأنه في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، وأن هذه الأمة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فالناجية من اتبع ما كان عليه ﷺ وأصحابه " [٤] .

---

[١] النبذة الشريفة النفيسة ، ص ٨٥ - ٨٦ .

[٢] انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

[٣] انظر : رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٩٣ .

[٤] رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٩ - ٥٠ .

الوجه السابع :

من الأوجه التي يجاب بها عن هذا الحديث ما ذكره الشيخ عبدالعزيز الحصين بقوله : " أن الوسيلة ليست هي : أن ينادي العبد غير الله ، ويطلب حاجته التي لا يقدر على وجودها إلا الله ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ﴿وإن يسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [1] بل هذا شرك بالله " [2] .

وقد ذكر هذا الوجه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله [3] .

وقد اتضح من الوجوه السابقة أن حديث الأعمى على فرض ثبوته لا يدل على جواز دعاء الأموات أو الغائبين أو التوسل بذواتهم ، وإنما يدل على التوسل بدعاء الحي الحاضر .

الدليل الخامس :

عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : من خرج من بيته إلى الصلاة ، فقال : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاي هذا ، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً .. » [4] الحديث .

استدل بهذا الحديث دعاة التوسل المحرم على جواز دعاء الصالحين ، والتوسل بجاههم وحقهم ونحو ذلك [5] .

الجواب : أجاب علماء الدعوة عن هذا الحديث من وجوه :

الوجه الأول :

أن الحديث ضعيف .

يقول الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود : " وأما قوله : « وبحق السائلين عليك »

---

(١) سورة الحج الآية : ٧٣ .

(٢) رسالة في توحيد العبادة للشيخ عبدالعزيز الحصين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٩٤ .

(٣) انظر : رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٥٠ .

(٤) أخرجه أحمد ، ج٣ ، ص ٢١ ، وابن ماجة في سننه ، ج١ ، ص ٢٥٦ ، رقم ٧٧٨ ، كتاب المساجد والجماعات ، باب المشي إلى الصلاة ، وسيأتي بيان درجة الحديث .

(٥) منهم عثمان بن منصور ، كما ذكر ذلك الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في مصباح الظلام ، ص ١٧٣ .

ففيه عطية العوفي [١] وفيه ضعف " [٢] .

الوجه الثاني :

قال الشيخ سليمان بن عبدالله في بيان هذا الوجه : " وبتقدير ثبوته ، هو من التوسل المستحب ، فإن حق السائلين عليه أن يجيبهم ، وحق المطيعين له أن يثيبهم ، فالسؤال له والطاعة سبب لحصول الإجابة وإثابته " [٣] .

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن : " وأما ما ورد في السنن « بحق السائلين عليك وبِحَقِّ مَمشَى إلذاهب إلى المسجد » [٤] ونحو ذلك ، فالله سبحانه وتعالى جعل على نفسه حقاً تفضلاً منه وإحساناً إلى عباده ، فهو توسل إليه بوعده وإحسانه ، وما جعله لعباده المؤمنين على نفسه ، فليس من هذا الباب ، أعني باب مسألة الله بخلقه ، وقد منع ذلك فقهاء الحنفية كما حدثني به محمد بن محمود الجزائري الحنفي رحمه الله تعالى بداره بالاسكندرية وذكر أنهم قالوا : لا حق لمخلوق على الخالق .

ويشهد لهذا ما يروى أن داود قال « اللهم اني أسألك بحق آبائي عليك ، فأوحى الله إليه : أي حق لآبائك علي ؟ » [٥] أو نحو هذا ، والحق المشار إليه بالنفي هنا غير ما تقدم إثباته ؛ فإن المثبت بمعنى الوعد الصادق ، وما جعله الله للماشي إلى الصلاة ، وللسائلين من الإجابة والاثابة فضلاً منه وإحساناً ، والمنفي هنا هو الحق الثابت بالمعاوضة والمقابلة على الإيمان والأعمال الصالحة ، فالأول يعود ويرجع إلى التوسل بصفاته الفعلية والذاتية .

---

(١) عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، الكوفي ، أبوالحسن ، تابعي ، قال عنه الذهبي : ضعيف الحديث ، روى عن ابن عباس وأبي سعيد ، وابن عمر ، توفي سنة ١١١هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص ٣٢٥ ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص ٧٩ ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ، ص ٢٢٤ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ١٤٤ .

(٢) رسالة مهمة للإمام المجاهد العلامة عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، ص ٤٤ .

(٣) جواب للشيخ سليمان بن عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

(٤) سبق تخريجه ، ص ٦٧٥ .

(٥) رواه أبونعيم في الحلية كما ذكر ذلك ابن تيمية في التوسل والوسيلة ، ص ١٦٤ ، وقد بحثت عنه فلم أجده .

والثاني يرجع إلى التوسل بذوات المخلوقين ، فتأمله فإنه نفيس جداً " [١] .

الوجه الثالث :

يقول الشيخ عبدالله بن محمد : " أن يقال : إن الله إذا سئل بشيء ليس سبباً للمطلوب ، فإما أن يكون إقسام عليه به ، فلا يقسم على الله بمخلوق ، وإما أن يكون سؤالاً بما لا يقتضي المطلوب ، فيكون عديم الفائدة ، فالأنبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعده الصادق لهم ، وكلماته التامة ، هذا حق وليس فيه محذور ، وأما إذا سئل بنفس ذوات الأنبياء والصالحين لم يكن في ذلك سبب يقتضي المطلوب " [٢] .

الوجه الرابع :

يقول الشيخ عبدالله بن محمد : " أن يقال : الذي جاءت به السنة وتواتر في الأحاديث ، هو التوسل والتوجه والإقسام عليه بأسمائه وصفاته وبالأعمال ... " [٣] .

الوجه الخامس :

يقول الشيخ عبدالله بن محمد : " أن يقال : قد علم بالاضطرار من دين الإسلام ، أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحداً من الأموات ، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم ، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأنه من الشرك الذي حرم الله " [٤] .

الدليل السادس :

عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا عليّ ، فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم » [٥] .

---

[١] مصباح الظلام ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

[٢] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٦٤ .

[٣] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٦٤ .

[٤] جواب للشيخ عبدالله بن محمد ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج١٠ ، ص ٢٦٦ .

[٥] أخرجه أبويعلى في مسنده ، ج٩، ص ١٧٧ ، والطبراني في الكبير ، ج١٠ ، ص ٢٦٧ ، واللفظ له ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

استدل بهذا الحديث دعاة التوسل المحرم على جواز دعاء الأموات والغائبين والاستغاثة بهم ونحو ذلك .

الجواب : أجاب علماء الدعوة عن هذا الحديث بعدة أوجه أهمها وجهان :

الوجه الأول :

أن الحديث غير صحيح

يقول الشيخ عبدالله أبابطين : " أجيب بأنه غير صحيح لأنه من رواية معروف بن حسان [١] وهو منكر الحديث قاله ابن عدي " [٢] .

الوجه الثاني :

على تقدير صحة الحديث فلا دليل فيه على دعاء الميت والغائب ، لأن هذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه .

يقول الشيخ عبدالله أبابطين : " ومن المعلوم - إن كان صحيحاً - أن النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن يطلب ردها وينادي من لا يسمعه ولا يقدر على ردها ، بل نقطع أنه إنما أمره أن ينادي من يسمعه وله قدرة على ذلك ، كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في سفره ليردوا دابته .

وهذا يدل - إن صح - على أن لله جنوداً يسمعون ويقدرون ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [٣] ، وروى زيادة لفظة في الحديث « فإن لله حاضراً » [٤] فهذا صريح في أنه إنما ينادي حاضراً يسمع ، فكيف يستدل بذلك على جواز الاستغاثة بأهل القبور والغائبين ، فمن استدل بهذا الحديث على دعاء الأموات لزمه أن يقول : إن دعاء الأموات ونحوهم ، إما

---

(١) معروف بن حسان السمرقندي ، أبومعاذ ، قال ابن عدي ، منكر الحديث .
انظر في ترجمته : ميزان الاعتدال ، ج٤ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث ص ٣٦ .

(٣) سورة المدثر الاية : ٣١ .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ، ج١٠ ، ص ٢١٧ ، رقم ١٠٥١٨ ، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج ١٠ ، ص ١٣٢ : " فيه معروف بن حسان وهو ضعيف " .

مستحب أو مباح ، لأن لفظ الحديث (فليناد) وهذا أمر أقل أحواله الاستحباب أو الإباحة ، ومن ادعى أن الاستغاثة بالأموات والغائبين مستحب أو مباح فقد مرق من الإسلام .

فإذا تحققت أن الرسول ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن ينادي من لا يسمعه ولا قدرة له على ذلك ، وكما دل عليه قوله : « فإن لله حاضراً » تبين لك ضلال من استدل به على دعاء الغائبين والأموات الذين لا يسمعون ولا ينفعون "[1] .

الدليل السابع :

ما رواه الحاكم في المستدرك وصححه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم[2] ، عن أبيه عن جده ، عن عمر عن النبي ﷺ قال : « لما اقترف آدم الخطيئة ، قال : رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي »[3] الحديث .

الجواب : أجاب علماء الدعوة عن هذا الحديث بأنه حديث ضعيف لا تقوم به حجة .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله في بيان ذلك : " إن هذا الحديث ساقط ، لأن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف بالاتفاق ، ضعفه : مالك ، وأحمد ، وابن معين ، وابن المديني ، وأبوزرعة ، وأبوداود ، وابن سعد ، وأبوحاتم ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، قال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه .

فهذا كما ترى ، تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو : هو ، وقال الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك لما ذكر الحاكم هذا الحديث فقال : هذا صحيح ، قال الذهبي : أظنه موضوعاً[4] ، ثم هو مخالف للقرآن ، لأن الله عز وجل ذكر قصة آدم عليه السلام وتوبته

---

[1] دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث ص ٣٧ ، وانظر : معناه في البراهين الإسلامية ، ص ١١٣ .

[2] عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني ، ضعيف كثير الحديث ، كان صاحب قرآن وتفسير ، جمع تفسيراً في مجلد ، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ ، حدث عن أبيه ، وابن المنكدر ، روى عنه أصبغ بن الفرج ، وقتيبة ، وآخرون ، توفي سنة ١٨٢هـ .
انظر في ترجمته : سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، ص ٣٤٩ ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص٢٩٧ .

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك ، ج٢ ، ص ٦١٥ .

[4] تلخيص المستدرك للذهبي ، ج٢ ، ص ٦١٥ .

وتوسله ، ولم يذكر الله أنه توسل بالنبي ﷺ "[١] .

الدليل الثامن :

قال الشيخ عبدالله أبابطين عن داود بن جرجيس : " واحتج أيضاً بما روى أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكا إليه الجدب عام الرمادة [٢] ، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر ، فيأمره أن يخرج فيستسقي بالناس [٣] ، هذا لفظه في اقتضاء الصراط المستقيم قال الشيخ رحمه الله : ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ ، وأعرف من هذا وقائع [٤] ، قال : وليس هو مما نحن فيه ، قال : وهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر ، أما أنه يدل على حسن حال السائل فلا ، ففرق بين هذا وهذا انتهى "[٥] .

الجواب : أجاب الشيخ عبدالله أبابطين عن هذه الحكاية بأنها حجة عليه فيما ذهب إليه فقال : " وهذه الحكاية التي احتج بها هذا هي حجة عليه في قوله : أن ما جاز أن يطلب منه في حياته ﷺ جاز أن يطلب منه بعد موته ، وهو ﷺ لما كان حياً معهم على وجه الأرض إذا طلبوا منه أن يستسقي لهم يستسقي بنفسه لا يقول اذهبوا إلى فلان ليستسقي لكم ، وفي هذه الحكاية لم يقل أنا أستسقي لكم ، بل أمر عمر يخرج بالناس يستسقي لهم فدل على أن هذا متعذر منه بعد موته ﷺ والصحابة خرجوا إلى الصحراء مع عمر واستسقوا ولم يأتوا إلى قبره يطلبون منه أن يستسقي لهم كما كانوا يفعلون في حياته بل ولا جاؤوا يستسقون عند قبره ، وقوله : إن صاحب هذه الحكاية صحابي أعلم من سائر علماء المسلمين فقوله هذا كذب ظاهر ، وهل يعرف اسمه حتى يعرف حاله ، والمدينة في ذلك

---

[١] جواب للشيخ سليمان بن عبدالله ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج٢ ، ص ١٦٤ .

[٢] عام الرمادة ، عام جدب عم الحجاز في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأصاب الناس فيه جوع شديد ، وكان ذلك سنة ١٨هـ ، وسمي بذلك الاسم لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد .
انظر : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص ٩٠ - ٩٣ .

[٣] ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، ج٧ ، ص ٩١ - ٩٢ ، عن الحافظ أبي بكر البيهقي بسنده إلى مالك ابن أنس ، ثم قال ابن كثير : " وهذا إسناد صحيح " .

[٤] اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٧٢٨ .

[٥] تأسيس التقديس ، ص ١٠٢ .

الزمان يردها أهل الآفاق من العرب والعجم والبادية والحاضرة ، ولا سمى صاحب هذه الشكوى ولا يدري من هو ، فكيف يزكيه هذه التزكية البالغة وهو لا يعرفه ، والشيخ يقول : ومثل هذا إذا وقع لا يدله على حسن حال السائل ، وقوله : إن ابن تيمية ذكر هذه الحكاية وأنه قال : وهذا حق ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ ، والشيخ ذكر جملة من هذا النوع ثم قال : وهذا حق ، يعني : وقوع مثل هذا ثابت ، ليس مراده أنه صواب كما زعمه " [1] .

الدليل التاسع :

قال الشيخ عبدالله أبابطين : " واحتج المعترض بما روي أنه قيل لابن عمر حين خدرت رجله اذكر أحب الناس إليك [2] ، وأن ابن عباس قاله لآخر فقال أحدهما : محمد وقال الآخر : يا محمد " [3] .

الجواب : أجاب الشيخ عبدالله أبابطين عن هذه الشبهة بقوله : " وليس له في هذا حجة على طلب الحاجات من الأموات والغائبين ، والقائل لم يقل ادع أحب الناس اليك ، والمقول له لم يقل يا محمد أزل خدر رجلي ، فإن صح الأثر فلعل المعنى في ذلك أنه توسل إلى الله بمحبة نبيه ، وأحدهما لم يأت بحرف النداء وذكرها أحدهما ، فلعل هذا مثل قولنا السلام عليك أيها النبي ، السلام عليك يا رسول الله ، وخدر الرجل من نوع الضرر ، والمحتج بذلك يحتج به على جواز طلب كشف الضر من النبي ﷺ وغيره ، وقد قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا ﴾ [4] ، أي : لا أقدر على كشف ضر نزل بكم ولا جلب خير إليكم ، أي : أن الله يملك ذلك لا أنا " [5] .

ثم ذكر الشيخ عبدالله بعض الآيات والأحاديث في هذا المعنى ، ثم قال : " فالمحتج

---

(1) تأسيس التقديس ، ص ١٠٢ .

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، ص ٣٣٥ ، رقم ٩٦٤ ، باب ما يقول الرجل إذا اخدرت رجله ، وضعفه الألباني كما في ضعيف الأدب المفرد ، ص ٨٧ ، رقم ١٥٠ .

(3) تأسيس التقديس ، ص ١٠٧ .

(4) سورة الجن الآية : ٢١ .

(5) تأسيس التقديس ، ص ١٠٧ .

بهذا الأثر ما ادعاه معارض لنصوص القرآن والسنة ، مكذب لله ورسوله فيما ذكرنا من الآيات والحديث "[١] .

الدليل العاشر :

قال الشيخ عبدالله أبابطين : " ذكر المعترض ما روي أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي ﷺ بعد ثلاثة أيام من دفنه ﷺ ورمى بنفسه ، وقال : يا رسول الله قلت : فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك ﴿ ولوْ أنَّهمْ إذ ظَلَمُوا أنفُسهُمْ جَاءُوكَ ﴾[٢] الآية وقد جئتك مستغفراً لذنبي ، فنودي من القبر غفر لك "[٣] .

الجواب : أجاب الشيخ عبدالله أبابطين عن هذه الحكاية بقوله : " فيا سبحان الله يعتمد على حكاية عن أعرابي بغير إسناد في هذا الأمر ، الذي لو كان مستحباً أو جائزاً لفعله الصحابه والتابعون ، ولو كانوا يفعلون شيئاً من ذلك لنقل عنهم ، لا عن أعرابي وغيره ممن لا تعرف حاله ، فلو وجد الناقل لهذه الحكايات شيئاً من ذلك عن أحد من الصحابة وعلماء التابعين لكان أولى من نقله عمن لا يعرف بصحبةٍ ولا علم ، وأيضاً فهذه حكايات بغير إسناد معروف بحيث لو يذكر عن النبي ﷺ أحاديث بغير إسناد معروف رجاله لم يلتفت إليها ، مع أنه ليس في هذه الحكاية ونحوها أنه طلب من النبي ﷺ أن يغفر له أو أن يدعو الله له "[٤] .

الدليل الحادي عشر :

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عن داود بن جرجيس : " قال العراقي : (ومن الأدلة على جواز دعاء الصالحين وندائهم ما ذكر الله عن نبيه سليمان ، وقوله لآصف[٥] ،

---

[١] المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

[٢] سورة النساء الآية : ٦٤ .

[٣] تأسيس التقديس ، ص ١٠٦ .

[٤] المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

[٥] آصف بن برخيا ، قيل إنه الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ وهو رجل من بني إسرائيل كان يقوم على رأس سليمان عليه السلام بالسيف ، وكان صدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، وذكر ابن عباس أنه كان كاتباً لسليمان عليه السلام .
انظر في ترجمته : معالم التنزيل للبغوي ، ج٦ ، ص ١٦٤ ، زاد المسير لابن الجوزي ، ج٦ ، ص ١٧٤ ، تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص ٣٦٤ .

فإنه طلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله) [١] .

الجواب عن هذه الشبهة : أجاب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن عن هذه الشبهة بقوله : " سبحانك هذا بهتان عظيم ، ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا .

وقصة آصف من أدلة التوحيد ، وآصف توسل إلى الله بتوحيده وإلهيته ، وكرر ذلك في دعائه ، وقد قيل : إنه يعرف الاسم الأعظم ، فهو طالب من الله ، راغب إليه ، سائل له ، ليس بفاعل أصلاً ، وسليمان عليه السلام آمر ليس بسائل ولا طالب ، وفرق بين الأمر والمسألة .

ومن لم يفرق بين الأمرين ، ولم يدر حكم المسألتين ، فليرجع إلى وراء ، وليقتبس نوراً من كلام أئمة العلم والهدى .

وقد قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب : « لا تنسنايا أخيَّ من صالح دعائك » [٢] .

وهذا من جنس الأسباب العادية ، فإن الرجل إذا كان معروفاً بالصلاح ، وإجابة الدعاء ، فطلب منه الدعاء أو أمر به ، فدعا الله واستجيب له ، لا يكون هو الفاعل للاستجابة ، وليس المطلوب منه ما يختص بالله من الفعل ، وإنما يطلب منه ما يختص به من الدعاء والتضرع .

فالآية من أدلة التوحيد ، وصرف الوجوه إلى الله ، وإقبال القلوب عليه ، فإن آصف توسل إلى الله بتوحيده وربوبيته ، وقصده وحده ، ولم يقصد سليمان ولا غيره ، مع أن سليمان أفضل منه لنبوته .

وفيها : أن الأنبياء لا يسألون ولا يقصدون ، بل ربما صار حصول مقصودهم ، ونيل مطلوبهم على يد من هو دونهم من المؤمنين .

وإن أعظم الوسائل وأشرف المقاصد هو توحيد الله بعبادته ودعائه وحده لا شريك له ، كما فعل آصف .

---

[١] تحفة الطالب والجليس ، ص ٤٧ .

[٢] تقدم تخريجه ، ص ٦٥٧ .

وفيها براءة أولياء الله من الحول والقوة ، كما دلت عليه القصة ، فإنه توضأ وصلى ، ودعا ، فقال في دعائه : (يا ذا الجلال والإكرام) قاله مجاهد [١] .

وقال الزهري : " يا إلهنا وإله كل شيء ، إلهاً واحداً ، لا إله إلا أنت ، ائتني بعرشها [٢] .

فأي شبهة تبقى مع هذا ، وأي حجة فيه على أن غير الله يدعى ؟ " [٣] .

وبهذه الأجوبة يتبين أنه ليس للمشركين حجة يحتجون بها على ما دعوا إليه من الشرك .

---

[١] أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ، ج٩ ، ص ٥٢٣ .

[٢] أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ، ج٩ ، ص ٥٢٣ .

[٣] تحفة الطالب والجليس ، ص ٤٧ - ٤٩ ، وانظر : معناه في القول الفصل النفيس ، ص ٢٥ .